

الصحيح من

التذكرة

في أحوال الموتى وأمور الآخرة

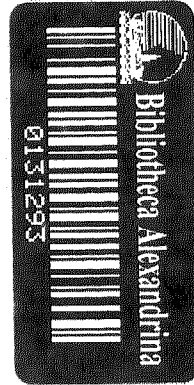
للإمام القرطبي

إعداد

مجاهد فتيحي السيد

دار الصحابة للنشر والتوزيع

لنشر والتحقيق والتوزيع



الصحيح من

التشكيك

في حوال البوتني وأمور الأخرى
للإمام القسطنطيني

أعلاه

بجدي فتحي السيدنا

إذا الصحيح بغير التشكيك يطبقنا
للنشر والتحقيق والنزيع

مجتازة قسط مؤهلاً بعموم الجنس والموظفه

لهذا قلمت تنبيها

للقوق الطبع والموظفه

للناشر

دار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

المراسلات :

شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

صحيح التذكرة

في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للعلامة القرطبي

ونحن نؤمل على ما يلي :

١- تقديم

٢- أهمية صحيح التذكرة للقارئ المسلم

٣- منهج العمل في هذا الصحيح

٤- خلاصة مقدمة الكتاب الكامل

٥- كلمة أخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقطيع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره .

ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا

مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﴿ يا

أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(١)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها

زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام

إن الله كان عليكم رقيباً ﴾^(٢)

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم

ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾^(٣)

ثم أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ، وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد

فهذا كتاب «صحيح التذكرة» للعلامة القرطبي ، يسر دار الصحابة للتراث

بطنطا أن تقدمه للقارئ المسلم بعد أن قدمت له الأصل كاملاً ، محققاً.

(١) سورة آل عمران : ١٠٢

(٢) سورة النساء : ١

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

(٢) أهمية صحيح التذكرة للقارئ المسلم

فى البدء أقول :

كم كان المرء يحزن عندما يستمع إلى الأحاديث الضعيفة والباطلة التى تروى فى شأن الموت والقبر ، والدار الآخرة.!

وكم كان يود أن لو يجد كتاباً يحتوى على أحاديث صحيحة ، وآثار حسان تروى فى شأن الخوف من الجليل ، والاستعداد ليوم الرحيل.!

وكم كان المرء يشعر بقمة الأسى عندما يجد كتاب «التذكرة» غير محقق ، ولا مبيناً لما فيه مما لم تصح نسبته إلى النبى ﷺ ، وصحبه الكرام .

مع أن هذا الكتاب يعد من أكبر ما صنف فى الباب ، وهو عمدة المتأخرين عند الحديث عن الموت والسكرات ، والقبر والظلمات ، والتحذير من دنو الأجل ، وقرب الممات وقيام الساعة والحسرات .

فهذا داعية ينقل من التذكرة عشرات الصفحات غير مبين لما فيها من الضعيف والموضوعات .

وهذا واعظ يقص على الناس أخباراً من التذكرة ، ولا يتفطن إلى كونها من الإسرائيليات ، بل ومنها ما حكم عليه بنكارة المتونات .

وهذا قارئ ينصح غيره بشراء الكتاب حيث ان كل ما فيه من الأمور المرهبات والمرغبات !! وكل تلك الاعتبارات كانت كل المنشورات التى صدرت خلالها طبعت الكتاب تخلو من تحقيق النصوص ، وبيان صحيحها وسقيمها، والمقبول منها ومردودها .

لذا كان من توفيق الله تعالى لنا القيام بتلك المهمة التى نسأل الله تعالى أن نكون من المخلصين فيها ، والقائمين بها حق قيامها .

فلما تم تحقيق الكتاب كاملاً لأول مرة ، كان من المفيد ، والجدير بالعناية أن يتم فصل الصحيح من الضعيف ، وبيان المقبول من المردود .

ومن خلال هذا التهذيب لكتاب « التذكرة » يتسنى لكل داعية النقل من الكتاب ، وهو مطمئن إلى صحة ما ينقل .

ومن خلال هذا التهذيب لكتاب « التذكرة » يستطيع الواعظ أن يعظ الناس وهو مطمئن إلى صحة العظة التي يقصها على المستمعين له .
ومن خلال هذا التهذيب لكتاب التذكرة يستطيع القارئ أن يقرأ صفحات الكتاب ، وهو غير حائر ، ولا يرتاب في صحة تلك المعلومات التي يقرأها .
ومن أراد التمييز بين الصحيح والضعيف كان لديه النسخة الكاملة المحققة .
فإلى كل داعية وواعظ.. عليك بالحرص على صحة الأحاديث والآثار التي تنقلها إلى جمهور المدعوين من المسلمين والمسلمات .

منهج العمل فى هذا الصحيح

هذا الكتاب هو تهذيب للأصل الكامل ، والمكون من جزئين ، وقد اتبعنا فيه

الخطوات التالية :

- ١- أبقينا على الآيات الكريمة برمتها ، وما دار حولها من كلام للمصنف .
- ٢- تركنا أبواب الكتاب على ما عليه من الترتيب والتسمية .
- ٣- حذفنا الأبواب التى لم يصح فيها أحاديث أو آثار ، ولم يأت المصنف فيها بآيات قرآنية .
- ٤- أبقينا على صحيح الأحاديث ، والآثار وبعض الأخبار التى صح سندها إلى قائلها ، مع كتابة درجة كل منها بجانبها ، وتجد تخريج ذلك مفصلاً فى النسخة الكاملة.
- ٥- حذفنا كل حديث ضعيف ، وأثر ، وما رتب عليه من كلام المصنف إن كان شرحاً ، أو تعليقاً ، إذ الأمر كما قال بعضهم : ابني العرش أولاً ثم انقشه !!
- ٦- أبقينا على ترقيم فقرات الكتاب الأصل حتى يسهل الرجوع إليها لمعرفة ما بها من تخريجات وتعليقات .

والحمد لله أولاً وآخراً
ظاهراً وباطناً

أبو مريم .

خلاصة مقدمة الكتاب الكامل

أخى المسلمأختى المسلمة .

تلك خلاصة وافية لما قد كتبناه فى مقدمة الكتاب الأصل قبل التهذيب.

بدأت فى تقدمتى للكتاب ببيان الحذر من دار الغرور ، والاستعداد ليوم
البعث والنشور ، فالؤمن من يعلم أن القبر أول منزل من منازل الدار الآخرة ، وآخر
منزل من منازل الدنيا .

لذا فطوبى لمن مهد فى دنياه قبره ، وعمره قبل أن يسكنه وأرضى ربه قبل أن
يلقاه لينال رضاه .

فالعاقل الفطن من دان نفسه فى الدنيا ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب،
وتزود من التقوى لما بعد الموت والشقى هو من تمنى على الله الأمانى الغرور ،
وتخدعه الدنيا بقشور .

لذا فلقد كان سلفنا الصالح على ما كانوا عليه من تقوى وصلاح ، وعلم
وعمل ، يخافون من الله خوفاً شديداً ، ويستعدون للموت قبل مجيئه، ويعدون للقبر
قبل سكناه .

وأما اليوم فقد ذهب الخوف من القلوب ، وتراكت الذنوب بعد الذنوب ،
لذا فهذا كلام رب العالمين عن الدار الآخرة ، وكلام النبى ﷺ عن الدنيا والدار
الآخرة، ومع آثار السلف الصالح الداعية إلى طاعة علام الغيوب ، وجلاء الران عن

القلوب ، كل ذلك فى « التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة » .

ثم تحدثت بعد ذلك عن الإيمان بالدار الآخرة عقيدة إسلامية .

فلقد مدح الله أهل الإيمان بأنهم يؤمنون بالغيب، كما قال الله تعالى :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾^(١)

فالغيب فى كلام العرب كل ما غاب عنك ، وهو كل ما جاء فى القرآن الكريم ، وأخبر به رسول الله ﷺ كالإيمان بالله تعالى ، وأشراط الساعة الكبرى والموت والقبر والصراط والميزان ، والجنة والنار كلها من الغيب الذى أمرنا بالإيمان به .

ومن فوائد وثمار الإيمان بالغيب أنه سلاح المؤمن فى أوقات الفتن والشدائد ، وعمدة أهل الإيمان فى صد المادية وأهل الطغیان .

والإيمان بالغيب يعين المرء على طاعة الله تعالى ، ويحرك فيه عوامل الإسراع فى إعداد الزاد ، والاستعداد ليوم المعاد .

أما من خفت فى قلبه حرارة الإيمان بالغيب ، أو مات فى قلبه الإيمان بالغيب تراه يحيا عابثاً لاهياً ، مضيئاً لأيام عمره ، تاركاً لكل الطاعات ، بدءاً من الصلوات . فما أحوجنا فى هذا الوقت الذى طغت فيه الماديات ، وأنكرت الغيبيات التأكيد على أهمية الإيمان بالغيب ، وتقوية أواصره فى القلوب ، ولعل من الكتب

(١) سورة البقرة : ٢-٣

الجديرة بالمطالعة فى هذا الباب كتاب « التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة »
للقرطبى .

وبعد ذلك تحدثت عن ترجمة المصنف ونشأته العلمية .
فهو أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى، القرطبى .
تلقى العلم مبكراً ، فمن شيوخه الحافظ أحمد بن عمر القرطبى «صاحب
المفهم» ، وأبو الحسن بن محمد البكرى ، وأبو الحسن على بن محمد اليحصبى .
ولما استكمل ما ينبغى لمثله من العلم الشرعى ، أخذ فى التعبد ، فكانت كل
أوقاته معمورة ، مشغولة ما بين العبادة ومدارسة العلم الشرعى .
وقد صنف مصنفات عديدة ، وألف تواليف كثيرة ، فمنها المطبوع ،
والمخطوط ، والمفقود ، فمن كتبه المطبوعة :

- ١- الجامع لأحكام القرآن .
- ٢- «الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى» طبع بدار الصحابة للتراث بطنطا .
- ٣- «قمع الحرص بالزهد والقناعة» طبع بدار الصحابة للتراث بطنطا .
- ٤- «التذكار فى أفضل الأذكار» .

ومن كتبه المخطوطة :

- ١- « شرح التقصى » وهو شرح مطول لموطأ مالك رحمه الله .
- ٢- «التقريب لكتاب التمهيد»
- ٣- « أرجوزة فى أسماء النبى ﷺ » .

٤- «الانتهاز في قراء أهل الكوفة ، والبصرة ، والشام ، وأهل الحجاز» .

٥- «الإعلام بما في دين النصارى ، وإظهار محاسن دين الإسلام» .

ومن ثناء العلماء عليه : قول العلامة الذهبي - رحمه الله - عنه :

« إمام متفنن ، متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة ، تدل على كثرة اطلاعه ، ووفور عقله وفضله ، وقد سارت بتفسيره الركبان ، وله أشياء تدل على إمامته ، وذكائه ، وكثرة اطلاعه» .

«قد رحل ، وكتب وسمع ، وكان يقظاً فهماً ، حسن الحفظ ، مليح النظم ، حسن المذاكرة ، ثقة ، حافظاً .

ولكن كل عالم وله زلة ، وكل يؤخذ منه ، ويرد عليه ، فمما انتقد على

القرطبي :

١- مخالفة عقيدة السلف الصالح في بعض المسائل العلمية كما في نفيه صفة العلو لله تعالى ، وقد أثبتتها السلف الصالح ، الإيمان بكلام الله تعالى بصوت يسمعه من شاء من خلقه ، وبحرف سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة ، ومن أذن له من ملائكته ، وتأويله لصفة النزول ، والسلف يشبونها من غير تمثيل ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، وقد بينت كل ذلك في موضعه من باب الدين النصيحة ، وأن الحق أحب إلينا مما سواه (١) .

(١) ويمكنك قراءة تفصيل ذلك في الكتاب الأصل .

وقد توفي الإمام القرطبي في سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وذلك في منية
ابن خصيب في القاهرة .

ثم تحدثت بعد ذلك عن أهمية الكتاب ومحتوياته :
فحوى هذا الكتاب هو الحديث عن أمر الموت ، والدار الآخرة ، لذا لم يخل
أى كتاب من كتب السنة من حديث عن هذين الموضوعين .
بل من السلف الصالح من أفرد أحد هذين الموضوعين كالبيهقي ، ومن قبله
ابن أبي الدنيا ، ومن بعدهما ابن القيم ، وابن رجب الحنبلي ، والسيوطي ، وابن
طولون

فمن أهمية كتاب « التذكرة » في هذا الشأن :
أنه كتاب اشتمل على كل ما ورد في هذا الباب مما كان منشوراً في بطون
الكتب ، مما صح ، أو لم يصح في هذا الموضوع .
ومحتويات الكتاب تدور في إطارين :

الأول : هو أحوال الموتى ، وهذا يستدعى الحديث عن سكرات الموت ،
وخروج الروح ، وملك الموت وأعوانه ، والقبر وضغطته ، وزيارته .
الثاني : هو الحديث عن أشراط الساعة الكبرى ، والصغرى ، وهذا بدوره
يستدعى الحديث عن البعث والنشور ، والصراف والميزان ، والجنة والنار .
وبعد ذلك تحدثت عن وصف نسخ الكتاب وتوثيقها ، ثم ختمت ذلك
بالحديث عن عملنا في الكتاب ، والحمد لله أولاً وآخراً .

كتبه أبو مرير /

مجدي فتحي السيد .

كلمة أخيرة

لعل من الملامح المميزة ، والسمات البارزة فى هذا الكتاب هو الوقوف على صحيح المرفوع والموقوف .

وإذا أتينا على تلك النقطة فيجدر هنا أن أذكر كلمة أخيرة فى هذا المقام ، وهى أننى حاولت قدر استطاعتى توخى اختيار الصواب ، وإثبات صحيح الكتاب ، ومن الله تعالى التوفيق والسداد .

لذا فهذا جهد المقل ، فإن أصبت الصواب والسداد ، فمن الله وحده بفضله ، وكرمه ، وإن كانت الأخرى فمن نفسى ، وإن الدين النصيحة ، فمن وجد خيراً فليدع لى بدوام التوفيق والسداد ، ومن وجد غير ذلك ، فقد أبى الله تعالى أن يكون الكمال إلا لكتابه ، ولكن الأذن لكل ناصح صاغية ، والقلب مستمع ، والنفس منتصحة ، ورحم الله رجلاً أهدى إلى عيوبى ، ولكن طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس .

أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعنى به ، وسائر المسلمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو مريم / مجدى فتحى السيد إبراهيم

طنطا - مصر

الصحيح من

التشكك

في حوال الموثق ومؤيد الأخرجة
للإمام القزويني

إعداد

مجدى فتحى السيد

دار الصحاح للنشر والتوزيع
للنشر والتوزيع والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

(اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

يقول العبد الفقير إلى ربه . المتنصل من ذنبه ، الراجي رحمة ربه : محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين : آمين .

الحمد لله العلي الأعلى ، الولي المولى الذي خلق فأحيا ، وحكم على خلقه بالموت والفناء ، والبعث إلى دار الجزاء ، والفصل والقضاء ، ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ . كما قال في كتابه جل وعلا : ﴿ إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ * ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ .

وبعد : فإنني رأيت أن أكتب كتاباً وجيزاً ، يكون تذكرة لنفسي ، وعملاً صالحاً بعد موتي ، في ذكر الموت ، وأحوال الموتى ، وذكر الحشر والنشر ، والجنة والنار ، والفتن والأشرار ، نقلته من كتب الأئمة ، وثقات أعلام هذه الأمة حسب ما رأيته ورويته ، وسترى ذلك منسوباً مبيناً ، إن شاء الله تعالى . وسميته : (كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) وبوبته باباً باباً ، وجعلت عقب كل باب فصلاً أو فصولاً ، نذكر فيه ما يحتاج إليه ، من بيان غريب ، أو فقه في حديث ، أو إيضاح مشكل ، لتكمل فائدته ، وتعظم منفعته ، إذ التفقه في حديث رسول الله ﷺ هو المعنى المقصود ، والرأى المحمود ، والعمل الموجود في المقام المحمود واليوم المشهود ، جعله الله خالصاً لوجهه ، ومقرباً من رحمته ، بمنه وكرمه . لا رب سواه ولا معبود إلا هو سبحانه .

باب النهي عن تمنى الموت والذم له به لضر نزل فجاء المال والجسد

١- (روى) مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى « أخرجه البخارى (أيضاً) [حديث صحيح] .

٢- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً» [حديث صحيح] .

٣- (وقال) البخارى : « لا يتمنين أحدكم الموت : إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعيب » [حديث صحيح] .

٤- (اليزار) عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإجابة» [حديث حسن] .

٥- (فصل) قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار ، وهو من أعظم المصائب ، وقد سماه الله تعالى مصيبة ، فى قوله (تعالى) ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى . قال علماؤنا : وأعظم منه الغفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكير فيه ، وترك العمل له ، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر .

٦- ويروى أن أعرابياً كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتاً ، فنزل الأعرابى عنه ، وجعل يطوف به ويتفكر فيه ، ويقول : مالك لا تقوم ؟ مالك لا تنبعث ؟ ، هذه أعضاؤك كاملة ، وجوارحك سالمة ، ما شأنك ؟ ما الذى كان يحملك ؟ ما الذى كان يبعثك ؟ ما الذى صرعتك ؟ ما الذى عن الحركة منعك ؟ ثم تركه وانصرف متفكراً فى شأنه ، متعجباً من أمره ، وأنشدوا فى بعض الشجعان مات حتف أنفه :

جاءته من قبل المنون إثمارة
ورمى بمحكم درعه وبرمحه
لا يستجيب لصارخ إن يدعه
ذهبت بسالته ومر عرامه
يا ويحه من فارس ما باله
هذى يده وهذه أعضاؤه
هيهات ما حبل الردى محتاجة
هى ويحكم أمر الإله وحكمه
يا حسرتا لو كان يقدر قدرها
خبر علمنا كلنا بمكانه
فهوى صريعاً لليدين وللنم
وامتد ملقى كالفنيق الأعظم
أبدأ ولا يرجى لخطب معظم
لما رأى حبل المنية يرتقى
ذهبت مروته ولما يكلم
ما منه من عضو غداً بمثلهم
للمشرفى ولا اللسان اللهزم
والله يقضى بالقضاء المحكم
ومصيبة عظمت ولما تعظم
وكأننا فى حالنا لم نعلم

٧- وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نواذر الأصول : حدثنا قتيبة بن سعيد والخطيب بن سالم ، عن عبد العزيز الماجشون ، عن محمد بن المنكدر قال : مات ابن آدم عليه (الصلاة و)السلام فقال : يا حواء ، قد مات ابنك ، فقالت : وما الموت ؟ قال : لا يأكل ولا يشرب ، ولا يقوم ولا يقعد ، فرئت ، فقال آدم عليه السلام : عليك الرنة وعلى بناتك أنا وبنى منها برآء [إسناده صحيح] .

٨- (فصله) : قوله : فلعله أن يستعتب . الاستعتاب : طلب العتبي ، وهو الرضى ، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب ، قال الجوهري : استعتب : طلب أن يعتب ، تقول : استعنته فأعتبني ، أى استرضيته فأرضاني ، وفى التنزيل فى حق الكافرين : ﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ .

٩- وروى عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال : لا يتمنى أحدكم الموت إلا ثلاثة : رجل جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه ، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل .

١٠- وروى أن ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام جاء إلى إبراهيم عليه (الصلاة و)السلام خليل الرحمن عز وجل ليقبض روحه ، فقال : إبراهيم : يا ملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله ؟ فعرج ملك

الموت عليه الصلاة والسلام إلى ربه فقال : قل له : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فرجع فقال اقض روحى الساعة [خبر من الإسرائيليات وصح بنحوه] .
١١- وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : ما من مؤمن إلا والموت خير له فمن لم يصدقنى فإن الله تعالى يقول : ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما على لهم خيرا لأنفسهم إنما على لهم ليزدادوا إثماً ﴾ [إسناده ضعيف وصح عن ابن مسعود]

١٢- وقال حيان بن الأسود : « الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب » .

باب جواز تمنى الموت والطمع به خوفاً من ظهاب الدين
قال الله عز وجل مخبراً عن يوسف عليه (الصلاة و) السلام : ﴿ توفنى مسلماً وأحسنى بال صالحين ﴾ وعن مريم عليها السلام فى قولها : ﴿ يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾ .

١٣- وعن مالك عن أبى الزناد، عن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه » [حديث صحيح] .

١٤- (فصل) : قلت : لا تعارض بين هذه الترجمة والتي قبلها لما نبينه ، أما يوسف عليه (الصلاة و) السلام . فقال قتادة : لم يتمن الموت أحد : نبى ولا غيره إلا يوسف عليه (الصلاة و) السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل ، اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال : ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني ﴾ الآية ، فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل ، وقيل إن يوسف عليه (الصلاة و) السلام لم يتمن الموت وإنما تمنى (الوفاة) على الإسلام ، أى إذا جاء أجلى توفنى مسلماً . وهذا هو القول المختار فى تأويل الآية عند أهل التأويل ، والله أعلم [خبر صحيح] .

وأما مريم عليها السلام فإنما تمت الموت لوجهين :
أحدهما : أنها خافت أن يظن بها السوء فى دينها وتعبير ، فيفتنها ذلك .

الثاني : لعلا يقع قوم بسببها في البهتان والزور ، والنسبة إلى الزنا ، وذلك مهلك لهم ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى عز وجل في حق من افتري على عائشة رضي الله عنها : ﴿والذى تولى كبراً منهم له عذاب عظيم﴾ وقال : ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾ وقد اختلف في مريم عليها السلام : هل هي صديقة لقوله تعالى : ﴿وأمة صديقة﴾ أو نبيه لقوله تعالى : ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ وقوله : ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾ الآية ، وعليه فيكون الافتراء عليها أعظم والبهتان في حقها أشد ، وفيه يكون الهلاك حقاً ، فعلى هذا الحد الذى ذكرناه من التأويلين يكون تمنى الموت في حقها جائزاً ، والله أعلم .
وأما الحديث فإنما هو خبر : أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس ، من فساد الحال في الدين ، وضعفه وخوف ذهابه ، لا لضر ينزل بالمرء في جسمه أو غير ذلك من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطاياها .

١٥ - ومما يوضح هذا المعنى وييسره قوله عليه (الصلاة و)السلام : « اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت - ويروى أدت - في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون » . رواه مالك [حديث صحيح] .

١٦ - ومثل هذا قول عمر رضي الله عنه : « اللهم قد ضعفت قوتي وكبرت سنى وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر » فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رحمه الله ، رواه مالك أيضاً [خبر صحيح] .

١٧ - وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد والاستذكار من حديث زاذان (بن) عمر عن عليم الكندى قال : كنت جالساً مع عابس الغفارى على سطح فرأى ناساً يتحملون من الطاعون فقال : يا طاعون ، خذنى إليك (يقولها ثلاثاً) فقال عليم : لم تقول هذا ؟ ألم يقل رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعجب » فقال عابس : (إنما) سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بادروا بالموت ستاً : إمرة السفهاء ، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافاً بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشأ يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون الرجل

ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقهاً» [حديث صحيح] .
وسياتى لهذا مزيد بيان فى الفتن ، إن شاء الله تعالى .

باب ذكر الموت [وفضله] والاستعداد له

١٨- النسائى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر هادم اللذات » يعنى الموت ، أخرجه ابن ماجه ، والترمذى أيضاً [حديث صحيح] .
١٩- وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى ابن سعيد (عن سعيد) بن المسيب عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هادم اللذات » قلنا يا رسول الله : وما هادم اللذات؟ قال : « الموت » [حديث صحيح] .

٢٠- ابن ماجه عن ابن عمر أنه قال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار ، فسلم على النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، أى المؤمنين أفضل؟ قال : « أحسنهم خلقاً » قال : فأى المؤمنين أكيس؟ قال : « أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس » أخرجه مالك أيضاً ، وسياتى فى الفتن ، إن شاء الله تعالى [حديث حسن] .

٢٢- وروى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الموت ، فإنه يمحص الذنوب ، ويزهد فى الدنيا » [حديث صحيح] .

٢٥- وقال السدى فى قوله تعالى : ﴿ الذى خلق الموت والحياة لبلوكم

أيكم أحسن عملاً ﴾ أى أكثركم للموت ذكراً ، وله أحسن استعداداً ، ومنه أشد خوفاً وحذراً [خبر حسن] .

٢٦- (فصل) : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قوله عليه (الصلاة و) السلام : « أكثروا ذكر هادم اللذات الموت » كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ، ومنعه تمنيتها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ، ولكن النفوس الراكدة ، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ ، وتزويق الألفاظ ، وإلا ففى قوله عليه الصلاة والسلام : « أكثروا ذكر هادم اللذات » مع قوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ما يكفل

السامع له، ويشغل الناظر فيه ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عباد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له والإنس والجن فيما بينهما ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها من كل أوب إليها وافد يفد ؟
حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا

٢٧- (فصله) : إذا ثبت ما ذكرناه ، فاعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية ، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة ، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة . فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه ، فإنه لا يدوم ، والموت أصعب منه ، أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها ، والسكون إليها ، لقطعه عنها . ولقد أحسن من قال :

اذكر الموت هادم اللذات وتجهز لمصرع سوف يأتي
وقال غيره :

واذكر الموت تجد راحة في اذكار الموت تقصير الأمل
٢٨- وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ، ولا زمن معلوم ، ولا مرض معلوم ، وذلك ليسكون المرء على أهبة من ذلك ، مستعداً لذلك ، وكان بعض الصالحين ينادى بليل علي سور المدينة : الرحيل ، الرحيل . فلما توفي فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه ، فقيل : إنه قد مات فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره حستى أناخ بسبابه الجمال
فأصابه متيقظاً متشمرأ ذا أهبة لم تلته الآمال

٢٩- وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : ويحك يا يزيد ، من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك ربك (بعد) الموت ؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ من

الموت طالبه والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله ؟ ثم يبكى حتى يسقط مغشياً عليه .

٣٠- وقال التيمي : شيان قطعاً عنى لذة الدنيا : ذكر الموت ، وذكر الموقف

بين يدي الله تعالى . وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت ، والقيامة ، والآخرة ، فيكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

٣١- وقال أبو نعيم : كان الثورى إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً فإن سئل

عن شيء قال : لا أدري لا أدري [خبر صحيح] .

٣٣- وقال الدقاق : من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل

التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة* ، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة .

فتفكر يا مغرور فى الموت وسكراته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فيا للموت من وعد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعدله ، وكفى بالموت مقرحاً ، ومبكياً للعيون ، ومفرقاً للجماعات ، وهادماً للذات ، وقاطعاً للأمنيات ، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ،

وأخذت من فراشك ، وغطائك إلى عرر ، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر ، فيا جامع المال ، والمجتهد فى البنيان ، ليس لك والله من مال إلا الأكفان ، بل هى والله للخراب والذهاب ، وجسمك للتراب والمآب ، فأين الذى جمعه من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا ، بل تركته إلى من لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرک ، ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿وابتغ فيما آتاك الله

الدار الآخرة﴾ أى : اطلب فيما أعطاك الله فى الدنيا ، الدار الآخرة وهى الجنة ، فإن

حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه فى الآخرة ، لا فى الطين ، والماء ، والتجبر ، والبغى ، فكأنهم قالوا : لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذى هو الكفن ، ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله : رداءان تلوى فيهما ، وحنوط×

وقال الآخر :

هي القناعة لا تبغى بها بدلاً انظر فيها النعيم وفيها راحة البدن
لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن؟

باب ما يذكر الموت والآخرة ويזהد فيه الدنيا

٣٨- مسلم عن أبي هريرة قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : « استأذنت ربي (في) أن يغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت » [حديث صحيح] .

٣٩- وعن ابن ماجه ، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها تزهّد في الدنيا وتذكر الآخرة » [حديث صحيح] .

٤٠- (فصل) : زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء ، مختلف فيه للنساء ، أما الشواب فحرام عليهن الخروج ، وأما القواعد فمباح لهن ذلك ، وجائز ذلك لجميعهن إذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف في هذا إن شاء الله تعالى ، وعلى هذا المعنى يكون قوله عليه الصلاة والسلام : « زوروا القبور » عاماً ، وأما موضع أو وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل ، فبينما الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتن ، وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزوراً (غير مأجور) وهذا واضح . والله أعلم .

٤١- وقد رأى بعض أهل العلم : أن لعن النبي ﷺ زوارات القبور كان قبل أن يرخص في زيارة القبور ، فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء وما ذكرناه لك أولاً أصح ، والله أعلم .

٤٢- وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج إلى المقبرة ، فلما أشرف عليها قال : يا أهل القبور أخبرونا عنكم ، أو نخبركم ، أما خبر من قبلنا : فالمال قد اقتسم ، والنساء قد تزوجن ، والمساکن قد سكنها قوم غيركم ، ثم قال : أما والله لو استطاعوا لقالوا : لم نر زاداً خيراً من التقوى .

٤٣- ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول :

وحاسبوا أنفسهم وأبصروا
 فإتوا الدنيا لهم معبر
 غداً إذا ضمهم المحشر
 والبر كانا خير ما يدخر
 وهو غداً في قبره يقبر
 وجيفة آخره يفجر
 يرجو ولا تأخير ما يحذر
 فى كل ما يقضى وما يقدر

يا عجباً للناس لو فكروا
 وعبروا الدنيا إلى غيرها
 لا فخر إلا فخر أهل التقى
 ليعلمن الناس أن التقى
 عجت للإنسان فى فخره
 ما بال من أوله نطفة
 أصبح لا يملك تقديم ما
 وأصبح الأمر إلى غيره

٤٤- «فصله»: قال العلماء رحمة الله عليهم: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها: الإقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ (والتذكير)، والتخويف والترغيب، وأخبار الصالحين، إن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها.

الثانى: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هادم اللذات، ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات، كما تقدم فى الباب قبل، يروى أن امرأة شكّت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها، فقالت لها: أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت ذلك فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها، قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصى، ويلين القلب القاسى، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته، ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويترد عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد فى الاجتهاد والتعب.

٤٥- يروى أن الحسن البصرى دخل على مريض يعود فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه، وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله، بغير اللون الذى خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

فهذه ثلاثة أمور ينبغى لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء

دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه ، فإن انتفع بها فذاك ، وإن عظم عليه ران القلب ، واستحكمت فيه دواعي الذنب ، فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول ، والثاني ، والثالث ، ولذلك قال عليه (الصلاة و)السلام : «زوروا القبور فإنها تذكركم الموت والآخرة ، وتزهد في الدنيا » ، فالأول: سماع بالأذن ، والثاني : إخبار للقلب بما إليه المصير ، وقائم له مقام التخويف والتحذير في مشاهدة من احتضر، وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ، فلذلك كانا أبلغ من الأول والثاني [خبر حسن] .

٤٦- قال ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة » رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره إلا أن الاعتبار بحال المحتضرين غير ممكن في كل الأوقات ، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات ، وأما زيارة القبور : فوجودها أسرع ، والانتفاع بها أليق وأجدر ، فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ، ويحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداد فقط ، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة ، ونعوذ بالله من ذلك ، بل يقصد بزيارته : وجه الله تعالى ، وإصلاح فساد قلبه ، أو نفع الميت مما يتلوه عنده من القرآن ، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . ويجتنب المشي على المقابر ، والجلوس عليها إذا دخل المقابر ، ويخلع نعليه . كما جاء في أحاديث ، ويسلم إذا دخل المقابر ، ويخاطبهم خطاب الحاضرين ، فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ، وكذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول ، وكفى بالدار عن عمارها وسكانها ، ولذلك خاطبهم بالكاف والميم لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله ، وإذا وصل إلى قبر ميتة الذي يعرفه سلم عليه أيضاً فيقول : عليك السلام [حديث صحيح] .

٤٧- روى الترمذى في جامعه : أن رجلاً دخل على النبي ﷺ ، فقال : عليك السلام ، فقال ﷺ : « لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الميت » وليأته من تلقاء وجهه في زيارته كمخاطبته حياً ، ولو خاطبه حياً لكان الأدب استقباله بوجهه ، فكذلك ههنا ، ثم يعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ، ونافس الأصحاب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه فليتأمل الزائر

حال من مضى من إخوانه ، ودرج من أقرانه ، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافتشقت في القبور أجزاءهم ، وترمل بعدهم نساؤهم ، وشمل ذل اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم [حديث صحيح] .

٤٨- وليتذكر ترددهم في المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم لمؤاتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب ، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا في أغراضه ، وكيف تهدمت رجلاه ، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه ، ويصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه ، ويضحك لمؤاتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه ، وليتحقق أن حاله كحال ، وماله كماله ، وعند هذا التذكر والاعتبار ، يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد في دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخضع جوارحه ، والله أعلم .

٥١- قلت : وبينه حديث مسلم عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله : أين أباي ؟ قال : « في النار » فلما قفا دعاه قال : « إن أباي وأباك في النار » .

[حديث صحيح] .

باب منه ، وما يقال عند دخول المقابر وجواز البكاء

عندها

٥٦- أبو داود عن بريدة بن خصيب قال : قال رسول الله ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإن في زيارتها تذكرة » ، وذكر النسائي عن بريدة أيضاً عن النبي ﷺ قال : « من أراد أن يزور قبراً فليزره ، ولا تقولوا « هجراً » بمعنى سوءاً » . [حديث صحيح] .

٥٨- مسلم عن عائشة رضی الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : كيف

أقول إذا دخلت المقابر ؟ قال : « قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمتأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » خرجه مسلم من حديث بريدة أيضاً ، وزاد : « أسأل الله لنا

ولكم العافية « [حديث صحيح] .

٥٩- وفى الصحيحين أنه عليه السلام مر بامرأة تبكى عند قبر لها فقال لها : « اتقى الله واصبرى » الحديث [حديث صحيح] .

٦٠- (فصله) : هذه الأحاديث تشتمل على فقه عظيم ، وهو جواز زيارة القبور للرجال والنساء والسلام عليها ، ورد الميت السلام على من يسلم عليه ، وجواز بكاء النساء عند القبر ، ولو كان بكأوهن وزيارتهم حراماً لنهى النبي ﷺ المرأة ولزجرها زجراً يزر مثله من أتى محرماً وارتكب منهياً وما روى من نهى النساء عن زيارة القبور فغير صحيح ، والصحيح ما ذكرت لك من الإباحة ، إلا أن عمل النساء فى خروجهن مما لا يجوز لهن من تبرج أو كلام أو غيره فذلك المنهى عنه . وقد ذكرت لك فى الباب قبل الفرق بين المتجالة والشابة ، فتأمله ، وقد أبيض لك أن تبكى عند قبر ميتك حزناً عليه أو رحمة له مما بين يديه ، كما أبيض لك البكاء عند موته . والبكاء عند العرب يكون البكاء المعروف وتكون النياحة ، وقد يكون معهما الصياح ، وضرب الحدود وشنق الجيوب . وهذا محرم بإجماع العلماء ، وهو الذى ورد فيه الوعيد من قوله عليه السلام : « أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق » خرقه مسلم .

وأما البكاء من غير نياحة فقد ورد فيه الإباحة عند القبر ، وعند الموت ، وهو بكاء الرأفة والرحمة التى لا يكاد يخلو منها إنسان ، وقد بكى النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم ، وقال عمر : دعهن يكين على أبى سلمان ما لم يكن نفع أو لقلقة « النقع : ارتفاع الصوت : والقلقة : تتابع ذلك . وقيل : النقع : وضع التراب على الرأس . والله أعلم [حديث صحيح] .

باب المؤمن يموت بهرق الجبين

٦١- ابن ماجه عن بريدة أن النبي ﷺ قال : « المؤمن يموت بهرق

[٢٧ / صحيح التذكرة / صحابة]

الجيين» خروجه الترمذى وقال فيه : حديث حسن [حديث صحيح] .

٦٣- قال عبد الله : إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياهم فيجازف بها عند الموت أى يجازى ، فيعرق لذلك جبينه . وقال بعض العلماء: إنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقتترف من مخالفته ، لأن ما سفل منه قد مات ، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا ، والحياء فى العينين ، وذلك وقت الحياء والكافر فى عمى عن هذا كله ، والموحد المعذب فى شغل عن هذا بالعذاب الذى قد حل به . وإنما العرق الذى يظهر لمن حلت به الرحمة ، فإنه ليس من ولي ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحى من ربه ، مع البشرى والتحف والكرامات [صحيح موقوف] .

قلت : وقد تظهر العلامات الثلاث ، وقد تظهر واحدة وتظهر اثنتان وقد شاهدنا عرق الجيين وحده ، وذلك بحسب تفاوت الناس فى الأعمال ، والله أعلم .

٦٤- وفى حديث ابن مسعود : « موت المؤمن بعرق الجيين تبقى عليه البقية من الذنوب فيجازف بها عند الموت » أى يشدد لتمحص عنه ذنوبه [حديث صحيح] .

باب منه فج خروج نفس المؤمن والكافر

٦٥- خرج أبو نعيم من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن نفس المؤمن تخرج رشحاً ، وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار ، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه ، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها » [صحيح موقوف منكر مرفوع] .

باب ما جاء أن للموت سكرات
وفج تسليم الأعضاء بعضها على بعض وفيما
يصير الإنسان إليه

٦٦- وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى أربع آيات :

الأولى : قوله الحق ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ .

الثانية: قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت ﴾ .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾ .

الرابعة (قوله) : ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ .

(روى) البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو علبه فيها ماء . فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول « لا إله إلا الله، إن للموت سكرات » ثم نصب يديه فجعل يقول : « فى الرفيق الأعلى » حتى قبض ومالت يده [حديث صحيح] .

٦٧- وخرج الترمذى عنها قالت : « ما أغبط أحدا بهون موت . بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ » [صح بنحوه] .

٦٨- وفى البخارى عنها قالت : « مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى .

فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبى ﷺ . الحاقنة : المطمئن بين الترقوة والحلق ، والذاقنة : نقرة الذقن . وقال الخطابى : الذاقنة : ما تناله الذقن من الصدر [حديث صحيح] .

٧١- وذكر المحاسبى فى « الرعاية » : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : « يا خليلى كيف وجدت الموت؟ » قال : كسفود محمى جعل فى صوف رطب ، ثم جذب قال : « أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم » .

٧٣- وقال عيسى ابن مريم عليه (الصلاة و) السلام : « يا معشر الحوارين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة » يعنى سكرات الموت .

٧٤ - وروى : أن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض .

٧٦- وفى الخبر من حديث حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ « أن الملائكة تكتنف العبد ، وتحبسه ، ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت » وجاءت الرواية بأن ملك الموت عليه (الصلاة و) السلام : إذا تولى الله قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول : « وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن » ذكره القاضى أبو بكر بن العربى .

٧٧- وعن شهر بن حوشب قال : سئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته ؟ فقال : « إن أهون الموت بمنزلة حسكة كانت فى صوف ، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف » ؟ .

وأنشدوا :

أذكر الموت ولا أرهبه	إن قلبى لغليظ كالحجر
أطلب الدنيا كأنى خالد	وورائى الموت يقفو بالأثر
وكفى بالموت فاعلم واعظا	لمن الموت عليه قد قدر
والمنايا حوله ترصده	ليس ينجى المرء منهم المفر

٨٠- وقال آخر :

بيننا الفتى مرح الخطا فرح بما يسعى له إذ قيل: قد مرض الفتى
إذ قيل: بات بليلة ما نامها إذ قيل: أصبح مثخنأ ما يرتجى
إذ قيل: أصبح شاخصأ وموجها ومعلأ إذ قيل: أصبح قد قضى

٨١- (فصله) أيها الناس: قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحن للغافل أن يتنبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة (كؤوسه) ، وقبل سكون حركاته ، وخمود أنفاسه ، ورحلته إلى قبره ، ومقامه بين أرماسه .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أناس من أصحابه يوصيهم فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم :

« أما بهي : فإنى أوصيكم بتقوى الله العظيم ، والمراقبة له ، واتخذوا التقوى والورع زادأ ، فإنكم فى دار عما قريب تنقلب بأهلها ، والله فى عرصات القيامة وأهوالها . يسألكم عن الفتيل والنقير ، فالله الله عباد الله ، اذكروا الموت الذى لا بد منه ، واسمعوا قول الله (سبحانه و) تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ كل من عليها فان ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ فقد بلغنى - والله أعلم - أنهم يضربون بسياط من نار . وقال جل ذكره : ﴿ قد يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ .

٨٤- فخيلى لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك ، إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل ، وألبست الأكفان ، وأوحش منك الأهل

والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل أين زوجة
فلان تحالله ؟ وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبداً ؟
وأشدوا :

ألا أيها المغرور مالك تلعب تؤمل آمالاً وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعده سفيتته الدنيا فإياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقض مسرعاً عليك يقيناً طعمه ليس يعذب
كأنك توصى واليتامى تراهم وأمهم الشكلى تنوح وتندب
تغص بحزن ثم تلطم وجهها يراها رجال بعد ما هي تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصد ويحنى عليك الترب والعين تسكب

٨٥- (فصل) : قول عائشة رضي الله عنها : « كانت بين يديه
ركوة أو علة » العلة : قدح من خشب ضخيم يحلب فيه ، (قاله) ابن
فارس فى « المجمل » وقال الجوهري فى « الصحاح » العلة محلب من
جلد ، والجمع : علب وعلاب ، والمعلب الذى يتخذها .
قال الكميت يصف خيلاً :

سقيناً دما القوم طوراً ، وتارة صبوحاً لإقتار الجلود المعلب
وقيل : أسفله جلد وأعلاه خشب مدور مثل إطار الغربال ، وهو
الدائر به ، وقيل : هو عس يحلب فيه ، والعس : القدح الضخم ، وقال
اللغوى أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى فى كتاب «
التلخيص » له : والعلة : قدح للأعراب مثل العس ، والعس يتخذ من جنب
جلد البعير والجمع : علاب ، وقوله : « إن للموت سكرات » أى شدائد ،

وسكرة الموت شدته .

٨٦- (فصل) : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فما لنا عن ذكره مشغولين ؟ وعن الاستعداد له متخلفين ؟ ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ * أنتم عنه معرضون ﴿ قالوا : وما جرى على الأنبياء صلوات الله (وسلامه) عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته ، فله فائدتان :

إحدهما : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ، ويرى سهولة خروج روحه ، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه ؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم : شدة ألمه ، مع كرامتهم على الله تعالى وتهوينه على بعضهم ، قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه ، ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما يأتى ذكره .

٨٧- الثانية : ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء : أحباب الله ، وأنبيأؤه ورسله ، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة ؟ وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين ، كما قال فى قصة إبراهيم : « أما إنا قد هونا عليك » . فالجواب : « أن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » كما قال نبينا عليه (الصلاة و)السلام . خرجه البخارى ، وغيره ، فأحب الله أن يبتليهم تكميلاً لفضائلهم لديه ، ورفعاً لدرجاتهم عنده ، وليس ذلك فى حقهم نقصاً ، ولا عذاباً ، بل هو كما قال ، كمال رفعة ، مع رضاهم بجميل ما يجرى الله عليهم ، فأراد الحق ، سبحانه ، أن يختم لهم بهذه الشدائد ، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ، ليرفع منازلهم ،

ويعظم أجورهم قبل موتهم .

كما ابتلى إبراهيم بالنار ، وموسى بالخوف والأسفار ، وعيسى بالصحارى والقفار ، ونبينا محمداً ﷺ بالفقر فى الدنيا ومقاتلة الكفار ، كل ذلك لرفعة فى أحوالهم ، وكمال فى درجاتهم ، ولا يفهم من هذا أن الله شدد عليهم أكثر مما شدد على العصاة المخلطين فإن ذلك عقوبة لهم ، ومؤاخذة على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا [حديث صحيح] .

٩١- (فصله) : إذا ثبت ما ذكرناه ، فاعلم : أن الموت هو الخطب الأفظع ، والأمر الأشنع والكأس التى طعمها أكره وأبشع ، وأنه الحارث الأهدم للذات ، والأقطع للراحات ، والأجلب للكريهات ، فإن أمراً يقطع أوصالك ، ويفرق أعضائك ، ويهدم أركانك ، لهو الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، وإن يومه لهو اليوم العظيم .

٩٢- (ويبلغه) أن الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً وأمر أن يعرض عليه ماؤه أى : بوله مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء ، فجعل يستعرض القوارير ، حتى رأى قارورة الرشيد فقال : قولوا لصاحب هذا الماء يوصى ، فإنه قد انحلت قواه ، وتداعت بنيته ، ولما استعرض باقى المياه أقيم فذهب ، فيئس الرشيد من نفسه (وأنشد) :

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوى ، والمداوى والذى جلب الدواء وباعه ومن اشترى

٩٣- (ويبلغه) أن الناس أرجفوا بموته ، فاستدعى حماراً وأمر أن يحمل عليه فاسترخت فخذاه ، فقال : أنزلونى ، صدق المرجفون ودعا بأكفان فتخير منها ما أعجبه ، وأمر فشق له قبر أمام فراشه ثم اطلع فيه فقال :

ما أغنى عنى مالىه هلك عنى سلطانيه . فمات من ليلته ، فما ظنك - رحمك الله -
بنازل ينزل بك فيذهب رونقك وبهاك ويغير منظرک ورؤياک، وبمحو صورتک
وجمالک ، ويمنع من اجتماعک واتصالک ، ويردک بعد النعمة والنصرة ، والسطوة
والقدرة ، والنخوة والعزة إلى حالة يبادر فيها أحب الناس إليك ، وأرحمهم بك ،
وأعطفهم عليك، فيقذفک فى حفرة من الأرض قريية أنحاؤها ، مظلمة
أرجاؤها، محکم عليك حجرها وصيدانها ، فتحکم فيک هوامها وديدانها ، ثم بعد
ذلك تمكن منك الأعدام وتختلط بالرغام ، وتصير تراباً توطأ بالأقدام ، وربما ضرب
منك إناء فخار، أو أحکم بك بناء جدار، أو طلى بك محس ما ، أو موقد نار .

٩٤- كما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أتى بإناء ماء ليشرب
منه فأخذه بيده ونظر إليه وقال : الله أعلم كم فيک من عين كحيل ، وخذ أسيل .

٩٥- و(يتيقن) أن رجلين تنازعا وتخاصما فى أرض فأنطق الله عز وجل لبنة
من حائط من تلك الأرض فقالت : يا هذان فيم تتنازعا ن ؟ وفيم تتخاصما ن ؟ إني
كنت ملكاً من الملوك ملكت كذا وكذا سنة ثم مت وصرت تراباً ، فبقيت كذلك
ألف سنة ثم أخذنى خراف - يعنى : فخارا فعمل منى إناء فاستعملت حتى تكسرت
ثم عدت ترابا فبقيت ألف سنة . ثم أخذنى رجل فضرب منى لبنة ، فجعلنى فى
هذا الحائط ، ففيم تنازعكما وفيم تخاصمكما ؟

٩٦- قلت : (قد ذكر أبو محمد عبد الحق فى هذا المعنى حكايات كثيرة فى
كتاب «العاقبة») والوجود شاهد بتجديد ما دثر، وتغيير ما غير وعن ذلك يكون
الحفر والإخراج ، واتخاذ الأوانى وبناء الأبراج ، ولقد كنت فى زمن الشباب أنا
وغيرى ننقل التراب على الدواب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة
وقد اختلط بعظام من هناك وعظمهم ولحومهم وشعورهم وأبشارهم إلى الذين
يصنعون القرمذ للشقف .

٩٧- « قال » علماؤنا رضوان الله عليهم : وهذا التغيير إنما يحل بجسدك ،
وينزل بيدك لا بروحك ، لأن الروح لها حكم آخر ، وما مضى منك فغير مضاع ،
وتفرقة لا تمنع من الاجتماع ، قال الله تعالى : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم

وعندنا كتاب حفيظ ﴿ وقال : ﴿ فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربي
في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ .

باب الموت كفارة لكل مسلم

٩٩- (فصله) : إنما كان الموت كفارة ، لكل ما يلقيه الميت في مرضه من
الآلام والأوجاع ، وقد قال ﷺ : « ما من مسلم يصيبه أذى ، من مرض فما سواه
إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » أخرجه مسلم [حديث صحيح] .
١٠٠- « وفي الموطأ » عن أبي هريرة (قال : قال) رسول الله ﷺ : « من يرد
الله به خيراً يصب منه » [حديث صحيح] .

١٠٢- قلت : وفي مثل هذا المعنى ما أخرجه أبو داود بسند صحيح فيما ذكر
أبو الحسن بن الحصار عن (عبدة) بن خالد السلمى وكانت له صحبة عن النبي ﷺ :
« موت الفجأة أخذة أسف للكافر » ، ورواه أيضاً مرسلًا [حديث صحيح] .

١٠٤- (وروى) عن ابن عباس (رضى الله عنه) أن داود عليه (الصلاة
والسلام مات فجأة يوم السبت

١٠٥- وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « إذا
بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت
وشدائده درجته من الجنة ، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا ، هون عليه
الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار » . ذكره أبو محمد عبد
الحق .

١٠٦- (وخرج) أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن
علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « نفس المؤمن تخرج رشحاً ، وإن
نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار ، وإن المؤمن يعمل الخطيئة فيشدد بها عليه
عند الموت ليكفر بها عنه ، وإن الكافر يعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى
بها » ذكره أبو محمد عبد الحق [صحيح موقوف منكر مرفوع] .

١٠٧- وذكر ابن المبارك أن أبا الدرداء- رضى الله عنه - قال : « أحب الموت

اشتياقاً إلى ربي ، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي ، وأحب الفقر تواضعاً لربي عز وجل . [خبر صحيح] .

باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن وفجى الخوف من الله تعالى

١٠٨- مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » أخرجه البخارى

[حديث صحيح] .

١١٠- « ابن ماجه » ، عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال : « كيف تجدك ؟ » فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الوطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف) . ذكره ابن أبى الدنيا أيضاً ، وخرجه الترمذى ، وقال : هذا حديث حسن غريب [حديث حسن] .

(وقد روى) بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلأ .

١١١- (وذكر) الترمذى الحكيم فى الأصل السادس والثمانين من (نوادير الأصول) : حدثنا يحيى بن حبيب عن عدى قال : حدثنا بشر المفضل عن عوف عن الحسن أنه قال : بلغنى عن رسول الله ﷺ أنه قال : قال ربكم عز وجل : « لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين ، فمن خافنى فى الدنيا أمنتى فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة » [حديث حسن وإسناده مرسل] .

١١٣- (فصل) : حسن الظن بالله تعالى ، ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة ، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغى جلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل فى قوله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بى فليظن بى ما شاء » [حديث صحيح] .

١١٥- (وروى) عن ابن عمر أنه قال : « عمود الدين وغاية مجده وذروة

سنامه : حسن الظن بالله ، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله (تعالى) دخل الجنة مدلاً» أى منبسطاً لا خوف عليه .

١١٦- (وقال) عبد الله بن مسعود : « والله الذى لا إله غيره ، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده » [لا بأس به] .

١١٨- وقال الفضيل : « الخوف أفضل من الرجاء ، ما كان العبد صحيحاً فإذا نزل به الموت ، فالرجاء أفضل من الخوف » [خبر صحيح] .

١١٩- وذكر ابن أبى الدنيا : قال : حدثنا يحيى بن عبد الله البصرى . قال : حدثنا سوار بن عبد الله قال : حدثنا المعتمر ، قال : قال أبى حين حضرته الوفاة : « يا معتمر ، حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله وأنا حسن الظن به » [خبر صحيح] .

١٢٠- قال : وحدثنا عمرو بن محمد الناقد ، قال : حدثنا خلف بن خليفة عن حصين عن إبراهيم قال : « كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت ، حتى يحسن ظنه بربه عز وجل » [خبر حسن] .

١٢١- وقال ثابت البنانى : كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهى تقول : يا بنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا ، قال : يا أماه إن لى رباً كثير المعروف ، وإنى لأرجو اليوم أن لا يعدمنى بعض معروفه ، فقال ثابت : فرحمه الله بحسن ظنه بالله فى حاله تلك [خبر حسن] .

١٢٣- وكان يحيى بن زكريا إذا لقي عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام : عبس ، وإذا لقيه عيسى ، تبسم ، فقال له عيسى : « تلقانى عابساً كأنك آيس » ؟ فقال له يحيى : « تلقانى ضاحكاً كأنك آمن » ؟

فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما : « إن أحبكما إلى أحسنكما ظنا بى » ذكره الطبرى [الخبر من الإسرائيليات] .

١٢٤- وقال زيد بن أسلم : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيقال : انطلقوا به إلى النار فيقول : يا رب فأين صلاتى وصيامى ؟ فيقول الله تعالى : « اليوم أقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى من رحمتى » .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

وفى التنزيل : ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى باب سعة رحمة الله وعفوه يوم القيامة ، إن شاء الله تعالى .

باب تلقين الميت : لا إله إلا الله

١٢٥- مسلم عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لقنوا موتاكم « لا إله إلا الله » [حديث صحيح] .

١٢٩- (فصل) : قال علماؤنا : تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون ، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة ، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، وصححه أبو محمد عبد الحق ، ولينبه المحتضر على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته ، على ما يأتى [حديث صحيح لغيره] .

١٣٠- فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لكلا يضر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين ، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه ، قال ابن المبارك : « لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه » قال أبو محمد عبد الحق : وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لجج عليه بها أن يتبرم ويضر ، ويثقلها الشيطان عليه ، فيكون سبباً لسوء الخاتمة . وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به . قال الحسن بن عيسى : قال لى ابن المبارك : لقنى - يعنى الشهادة - ولا تعد على إلا أن أتكلم بكلام ثان ، والمقصود أن يموت الرجل وليس فى قلبه إلا الله عز وجل ، لأن المدار على القلب ، وعمل القلب هو الذى ينظر فيه ، وتكون النجاة به ، وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها ، ولا عبر عندها .

١٣١- قلت : وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كما ذكر أبو نعيم أن أبا زرعة كان فى السوق وعنده أبو حاتم ، ومحمد ابن سلمة . و المنذر بن شاذان ، وجماعات من العلماء ، فذكروا حديث التلقين فاستحيوا من أبى زرعة فقالوا : يا أصحابنا تعالوا نتذاكر الحديث . فقال محمد بن سلمة : حدثنا الضحاک بن مخلد، حدثنا أبو عاصم ، قال حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي

غريب ولم يجاوزه .وقال أبو حاتم : حدثنا بندار ، حدثنا أبو عاصم ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبي غريب ولم يجاوزه والباقون سكوت ، فقال أبو زرعة وهو في السوق : حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبي غريب ، عن كثير بن مرة الحضرمي ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وفي رواية « حرمه الله على النار » وتوفى رحمه الله [خبر صحيح] .

١٣٢- ويروى عن عبد الله بن شبرمة أنه قال : دخلت مع عامر الشعبي على مريض نعوده فوجدناه لما به ، ورجل يلقنه الشهادة ويقول له : (قل) لا إله إلا الله وهو يكثر عليه فقال له الشعبي : ارفق به ، فتكلم المريض وقال : إن تلقني أو لا تلقني . فإنني لا أدعها ثم قرأ ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾ فقال الشعبي : الحمد لله الذي نجى صاحبنا هذا ، وقيل للجنيذ رحمه الله عند موته : قل : لا إله إلا الله ، فقال : ما نسيته فأذكره .

باب من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير

وكيف الدعاء للميت إذا مات وفجئ تخميضه

١٣٥- مسلم عن أم سلمة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » .
قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله « إن أبا سلمة قد مات فقال : « قولي : اللهم اغفر لي وله واعقبني منه عقبى حسنة » قالت فقلت : فأعقبني الله من هو خير منه : رسول الله ﷺ [حديث صحيح] .

١٣٦- وعنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله ، فقال : « لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال : « اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره . ونور له فيه » [حديث صحيح] .

١٣٧- (فصله) : قال علماؤنا : قوله عليه (الصلاة و)السلام : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً» أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت ، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك ، ولهذا استحب العلماء : أن يحضر الميت الصالحون ، وأهل الخير حالة موته ليذكروه ، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيراً فيجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت ومن يصاب به ومن يخلفه .

باب منه وما يقال عند التغميض

١٣٨- ابن ماجه . عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح ، وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت » [حديث حسن] .

١٣٩- وذكر الخرائطي أبو بكر محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه ، قال : حدثنا : إسماعيل بن علي عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم الحسن قالت : كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال : فلان بالموت ، فقالت لها انطلقى فإذا احتضر فقولى السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين [خبر صحيح] .

١٤٠- وخرج من حديث سفيان الثوري عن سليمان التيمي عن بكر ابن عبد الله المزني قال : إذا غمضت الميت فقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ وسبح . ثم تلا سفيان ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ قال أبو داود :

تغميض الميت إنما هو بعد خروج الروح . سمعت محمد بن أحمد المقرئ قال سمعت أبا ميسرة ، وكان رجلاً عابداً يقول : غمضت جعفر المعلم وكان رجلاً عاقلاً في حالة الموت فرأيت في منامي يقول : أعظم ما كان على تغميضك قبل أن أموت [خبر صحيح] .

باب ما جاء أن [الشيطان] يحضر [الميت] عند موته

وجلساؤه في الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة

١٤٢- وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حضرت وفاة أبي أحمد ، ويدي

الخرقة لأشد لحية ، فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده : لا بعد لا بعد ، فعل هذا مراراً فقلت له : يا أبت ، أى شىء ما يبدو منك ؟ فقال : إن الشيطان قائم بحدائى عاض على أنامله يقول : يا أحمد فتنى وأنا أقول لا . بعد لا ، حتى أموت .

١٤٥- وقال الربيع بن مرة بن معبد الجهنى وكان عابداً بالبصرة : أدركت الناس بالشام وقيل لرجل : يا فلان قل : لا إله إلا الله قال : اشرب واسقنى ، وقيل لرجل بالأهواز يا فلان قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : ده يازده دوازده ، تفسيره : عشرة ، أحد عشر ، اثنا عشر . كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان ، فغلب عليه الحساب والميزان . ذكر هذا التفسير أبو محمد عبد الحق ، قال الربيع : وقيل لرجل ها هنا بالبصرة يا فلان قل : لا إله إلا الله فجعل يقول :

يا رب قائلة يوماً وقد لغبت أين الطريق إلى حمام منجباب

قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد : هذا رجل قد استدلته امرأة إلى الحمام ، فدلها إلى منزله فقال له عند الموت .

١٤٦- وذكر أبو محمد عبد الحق هذه الحكاية فى كتاب (العاقبة) له فقال : هذا الكلام له قصة ، وذلك أن رجلاً كان واقفاً يزاء داره ، وكان يشبه باب حمام ، فمرت به جارية لها منظر وهى تقول : أين الطريق إلى حمام منجباب ؟ فقال لها : هذا حمام منجباب . وأشار إلى داره فدخلت الدار ودخل وراءها ، فلما رأت نفسها معه فى داره وليس بحمام علمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفى تلك الدار وقالت له : يصلح (أن يكون) معنما نطيب به عيشنا وتقر به أعيننا ، فقال لها : الساعة آتيتك بكل ما تريدن وبكل ما تستهين ، فخرج وتركها فى الدار ولم يقفلها ، وتركها محلولة على حالها ومضى ، فأخذ ما يصلح لهما ورجع ، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثراً ، فهام الرجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها ، وجعل يمشى فى الطرق والأزقة وهو يقول :

يا رب قائلة يوماً قد لغبت : أين الطريق إلى حمام منجباب

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهى تقول :

هلا جعلت لها ظفرت بها حراراً على الدار أو قفلا على الباب
فزاد هيمانه واشتد هيجانه ، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر .
فنعوذ بالله من المحن والفتن .

١٤٧- قلت : ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم
بها أو سبب من أسبابها ، حتى لقد حكى لنا أن بعض السماسرة جاء عنده الموت
فقيل له : قل : لا إله إلا الله ، فجعل يقول : ثلاثة ونصف ، أربعة ونصف ، غلبت
عليه (حب) السمسرة .

ولقد رأيت بعض الحساب وهو في غاية المرض ، يعقد بأصابعه ويحسب ،
وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا
والجنان الفلانية اعملوا فيها كذا ، وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله ، فجعل يقول :
عقلك الحمارة ، وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : البقرة الصفراء ، غلب
عليه حبها والاشتغال بها . نسأل الله السلامة والممات على الشهادة بمنه وكرمه .

ولقد حكى ابن ظفر في كتاب (النصائح) له قال : كان يونس بن عبيد -
رحمه الله تعالى - بزراً ، وكان لا يبيع في طرفى النهار ولا في يوم غيم ، فأخذ
يوماً ميزانه فرضه بين حجرين فقيل له : هلا أعطيت الصانع فأصلح فساده ؟ فقال :
لو علمت فيه فساداً لما أبقيت من مالى قوت ليلة . قيل له : فلم كسرته ؟ قال :
حضرت الساعة رجلاً احتضر فقلت له : قل لا إله إلا الله ، فامتعض ، فألححت عليه
فقال : ادع الله لى فقال : هذا لسان الميزان على لساني يمنعنى من قولها ، قلت : أفما
يمنعك إلا من قولها ؟ فقال : نعم . قلت : وما كان عملك به ؟ قال : ما أخذت ولا
أعطيت به إلا حقاً فى علمى ، غير أنى كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره . فكان
يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتى بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه .

باب ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم

١٤٨- مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن
الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن
الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة »
[حديث صحيح وهو متواتر] .

١٤٩- وفي البخارى عن سهل بن سعد ، عن النبي ﷺ قال : « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم » [حديث صحيح] .

١٥٠- قال أبو محمد عبد الحق : اعلم أن سوء الخاتمة - أعادنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ، وما سمع بهذا ، ولا علم به - والحمد لله - وإنما تكون لمن كان له فساد فى العقل ، أو إصرار على الكبائر ، وإقدام على العظائم . فر بما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ، ويختطفه عند تلك الدهشة ، والعياذ بالله ثم العياذ بالله ، أو يكون ممن كان مستقيماً ، ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ، يأخذ فى طريقه ، فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته وشؤم عاقبته ، كإبليس الذى عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة ، وبلغام بن باعوراء الذى آتاه الله آياته فانسلك منها بخلوده إلى الأرض ، واتباع هواه ، وبرصيصا العابد الذى قال الله فى حقه : ﴿ كم مثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ﴾ .

١٥١- ويروى : أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً للأذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى ، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار ، فافتتن بها وترك الأذان ، ونزل إليها ودخل الدار فقالت له : ما شأنك ؟ ما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت : لماذا ؟ قال لها : (قد سلبت لبي ، وأخذت بمجامع قلبي ، قالت : لا أجيبك إلى ريبة ، قال لها : أتزوجك ، قالت له : أنت مسلم وأنا نصرانية وأبى لا يزوجنى منك ، قال لها : أنت نصر . قالت : إن فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوجها ، وأقام معهم فى الدار ، فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط منه فمات ، فلا هو بدينه ولا هو بها . فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة .

١٥٢- ويروى أن رجلاً علق بشخص وأحبه ، فتمنع عنه واشتد نفااره فاشتد

كلف البائس إلى أن لزم الفراش ، فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن (يعوده)، فأخبر بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره ، وانجلي عنه بعض ما كان يجده ، فلما كان في بعض الطريق رجع ، وقال: والله لا أدخل مداخل الريب ، ولا أعرض بنفسى لمواقع التهم فأخبر بذلك البائس المسكين فسقط في يده ، ورجع إلى أسوأ ما كان به وبدت علامات الموت وأماراته عليه .

قال الراوى : فسمعتة يقول وهو فى تلك الحال :

سلام يا راحة العليل ويرد ذل الدنف النحيل

رضاك أشهى إلى فؤادى من رحمة الخالق الجليل

قال : فقلت له : يا فلان ، اتق الله تعالى فقال : قد كان ما كان . فقمت عنه ، فما تجاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه . فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة .

١٥٣- قال المؤلف رحمه الله : وروى البخارى عن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ما كان النبى (ﷺ) يحلف : « لا ومقلب القلوب » ومعناه يصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والكرهية وغير ذلك من الأوصاف . وفى التنزيل ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع . بيانه : ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ أى عقل ، واختار الطبرى أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى بأنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل [حديث صحيح] .

١٥٤- وقالت عائشة رضى الله عنها : كان النبى (ﷺ) يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبى على طاعتك » فقلت : يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى ؟ قال : « وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الجبار إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه » [حديث صحيح] .

١٥٥- (قال العلماء) : وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة ، والاستقامة

على مشيئته موقوفة ، والعاقبة مغيبية ، والإرادة غير مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك وخيره ، فمهما افتخرت بذلك ، كنت كالمفتخر بمتاع غيره ، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلقى من جوف البعير ، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، فأصبحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم ، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم ، ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم .

١٥٦- (روى) النسائي عن عثمان رضى الله عنه قال : « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد ، فعلقت به امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها فطفقت الجارية كلما دخل باباً أغلقتة دونه حتى أفضت إلى امرأة وضيئة -أى جميلة- عندها غلام ، وباطية خمر ، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على ، أو تشرب من هذه الخمر كأساً أو تقتل هذا الغلام (قال): قال : فاسقيني من هذه الخمر؟ فسقته كأساً قال : زيدوني، فلم يزل يشرب حتى وقع عليها وقتل الغلام . فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه » [خبر صحيح] .

١٥٧- ويروى أن رجلاً أسيراً مسلماً ، وكان حافظاً للقرآن ، خص بخدمة راهبين ، فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته فأسلم الراهبان وتنصر المسلم ، وقيل له : ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه ، قال : لا أرجع إليه أبداً فقتل، وفي الخبر قصته ، والحكايات كثيرة فى هذا الباب نسأل الله السلامة والممات على الشهادة .

١٥٨- وأنشد بعضهم :

قد جرت الأقلام فى ذى الورى	بالختم من أمر الحكيم العليم
فمن سعيده وشقى ومن	مثر من المال وعار عديم
ومن عزيز رأسه فى السها	ومن ذليل وجهه فى التخوم
ومن صحيح شيدت أركانه	: وآخر واهى المبانى سقيم
كل على منهاجه سالك	(ذلك تقدير العزيز العليم)

١٥٩- وقال الربيع : سئل الشافعي عن القدر فأثماً يقول :

ما شئت كان وإن لم أثماً وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ففي العلم يجرى الفتى والمسئ
على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن
ومنهم شقى ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن
ومنهم غنى ومنهم فقير وكل بأعماله مرتين

باب ما جاء في رسل ملك الموت قبل الوفاة

١٦١- وفي البخارى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :
«أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة» يقال أعذر فى الأمر: أى بالغ فيه
أى أعذر غاية الإعذار بعده وأكبر الأعذار إلى بنى آدم بعثة الرسل إليهم ليتم حجته
عليهم ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وقال : ﴿ وجاءكم
النذير ﴾ قيل : هو القرآن . وقيل : هو الرسل إليهم . وعن ابن عباس وعكرمة
وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبرى قالوا : هو الشيب فإنه يأتى فى
سن الاكتهال . فهو علامة لفارقه سن الصبا الذى هو سن اللهو واللعب قال :

رأيت الشيب من نذير المنايا لصاحبه وحسبك من نذير
وقال آخر :

تقول النفس غير لون هذا عساك تطيب فى عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ولست مسوداً وجه النذير
وقال آخر :

وقائلة : تخضب فالغوانى نوافر عن معاينة النذير
وللقاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمة الله تعالى عليه :

كم تصابى وقد علاك المشيب وتعامى جهلاً وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير وشباك الحمام منك قريب
يا مقيماً قد حان منه رحيل بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
إن للموت سكرة فارتقبها لا يداويك إذ أتتك طبيب
ثم تثوى حتى تصير رهيناً ثم يأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليهم فاعملن جاهداً لها يا أريب
وتذكر يوماً تحاسب فيه إن من يذكر الممات ينيب
ليس فى ساعة من الدهر إلا للمنايا عليك فيها رقيب
كل يوم ترمىك منها بسهم إن يخطئ يوماً فسوف يصيب

وله أيضاً رضى الله عنه :

ثلاث وستون قد جزتها فماذا تؤمل أو تتنظر
وحل عليك نذير المشيب فما ترعوى أو فما تزدر
تمر لياليك مرأحثيثاً وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضى من العمر لاعتضت خيراً بشر
فمالك - ويحك - لا تستعد إذن لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة للمنون وتعلم أن ليس منها وزر
فإما إلى جنة أزلفت وإما إلى سقر تستعر

وللفقيه أبى عبد الله محمد بن أبى ذمينة رحمه الله تعالى آمين :

الموت فى كل حين ينشـر الكفنا ونحن فى غفلة عما يداوينا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسنـا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين همو كانوا لنا سـكنا
سقامهم الموت كأسا غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

[حديث صحيح]

وقيل : كمال العقل الذى تعرف به حقائق الأمور ، ويفصل به بين الحسنات
والسيئات ، فالعاقل يعمل لآخرته ، ويرغب فيما عند ربه ، فهو نذير ، والنذير بمعنى
الإندار والإندار والإعذار قريب بعضه من بعض ، وأكبر الإعذار إلى بنى آدم بعثة
الرسـل إليهم ثم الشيب أو غيره كما بينا . وجعل الستين غاية الإعذار لأن الستين
قريب من معترك المنايا وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله ، وترقب المنية ،
ولقاء الله فقيه إعذار بعد إعذار ، وإندار بعد إندار .

الأول : بالنبي ﷺ .

والثانى : بالشيب وذلك عند كمال الأربعين ، قال الله تعالى : ﴿ وبلغ
أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك ﴾ فذكر عز وجل : أن من بلغ
الأربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها .

١٦٣- وقال مالك رحمه الله : أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا
ويخالطون الناس حتى يأتى لأحدهم أربعون سنة فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس .

(تنبيه) : هذا الباب هو الأصل فى إعذار الحكام إلى المحكوم عليه مرة بعد
أخرى ، وكان هذا لطفاً بالخلق ولتنفيذ القيام عليهم بالحق .

١٦٤- حكى عن بعض العلماء أنه كان يميل إلى الراحة كثيراً وكان
يخلف فى بستان له بأصحابه فلا يأذن لأحد سواهم فبينما هو فى البستان إذ رأى رجلاً
يتنخل الشجر فغضب وقال : من أذن لهذا؟ وجاء الرجل فجلس أمامه ، وقال : ما

ترى في رجل ثبت عليه حق فزعم أن له مدافعة تدفعه عنه؟ فقال: ينظره الحاكم بقدر ما يرى. قال السائل: قد ضرب له الحاكم أجلاً فلم يأت بمنفعة ولا أقلع عن اللدد والمدافعة، قال يقضى عليه. قال فإن الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة! فأطرق الفقيه وتحدر عرق وجهه وذهب السائل، ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل، فقال البواب: ما دخل أحد عليكم ولا خرج من عندكم أحد، فقال لأصحابه: انصرفوا فما كان يرى بعد ذلك إلا في مجلس يذكر فيه العلم.

١٦٥- فصل: وقد رأيت أن أصل هذه الحكاية حكايات في الشيب على سبيل الوعظ والتذكير والتخويف والتحذير.

حكى عن بعض المترفين أنه رفض ما كان فيه بغتة على غير تدرّج، فسئل عن السبب فقال ما معناه: كانت لى أمة لا يزيدنى طول الاستمتاع منها إلا غراماً بها فقلبت شعرها يوماً فإذا فيه شعرتان بيضاوان فأخبرتها فارتاعت: وقالت أرنى فأريتها فقالت: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ ثم نظرت إلى وقالت: اعلم أنه لو لم تفترض على طاعتك لما أويت إليك فدع لى ليلى أو نهارى لأتزود فيه لآخرتى، فقلت: لا ولا كرامة. فغضبت وقالت: أتحوّل بينى وبين ربى وقد آذنى بلفائه؟ اللهم بدل حبه لى بغضاً قال: فبت وما شىء أحب إلي من بعدها عنى وعرضتها للبيع فأتانى من أعطانى فيها ما أريد، فلما عزمتم على البيع بكت فقلت: أنت أردت هذا، فقالت: والله ما اخترت عليك شيئاً من الدنيا هل لك إلى ما هو خير لك من ثمنى؟ قلت: وما هو؟ قالت: تعتنى لله عز وجل، فإنه أملك لك منك لى وأعود عليك منك على، فقلت: قد فعلت، فقالت: أمضى الله صفقتك وبلغك أضعاف أملك. وتزهدت فبغضت إلى الدنيا ونعيمها.

١٦٩- وفى الآثار النبوية: «من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة» [حديث صحيح].

والأخبار فى هذا الباب كثيرة، وكذلك الشعر اكتفينا منه بما ذكرنا وبالله توفيقنا.

١٧١- وقال أعرابى فى الشيب والخضاب:

يا يؤس من فقد الشباب وغيرت منه مفارق رأسه بخضاب
ومصير كل عمارة لخراب ومصير كل عمارة لخراب
عيناى حتى يؤذنا بذهاب عيناى حتى يؤذنا بذهاب
إنى وجدت أجل كل مصيبة فقد الشباب وفرقة الأحباب

باب متك تنقطع معرفة العبد من الناس

وفجد التوبة وبيانها ، وفجد التائب من هو ؟

١٧٣- فصله : قوله : إذا عاين ، يريد إذا عاين ملك الموت أو الملائكة والله أعلم ، وهو معنى قوله عليه (الصلاة و)السلام فى الحديث الآخر: « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » خرجه الترمذى أى عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان ، كما قال تعالى فى محكم البيان ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ﴾ فالتوبة مبسوطه للعبد حتى يعاين قابض الأرواح ، وذلك عند غرغرتة بالروح ، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين ، فشخص من الصدر إلى الحلقوم . فعندها المعاينة ، وعندها حضور الموت ، فاعلم ذلك ، فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ .

١٧٤- قال ابن عباس والسدى : من قريب : قبل المرض والموت .

١٧٥- وقال أبو مجلز والضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم : قبل المعاينة للملائكة والسوق وأن يغلب المرء على نفسه ، ولقد أحسن محمود الوراق حيث قال :

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الألسن

بأدر به غلق النفوس فإنها ذخر وغنم للمنيب المحسن
قال علماؤنا - رحمهم الله - وإنما صحت منه التوبة في هذا الوقت لأن
الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل . وقيل: المعنى : يتوبون على قرب
عهد من الذنب من غير إصرار . والمبادرة في الصحة أفضل وألحق لأمله من العمل
الصالح والبعد كل البعد من الموت ، وأما ما كان قبل الموت فهو قريب . عن
الضحاك أيضاً .

ولها شروط أربعة : الندم بالقلب ، وترك المعصية في الحال ، والعزم على أن لا
يعود إلى مثلها ، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى ، وخوفاً منه لا من غيره فإذا
اختلف شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة . وقد قيل : من شروطها : الاعتراف
بالذنب وكثرة الاستغفار الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ
باللسان . فأما من قال بلسانه : أستغفر الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك
يحتاج إلى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر .

١٧٧- وروى عن الحسن البصرى أنه قال : استغفارنا يحتاج إلى استغفار .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا مقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي
يرى فيه الإنسان مكباً على الظلم حريصاً عليه لا يقلع والسبحة في يده زاعماً أنه
يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف . وهو ممن اتخذ آيات الله هزواً وفي
التنزيل ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزواً ﴾ .

١٧٨- وروى عن علي رضي الله عنه أنه رأى رجلاً قد فرغ من صلاته ،
وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، سريعاً فقال له : يا هذا إن سرعة اللسان
بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى توبة، قال: يا أمير المؤمنين: وما التوبة؟
قال : اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب، الندامة، ولتضييع الفرائض
الإعادة ، ورد المظالم إلى أهلها ، وأدب النفس في الطاعة كما أدبتها في المعصية ،
وإذابة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، وأن تزين نفسك في طاعة الله
كما زينتها في معصية الله ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته .

١٧٩- وقال أبو بكر الوراق : التوبة أن تكون نصوحاً ، وهو أن تضيق

عليك الأرض بما رحبت ، وتضيق عليك نفسك ، كالثلاثة الذين خلفوا .

١٨٠- وقيل : التوبة النصوح هي رد المظالم واستحلال الخصوم وإدمان الطاعات وقيل : غير هذا ، وبالجملة فالذنوب التي يتاب منها إما كفر أو غيره ، فتوبة الكافر لإيمانه مع ندمه على سالف كفره ، وليس مجرد الإيمان نفس التوبة ، وغير الكفر : إما حق الله وإما حق لغيره ، فحق الله تعالى يكفى فى التوبة منه الترك غير أن منها ما لم يكتف الشرح فيها بمجرد الترك ، بل أضاف إلى ذلك فى بعضها قضاء ، كالصلاة والصوم ، ومنها ما أضاف إليه كفارة كالحنث فى الأيمان وغير ذلك وأما حقوق الآدميين فلا بد من إيصالها إلى مستحقيها فإن لم يوجدوا تصدق عنهم ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعساره، ففعلوا الله مأمول وفضله مبدول . فكم ضمن من التبعات وبدل من السيئات بالحسنات ، وعليه أن يكثّر من الأعمال الصالحات ويستغفر لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات فهذا الكلام فى حقيقة التوبة .

١٨٢- قال العلماء : إرضاء الخصوم يكون بأن يرد عليهم ما غضبهم من مال أو خانهم أو غلهم أو اغتابهم أو حرق أعراضهم أو شتمهم أو سبهم فيرضيهم بما استطاع ويتحللهم من ذلك ، فإن انقضوا فإن كان لهم قبله مال رده إلى الورثة ، وإن لم يعرف الورثة تصدق به عنهم ويستغفر لهم بعد الموت ، ويدعو : اللهم عوض الدم والغيبة لا خلاف فى هذا ، وأما تغيير اللباس فهو أن يستبدل ما عليه من الحرام بالحلال ، وإن كانت ثياب كبر وخيلاء استبدلها بأطمار متوسطة ، وتغيير المجلس : هو بأن يترك مجالس اللهو واللعب والجهال والأحداث . ويجالس العلماء ومجالس الذكر والفقراء والصالحين ويتقرب إلى قلوبهم بالخدمة وبما يستطيع ويصافحهم . وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال ويجانب ما كان من شبهة أو شهوة ، ويغير أوقات أكله ، ولا يقصد اللذيذ من الأطعمة، وتغيير النفقة هو بترك الحرام وكسب الحلال ، وتغيير الزينة بترك التزين فى الأثاث، والبناء ، واللباس ، والطعام ، والشراب، وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوض ما كان يشغله بالبطالة والغفلة والمعصية كما قال الله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ . وتغيير الخلق هو بأن ينقلب خلقه من الشدة إلى اللين ومن الضيق إلى السعة ومن الشكاسة إلى السماحة . وتوسيع القلب يكون بالإففاق ثقة بالقيام على كل حال ، وتوسيع الكف بالسخاء

والإيثار بالعطاء ، هكذا يبذل كل ما كان فيه كشرب الخمر بكسره وسقى اللبن والعتل والزنا بكفالة الأرملة واليتيمة وتجهيزهما ويكون مع ذلك نادماً على ما سلف منه ، ومتحسراً على ما ضيع من عمره، فإذا كملت التوبة به على هذه الخصال التي ذكرنا والشروط التي بينا تقبلها الله بكرمه وأنسى حافظيه وبقاع الأرض خطاياهم وذنوبهم . قال الله تعالى: ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ .

١٨٣- والأصل فى هذه الجملة : حديث أبي هريرة رضى الله عنه فى الرجل الذى قتل مائة نفس ثم سأل : هل له من توبة ؟ فقال له العالم : ومن يحول بينك وبينها ، انطلق إلى أرض بنى فلان فإن بها ناسا صالحين يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا تعد إلى أرضك فإنها أرض سوء. الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح [حديث صحيح] .

١٨٤- وفى مسند أبى داود الطيالسى : حدثنا زهير بن معاوية ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن زياد وليس بابن أبى مریم ، عن عبد الله بن مغفل قال : كنت مع أبى وأنا إلى جنبه عند عبد الله بن مسعود فقال له أبى : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله عز وجل تاب الله عليه ؟ » فقال : نعم سمعته يقول : « الندم توبة » [حديث صحيح] .

١٨٥- وفى صحيح مسلم ، والبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه » [حديث صحيح] .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : فدل القرآن على أن فى الذنوب كبائر وصغائر، خلافاً لمن قال : كلها كبائر ، حسب ما بيناه فى سورة النساء ، وأن الصغائر كاللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعاً بوعده الصدق، وقوله الحق ، لا إنه يجب عليه ذلك ، لكن بضميمة أخرى إلى الاجتناب ، وهى إقامة الفرائض كما نص عليه الحديث .

١٨٧- ومثله : ما رواه مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما

بينهن إذا اجتنبت الكبائر « على هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء ، وهو الصحيح فى الباب . وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها والإقلاع عنها كما بينا ، وقد اختلف فى تعيينها ليس هذا موضع ذكرها ، وسيأتى فى القصاص .

وفى أبواب النار جملة منها إن شاء الله تعالى [حديث صحيح] .

باب لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر

حتك يبشر وأنه يصعد بها

١٨٨- ابن المبارك قال : أخبرنا حيوة قال : أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى قال : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال : السلام عليك يا ولى الله ، الله يقرئك السلام ، ثم نزع بهذه الآية ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم﴾ [خبر حسن] .

١٨٩- وقال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام .

١٩٠- وعن البراء بن عازب فى قوله (تعالى) ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه ، لا يقبض روحه حتى يسلم عليه [خبر حسن] .

١٩٢- ابن ماجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان بن فلان فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى . فإذا كان الرجل السوء قال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة وأبشرى بجحيم وغساق ، وآخر

من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث . ارجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر » خرجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة .

١٩٣- قال : حدثنا شبابة بن يسار ، سوار عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، وهذا إسناد صحيح ثابت ، اتفق على رجاله البخارى ومسلم ما عدا ابن أبي شيبة فإنه لمسلم وحده خرجه عبد بن حميد أيضاً عن ابن ذئب قال محمد بن عمر ، فحدثني سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجى أيتها الروح الطيبة » فذكره مسلم عن أبي هريرة قال : « إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها » .

قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك ، قال : ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قبل الأرض ، صلى الله عليك وعلى جسدك كنت تعمريته . فينطلق بها إلى ربه ثم يقول : انطلقوا بها إلى آخر الأجل ، وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد : وذكر من نتنها وذكر لعناً . ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال : فيقال : انطلقوا بها إلى آخر الأجل . قال أبو هريرة : فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا [حديث صحيح] .

١٩٤- (أخرجه) البخارى عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالت عائشة - أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت ، فقال : « ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه » أخرجه مسلم وابن ماجه من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضى الله عنهم) [حديث صحيح] .

١٩٥- فصل : هذا الحديث ، وإن كان مفسراً مبيناً ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها فى تفسير هذا الحديث أنها قالت لشريح بن هانئ ، وقد سألتها عما سمعه من أبي هريرة وليس بالذى تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر وحشرج

الصدر واقتسر الجلد تشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . خروجه مسلم [حديث صحيح] .

١٩٧ - وخرج الترمذى فى أبواب القدر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً استعمله، فقليل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت . قال أبو عيسى هذا حديث صحيح [حديث صحيح]

١٩٨ - قال الشيخ المؤلف رحمه الله ومنه الحديث الآخر : إذا أراد الله بعبد خيراً غسله . قالوا يا رسول الله وما غسله ؟ قال : يفتح الله له عملاً صالحاً بين يدي موته متى يرضى عنه من حوله [حديث صحيح] .

١٩٩ - وعن قتادة فى تفسير قوله تعالى: ﴿ فروح وريحان ﴾ قال: الروح : الرحمة ، والريحان : تتلقاه به الملائكة عند الموت [خبر صحيح] .

٢٠١ - وأما قوله فى الحديث : حتى ينتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى ، فالمعنى أمر الله وحكمه وهى السماء التى عندها سدرة المنتهى التى إليها يصعد ما يخرج به من الأرض ومنها يهبط ما ينزل به منها . كذا فى صحيح مسلم من حديث الإسراء .

وفى حديث البراء أنه ينتهى به إلى السماء السابعة، وسيأتى إن شاء الله تعالى .

٢٠٢ - وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم ونظر ، ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر من قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فذكره له هذا الحديث فما كان منه إلا أن بادر إلى عدم صحته ولعن رواته وبين أيدينا رطب نأكله ، فقلت له : الحديث صحيح خروجه ابن ماجه فى السنن ولا ترد الأخبار بمثل هذا القول، بل تتأول وتحمل على ما يليق من التأويل والذين رووها الذين رووا لنا الصلوات الخمس ، وأحكامها ، فإن صدقوا هنا صدقوا هناك، وإن كذبوا هنا كذبوا هناك ، ولا تحصل الثقة بأحد فيما يرويه .

٢٠٣ - وقد خرج البزار فى مسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن

النبي ﷺ قال : « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وذبائر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية ﴾ مرضياً عنك إلى روح الله وكرامته ، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطيت عليها الحريرة وذهب بها إلى عليين، وإن الكافر إذا وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة ، فتتزع روحه انتزاعاً شديداً ، ويقال : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ، ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين » . [حديث صحيح]

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : فقوله في روح المؤمن : يذهب بها إلى عليين هو معنى ما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم إلى السماء التي فيها الله ، والأحاديث يفسر بعضها بعضاً ولا إشكال .

وذكرته عند بعض من يتسم بالعلم والفقه والقضاء فلم يكن منه إلا أن بادر بلعن من رواه ونقله . فظن منه التجسيم ، فقلت له : الحديث صحيح والذين رووه هم الذين جاءوا بالصلوات الخمس وغيرها من أمور الدين ، فإن كذبوا هنا كذبوا هنالك ، وإن صدقوا هنا صدقوا هنالك والتأويل مزيل ما توهمته ، وكان في ذلك كلام وحضره جماعة من أهل الفقه والنظر فذكرت له ما ذكرناه ، وذكرت له حديث التنزيل وقوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وما تأوله العلماء في ذلك ، وسيأتي من ذلك في هذا الكتاب ما فيه كفاية لمن اهتدى والحمد لله .

وأما قوله ، في حديث محمد بن كعب أول الباب ، إذا استنقعت نفس المؤمن ، فقال شمر لا أعرفه ، وسمعت الزهري يقول : يعنى إذا اجتمعت في فيه حين تريد أن تخرج كما يستنقع الماء في قراره ، والنفس : الروح ها هنا حكاية الهروى .

باب ما جاء في تلاقح الأرواح في السماء

والسؤال عن أهل الأرض وفي معرض الأعمال

٢٠٤ - ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه قال : إذا قبضت

نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير فى الدنيا ،
فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض :أنظروا أحاكم حتى يستريح ، فإنه كان
فى كرب شديد قال : فيقبلون عليه فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة هل
تزوجت ؟ فإذا سأله عن الرجل قد مات قبله فيقول : إنه هلك فيقولون : إنا لله وإنا
إليه راجعون ، ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المريية قال : فتعرض
عليهم أعماله فإن رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وقالوا : اللهم هذه نعمتك على عبدك
فأتممها ، وإن رأوا شراً قالوا: اللهم راجع بعبدك [خبر حسن موقوف] .

٢٠٥- قال ابن المبارك : وأخبرنا صفوان بن عمرو ، قال : حدثنى عبد
الرحمن بن جبير بن نغير أن أبا الدرداء كان يقول : إن أعمالكم تعرض على موتاكم
فيسرون ويسأون قال : يقول أبو الدرداء : اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً
يخزى به عبد الله بن رواحة [خبر صحيح موقوف] .

٢٠٦- وفى رواية : اللهم إني أعوذ بك من عمل يخزىنى عند عبد الله بن
رواحة [خبر صحيح] .

٢٠٧- أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفى قال : أخبرني عثمان
بن عبد الله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له : استأذن لى على ابنة أخى ، وهى
زوجة عثمان وهى ابنة عمرو بن أوس ، فأستأذنت له فدخل عليها ثم قال : كيف
يفعل بك زوجك ؟ قالت : إنه إلى المحسن فيما استطاع فالتفت إلي ثم قال : يا عثمان
أحسن إليها فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس فقلت : وهل تأتى
الأموات أخبار الأحياء ؟ قال : نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه ، فإن
كان خيراً سر به وفرح وهنى به ، وإن كان شراً ابتأس وحزن به حتى إنهم ليسألون
عن الرجل قد مات فيقال : أو لم يأتكم ؟ فيقولون : لا ، خولف به إلى أمه الهاوية
[خبر حسن] .

٢٠٨- وعن الحسن البصرى رضى الله عنه قال : إذا قبض روح العبد المؤمن
عرج به إلى السماء فتلقاه أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقول :
أو لم يأتكم ؟ فيقولون : لا والله ما جاءنا ولا مر بنا فيقولون : سلك به إلى أمه

الهاوية ... فبعت الأم وبعت المريية [خبر صحيح] .

فصله : هذه الأخبار وإن كانت موقوفة فمثلها لا يقال من جهة الرأى .

٢١٠- وقد خرج النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال الحديث وفيه : « فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فيقولون : دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال : أو ما أتاكم ؟ قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية » وذكر الحديث : وسيأتى بكماله إن شاء الله تعالى [حديث صحيح] .

٢١٤- وقد قيل فى قوله عليه الصلاة والسلام : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » : إنه هذا التلاقى ، وقد قيل : تلاقى أرواح النيام والموتى وقيل غير هذا . والله أعلم [حديث صحيح] .

بأب منه

٢١٧- فقد روى فى الحديث أن النبى ﷺ كان يهدى لصدائىق خديجة صلة منه لها وبراً وإذا كان الفعل صلة وبراً ، كان ضده عقوبة وقطيعة وعقوقاً ، وقيل : يجوز أن يكون معنى الحديث : الميت يؤذيه فى قبره من كان يؤذيه فى بيته إذا كان حياً فيكون (ما) بمعنى « من » ويكون ذلك مضمراً فى الكلام ، والإشارة إلى الملك الموكل بالإنسان [حديث صحيح] .

باب فك شأن الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد ؟

٢١٩- قال أبو الحسن القاسمى رحمه الله : الصحيح من المذهب ، والذى عليه أهل السنة ، أنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله تعالى فيسألها ، فإن كانت من أهل السعادة قال لهم : سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة . فيسيرون به فى الجنة على قدر ما يغسل الميت ، فإذا غسل الميت وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس ، من تكلم بخير ومن تكلم بشر . فإذا وصل إلى قبره وصلى عليه ، ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ، ودخل عليه الملكان الفتنان على ما يأتى [خبر صحيح] .

٢٢٠- وعن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ، ينظر إلى جسده كيف يغسل ، وكيف يكفن وكيف يمشى به فيجلس في قبره .

قال داود : وزاد في هذا الحديث ، قال : يقال له وهو على سريره : اسمع ثناء الناس عليك ، ذكره أبو نعيم الحافظ في باب عمرو .

٢٢٣- وعن ابن نباتة وقد رثى في المنام ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين (يديه) الكرميتين ، وقال : أنت الذي تخلص كلامك حتى يقال : ما أفصحه ! فقلت : سبحانك ، إنى كنت أصفك ، قال ما كنت تقول في دار الدنيا قلت : أبادهم الذي خلقهم ، وأسكنهم الذي أنطقهم وسيوجدهم كما أعدمهم ، وسيجمعهم كما فرقهم . قال لى : صدقت ، اذهب فإنى قد غفرت لك .

٢٢٤- وعن منصور بن عمار أنه رثى في المنام ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه وقال لى : بماذا جئتني يا منصور ؟ قلت بست وثلاثين حجة . قال : ما قبلت منها شيئاً ولا واحدة ، ثم قال : بماذا جئتني يا منصور ؟ قلت : جئتك بثلاثمائة وستين ختمة للقرآن قال : ما قبلت منها واحدة ، ثم قال : فبماذا جئتني يا منصور ؟ قال : جئتك بك . قال سبحانه : الآن جئتني ، اذهب فقد غفرت لك ، ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسي سمع النداء : ردوه ، فمنهم من يرد من الحجب ، وإنما يصل إلى الله عارفوه .

باب كيفية التوفيق للموت ؟

واختلاف أحوالهم في ذلك

٢٢٦- ذكر الله التوفيق في كتابه مجملاً ومفصلاً : فقال الله تعالى : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ ، وقال : ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم﴾ ، وقال : ﴿توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ ، وقال : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ ، فهذا كله مجمل ، وقد بينه رسول الله ﷺ على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وقال : ﴿ولو

ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴿﴾ ، وقال :
﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ وهذا
مخصوص بمن قتل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل ، فيما قاله بعض علمائنا
وقد ذكر المهدي وغيره في ذلك اختلافا ، وأن الكفار حتى الآن يتوفون بالضرب
والهوان والله أعلم .

٢٢٧- وروى مسلم في حديث فيه طول قال أبو زميل : فحدثني ابن عباس ،
قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ
سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك
أمامه فخر مستلقياً إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه لضربة السوط فاخضر
ذلك أجمع ، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ذلك
من مدد السماء الثانية » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين . وذكر الحديث .

وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو

أيديهم ﴾ أى بالعذاب ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ إلى قوله :
﴿ تستكبرون ﴾ . وقد زادت السنة هذا النوع بياناً على ما يأتي [حديث صحيح] .

٢٢٨- فصل : إن قال قائل : كيف الجمع بين هذه الآى وكيف يقبض ملك
الموت في زمن واحد أرواح من يموت بالشرق والمغرب ؟ قيل له : اعلم أن التوفى
مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئاً ، فتارة يضاف إلى
ملك الموت لمباشرته ذلك ، وتارة إلى أعوانه من الملائكة ، لأنهم قد يتولون ذلك
أيضاً ، وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل : ﴿ الله
يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ وقال : ﴿ وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ﴾ وقال
: ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ﴾ فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما
يفعل بأمره .

وقال الكلبي : يقبض ملك الموت الروح من الجسد ، ثم يسلمها إلى ملائكة

الرحمة إن كان مؤمناً ، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافراً ، وهذا المعنى منصوص في حديث البراء ، وسيأتي .

٢٣٠- وفي الخبر: أن ملك الموت جالس وبين يديه صحيفة يكتب فيها له في ليلة النصف من شعبان ، وهي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من الأرزاق والآجال في قول بعض العلماء عكرمة وغيره ، والصحيح أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان ، وهو قول قتادة والحسن ومجاهد وغيرهم ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه ﴾ يعني : القرآن ﴿ في ليلة مباركة ﴾ يعني : ليلة القدر ، وهذا بين .

٢٣١- وقال ابن عباس : إن الله تعالى يقضى الأفضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر ، وكان هذا جمعاً بين القولين والله أعلم . فإذا انقضى عمر ذلك الشخص الذي حان قبض روحه ، سقطت ورقة من سدرة المنتهى التي فيها اسمه على اسمه في الصحيفة ، فعرف أن قد فرغ أجله وانقطع أكله . وفي الخبر أن ملك الموت تحت العرش يسقط عليه صحائف من يموت من تحت العرش ، والصحف هنا : ورق السدرة ، والله أعلم .

وكما في الخبر قبله : فإذا نظر إلى الإنسان قد نفذ رزقه وانقطع أكله ، ألقى عليه سكرات الموت فغشيته كرباته ، وأدركته سكراته .

٢٣٤- وروى سليمان بن معمر الكلابي قال : حضرت مالك بن أنس وأتاه رجل فسأله : يا أبا عبد الله ، البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها ؟ فأطرق مالك طويلاً ثم قال : (ألها) نفس ؟ قال : نعم ، قال : ملك الموت يقبض أرواحها ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ ذكره الخطيب أبو بكر رحمه الله .

باب ما جاء في صفة ملك الموت

عند قبض روح المؤمن والكافر

٢٣٦- وروى عن ابن عباس أن إبراهيم خليل الرحمن سأل ملك الموت أن

يريه كيف يقبض روح المؤمن فقال له : اصرف وجهك عنى ، فصرف ، ثم نظر إليه فرآه فى صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال له والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئاً سوى وجهك كفاه ، ثم قال له : أرنى كيف تقبض روح الكافر فقال له : لا تطيق ذلك قال : بلى أرنى ، قال : اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ، ثم نظر إليه فإذا صورة إنسان أسود رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء كأقبح ما أنت راء من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار ، فقال له : والله لو لم يلق الكافر سوى نظرة إلى شخصك لكفاه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وسياتى هذا المعنى مرفوعاً إلى النبى ﷺ فى الملائكة فى حديث البراء وغيره إن شاء الله تعالى .

٢٣٧- وقال ابن عباس أيضاً : كان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً ، وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا هو برجل فى جوف البيت فقال : من أدخلك دارى ؟ فقال : أدخلنيها ربها ، قال إبراهيم : أنا ربها ، قال : أدخلنيها من هو أملك (لها) منك ؟ قال : فمن أنت من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت . قال : (هل) تستطيع أن ترى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، ثم التفت إبراهيم فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب رائحته ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه ﷺ .

فصل: قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا يتعجب من كون ملك الموت يرى على صورتين لشخصين ، فما ذلك إلا مثل ما يصيب الإنسان بتغير الخلقة فى الصحة والمرض ، والصغر ، والكبر ، والشباب والهرم وكصفاء اللون بملازمة الحمام وشحوبة الوجه بتغير اللون (و) بلفح الهواجر فى السفر ، غير أن قضية الملائكة عليهم (الصلاة) والسلام يجرى ذلك منهم فى اليوم الواحد والساعة الواحدة ، وإن لم يجر هذا على الإنسان إلا فى الأوقات المتباعدة والسنين المتطوالة ، وهذا بين فتأمله .

باب ما جاء أن ملك الموت عليه [الصلاة و]السلام هو
القابض لأرواح الخلق

وأنه يقف عند كل بيت في كل يوم خمس مرات
وعند كل ضيق روح كل ساعة

وأنه ينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة

قال الله تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ .

٢٣٨- وروى عن ابن عمر قال : إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة ووجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها ، فيقول ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام : فيم هذا الجزع ؟ فوالله ما أنقصت لأحد منكم عمراً ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً ، فإن كانت شكايكم وسخطكم عليّ فإني والله مأمور ، وإن كان ذلك على ميتكم فإنه في ذلك مقهور ، وإن كان ذلك على ربكم فأنتم به كفره ، وإن لى فيكم عودة ثم عودة ، فلو أنهم يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم . خرج أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي في كتاب (اللؤلؤيات) له .

فقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ توفته رسلنا ﴾ والبارى سبحانه خالق الكل الفاعل حقيقة

لكل فعل .

٢٤٢- قال الله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم رمقت

في منامها ﴾ وقال : ﴿ الذى خلق الموت والحياة ﴾ وقال : ﴿ يحيى ويميت ﴾ -

فملك الموت يقبض الأرواح والأعوان يعالجون ، والله يزهق الروح ، وهذا هو الجمع بين الآى والحديث ، ولكنه لما كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفى إليه كما أضيف الخلق للملك .

٢٤٣- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : كما فى حديث ابن مسعود قال :
حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن
أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله
الملك فينفخ فيه الروح » الحديث أخرجه مسلم وغيره .

وقوله : يجمع خلقه فى بطن أمه ، قد جاء مفسراً عن ابن مسعود رضى الله
عنه ، رواه الأعمش عن خيثمة .

قال : قال عبد الله : إن النطفة إذا وقعت فى الرحم فأراد الله سبحانه أن
يخلق منها بشراً طارت فى بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر ، ثم تمكث أربعين ليلة ،
ثم تنزل فى الرحم فذلك جمعها [حديث صحيح] .

٢٤٤- وفى صحيح مسلم أيضاً عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون بعث الله إليها ملكاً فصورها
وخلق سمعها وبصرها وشعرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم يقول : أى رب أذكر
أم أنثى » ؟ وذكر الحديث وما قبله يفسره (ويبينه) ، لأن النطفة لا يبعث الملك إليها
إلا بتمام اثنتين وأربعين ليلة فتأمله . ونسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لا
حقيقية ، وإنما صدر عنه فعل ما فى المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدره الله
تعالى وخلقته واختراعه ، ألا تراه سبحانه وتعالى قد أضاف إليه الخلق الحقيقية وقطع
عنها نسب جميع الخليفة فقال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ إلى غير
ذلك من الآيات مع ما دلت عليه قاطعات البراهين إذ لاخالق لشيء من المخلوقات إلا
رب العالمين وهكذا القول فى قوله : « ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح » أى أن النفخ
فيه سبب يخلق الله فيه الروح والحياة ، وكذلك القول فى سائر الأسباب المعتادة فإنه
يحدث الله تعالى لا غيره فتأمل ذلك ، هذا هو الأصل وتمسك به ففيه النجاة من
مذاهب أهل الضلال والقائلين بالطبائع وغيرهم ، وأن الله هو القابض لأرواح جميع
الخلق على الصحيح ، وأن ملك الموت وأعوانه وسائط ، وقد سئل مالك بن أنس
عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها ؟ فأطرق ملياً ثم قال : ألهها نفس ؟ قال :

نعم قال: ملك الموت يقبض أرواحها ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ .

[حديث صحيح]

٢٤٦- وذكر أبو نعيم الحافظ عن ثابت البناني قال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منه ساعة تأتي على ذى روح إلا وملك الموت قائم عليها، فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب، وهذا عام في كل ذى روح [إسناده حسن] .

٢٤٧- وفي خبر الإسراء عن ابن عباس فقلت: يا ملك الموت، كيف تقدر على قبض أرواح جميع من فى الأرض برها وبحرها؟ الحديث وقد تقدم .

باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر

٢٥١- ابن ماجه، عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة، وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر». خرجته مسلم أكمل من هذا وقد تقدم [حديث صحيح] .

٢٥٢- وروى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره»، قالوا: بلى، قال: «فذلك حين يتبع بصره نفسه»، وفى غير الصحيح عن النبى ﷺ، أن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المعراج وهو سلم بين السماء والأرض من زمردة خضراء أحسن ما رئى قط فذلك حين يمد بصره إليه» [حديث صحيح] .

فصل: فى قوله عليه السلام: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» وقوله: فذلك حين يتبع بصره نفسه ما يستغنى به عن قول كل قائل فى الروح والنفس، وإنهما اسمان لسمى واحد، وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء فى تزاور الأموات فى قبورهم

واستحسان الكفن لذلك

٢٥٣- مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه إن استطاع» .

وخرج أبو نصر عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلى السجستانى الحافظ فى

كتاب (الإبانة) عن مذهب السلف الصالح في القرآن وإزالة شبه الزائغين بواضح
البرهان [حديث صحيح] .

باب الإسراع بالجنائز وكلامها

٢٥٥- البخارى عن أبى سعيد الخدرى : كان النبى ﷺ يقول : « إذا وضعت
الجنائز واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ،
وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء إلا
الإنسان ولو سمعه لصعق » . وقد تقدم من حديث أنس أنها تقول : « يا أهلى ، ويا
ولدى » الحديث [حديث صحيح] .

٢٥٦- البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « أسرعوا بالجنائز فإن تك
صالحة فخير تقدمونها إليه .. وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » خرجه
مسلم أيضاً [حديث صحيح] .

٢٥٧- فصل : صعق : مات . والإسراع قيل معناه : الإسراع بحملها إلى
قبرها فى المشى وقيل : تجهيزها بعد موتها لثلا تنغير ، والأول أظهر لما رواه النسائى ،
قال : أخبرنا (أبو) محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا خالد قال : حدثنا عيينة بن عبد
الرحمن قال : حدثنى أبى قال : شهدت جنازة عبدالرحمن بن سمرة ، وخرج زياد
يمشى بين يدى السرير ، فجعل رجال من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون
السرير ويمشون على أعقابهم ويقولون : رويداً رويداً بارك الله فيكم ، فكانوا يدبون
حتى إذا كنا ببعض الطريق لحقنا أبو بكره رضى الله عنه يمشى على بغلة ، فلما رأى
الذين يصنعون حمل عليهم ببغلتته وأهوى عليهم بالسوط . فقال : خلوا فوالذى
كرم وجه أبى القاسم لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وأنا لنكاد نرمل بها رملاً .
فانبسط القوم . صححه أبو محمد عبد الحق [خبر صحيح] .

٢٥٩- وقال : والذى عليه جماعة أهل العلم فى ذلك الإسراع فوق السجية
قليلاً ، والعجلة أحب إليهم من الإبطاء ، ويكره الإسراع الذى يشق على ضعفة من
يتبعها . وقال إبراهيم النخعى : نصوا بها قليلاً ولا تدبوا ديب اليهود والنصارى
السجية : العادة [خبر صحيح] .

باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن
ويخطه

وأنه يصل إلك الميت ثواب ما يقرأ ويدعك ويستغفر له
ويتصدق عليه

ذكره أبو حامد في كتاب (الإحياء) وأبو محمد عبد الحق في
كتاب (العاقبة) له .

٢٦٤- قال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد بن حنبل رضى الله عنه
يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد ،
واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم .

٢٦٦- قلت : وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث
العسيب الرطب الذى شقه النبي ﷺ باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا
واحداً ثم قال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم يبسا » خرجه البخارى ومسلم
[حديث صحيح] .

٢٦٧- وفى مسند أبي داود الطيالسى : فوضع على أحدهما نصفاً وعلى
الآخر نصفاً وقال : إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شيء ، قالوا : يستفاد
من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور وإذا خفف عنهم بالأشجار ،
فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن ؟ [حديث صحيح] .

٢٧٢- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : أصل هذا الباب الصدقة التى لا
اختلاف فيها فكما يصل للميت ثوابها ، فكذلك تصل قراءة القرآن والدعاء
والاستغفار إذ كل ذلك صدقة فإن الصدقة لا تختص بالمال .

قال ﷺ : وقد سئل عن قصر الصلاة في حالة الأمن فقال : « صدقة تصدق
الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » [حديث صحيح] .

٢٧٣- وقال عليه الصلاة والسلام : « يصبح على كل سلامى من أحدكم
صدقة فإن كل تسبيحة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل

تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» ولهذا استحب العلماء زيارة القبور لأن القراءة تحفة الميت من زائره [حديث صحيح] .

٢٧٦- وقال بعضهم : مات أخ لى فرأيتنه فى المنام ، فقلت : ما كان حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لى لرأيت أنه سيضربنى به . والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة ، ذكرها أبو محمد عبد الحق فى كتاب (العاقبة) له . وقد ذكر فى هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رضى الله عنه فى كتاب (عيون الأخبار) له حكاية فيها طول ، رأينا ذكرها لاشتمالها على وعظ وتذكير وتخويف وتحذير وتضرع وابتهاج ودعاء بالموت والانتقال .

٢٨١- قال أبو محمد عبد الحق : حدثنى أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن أفرند ، وكان هو وأبوه صالحين معروفين . قال : مات أبى رحمه الله فحدثنى بعض إخوانه - ممن يوثق بحديثه - قال لى : زرت قبر أهلك فقرأت عليه حزباً من القرآن ، ثم قلت : يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لى ؟ قال : فهبت على نفحة مسك غشيتنى ، وأقامت معى ساعة ، ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى إلا وقد مشيت نصف الطريق .

٢٨٢- قال أبو محمد : ورأيت لبعض من يوثق به قال : ماتت لى امرأة فقرأت فى بعض الليالى آيات من القرآن ، فأهديتها لها ، ودعوت الله عز وجل واستغفرت لها ، وسألت ، فلما كان فى اليوم الثانى حدثتنى امرأة تعرفها وتعرفنى قالت لى : رأيت البارحة فلانة فى النوم - تعنى الميتة المذكورة - فى مجلس حسن فى دار حسنة ، وقد أخرجت لنا أطباقاً من تحت سرير كان فى البيت ، والأطباق مملوءة قوارير أنوار ، فقالت لى : هذا أهدها لى صاحب بيتى . قال : وما كنت أعلمت بذلك أحداً .

٢٨٣- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وفى هذا المعنى حديث مرفوع من حديث أنس يأتى فى باب ما يتبع الميت إلى قبره ، وقد قيل : إن ثواب القراءة

للقارئ، وللميت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة. قال (الله) تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

٢٨٥- وقال عليه (الصلاة و) السلام : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » والقراءة فى معنى الدعاء ، وذلك صدقة من الولد ، ومن صاحب والصدىق والمؤمنين ، حسب ما ذكرنا وبالله التوفىق .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ وهذا يدل على أنه لا ينفع أحداً عمل أحد . قيل له : هذه آية اختلف فى تأويلها أهل التأويل .

فروى عن ابن عباس : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ فىجعل الولد الطفل يوم القيامة فى ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء فى الأبناء والأبناء فى الآباء . ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ آبَاؤَكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا ﴾ وقال الربيع بن أنس : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ يعنى : الكافر . وأما المؤمن فله ما سعى ، وما سعى له غيره .

قلت : وكثير من الأحاديث تدل على هذا القول ، ويشهد له ، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره [حديث صحيح] .

٢٨٦- وفى الصحيح عن النبى ﷺ : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » [حديث صحيح] .

٢٨٧- وقال عليه (الصلاة و) السلام للرجل الذى حج عن غيره (قبل) أن يحج عن نفسه « حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » [حديث صحيح] .

٢٨٨- وروى أن عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن بعد

موته وأعتقت عنه ، وقال سعد للنبي ﷺ : « إن أمى توفيت أفأتصدق عنها ؟ قال : « نعم » فأى الصدقة أفضل ؟ قال : « سقى الماء » وفى الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر عن عمته ، أنها حدثته عن جدته أنها جعلت على نفسها مشياً إلى مسجد قباء ، فماتت ولم تقضه ، فأفتى عبد الله بن عباس ابنتها أن تمشى عنها .

٢٨٩- قلت : ويحتمل أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا

سعى ﴾ خاصاً فى السيئة بدليل ما فى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال ، : قال الله عز وجل « إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة ، فإن عملها كتبها له عشرأ إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبها سيئة واحدة » والقرآن دال على هذا ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ

جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ وقال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم

فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة ﴾ الآية

وقال فى الآية الأخرى : ﴿ كمثل جنة برية أصابها وابل ﴾ وقال : ﴿ من ذا

الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ وهذا كله تفضل من

الله تعالى ، وطريق العدل : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ ، إلا أن الله عز وجل

يتفضل عليه بما لم يجب له ، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة

الواحدة : عشرأ إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة [حديث صحيح] .

وإنما طولنا النفس فى هذا الباب ، لأن الشيخ الفقيه القاضى الإمام مفتى الأنام

عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ، كان يفتى بأنه لا يصل للميت ثواب ما يقرأ ،

ويحتج بقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ ، فلما توفى رحمه الله ، رآه

بعض أصحابه ممن كان يجالسه وسأله عن ذلك ، فقال له : إنك كنت تقول : إنه لا يصل

إلى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى إليه ، فكيف الأمر ؟ فقال له : إنى كنت أقول ذلك

فى دار الدنيا والآن فقد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى فى ذلك : وأنه يصل

إليه ذلك .

باب يدفن العبد في الأرض التي خلق منها

٢٩٢- أبو عيسى الترمذى ، عن مطر بن عكامس قال : قال رسول الله ﷺ :
« إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة » أو قال : « بها حاجة » .

قال أبو عيسى : وفى الباب عن أبى عزة ، وهذا حديث (حسن) غريب ، لا
يعرف لمطر بن عكامس عن النبى ﷺ غير هذا الحديث [حديث صحيح] .

٢٩٣- وعن أبى عزة : قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى الله لعبد أن
يموت بأرض ، جعل له إليها حاجة » أو قال : « بها حاجة » قال : هذا حديث حسن
صحيح ، وأبو عزة له صحبة واسمه يسار بن عبيد ، وأنشدوا :

إذا ما حمام المرء كان ببلدة
دعته إليها حاجة فيطير

[حديث صحيح]

٢٩٤- وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نواذر الأصول ، عن أبى
هريرة : خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة ، وإذا بقبر يحفر ،
فأقبل حتى وقف عليه ، فقال : « لمن هذا » ؟ قيل : لرجل من الحبشة ، فقال : « لا إله
إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن فى الأرض التى خلق منها »

[حديث صحيح] .

٢٩٥- وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا كان أجل العبد
بأرض أو ثبتت الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله ، فتقول الأرض يوم
القيامة : رب هذا ما استودعتنى » خرجه ابن ماجه أيضاً [حديث صحيح] .

٢٩٦- **فصل** : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فائدة هذا الباب : تنبيه العبد
على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة ، وقضاء
الدين ، وإتيان الوصية بماله أو عليه فى الحضر ، فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى
سفر ، فإنه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض .
وأنشد بعضهم :

[٧٣ / صحيح التذكرة / صحابة]

مشيئتها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأتته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

باب ما جاء أن كل عبد يذر عليه من تراب حفرة
وفى الرزق والأجل ، وبيان قوله تعالى

﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾

٢٩٨- أبو نعيم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود
إلا وقد ذر عليه من تراب حفرة » .

قال أبو عاصم النبيل : ما نجد لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فضيلة مثل
هذه ، لأن طينتهما طينة رسول الله ﷺ أخرجه فى باب ابن سيرين ، عن أبي هريرة ،
وقال : هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه إلا من حديث أبي عاصم النبيل ،
وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة [حسن بشواهد] .

٢٩٩- وروى مرة ، عن ابن مسعود أن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من
الرحم ، فيضعها على كفه ، ثم يقول : يا رب ، مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال
مخلقة ، قال : يا رب ما الرزق ؟ وما الأثر ؟ ما الأجل ؟ فيقول : انظر فى أم
الكتاب ، فينظر فى اللوح المحفوظ ، فيجد فيه رزقه ، وأثره ، وأجله ، وعمله ويأخذ
التراب الذى يدفن فى بقلته ويعجن به نطفته .

فذلك قوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾ أخرجه الترمذى

الحكيم ، وأبو عبد الله فى نوادر الأصول .

٣٠٠- وذكر عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : إن النطفة إذا استقرت فى
الرحم أخذها الملك بكفه ، فقال : أى رب أم مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال : غير
مخلقة لم تكن نسمة ، وقذفها الأرحام دماً ، وإن قال : مخلقة ، قال : أى رب

أذكر أم أنثى؟ أشقى، أم سعيد؟ ما الأجل؟ وما الأثر؟ وما الرزق؟ وبأى أرض تموت؟ فيقول: اذهب إلى أم الكتاب، فإنك ستجد هذه النطفة فيها، فيقال للنطفة: من ربك؟ فتقول: الله فيقال: من رازقك؟ فتقول: الله، فتخلق فتعيش في أجلها وتأكل رزقها، وتطأ أثرها، فإذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك المكان، فالأثر: هو التراب الذي يؤخذ فيعجن به ماءه [حديث صحيح].

٣٠١- وقال محمد بن سيرين: لو حلفت حلفت صادقاً باراً، غير شك ولا مستثنى، أن الله (تعالى) ما خلق نبيه محمداً ﷺ، ولا أباً بكر، ولا عمر، إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة.

قلت: ومن خلق من تلك التربة: عيسى ابن مريم عليه (الصلاة والسلام) على ما يأتي بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى، وهذا الباب يبين لك معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ﴾ . وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ﴾ .

وقوله (تعالى): ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ولا تعارض في شيء من ذلك على ما بينا في كتاب الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة، وآى الفرقان وهذا الباب يجمع لك ذلك كله فتأمله .

باب

مَا يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ إِذَا قُبِرَ وَبَعْدَ مَوْتِهِ

وَمَا يَبْقَى مَعَهُ فِيهِ

٣٠٢- مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد: يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » [حديث صحيح].

٣٠٣- وروى أبو نعيم من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره: من علم علماً أو أجرى

نهرأ أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولدأ يستغفر له بعد موته» هذا الحديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عبد الرحمن بن هانئ النخعي عن العزرمي محمد بن عبد الله عن قتادة ، وخرجه الإمام أبو عبد الله بن محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه من حديث الزهري [حديث حسن] .

٤ ٣٠- حدثني أبو عبد الله الأغر ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً علمه ونشره ، أو ولدأ صالحاً تركه ، أو مصحفأ ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهرأ أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته تلحقه بعد موته » [حديث حسن] .

وقال إسماعيل بن رافع : ما من ذى رحم أوصل لذى رحمه ، من رجل أتبع ذا رحم بحج أو عتق أو صدقة .

باب ما جاء في هول المطلع

٧ ٣٠- تقدم من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تمنوا الموت ، فإن هول المطلع شديد » الحديث [حديث حسن] .

٨ ٣٠- ولما طعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال له رجل : إني لأرجو أن لا تمس جلدك النار . فنظر إليه ثم قال : إن من غررتموه لمغرور ، والله لو أن لى ما على الأرض لافتديت به من هول المطلع [خبر صحيح] .

٩ ٣٠- وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : أضحكنى ثلاث وأبكاني ثلاث ، أضحكنى : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك بملء فيه لا يدرى أراضى الله أم أسخطه ؟ وأبكاني : فراق الأحبة محمد ﷺ وحربه ، وأحزننى هول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدى الله (تعالى) يوم تبدو السريرة علانية ثم لا يدرى إلى الجنة أو إلى النار، أخرجته ابن المبارك، قال : أخبرنا غير واحد عن معاوية بن قرة قال : قال أبو الدرداء : فذكره [خبر حسن] .

١٠ ٣١- قال : وأخبرنا محمد ، بلغ به أنس بن مالك قال : ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن : أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى ، إما برضاه

وإما بسخطه، ويوم تعرض فيه على ربك آخذاً كتابك، إما يمينك وإما بشمالك، وليلة تستأنف فيها المبيت في القبور لم تبت فيها (ليلة) قط، وليلة تمخص صبيحتها يوم القيامة [خبر صحيح].

باب ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة

وقف البكاء عنده وفك حكمه والاستعداد له

٣١١- ابن ماجه عن هانئ بن عثمان قال : كان عثمان - رضي الله عنه - إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكي من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » [حديث حسن] .

٣١٢- قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت منظرأ قط إلا والقبر أفضع منه » أخرجه الترمذى وزاد رزين قال : وسمعت عثمان ينشد على قبر شعراً :

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة وإلا فإنى لإخالك ناجياً

[حديث حسن]

٣١٣- ابن ماجه عن البراء قال : كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة ، فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال : « يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا » [حديث حسن] .

٣١٤- فصله : القبر واحد القبور في الكثرة وأقبر في القلة ويقال للمدفن :

مقبر .

قال الشاعر :

لكل أناس مقبر بفنائهم وهم ينقصون والقبور تزيد

واختلف في أول من سن القبر ؟ فقيل : الغراب لما قتل قابيل هاويل . وقيل : بنو إسرائيل ، وليس بشيء ، وقد قيل : كان قابيل يعلم الدفن ولكن ترك أخاه بالعراء استخفافاً به ، فبعث الله غراباً يبحث التراب على هاويل ليدفنه . فقال عند ذلك :

﴿يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سواة أخى فأصبح من النادمين﴾ حيث رأى إكرام الله لهاييل بأن قيض الله الغراب له حتى واره . ولم يكن ذلك ندم توبة وقيل : ندمه إنما كان على فقدته ، لا على قتله .

٣١٥- قال ابن عباس : ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة، ويقال : إنه لما قتله تعد ييكي عند رأسه ، إذ أقبل غرابان فاقتتلا . فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ، ففعل القاتل بأخيه كذلك ، فبقى ذلك سنة لازمة في بنى آدم ، وفي التنزيل ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أى جعل له قبراً يورى فيه إكراماً له ولم يجعله مما يلقي على وجه الأرض تأكله الطير والعوفى . قاله الفراء .

٣١٦- وقال أبو عبيدة : أقبره : جعل له قبراً وأمر أن يقبر .

قال أبو عبيدة : ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ، ودخلوا عليه : أفبرنا صالحاً . فقال : دونكموه . وحكم القبر : أن يكون مسنماً ، مرفوعاً على وجه الأرض قليلاً غير مبنى بالطين والحجارة والجص فإن ذلك منهى عنه .

٣١٧- وروى مسلم عن جابر ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه . وخرجه الترمذى أيضاً عن جابر ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبنى عليها ، وأن توطأ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح [حديث صحيح] .

٣١٨- وقال علماءنا رحمهم الله : وكره مالك تجصيص القبور ، لأن ذلك من المباهاة وزينة الحياة الدنيا ، وتلك منازل الآخرة ، وليس بموضع المباهاة ، وإنما يزين الميت فى قبره عمله ، وأنشدوا :

وإذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله ممن تحته مغلول
[حديث صحيح]

٣١٩- وفى صحيح مسلم ، عن أبي الهياج الأسدى ، قال : قال لى على ابن أبى طالب -رضى الله عنه -: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته [حديث صحيح] .

٣٢١- قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - يسنم القبر ليعرف كى يحترم ويمنع من الارتفاع الكثير الذى كانت الجاهلية تفعله ، فإنها كانت تعلق عليها ، وتبنى فوقها تفخيماً لها وتعظيماً ، وأنشدوا :

أرى أهل القصور إذا أميتوا	بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباحاة وفخرا	على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت التراب عنهم	فما تدرى الغنى من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف	من الجلد المباشر للحريز
إذا أكل الثرى هذا وهذا	فما فضل الغنى على الفقير ؟

يا هذا ، أين الذى جمعته من الأموال ، وأعدده للشدائد والأحوال ، ولقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفراً ، وبدلت من بعد غناك وعزك ذلاً وفقراً ، فكيف أصبحت يا رهين أوزاره ويا من سلب من أهله ودياره ؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد ، وأقل اهتمامك لحمل الزاد ، إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصعب الشديد ، أو ما علمت يا مغرور ، أن لا بد من الارتحال ، إلى يوم تشديد الأحوال ، وليس ينفحك ثم قليل ولا قال ، بل يعد عليك بين يدي الملك الديان ، ما بطشت اليدان ، ومشت القدمان ونطق به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ، فإن رحمتك فى الجنان ، وإن كانت الأخرى فى النيران ، يا غافلاً عن هذه الأحوال ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتتسب أن الأمر صغير ، وتزعم أن الخطب يسير ؟ وتظن أن سينفحك حالك ، إذا آن ارتحالك ، أو ينقذك مالك ، حين توبقك أعمالك ، أو يغنى عنك ندمك إذا زلت بك قدمك ، أو يعطف عليك معشرك ، حين يضمك محشرك ،

كلا والله ساء ما تتوهم ولا بد لك أن ستعلم ، لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحرام تشيع ، ولا للعظاات تستمع ، ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تنقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط العشواء ، ويعجبك التكائر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك ، يا نائماً في غفلة وفي خبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتزعم أن ستترك سدى ، وأن لا تحاسب غداً أم تحاسب أن الموت يقبل الرشا ، أم تميز بين الأسد والرشا ، كلا والله لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور ، فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من ارعوى ، ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ﴾ فانتبه من

هذه الرقدة ، واجعل العمل الصالح لك عدة ، ولا تتمن منازل الأبرار ، وأنت مقيم على الأوزار عامل بعمل الفجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، وراقب الله في الخلوات ، رب الأرض والسماوات ، ولا يغرنك الأمل ، فتزهد عن العمل ، أو ما سمعت الرسول حيث يقول ، لما جلس على القبور : « يا إخواني ، لمثل هذا فأعدوا » أو ما سمعت الذى خلقك فسواك يقول : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ .

٣٢٢- وأنشدوا :

تزود من معاشك للمعاد وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيع قوم لهم زاد وأنت بغير زاد ؟
وقال آخر :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا
وقال آخر :

الموت بحر طافح موجه تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إنى قائل فاسمعى مقالة من مشفق ناصح

لا ينفع الإنسان فى قبره غير التقى والعمل الصالح
وقال آخر :

أسلمنى الأهل ببطن الثرى وانصرفوا عنى فىا وحشتا
وغادرونى معدماً بائساً ما ييدى اليوم إلا البكا
وكل ما كان كأن لم يكن وكل ما حذرته قد أتى
وذا كم المجموع والمقتنى قد صار فى كفى مثل الهبا
ولم أجد لى مؤنساها هنا غير فجور موبق أو بقا
فلو ترانى وترى حالتى بكيـت لى يا صاح مما ترى
وقال آخر :

ولدتك إذ ولدتك أمك باكياً والقوم حولك يضحكون سروراً
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا فى يوم موتك ضاحكاً مسروراً
٣٢٣- وروى عن محمد القرشى أنه قال : سمعت شيخنا يقول : أيها الناس:
إنى لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، فاعملوا فى ظلمة الليل لظلمة القبر ، وصوموا فى
الحر قبل يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظام الأمور، وتصدقوا مخافة يوم
عسير .

٣٢٤- وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه : أيها المقبور فى حفرته ،
المتخلى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى
أعمالك استبشرت وبأى أحوالك اغتبطت ، ثم ييكى حتى يبيل عمامته ، ويقول :
استبشر- والله - بأعماله الصالحة، واغتبط - والله - بإخوانه معاونين له على طاعة
الله (تعالى) ، وكان إذا نظر إلى القبر صرخ كما يصرخ الثور - وسيأتى أن القبر
يكلم العبد إذا وضع فيه ، وما فيه من الموعدة إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء فى اختيار البقعة للدفن

فقد فقهه مؤسسك عليه السلام عين ملك الموت

٣٢٧- وخرج البخارى ومسلم ، عن أبى هريرة ، قال : أرسل ملك الموت

إلى موسى عليه(الصلاة و)السلام ، فلما جاء صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه ، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إليه ، وقل له : يضع يده على متن جلد ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أى رب، ثم مه ؟ قال : ثم الموت قال ، فالآن ، فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية حجر فقال رسول الله ﷺ : « لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر » .

وفى رواية ، قال : جاء ملك الموت إلى موسى عليه(الصلاة و)السلام ، فقال له : أجب ربك ؛ قال : فلطم موسى عين الملك ففقأها ، وذكر نحوه .

[حديث صحيح]

[فجئ فضل الموت فجئ المدينة المنورة]

٣٢٨- قال الترمذى ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإنني أشفع لمن مات بها » صححه أبو محمد عبد الحق [حديث صحيح] .

٣٢٩- وفى الموطأ أن عمر رضى الله عنه ، كان يقول : « اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ووفاة فى بلد نبيك » [خبر صحيح] .

٣٣٠- وكان سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ؛ قد عهدا أن يحملا من العقيق إلى البقيع مقبرة المدينة فيدفنا بها ، وذلك- والله أعلم- لفضل علموه هناك ؛ قال : فإن فضل المدينة غير منكور ولا مجهول ؛ ولو لم يكن إلا مجاورة الصالحين والفضلاء من الشهداء وغيرها لكفى .

٣٣١- وروى عن كعب الأحبار أنه قال لبعض أهل مصر : لما قال له : هل لك من حاجة؟ فقال : نعم ، جراب من تراب سفح المقطم ؛ يعنى : جبل مصر ؛ قال فقلت له : يرحمك الله ، وما تريد منه ؟ قال : أضعه فى قبرى ، قال له : تقول هذا وأنت بالمدينة وقد قيل فى البقيع ما قيل : قال ، إنا نجد فى الكتاب الأول أنه مقدس ما بين القصير إلى اليعحوم .

٣٣٢- **فصله** : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : البقاع لا تقدر أحداً ولا تطهره ، وإنما الذى يقدره من وضر الذنوب ودينها التوبة النصوح مع الأعمال الصالحة ، أما إنه قد يتعلق بالبقعة تقديس ما ، وهو إذا عمل العبد فيها عملاً صالحاً ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تكفر سيئاته ، وترجح ميزانه ، وتدخله الجنة ، وكذلك تقديسه إذا مات على معنى التتبع لصالح (العمل) ، لا أنها توجب التقديس ابتداء .

٣٣٣- وقد روى مالك ؛ عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : ما أحب أن أدفن بالبقيع ، لأن أدفن فى غيره أحب إلى . ثم بين العلة ، فقال : مخافة أن تنبش لى عظام رجل صالح ؛ أو نجاور فاجراً ، وهذا تستوى فيه سائر البقاع ، فدل على أن الدفن بالأرض المقدسة ليس بالمجمع عليه ، وقد يستحسن الإنسان أن يدفن بموضع قرابته وإخوانه وجيرانه ، لا لفضل ولا لدرجة .

فصله : إن قال قائل : كيف جاز لموسى عليه (الصلاة و)السلام أن يقدم على ضرب ملك الموت حتى فققاً عينه ؟ فالجواب من وجوه ستة :

الأول : أنها كانت عيناً متخيلة ، لا حقيقة لها ، وهذا القول باطل ، لأنه يؤدى إلى أن ما يراه الأنبياء ، من صور الملائكة لا حقيقة لها ، وهذا مذهب السامية .

الثانى : أنها كانت عيناً معنوية فققاً بالحجة ، وهذا مجاز لا حقيقة له .

الثالث : أنه لم يعرفه ، وظنه رجلاً دخل منزله بغير إذنه ، يريد نفسه فدافع عنها ، فلطمه : فققاً عينه ، وتجب المدافعة فى مثل هذا بكل ممكن ، وهذا وجه حسن ، لأنه حقيقة فى العين والصلك ، قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة إلا أنه اعترض بما فى الحديث نفسه ، وهو أن ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام لما رجع إلى الله تعالى ، قال : يا رب أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ، فلو لم يعرفه موسى لما صدر هذا القول من ملك الموت .

الرابع : أن موسى عليه السلام كان سريع الغضب ، وسرعة غضبه كانت سبباً لصلكه ملك الموت ؛ قاله ابن العربي فى الأحكام ، وهذا فاسد ، لأن الأنبياء معصومون أن يقع منهم ابتداء مثل هذا فى الرضا والغضب .

الخامس : ما قاله ابن مهدي - رحمه الله - : أن عينه المستعارة ذهبت لأجل أنه جعل له أن يتصور بما شاء ، فكأن موسى عليه (الصلاة و) السلام لطمه وهو متصور بصورة غيره بدلالة أنه رأى بعد ذلك معه عينه .

السادس : وهو أصبحها إن شاء الله (تعالى) ، وذلك أن موسى عليه (الصلاة و) السلام كان عنده ما أخبر نبينا عليه (الصلاة و) السلام من أن الله تعالى لا يقبض روحه حتى يخبره - خرجه البخاري وغيره - فلما جاءه ملك الموت على غير الوجه الذي أعلم بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه ، فلطمه ففقت عينه امتحاناً لملك الموت . إذ لم يصرح له بالتخيير ، ومما يدل على صحة هذا : أنه لما رجع إليه ملك الموت فخبره بين الحياة والموت ، اختار الموت ، واستسلم ، والله بغيبه أعلم وأحكم ، وذكره ابن العربي في قبسه بمعناه والحمد لله [حديث صحيح] .

٣٣٤- وقد ذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نواذر الأصول حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك الموت عليه (الصلاة و) السلام يأتي الناس عياناً ، حتى أتى موسى عليه (الصلاة و) السلام فلطمه ففقاً عينه » الحديث بمعناه ، وفي آخره « فكان يأتي الناس بعد ذلك في خفية » [حديث صحيح] .

باب يختار للميت قومه طالحون يكون معهم

٣٣٨- فصل : قال علماؤنا : ويستحب لك - رحمك الله - أن تقصد بميتك قبور الصالحين ، ومدافن أهل الخير ، فتدفنه معهم وتنزله بإزائهم ، وتسكنه في جوارهم ، تبركاً بهم ، وتوسلاً إلى الله عز وجل بقربهم ، وأن تجتنب به قبور من سواهم ، ممن يخاف التأذي بمجاورته ، والتألم بمشاهدة حاله حسب ما جاء في الحديث .

٣٣٩- ويروى أن امرأة دفنت بقرطبة - أعادها الله (للإسلام) - فأتت أهلها في النوم فجعلت تعتبهم ، وتشكوهم ، وتقول : ما وجدتم أن تدفنوني إلا إلى فرن الجير فلما أصبحوا نظروا فلم يروا في ذلك الموضع كله ولا بقربه فرن جير ، فبحثوا وسألوا عن من كان مدفوناً بإزائها ؟ فوجدوه رجلاً سيفاً كان لابن عامر وقبره إلى قبرها ، فأخرجوها من جواره ذكر هذا أبو محمد عبد الحق في كتاب (العاقبة) له .

وعن أعرابي أنه قال لولده : ما فعل الله بك ؟ قال : ما ضرني إلا أني دفنت
بإزاء فلان ، وكان فاسقاً ، قد روعني ما يعذب به من أنواع العذاب .

باب ما جاء أن الموتك يتزاورون في قبورهم

واستحسان الكفن لذلك

٣٤٢- وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن رسول
الله ﷺ : « إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه » [حديث صحيح] .

باب ما جاء في كلام القبر كل يوم

وكلامه للعبد إذا وضع فيه

٣٤٤- وخرج هناد بن السرى قال : حدثنا حسين الجعفي ، عن مالك ابن
مغول ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لساناً ينطق به فيقول :
ابن آدم ، كيف نسيتني ؟ أما علمت أني بيت (الأكلة وبيت) الدود ، وبيت الوحدة ،
وبيت الوحشة ؟ [خبر صحيح] .

٣٤٥- قال : وحدثنا وكيع ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الله بن عبيد بن
عمير قال : إن القبر ليكي ويقول في بكائه : أنا بيت الوحشة ، وأنا بيت الوحدة وأنا
بيت الدود [خبر صحيح] .

٣٤٦- وذكر أبو عمر بن عبد البر ، روى يحيى بن جابر الطائي ، عن ابن
عائذ الأزدي عن غضيف بن الحارث قال : أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد
ابن عمير ، قال : فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول : إن القبر
يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ، ما غرك بي ؟ ! ألم تعلم أني بيت
الوحدة ؟ ألم تعلم أني بيت الظلمة ؟ ألم تعلم أني بيت الحق ؟ يا ابن آدم ، ما غرك
بي ؟ ! لقد كنت تمشى حولي فداداً ، قال ابن عائذ : قلت لغضيف : ما الفداد يا أبا
إسماعيل ؟ قال : كبعض مشيتك يا ابن اخي . قال غضيف : فقال صاحبي - وكان
أكبر مني - لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمناً فماذا له ؟ قال : يوسع له في قبره
ويجعل منزله أخضر ، ويعرج بروحه إلى السماء ، ذكره في كتاب (التمهيد)

[خبر صحيح] .

٣٤٨- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا داود بن نافذ قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بلغني أن الميت يقعد في حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شيء أول من (يكلمه) حفرته فتقول : ويحك يا ابن آدم ، أليس قد حذرتني ، وحذرت ضيقي ، وظلماتي ، وثنيتي ، وهولي ، هذا ما أعددت لك فما أعددت لي ؟ الوخط والوخذ : سرعة السير في المشى [خبر صحيح] .

٣٤٩- وقال سفيان الثوري : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره ، وجده حفرة من حفر النار .

٣٥٠- وقال أحمد بن حنبل : تتعجب الأرض ممن يمهد مضجعه ، ويسوى فراشه للنوم ، وتقول : يا ابن آدم ، ألا تذكر طول رقائك في جوفى ، وما بينى وبينك شيء؟ .

٣٥١- وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظاات ؟ قال : النظر إلى محلة الأموات .

٣٥٢- ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول :

وعظمتك أجدات صمت ونعمتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى وعن صور سببت
وأرتك نفسك في القبور وأنت حى لم تمت

٣٥٣- وروى عن الحسن البصرى أنه قال : كنت خلف جنازة فاتبعتها ، حتى وصلوا بها إلى حفرتها ، فنادت امرأة فقالت : يا أهل القبور ، لو عرفتم من نقل إليكم لأعزتموه ؟ قال الحسن : فسمعت صوتاً من الحفرة وهو يقول : قد والله نقل إلينا بأوزار كالجبال وقد أذن لى أن آكله حتى يعود رميماً ، قال : فاضطربت الجنازة فوق النعش . وخر الحسن مغشياً عليه .

باب ما جاء في ضغط القبر على صاحبه وإن كان

صالحاً

٣٥٤- النسائي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ،

لقد ضم ضمة ثم فرج عنه « قال أبو عبد الرحمن النسائي يعنى: سعد بن معاذ .
[حديث صحيح]

٣٥٥- ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين -رضى
الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها
سعد بن معاذ » [حديث صحيح] .

٣٥٦- وذكر هناد بن السرى ، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن أبي
مليكة قال : ما أجير من ضغطة القبر أحد . ولا سعد بن معاذ ، الذى منديل من
مناديله خير من الدنيا وما فيها [خبر صحيح] .

٣٥٧- قال : وحدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال: ولقد بلغنى
أنه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ، لم ينزلوا إلى الأرض قط .
ولقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « لقد ضم صاحبكم فى القبر ضمة »
[خبر صحيح] .

٣٥٨- وخرج علي بن معبد فى كتاب (الطاعة والمعصية) عن نافع قال :
أتينا صفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهى فزعة . فقلنا : ما شأنك ؟ قالت
: جئت من عند نساء النبى ﷺ فحدثتنى أن رسول الله ﷺ قال : « إن كنت
لأرى أن أحداً لو أعفى من عذاب القبر لأعفى منه سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمة »
[صحيح لغيره] .

٣٦٠- وخرج أيضاً بسنده عن إبراهيم الغنوى عن رجل ، قال : كنت عند
عائشة (رضى الله عنها) فمرت جنازة صبى صغير فبكت ، فقلت لها : ما يبكيك يا
أم المؤمنين؟ فقالت: هذا الصبى بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر.
قلت : وهذا الخير ، وإن كان موقوفاً على عائشة -رضى الله عنها- ، فمثله لا
يقال من جهة الرأى .

باب منه وما جاء أن المهيت يعذب ببكاء أهله عليه

وهو من نثر الناس له

٣٦٣- فصله : قال علماؤنا -رحمة الله عليهم- : قال بعض العلماء أو

[٨٧/ صحيح التذكرة / صحابة]

أكثرهم : إنما يعذب الميت ببكاء الحى (عليه)، إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره،
كما قال :

إذا مت فنانعيني بما أنا أهله وشقى على الحبيب يا ابنة معبد

٣٦٤- وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب (الاستيعاب) من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « الميت يعذب ببكاء الحى عليه ، إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصره ، واكاسياه ، جبد الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ » [حديث حسن] .

٣٦٥- وذكر البخارى من حديث النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى ، وتقول : واجبلاه ، واكذا ، واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لى : أنت كذلك ؟ فلما مات لم تبك عليه وهذا أيضا لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة ، ولا من اختياره ، ولا بما أوصى به ، (فنصابه) فى الدين أجل وأرفع من أن (كان) يأمر بهذا أو يوصى به [خبر صحيح] .

٣٦٦- وروى أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث منصور بن زاذان ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليعذب الميت بصياح أهله عليه » فقال له رجل : يموت بخراسان ويناح عليه ها هنا ؟ فقال عمران : صدق رسول الله ﷺ وكذبت .

قال المؤلف- رضى الله عنه - : وهذا بظاهاه أن بنفس الصياح يقع التعذيب وليس كذلك ، وإنما هو محمول على ما ذكرناه . والله أعلم .

وقال الحسن : إن من شر الناس للميت : أهله يكون عليه ، ولا يقضون دينه [حديث صحيح] .

باب ما يقال عند وضع الميت فى قبره

وفى اللحد فى القبر

اللحد : هو أن يحفر للميت فى جانب القبر . إن كانت الأرض صلبة، وهو أفضل من الشق فإنه الذى اختاره الله لنبيه ﷺ .

٣٦٨- روى ابن ماجه عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، بعثوا إلى أبي عبيدة ، وكان يضرح كضريح أهل مكة ، وبعثوا إلى أبي طلحة وكان هو الذى يحفر لأهل المدينة ، وكان يلحد . فبعثوا إليهما رسولين ، قالوا : اللهم خذ لرسولك ، فوجدوا أبا طلحة فجاء به ، ولم يوجد أبو عبيدة فلحد لرسول الله ﷺ [خبر صحيح لغيره] .

٣٦٩- وروى أبو داود عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «اللحد لنا ، والشق لغيرنا» خرجه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن غريب ، وأنشدوا :
ضعوا خدى على لحدى ضعوه ومن عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكفانا رقاقا وفى الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصر تموه إذا تقضت صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظرمقلتيه على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا : هذا فلان هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدى تقادم عهده فنسيتموه
وقال آخر :

وألحدوا محبوبهم وانثنوا وهمهم تحصيل ما خلفا
وغادروه مسلماً مفرداً فى رمسه رهناً بما أسلفا
ولم يزود من جميع الذى باع به أخراة إلا لفنا
[حديث حسن]

باب الوقوف عند القبر

قليلاً بعد الكفن والكماء بالثببت له

٣٧٤- مسلم عن ابن شماسه المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت ، الحديث ، وفيه : « فإذا دفنتمونى فثنوا على التراب شناً ، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا

أراجع به رسل ربي عز وجل؟» أخرجه ابن المبارك بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة [خبر صحيح] .

٣٧٥- قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماسه حدثه وقال فيه : وشدوا على إزارى فإنى مخاصم ، وشنوا على التراب شناً فإن جنبى الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجراً وإذا وارىتمونى فاقعدوا عند قبرى قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم [خبر صحيح] .

٣٧٦- أبو داود عن عثمان بن عفان -رضى الله عنه- قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، وقال : « استغفروا لأخيكم واسألوا له بالثبیت فإنه الآن يسأل » [حديث حسن] .

٣٧٩- فصل : قال الأجرى أبو بكر ، محمد بن الحسين فى كتاب النصيحة : يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً ، والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات ، فيقال : اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ، ولا نعلم منه إلا خيراً ، وقد أجلسته لتسأله ، اللهم فثبته بالقول الثابت فى الآخرة ، كما ثبتته فى الحياة الدنيا ، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره ، قال أبو عبد الله الترمذى : فالوقوف على القبر وسؤال الثبیت فى وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة ، لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له ، والوقوف على القبر لسؤال الثبیت مدد للعسكر وتلك ساعة شغل للميت ، لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة فتانى القبر - على ما يأتى - والجزور بفتح الجيم من الإبل . والجزرة من الضأن والمعز خاصة . قاله فى الصحاح .

٣٨٠- فصل : قول عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فإذا أنا مت فلا تصحبى نائحة ولا نار . توصية منه باجتنب هذين الأمرين ، لأنهما من عمل الجاهلية ونهى النبى ﷺ .

وقال العلماء : ومن ذلك الضجيج بذكر الله سبحانه وتعالى أو بغير ذلك حول الجنائز والبناء على المقابر ، والاجتماع فى الجبانات والمساجد للقراءة وغيرها لأجل الموتى وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت ، وصنعة الطعام ، والمبيت عندهم ،

كل ذلك من أمر الجاهلية ونحو منه الطعام الذى يصنعه أهل الميت اليوم فى يوم السابع، فيجتمع له الناس يريدون بذلك القربة (للميت و)الترحم عليه . وهذا محدث لم يكن فيما تقدم ، ولا هو مما يحمده العلماء . قالوا : وليس ينبغي للمسلمين أن يقتدوا بأهل الكفر، وينهى كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا وشبهه من لطم الخدود ، ونشر الشعور، وشق الجيوب واستماع النوح ، وكذلك الطعام الذى يصنعه أهل الميت كما- ذكرنا - فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لا خلاق لهم [خبر صحيح] .

٣٨١- وقال أحمد بن حنبل: هو من فعل (أهل) الجاهلية ، قيل له : أليس قد قال النبى ﷺ اصنعوا لآل جعفر طعاماً؟ فقال : لم يكونوا هم اتخذوا، إنما اتخذ لهم، فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه ، ولا يرخص لهم ، فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى -الله عز وجل-، وأعانهم على الإثم والعدوان ، والله تعالى يقول: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

قال العلماء : معناه أدبهم وعلموهم [حديث صحيح] .

٣٨٢- وروى ابن ماجه فى سننه عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة وفى حديث شجاع بن مخلد قال : كانوا يرون إسناده صحيح ، وذكر الخرائطى عن هلال بن خباب ، قال : الطعام على الميت من أمر الجاهلية [خبر صحيح] .

٣٨٣- وخرج الآجرى عن أبي موسى قال : ماتت أخت لعبد الله بن عمر ، فقلت لامرأتى : اذهبي فعزيهم وبيتى عندهم ، فقد كان بيننا وبين آل عمر الذى كان ، فجاءت ، فقال : ألم أمرك أن تبتى عندهم؟ فقالت : أردت أن أبيت ، فجاء ابن عمر فأخرجنا ، وقال : اخرجن لا تبتن أختى بالعذاب ، وعن أبي البخترى قال : بيتوتة الناس عند أهل الميت ليست إلا من أمر الجاهلية .

٣٨٥- قال رسول الله ﷺ : « إنك لا تدع شيئاً إلا عوضك الله خيراً منه .

[حديث صحيح] .

٣٨٧- فصل: ومن هذا الباب ما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »

[حديث صحيح] .

٣٨٨- وفيهما أيضاً عن أبي بردة بن أبي موسى قال : وجع أبو موسى وجعاً فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال : إني برئ من برئ من برئ منه رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالفة والخالقة والشاقة [حديث صحيح] .

٣٨٩- وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بردة بن أبي موسى قالوا : أغمى على أبي موسى وأقبلت امرأته تصيح برنة، قالوا : ثم أفاق، قال : ألم تعلمي - وكان يحدثها - أن رسول الله ﷺ قال : « أنا برئ من حلق و سلق و خرق » ؟ [حديث صحيح] .

٣٩٠- ابن ماجه عن أبي أمامة : أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها ، والشاقة جيها ، والداعية بالويل والثبور . إسناده صحيح [حديث صحيح] .

٣٩١- وقال حاتم الأصم : إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه ، وأظهر حزنه ، فعزيمته فقد أشركته في إثمه وإنما هو صاحب منكر، يحتاج أن تنهاه .

٣٩٢- قال أبو سعيد البلخي : من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدرأ، فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل وأنشدوا :

عجبت لجازع ، باك مصاب بأهل أو حميم ذى اكتئاب
شقيق الجيب داعى الويل جهلاً كأن الموت كالشيء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى نبى الله منه لم يحاب
له ملك ينادى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

باب ما جاء في تلقين الإنسان بعد موته

شهادة الإخلاص في لحظه

٣٩٦- قال المؤلف (رحمه الله): قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي : ينبغي أن يرشد الميت في قبره حيث يوضع فيه إلى جواب السؤال، ويذكر بذلك فيقال له : قل : الله ربي . والإسلام ديني ، ومحمد رسولي ، فإنه عن ذلك

يسأل ، كما جاءت به الأخبار على ما يأتي إن شاء الله ، وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك ، فيقال : قل : هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب (عليه) ، ولا يعارض هذا بقوله تعالى : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ ، وقوله : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾

٣٩٧- لأن النبي ﷺ قد نادى أهل القلب وأسمعهم وقال : « ما أنتم بأسمع منهم ، ولكنهم لا يستطيعون جواباً » [حديث صحيح] .

٣٩٨- وقد قال في الميت : « إنه ليسمع قرع نعالهم ، وأن هذا يكون في حال دون حال ووقت دون وقت » . وسيأتي استيفاء هذا المعنى في باب : (ما جاء أن الميت يسمع ما يقال) : إن شاء الله (تعالى) [حديث صحيح] .

باب فجد نسيان أهل الميت ميتهم وفجد الأمل والغفلة

٤٠٠- ويروى أن الله -عز وجل- لما مسح على ظهر آدم عليه (الصلاة والسلام)، فاستخرج ذريته قالت الملائكة : رب ، لا تسعهم الأرض ، قال الله تعالى : « إني جاعل موتاً » : قالت : رب لا يهنيهم العيش ، قال : « إني جاعل أملاً » فالأمل رحمة من الله تعالى ينتظم به أسباب المعاش ، ويستحكم به أمور الدنيا ، ويتقوى به الصانع على صنعته ، والعابد على عبادته ، وإنما يذم من الأمل ما امتد وطبال ، حتى أنسى العاقبة وثبط عن صالح الأعمال ، قال الحسن : الغفلة والأمل : نعمتان عظيمتان على ابن آدم ، ولولاها ما مشى المسلمون في الطرق . يريد : لو كانوا من التيقظ ، وقصر الأمل ، وخوف الموت بحيث لا ينظرون إلى معاشهم ، وما يكون سبباً لحياتهم . لهلكوا ونحوه . وقال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى ؟ لخشيت ذهاب عقلي ، ولكن الله سبحانه من على عباده بالغفلة عن الموت ، لولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق .

باب [ما جاء] فجد رحمة الله [تعالاه] بهبده إذا أدخل فجد قبوه

٤٠١- قال عطاء الخراساني : أرحم ما يكون الرب بعبده ، إذا دخل في قبره

وتفرق الناس عنه وأهله ، وروى عن ابن عباس مرفوعاً .

٤٠٢- وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبي أمامة الباهلي بالشام ، فدخلت يوماً على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده عم له وهو يقول : يا عدو الله ، ألم أمرك؟ ألم أنكه؟ فقال الفتى : يا عماه لو أن الله (تبارك وتعالى) دفعني إلى والدتي ، كيف كانت صانعة بي؟ قال : تدخلك الجنة ، قال : الله أرحم بي من والدتي ، وقبض الفتى ، فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفزع ، قلت له مالك؟ قال : فسح له في قبره ، وملىء نوراً [إسناده حسن] .

٤٠٣- وكان أبو سليمان الداراني يقول في دعائه : يا من لا يأنس بشيء أبغاه ، ولا يستوحش من شيء أفناه ، ويا أنيس كل غريب ، ارحم في القبر غربتي ، ويا ثاني كل وحيد ، أنس في القبر وحدتي ، ولقد أحسن أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مفاوز السلمى الكاتب أحد البلغاء بشرق الأندلس حيث يقول :

أيها الواقف اعتباراً بقبرى استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوبى وآيسوا من نعميم
قلت : لا تجزعوا على فىنى حسن الظن بالرؤوف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهيننا غلق الرهن عند مولى كريم

باب متكد يرتفع ملك الموت عن الهب؟

وبيان قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾

وقوله تعالى: ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾

٤٠٦- ووجد بمدينة قرطبة على قبر الوزير الكبير أبي عامر بن شهيد مكتوباً ، وهو مدفون بإزاء صاحبه الوزير أبي مروان الزجاجي ، وكأنه يخاطبه ودفنا في بستان كانا كثيراً ما يجتمعان فيه :

يا صاحبي قم فقد أطلنا نحن طول المدى هجود؟

فقال لى : لن نقوم منها ما دام من فوقنا الصعيد
نذكركم ليلة نعمنا في ظلها والزمان عيد ؟
وكم ينير همى علينا سحابة ثرة بجود ؟
كل كأن لم يكن تقضى وشؤمه حاضر عتيد
حصلة كاتب حفيظ وضمه صادق شديد
يا حسرتا إن تنكبنا رحمة من بطشه شديد
يا رب عفواً فأنت مولى قصر فى حقه العبيد

باب فجد سؤال الملكين للعبد

وفجد التهوؤ من عذاب القبر وعذاب النار

٤٠٧- البخارى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً » ، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره أربعون ذراعاً ، قال مسلم : سبعون ذراعاً ، ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون ثم رجع إلى حديث أنس قال : « أما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ، ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » .

قلت : ليس عند مسلم ، ثم رجع إلى حديث أنس إلى آخره وإنما هو عند البخارى ، فحديثه أكمل . وقول الملكين « ولا تليت » :

قال النحويون : الأصل فى هذه الكلمة : الواو ، أى ولا تلوت إلا أنها قلبت ياء ليتبع بها دريت ، وقد جاء من حديث البراء : « لا دريت ولا تلوت » على ما رواه الإمام أحمد بن حنبل ، أى : لم تدر ولم تتل القرآن ، فلم تنتفع بدرايتك ولا تلاوتك [حديث صحيح] .

عند قوله مرزبة من حديد : « لو اجتمع عليه الثقلان لم ينقلوها فيضرب بها ضربة فيصير ترابا، ثم تعاد فيه الروح ، فيضرب بها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين ، ثم يقال : افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار » وزاد فيه عند قوله : وانقطاع من الدنيا : «نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار وسراييل من قطران يحنوشونه فتنتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل يقطع معه عروقها ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك فى السماء وكل ملك فى الأرض » [حديث صحيح] .

٤١٧- وخرج أبو عبد الرحمن النسائي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجى راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض؟ فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ فيقولون : دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال : ما أناكم؟ قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية ، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجى ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح خبيثة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون : ماأنتن هذه الريح ؟ حتى يأتوا به أرواح الكفار » [حديث صحيح] .

٤١٨- وخرج أبو داود الطيالسى قال : حدثنا حماد عن قتادة ، عن أبي الجوزاء ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة فتسلم ، وتسلم نفسه فى حريرة بيضاء، فيقولون : ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه فيسألونه فيقولون : ارفقوا به فإنه خرج من غم الدنيا فيقولون: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ قال: « وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض: ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيهبط به إلى أسفل الأرض » . [حديث صحيح] .

الرد على الملحدة :

قلت : وهنا فصول ستة فى الرد على الملحدة :

٤٠٨- ابن ماجه ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشغوف ، ثم يقال له : فيم كنت ؟ فيقول : كنت في الإسلام فيقال : ما هذا الرجل ؟ فيقول : محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول : لا ، وما ينبغي لأحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله ، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك .

ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مرعوباً فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : ما هذا الرجل ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلته . فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرفه الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال : هذا مقعدك ، على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى [حديث صحيح] .

٤٠٩- الترمذي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أقبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير . فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقول فيه : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نعم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً ، فقلت مثله : لا أدري ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض : التئمي عليه ، (فتلتئم عليه) ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » قال : حديث حسن غريب [حديث حسن] .

٤١٠- أبو داود عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل نخلاً لبني النجار ، فسمع صوتاً ففزع ، فقال : « من أصحاب هذه القبور ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ناس ماتوا

فى الجاهلية ، فقال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال » قالوا : ومم ذاك يا رسول الله ؟ قال : « إن المؤمن إذا وضع فى قبره أتاه ملك فىقول له : ما كنت تعبد ؟ فإن هداه الله ، قال : كنت أعبد الله فىقال : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فىقول : هو عبد الله ورسوله ، فما يسأل عن شىء غيرها ، فىنطلق به إلى بيت كان له فى النار . فىقال له : هذا بيتك كان فى النار ، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك بيتاً فى الجنة فىقول : دعونى حتى أذهب فأبشر أهلى فىقال له : اسكن » .

وإن الكافر إذا وضع فى قبره أتاه ملك فىنتهره فىقول(له) : ما كنت تعبد؟ فىقول : لا أدرى ،(فىقال له : لا دريت ، ولا تليت فىقال (له) : ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فىقول : لا أدرى) ، كنت أقول كما فىقول الناس ، فىضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فىصيح صيحة فىسمعها الخلق غير الثقلين» .

[حديث صحيح]

٤١١- وخرج أبو داود أيضاً عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فىقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثاً ، قال : « وإنه لىسمع خفق نعالمهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وقال : « ويأتيه ملكان فىجلسانه فىقولان له : من ربك ؟ فىقول : ربه الله ، فىقولان : ما دينك ؟ فىقول : دىنى الإسلام ، فىقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فىكم ؟ قال : فىقول : هو رسول الله ، فىقولان له : وما يدريك ؟ قال : قرأت كتاب الله فأمنت وصدقته » قال : « فىنادى مناد من السماء : أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة » قال : « فىأتيه من روحها وطيبها » قال : « فىفسح له مد بصره » .

قال : وإن الكافر فذكر موته قال : « وتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فىجلسانه فىقولان له : من ربك ؟ فىقول : هاه هاه لا أدرى فىقولان : ما هذا الرسول الذى بعث فىكم ؟ فىقول : هاه هاه . لا أدرى . قال : فىنادى مناد : أن كذب

عبدى، فأفرشوه من النار وألبسوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار» قال : « فيأتيه من حرها وسمومها » قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه » زاد فى حديث جرير قال : « ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً » قال : « فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ، ثم تعاد فيه الروح » [حديث صحيح] .

٤١٣- وفى الأخبار : أن من الناس من يستحيل عمله خنوفاً - وهو ولد الخنزير - ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : نبيى محمد ، لأنه كان ناسياً لسننته ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول الكعبة قبلتى ، لقلعة تحريه فى صلاته ، أو فساده فى وضوئه ، أو التفات فى صلاته ، أو اختلال فى ركوعه وسجوده ، ويكفيك ما روى فى فضائلها ، أن الله لا يقبل صلاة من عليه صلاة ، ومن عليه ثوب حرام ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : إبراهيم أبى ، لأنه سمع كلاماً يوماً أو همه أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ، فإذا هو شاك مرتاب ، فيفعل به ما يفعل بالآخرين وقال أبو حامد : وكل هذه الأنواع كشفناها فى كتاب (الإحياء) .

وأما الفاجر فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : لا أدري ا فيقولان له : لا دريت ، ولا عرفت ، ثم يضربانه بتلك المقامع حتى (يتجلجل) فى الأرض السابعة ، ثم تنفضه الأرض فى قبره ، ثم يضربانه سبع مرات ، ثم تفترق أحوالهم . فمنهم من يستحيل عمله كلباً ينهشه حتى تقوم الساعة ، وهم الخوارج ، ومنهم من يستحيل خنزيراً يعذب به فى قبره وهم المرتابون ، وهم أنواع ، وأصله أن الرجل إنما يعذب فى قبره بالشيء الذى كان يخافه فى الدنيا ، فمن الناس من يخاف من الجرو أكثر من الأسد وطباع الخلق متفرقة ، نسأل الله السلامة والغفران . قبل الندامة .

٤١٤- فصل : جاء فى حديث البخارى ومسلم : سؤال الملكين ، وكذلك فى حديث الترمذى ونص على اسميهما وعتهما ، وجاء فى حديث أبى داود : سؤال ملك واحد ، وفى حديثه الآخر : سؤال ملكين ولا تعارض فى ذلك والحمد لله ، بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص فرب شخص يأتيانه جميعاً ، ويسألانه جميعاً فى حال واحد عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهون والفتنة فى حقه أشد وأعظم وذلك بحسب ما اقتترف من الآثام واجترح من سبب الأعمال ،

وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخف في السؤال وأقل في المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الأعمال .

وقد يحتمل حديث أبي داود وجهاً آخر وهو : أن الملكين يأتيان جميعاً ويكون السؤال أحدهما ، وإن تشاركوا في الإتيان فيكون الراوى اقتصر على الملك السؤال وترك غيره ، أنه لم يقل في الحديث أنه لا يأتيه إلى قبره إلا ملك واحد ، ولو قاله هكذا صريحاً لكان الجواب عنه ما قدمناه من أحوال الناس . والله أعلم . وقد يكون من الناس من يوقى فتنتهما ولا يأتيه أحد منهما على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

واختلفت الأحاديث أيضاً في كيفية السؤال والجواب . وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس ، فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها ، فلا تناقض . ووجه آخر هو : أن يكون بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال ، فيكون الإنسان مسؤولاً عن الجميع . كما جاء في حديث البراء المذكور والله أعلم . وقول المسؤل : هاه هاه هى حكاية صوت المبهور من تعب أو جرى أو حمل ثقيل.

باب ذكر حديث البراء المشهور

الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم

٤١٥- أخرج أبو داود الطيالسى وعبد بن حميد في مسنديهما ، وعلى بن معبد في (كتاب الطاعة والمعصية) ، وهناد بن السرى فى زهده ، وأحمد بن حنبل في (مسنده) وغيرهم ، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة، تهتم بتخريج طرقة على بن معبد . فأما أبو داود الطيالسى فقال : حدثنا أبو عوانة عن الأعمش ، قال هناد وأحمد : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، وقال أبو داود: حدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء - يعنى ابن عازب - وحديث أبى عوانة أتمهما ، وقال البراء : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فأنتهينا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله ، كأنما على رؤوسنا الطير ، وقال عمرو بن ثابت : وقع ، ولم يقله أبو

عوانة ، فجعل يرفع بصره، وينظر إلى السماء، ويخفض بصره، وينظر إلى الأرض ثم قال : «أعوذ بالله من عذاب القبر» قالها مراراً ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول اخرجي أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السماء» قال : عمرو فى حديثه : ولم يقله أبو عوانة : « وإن كنتم ترون غير ذلك ، وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، ومعهم أكفان من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوطها ، فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين» قال : « فذلك قوله تعالى : ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ قال : فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت ، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذه الروح ؟ فيقال فلان ، بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به أبواب سماء الدنيا ، فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى إلى السماء السابعة ، فيقال : اكتبوا كتابه فى عليين ﴿ وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهد المقربون ﴾ فيكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال : رده إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم ، وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى ، وقال : فيرد إلى الأرض ، وتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله ودينى الإسلام ، فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله . فيقولان : وما يدريك ؟ فيقول : جاءنا بالبينات من ربنا فأمنت به وصدقت ، قال : وذلك قوله تعالى : ﴿ يشهد الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ قال : وينادى منادى السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وأروه منزله منها ويفسح له مد بصره ، ويمثل عمله له فى صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب ، فيقول : أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول : بشرك الله بخير ، من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالخير ؟ فيقول : هذا يومك الذى كنت

توعد أو الأمر الذى كنت توعد، أنا عمك الصالح فوالله ما علمتكم إلا كنت سريعاً فى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً . فيقول يا رب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى قال : « فإن كان فاجراً وكان فى إقبال من الدنيا وانقطع من الآخرة جاء ملك ، فجلس عند رأسه فقال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة أبشرى بسخط من الله وغضبه ، فتنزل الملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين ، قال : فتفرق فى جسده فيستخرجها ، تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبتل ، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنن جيفة وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض ، إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : هذا فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم ، فيقولون : ردوه إلى الأرض إنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال : فيرمى به من السماء . قال : وتلا هذه الآية : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ ، قال : « فيعاد إلى الأرض وتعاد فيه روحه ، ويأتيه ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول : لا أدرى ، فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فلا يهتدى لاسمه فيقال : محمد ، فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك قال : فيقال : لا دريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب ، فيقال : أبشر بعذاب الله وسخطه ، فيقول : من أنت فوجهك الذى جاء بالشر ؟ فيقول : أنا عمك الخبيث فوالله ما علمتكم إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله » .

قال عمرو فى حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى ﷺ : « فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب بها جبل صار تراباً » أو قال : « رميما فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى » لفظ أبى داود الطيالسى وخرجه علي بن معبد الجهنى من عدة طرق بمعناه : وزاد فيه : « ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد فيضربه بها ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره ثم يعاد فيضربه ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره » وزاد فى بعض طرقه

الفصل الأول

تأمل يا أخى وفقنى الله وإياك هذا الحديث وما قبله من الأحاديث ، ترشدك إلى أن الروح والنفس شيء واحد وأنه جسم لطيف مشابه للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج . وفى أكفانه يلف ويدرج ، وبه إلى السماء يعرج ، ولا يموت ولا يفنى وهو مما له أول ، وليس له آخر . وهو بعينين ويدين وأنه ذو ريح طيب وخبِيث وهذه صفة الأجسام لا صفة الأعراض.

٤١٩- وقد قال بلال فى حديث الوادى : أخذ بنفسى يا رسول الله الذى أخذ بنفسك . وقال رسول الله ﷺ مقابلاً له فى حديث زيد بن أسلم فى حديث الوادى : « يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها إلينا فى حين غير هذا » وقال رسول الله ﷺ : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » وقال : « فذلك حين يتبع بصره نفسه » وهذا غاية فى البيان ، ولا عطر بعد عروس ، وقد اختلف الناس فى الروح اختلافاً كثيراً ، أصح ما قيل فيه : ما ذكرناه لك وهو مذهب أهل السنة : أنه جسم ، فقد قال الله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ . قال أهل التأويل : يريد الأرواح ، وقد قال تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾ يعنى النفس عند خروجها من الجسد ، وهذه صفة الجسم ولم يجز لها ذكر فى الآية لدلالة الكلام عليها ، كقول الشاعر :

أما وى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

وكل من يقول : إن الروح يموت ويفنى فهو ملحد . وكذلك من يقول : بالتناسخ أنها إذا خرجت من هذا ركبت فى شيء آخر : حمار أو كلب أو غير ذلك ، وإنما هى محفوظة بحفظ الله إما منعمة وإما معذبة . على ما أتى بيانه إن شاء الله تعالى [حديث صحيح وإسناده مرسل] .

الفصل الثانى

الإيمان بعذاب القبر وفتنته : واجب . والتصديق به : لازم حسب ما أخبر به الصادق ، وأن الله تعالى يحيى العبد المكلف فى قبره برد الحياة إليه ويجعله من العقل

فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له فى قبره من كرامة أو هوان . وبهذا نطقت الأخبار عن النبى المختار ﷺ وعلى آله أثناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة. ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه (الصلاة و)السلام غير ما ذكرنا . وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا .

وفى حديث البراء : « فتعاد روحه فى جسده » وحسبك : وقد قيل : إن السؤال والعذاب إنما يكون على الروح دون الجسد ، وما ذكرناه لك أولاً أصح والله أعلم [حديث صحيح] .

الفصل الثالث

أنكرت الملحدة ومن تمذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة : عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة ، واحتجوا بأن قالوا : إنا نكشف القبر فلم نجد فيه ملائكة عمياً ولاصماً يضربون الناس بفضاطيس من حديد ولا نجد فيه حيات ولا ثعابين ولا نيراناً ولا تنانين ، وكذلك لو كشفنا عنه فى كل حالة لوجدناه فيه لم يذهب ولم يتغير ، وكيف يصح إقاعده ، ونحن لو وضعنا الزئبق بين عينيه لوجدناه بحاله فكيف يجلس . ويضرب ولا يتفرق ذلك ؟ وكيف يصح إقاعده وما ذكرتموه من الفسحة ؟ ونحن نفتح القبر فنجد لحده ضيقاً ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يتغير علينا ، فكيف يسعه ويسع الملائكة السائلين له ؟ وإنما ذلك كله إشارة إلى حالات ترد على الروح من العذاب الروحاني ، وإنها لا حقائق لها على موضوع اللغة .

والجواب : أنا نؤمن بما ذكرناه ، ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم ويصرف أبصارنا عن جميع ذلك بل يغيبه عنا . فلا يبعد فى قدرة الله تعالى فعل ذلك كله إذ هو القادر على كل ممكن جائز فلإنا لو شئنا لأزلنا الزئبق عن عينيه ، ثم نضجعه ونرد الزئبق مكانه وكذلك يمكننا أن نعمق القبر ونوسعه حتى يقوم فيه قياماً فضلاً عن القعود . وكذلك يمكننا أن نوسع القبر مائتى ذراع فضلاً عن سبعين ذراعاً ، والرب سبحانه أبسط منا قدرة ، وأقوى منا قوة ، وأسرع فعلاً ، وأحصى منا حساباً ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ولا رب لمن يدعى الإسلام

إلا من هذه صفته فإذا كشفنا نحن عن ذلك رد الله سبحانه الأمر على ما كان ، نعم لو كان الميت بيننا موضوعاً فلا يمتنع أن يأتيه الملك ويسأله من غير أن يشعر الحاضرون بهما ، ويجيبهما من غير أن يسمع الحاضرون جوابه . ومثال ذلك : نائمان بيننا أحدهما ينعم والآخر يعذب ، ولا يشعر بذلك أحد ممن حولهما من المنتبهين ، ثم إذا استيقظا أخبر كل واحد منهما عما كان فيه .

وقد قال بعض علمائنا : إن دخول الملك القبور جائز أن يكون تأويله : اطلاعه عليها وعلى أهلها ، وأهلها مدركون له عن بعد من غير دخول ولا قرب ويجوز أن يكون الملك للطافة أجزائه يتولج في خلال المقابر فيتوصل إليهم من غير نبش ويجوز أن ينشها ثم يعيدها الله إلى مثل حالها على وجه لا يدركه أهل الدنيا .

ويجوز أن يكون الملك يدخل من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدى الإنسان إليها .

وبالجملة : فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم ، فليس تنقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا . وهذا مما لا خلاف فيه ، ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئاً مما هنالك . فإن قالوا : كل حديث يخالف مقتضى المعقول يقطع بتخطئه ناقله ، ونحن نرى المصلوب على صلبه مدة طويلة وهو لا يسأل ولا يحيى وكذلك يشاهد الميت على سريره وهو لا يجيب سائلاً ولا يتحرك ، ومن افترسته السباع ، ونهسته الطيور ، وتفرقت أجزاؤه في أجواف الطير ، وبطون الحيتان وحواصل الطيور ، وأقاصى التخوم ، ومدارج الرياح . فكيف تجتمع أجزاؤه؟ أم كيف تتألف أعضاؤه؟ وكيف تتصور مساءلة الملكين لمن هذا وصفه؟ أم كيف يصير القبر على من هذا حاله روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟ والجواب عن هذا من وجوه أربعة :

أحدها : أن الذى جاء بهذا هو الذى جاء بالصلوات الخمس وليس لنا طريق إلا ما نقلوه لنا من ذلك .

الثانى : ما ذكره القاضى على لسان الأمة وهو : أن المدفونين فى القبور يسألون والذين بقوا على وجه الأرض فإن الله تعالى يحجب المكلفين عما يجرى

عليهم كما حجبتهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الأنبياء عليهم السلام لهم . ومن أنكر ذلك فلينكر نزول جبرائيل عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام . وقد قال الله تعالى فى وصف الشياطين ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ .

الثالث : قال بعض العلماء : لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به كما أنا نحسب المغمى عليه ميتاً . وكذلك صاحب السكينة وندفنه على حسابان الموت ، ومن تفرقت أجزاؤه فلا يبعد أن يخلق الله الحياة فى أجزائه .

٤٢٣- قللت : ويعيده كما كان . كما فعل بالرجل الذى أمر إذا مات أن يحرق ثم يسحق ثم يذرى حتى تنسفه الرياح « الحديث » وفيه « فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، ثم قال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : خشيتك أو قال مخافتك » خرجه البخارى ومسلم وفى التنزيل ﴿ فخذ أربعة من الطير ﴾ الآية .

الرابع : قال أبو المعالى : المرضى عندنا : أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها الله تعالى من القلب أو غيره فيحييها ويوجه السؤال عليها وذلك غير مستحيل عقلاً، وقال بعض علمائنا : وليس هذا بأبعد من الذر الذى أخرجه الله تعالى من صلب آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قالوا : بلى .
[حديث صحيح] .

الفصل الرابع

فإن قالوا: ما حكم الصغار عندكم ؟ قلنا: هم كالبالغين وأن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه، وهذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار ، فقد جاء أن القبر ينضم عليه كما ينضم على الكبار ، وقد تقدم .

٤٢٤- وذكر هناد بن السرى قال : حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال : « إن كان ليصلى على المنفوس ما أن عمل خطيئة قط فيقول : اللهم أجره من عذاب القبر »

[خبر صحيح] .

الفصل الخامس

فإن قالوا : فما تأويلكم في القبر : « حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة » ؟ قلنا : وذلك محمول عندنا على الحقيقة لا على المجاز ، وأن القبر يملأ على المؤمن خضراً وهو العشب من النبات ، وقد عينه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : هو الريحان كما في حق الكافر يفرش له لوحان من نار ، وقد تقدم ، وقد حملة بعض علمائنا على المجاز والمراد خفة السؤال على المؤمن ، وسهولته عليه وأمنه فيه ، وطيب عيشه ووصفه بأنه جنة تشبيهاً بالجنة والنعيم فيها بالرياض يقال : فلان في الجنة إذا كان في رغد من العيش وسلامة فالمؤمن يكون في قبره في روح وراحة وطيب عيش ، وقد رفع الله عن عينيه الحجاب حتى يرى مد بصره كما في الخبر ، وأراد بحفرة النار ضغطة القبر وشدة المساءلة والخوف والأهوال التي تكون فيها على الكفرة وبعض أهل الكبائر والله أعلم . والأول أصح لأن الله سبحانه ورسوله يقص الحق ولا استحالة في شيء من ذلك .

٤٢٩ - فصله : إن قال قائل : كيف يخاطب الملكان جميع الموتى وهم مختلفو الأماكن ، متباعداو القبور في الوقت الواحد ، والجسم الواحد لا يكون في المكانين في الوقت الواحد وكيف تنقلب الأعمال أشخاصاً وهي في نفسها أعراض ؟

فالجواب عن الأول : ما جرى ذكره في هذا الخبر من عظم جثتيهما فيخاطبان الخلق الكثير الذين في الجهة الواحدة منهم في المرة الواحدة : مخاطبة واحدة ، يخيل لكل واحد أن المخاطب هو دون من سواه ويكون الله يسمع سمعه من مخاطبة الموتى لهما ويسمع هو مخاطبتهما أن لو كانوا معه في قبر واحد ، وقد تقدم أن عذاب القبر يسمعه كل شيء إلا الثقلين . والله سبحانه وتعالى يسمع من يشاء وهو على كل شيء قدير .

والجواب عن الثاني : أن الله (تعالى) يخلق من ثواب الأعمال أشخاصاً حسنة وقبيحة . لا أن العرض نفسه ينقلب جوهرًا إذ ليس من قبيل الجواهر . ومثل هذا ما صح في الحديث : « أنه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف على الصراط فيذبح » ومحال أن ينقلب الموت كبشاً لأن الموت عرض وإنما المعنى أن الله سبحانه يخلق

شخصاً يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار . وهكذا كلما ورد عليك في هذا الباب التأويل فيه ما ذكرت لك . والله سبحانه أعلم ، وسيأتى له مزيد بيان إن شاء الله تعالى [حديث صحيح] .

باب اختلاف الآثار في سعة القبر عند المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

٤٣٠- جاء في حديث البخارى ، ومسلم : « أنه يفسح له سبعون ذراعاً » وفي الترمذى : « سبعون ذراعاً فى سبعين ذراعاً » وفى حديث البراء: « مد البصر » وخرج على بن معبد عن معاذة قالت : قلت لعائشة رضى الله عنها : ألا تخبريننا عن مقبورنا ما يلقى وما يصنع به ؟ فقالت : إن كان مؤمناً فسح له فى قبره أربعون ذراعاً .

قلت : وهذا إنما يكون بعد ضيق السؤال وأما الكافر فلا يزال قبره عليه ضيقاً . فنسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

باب ما جاء فى عذاب القبر وأنه حق وفى اختلاف عذاب الكافرين وفى قبورهم وضيقها عليهم

٤٣٢- قال الله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ﴾ قال أبو سعيد الخدرى وعبد الله بن مسعود : ضنكاً قال : عذاب القبر . وقيل فى قوله عز وجل : ﴿ وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ﴾ هو : عذاب القبر ، لأن الله (تعالى) ذكره عقب قوله : ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ﴾ وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا فدل على أن العذاب الذى هم فيه هو عذاب القبر وكذلك قال ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ لأنه غيب وقال ﴿ وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ فهذا عذاب القبر فى البرزخ ، وسيأتى . وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ كلا

سوف تعلمون ﴿ ما ينزل بكم من العذاب فى القبر ﴾ ثم كلا سوف تعلمون ﴿: فى الآخرة إذا حل بكم العذاب، فالأول فى القبر، والثانى فى الآخرة فالتكرير للحالتين [خبر صحيح] .

٤٣٣- وروى زر بن حبيش عن على - رضى الله عنه - قال : كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون ﴿ يعنى فى القبور . وقال أبو هريرة : يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وهو المعيشة الضنك .

٤٣٧- فصل : لا تظن - رحمك الله - أن هذا معارض للحديث المرفوع : « أنه يسلط على الكافر أعمى أصم » فإذا أحوال الكفار تختلف ، منهم من يتولى عقوبته واحد . ومنهم من يتولى عقوبته جماعة . وكذلك فلا تناقص بين هذا وبين أكل الحيات لحمه ، فإنه يمكن أن يتردد بين هذين العذابين كما قال تعالى : ﴿ هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ فمرة يطعمون الزقوم ، وأخرى يسقون الحميم ، ومرة يعرضون على النار ، وأخرى على الزمهير ، أجارنا الله من عذاب القبر ، ومن عذاب النار برحمته وكرامته . وآخر يفرش له لوحان من نار .

٤٣٨- وآخر يقال له : نم نومة المنهوس . كما أخرجه على بن معبد عن أبى حازم عن أبى هريرة موقوفاً قال : « إذا وضع الميت فى قبره أتاه آت من ربه فيقول له : من ربك ؟ فإن كان من أهل التشييت ؟ ثبت . وقال : الله ربي ثم يقال له : ما دينك ؟ فيقول : الإسلام فيقول : من نبيك ؟ فيقول : محمد ﷺ فيرى بشراه وييشر . فيقول : دعونى أرجع إلى أهلى فأبشرهم . فيقال له : نم قرير العين إن لك إخواناً لم يلحقوا . وإن كان من غير أهل الحق والتشييت قيل له : من ربك ؟ فيقول : هاه ، كالوا له ، ثم يضرب بمطراق يسمع صوته الخلق إلا الجن والإنس . ويقال له : نم كنومة المنهوس » . [خبر حسن] .

قال أهل اللغة : المنهوس بالسين المهملة : المسوع، نهسته الحية تنهسه ، قال
الراجز :

وذات قرنين طحون الضرس

تنهس لو تمكنت من نهس

تدير عينا كشهاب القبس

والمنهوس مرة ينتبه لشدة الألم عليه ، ومرة ينام كالمغمى عليه قال النابغة :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة

من الرقش فى أنيابها السم نافع

تسهد من ليل التمام سليمها

كحلى النساء فى يديها قعاقع

يادرها الراقون من سوء سمها

تطلقه طوراً وطوراً تراجع

[خبر حسن]

باب ما يكون منه عذاب القبر

واختلاف أحوال العقاب فيه بحسب اختلاف مصائبهم

٤٤٠- أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «أكثر عذاب

القبر من البول» [حديث صحيح] .

٤٤١- والبخارى ومسلم عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال :

«إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر

فكان لا يستنزه من بوله» فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحداً

وعلى هذا واحداً ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا .

٤٤٢- وفى رواية : « كان لا يستنزه عن البول أو من البول» رواهما مسلم

[حديث صحيح لغيره] .

٤٤٣- وفى كتاب أبي داود : « وكان لا يستنثر من بوله » .

٤٤٤- وفى حديث هناد بن السرى « لا يستبرى من البول » من الاستبراء ،

وقال البخارى: « وما يعذبان فى كبير وإنه لكبير »

٤٤٥- وأخرجه أبو داود الطيالسى عن أبى بكرة قال : بينما أنا أمشى مع

رسول الله ﷺ ومعى رجل ورسول الله ﷺ بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن فى قبورهما فأيكما يأتينى من هذا النخل بعسيب ؟ فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت من النخل عسيباً ، فأثيت النبى ﷺ فشقه نصفين من أعلاه فوضع على إحداهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً . وقال : «إنه يهون عليهما ما دام من بلولتهما شىء إنهما يعذبان فى الغيبة والبول » .

٤٤٦- قال المؤلف : هذا الحديث والذى قبله يدل على التخفيف إنما هو بمجرد نصف العسيب ما دام رطباً لا زيادة معه ، وقد خرجه مسلم من حديث جابر الطويل ، وفيه : فلما انتهى إلى قال : « يا جابر هل رأيت مقامى؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامى فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك » قال جابر : فقامت فأخذت حجراً فكسرتة وحسرتة فاندلق لي ، فأثيت الشجرتين فقطعت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ فأرسلت غصناً عن يمينى وغصناً عن يسارى ، ثم لحقته ، فقلت : قد فعلت ذلك يا رسول الله ، فعند ذلك قال : « إنى مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتى أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين » .

فى هذا الحديث زيادة على رطوبة الغصن وهى : شفاعته ﷺ ، والذى يظهر لى أنهما قضيتان مختلفتان لا قضية واحدة ، كما قال من تكلم على ذلك ، ويدل عليهما سياق الحديث ، فإن فى حديث ابن عباس وأبى بكر عسيباً واحداً شقه النبى ﷺ بيده نصفين وغرسهما بيده ، وحديث جابر بخلافهما ولم يذكر فيه ما يعذب بسببه [حديث صحيح] .

٤٤٧- وقد خرج أبو داود الطيالسى حديث ابن عباس : فقال : حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتى على قبرين فقال : « إنهما ليعذبان فى غير كبير ، أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ، وأما الآخر فكان صاحب نيمة ثم دعا بجريدة فشقه نصفين فوضع نصفاً على هذا القبر ، ونصفاً على هذا القبر . وقال : عسى أن يخفف عنهما ما دامتا رطبتين » ثم قيل : يجوز أن يكونا كافرين ، وقوله : «إنهما ليعذبان (وما يعذبان) فى كبير » يريد بالإضافة إلى

الكفر والشرك ، وأما إن كانا مؤمنين فقد أخبرك أنهما يعذبان بشيء كان منهما ليس بكفر لكنهما لم يتوبا منه ، وإن كانا كافرين فهما يعذبان فى هذين الذنين زيادة على عذابهما بكفرهما وتكذيبهما وجميع خطاياهما ، وإن يكونا كافرين أظهر والله أعلم . فإنهما لو كانا مؤمنين لعلما لقرب العهد بتدافن المسلمين يومئذ . وقاله ابن بركان فى كتاب الإرشاد الهادى إلى التوفيق والسداد .

قلت : والأظهر أنهما كانا مؤمنين وهو ظاهر الأحاديث والله أعلم .

٤٤٩ - البخارى عن سمرة بن جندب قال : كان النبى ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه ، فقال : « من رأى منكم الليلة رؤيا؟ » قال : فإن رأى أحد رؤيا قصها ، فيقول ما شاء الله ، فسألنا يوماً فقال : « هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ » قلنا : لا . قال : « لكنى رأيت الليلة رجلين أتياى فأحذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كlob من حديد يدخله فى شذقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشذقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شذقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت : ما هذا ؟ قال : انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشذخ بها رأسه ، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق ليأخذه فما يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه . قلت : ما هذا؟ قال : انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا ، فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة ، فقلت : ما هذا؟ قال : انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج ، رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت : ما هذا ؟ قال : انطلق فانطلقنا ، حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان . وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة وأدخلانى داراً لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشباب ونساء وصبيان ، ثم أخرجاني منها فصعدا بى الشجرة ، فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل ، فيها شيوخ وشباب قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت ، قال : نعم الذى رأيت يشق شذقه : فكذاب يحدث

بالكذب، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة والذي رأيت يشدخ رأسه : فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار . يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذين رأيتهم في الثقب فهم الزناة ، والذي رأيت في النهر آكل الربا ، والشيخ في أصل الشجرة : إبراهيم والصبيان حوله : فأولاد الناس . والذي يوقد النار : مالك خازن النار ، والدار الأولى : دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار : فدار الشهداء ، وأنا جبريل ، وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقى مثل السحاب، قالاً : ذلك منزلك ، فقلت : دعاني أدخل منزلي . قال : إنه بقى لك عمر، ولم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك » [حديث صحيح] .

٤٥٠- فصله : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا أبين في أحوال المعذبين في قبورهم من حديث البخارى ، وإن كان مناماً فمنامات الأنبياء عليهم (الصلاة والسلام وحى ، بدليل قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ يا بنى ائنى أرى فى المنام ائنى أذبحك ﴾ فأجابه ابنه ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ وأما حديث الطحاوى فنص أيضاً وفيه رد على الخوارج ، ومن يكفر بالذنوب ، قال الطحاوى : وفيه ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر ، لأن من صلى صلاة بغير طهور : فلم يصل ، وقد أجيبت دعوته، ولو كان كافراً ما سمعت دعوته لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ وأما حديث البخارى ومسلم فيدل على أن الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب ، إذ لا يعذب الإنسان إلا على ترك الواجب ، وكذلك إزالة جميع النجاسات قياساً على البول ، وهذا قول أكثر العلماء ، وبه قال ابن وهب ورواه عن مالك وهو الصحيح في الباب ومن صلى ولم يستنثر فقد صلى بغير طهور .

٤٥٥- وذكر أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » [حديث صحيح] .

باب ما جاء في بشرى المؤمن في قبره

٤٥٦- قال كعب الأحبار : إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه : فتقول الصلاة : إليكم عنه ، فيأتون من قبل رأسه . فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه . فقد أطال ظمأه لله - عز وجل - في دار الدنيا ، فيأتون من قبل جسمه فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه ، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله - عز وجل - لا سبيل لكم عليه . فيأتون من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين ، حتى وقعت في يد الله - عز وجل - ابتغاء لوجهه ، فلا سبيل لكم عليه . قال : فيقال له : نم هنيئاً ، طبت حياً ، وطبت ميتاً .

قلت : هذا لمن أخلص لله في عمله وصدق الله في قوله وفعله وأحسن نيته له في سره وجهره ، فهو الذي تكون أعماله حجة له ، ودافعة عنه فلا تعارض بين هذا الباب ، وبين ما تقدم من الأبواب . فإن الناس مختلفو الحال في خلوص الأعمال والله أعلم .

باب ما جاء في النهوض من عذاب القبر وفتنته

٤٥٧- النسائي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : دخل على رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول : إنكم تفتنون في القبور ، فارتاع رسول الله ﷺ وقال : « إنما يفتن يهود » قالت عائشة : فلبثنا ليلالي . ثم قال رسول الله ﷺ : « هل شعرت أنه أوحى إلي : أنكم تفتنون في القبور؟ » قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ يستعيز من عذاب القبر [حديث صحيح] .

٤٥٨- وروى الأئمة عن أسماء عنه ﷺ أنه قال : « وإنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً ، أو مثل فتنة الدجال لا أدرى أى ذلك ؟ قالت أسماء : يؤتى بأحدكم فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو المؤمن (لا أدرى أى ذلك قالت أسماء) فيقول : « هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا » ثلاث مرات ، ثم يقال له : « نم قد نعلم أنك لتؤمن به فم صالِحاً . وأما المنافق أو

المرتاب فيقول : لا أدري أى ذلك ؟» قالت أسماء : « فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت » لفظ مسلم [حديث صحيح] .

٤٥٩- وخرج البخارى عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يدعو : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر . ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات . ومن فتنة المسيح الدجال » والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً أخرجها الأئمة الثقات [حديث صحيح] .

باب ما جاء أن البهائم تسمع عذاب القبر

٤٦٠- مسلم عن زيد بن ثابت قال : بينما النبي ﷺ في حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ جاء به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة كذا كان الحريري يقول : فقال : « من يعرف أصحاب هذه الأقبور ؟ » فقال رجل : أنا . قال : « فمتى مات هؤلاء ؟ » قال : ماتوا في الإشرار . فقال : « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع » [حديث صحيح] .

٤٦١- وخرج أيضاً عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : دخلت على عجوزان من عجائز يهود المدينة فقلتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما ، فخرجتا ودخل على رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن عجوزين من عجائز يهود المدينة قلتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قال النبي ﷺ « صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم » قالت : فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر . خرجه البخارى أيضاً وقال : « تسمعه البهائم كلها » [حديث صحيح] .

٤٦١م - وخرج هناد السرى فى زهده ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن شفيق ، عن عائشة رضی الله عنها قالت : دخلت على يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها .

فدخل النبي ﷺ على فذكرت ذلك له ، فقال النبي ﷺ : « والذى نفسى بيده إنهم ليعذبون فى قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم » [حديث صحيح] .

٤٦٢- فصل : قال علماؤنا : وإنما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذنين وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله عليه الصلاة والسلام: « لولا أن لا تدافنوا » (الحديث) . فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية لغلبة الخوف عند سماعه ، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن أو يهلك الحى عند سماعه . إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله فى هذه الدار ، لضعف هذه القوى، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف ، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس ، وأين صعقة الرعد من صيحة الذى تضربه الملائكة بمطارق الحديد التى يسمعها كل من يليه ؟ وقد قال ﷺ فى الجنزة : « ولو سمعها إنسان لصعق » .

قلت : هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان . فكيف إذا حل به الخزى والنكال واشتد عليه العذاب والوبال ؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنه .

٤٦٣- حكاية : قال أبو محمد عبد الحق : حدثنى الفقيه أبو الحكم بن بركان - وكان من أهل العلم والعمل- رحمه الله - أنهم دفنوا ميتاً بقريتهم من شرق إشبيلية ، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريباً منهم . فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع . ثم ولت فارة كذلك - فعلت مرة بعد أخرى - قال أبو الحكم رحمه الله: فذكرت عذاب القبر ، وقول النبى ﷺ : « إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم » والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت ، ذكر هذه الحكاية لما قرأ القارئ هذا الحديث فى عذاب القبر : ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم بن الحجاج رضى الله عنه .

باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال

٤٦٤ - مسلم عن أنس بن مالك : أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر فقال : إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس . يقول : « هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله » قال : فقال عمر : فوالذى بعثه بالحق نبيا ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ قال : فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله

ﷺ حتى انتهى إليهم ، فقال : « يا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله ﷺ حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا؟ » فقال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا » . وعنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا . فقام عليهم فناداهم . فقال : « يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة . يا شيبه بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا! » فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يسمعون ! وأنى يجيبون ! وقد جيفوا؟ قال : « والذي نفسى بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا » ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قلب بدر

[حديث صحيح] .

٤٦٥- فصل : اعلم رحمك الله أن عائشة رضى الله عنها قد أنكرت هذا المعنى . واستدلته بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِسَمْعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكونوا يسمعون فى وقت ما ، أو فى حال ما ، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص . وقد وجد هنا بدليل ما ذكرناه - وقد تقدم - ويقول عليه الصلاة والسلام : « وإنه ليسمع قرع نعالهم » وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت فى قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لا ينكر .

باب قوله تعال :

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ﴾ الآية

٤٦٧- مسلم عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : ﴿ يثبت الله الذين

آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ قال : نزلت فى عذاب القبر .

يقال له : من ربك؟ فيقول : الله ربي . ونبي محمد فذلك قوله ﴿ يثبت الله الذين

آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ .

[١١٧ / صحيح التذكرة / صحابة]

وفى رواية أنه قول البراء : ولم يذكر النبي ﷺ .

قلت : وهذا الطريق وإن كان موقوفا فهو لا يقال من جهة الرأى فهو محمول على أن النبي ﷺ قاله كما في الرواية الأولى . كما خرج النسائي وابن ماجه في سننهما والبخارى فى صحيحه ، وهذا لفظ البخارى [حديث صحيح] :

٤٦٨- حدثنا جعفر بن عمر قال : حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : « إذا أقعد العبد المؤمن فى قبره . أتى ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله : ﴿ يشهد الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ الآية » ، وخرجه أبو داود أيضاً فى سننه . فقال فيه : عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « إن المسلم إذا سئل فى القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ﷺ) فذلك قوله (تعالى) : ﴿ يشهد الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ وقد مضى هذا المعنى فى حديث البراء الطويل مرفوعاً والحمد لله [حديث صحيح] .

٤٦٩- وقد روى هذا الخبر ، أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدرى . قال أبو سعيد الخدرى : كنا فى جنازة مع النبى ﷺ فقال : « يا أيها الناس إن هذه الأمة تبلى فى قبورها . فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده فقال : فما تقول فى هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول له : صدقت فيفتح له باب إلى النار فيقول له : هذا منزلك لو كفرت بربك ، وأما الكافر والمنافق فيقول له : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى . فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة . فيقال له : هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذ كفرت فإن الله أبد لك به هذا ، ثم يفتح له باب إلى النار ثم يقمعه الملك قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين » .

قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : ما أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يشهد الله الذين آمنوا بالقول

الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴿

[حديث صحيح لغيره] .

٤٧٠- فصل: صححت الأخبار عن النبي ﷺ فى عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها ولا معارض لها ، وجاء فيما تقدم من الآثار : أن الكافر يفتن فى قبره ويسأل ويهان ويعذب . قال أبو محمد عبد الحق : واعلم أن عذاب القبر ليس مختصا بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين ، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين ، وكل على حاله من عمله وما استوجبه من خطيئته وزلله ، وإن كانت تلك النصوص المتقدمة فى عذاب القبر إنما جاءت فى الكافر والمنافق .

٤٧١- قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب (التمهيد): الآثار الثابتة تدل على : أن الفتنة فى القبر لا تكون إلا للمؤمن أو منافق ممن كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظاهر الشهادة ، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه ، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام والله أعلم ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويرتاب المبطلون . قال ابن عبد البر : وفى حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها » ومنهم من يرويه : تسأل ، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك ، وهذا أمر لا يقطع عليه ، والله أعلم .

٤٧٢- وقال أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول : وإنما سؤال الميت فى هذه الأمة خاصة . لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوا وعوجلوا بالعذاب ، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالرحمة وأماناً للخلق ، فقال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وأمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل فى دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ، ثم يرسخ فى قلبه ، فأمهلوا ، فمن هنا ظهر أمر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان فكانوا بين المسلمين فى ستر فلما ماتوا قبض الله (عز وجل) لهم فتانى القبر ليستخرج سترهم بالسؤال ، وليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الثابت فى الحياة الدنيا ويضل الله الظالمين .

قال المؤلف : (رضى الله عنه) قول أبى محمد عبد الحق أصوب ، والله أعلم ،

فإن الأحاديث التي ذكرناها من قبل تدل على : أن الكافر يسأله الملكان ، ويختبرانه بالسؤال ويضرب بمطارق من حديد على ما تقدم ، والله أعلم .

باب ما ينجي المؤمن

من أهوال القبر وفتنته وعذابه

وذلك خمسة أشياء : رباط ، قتل ، قول ، بطن ، زمان .

٤٧٣- الأوله: روى مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان » فالرباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة » (الحديث) . وقد تقدم وهو حديث صحيح ، انفرد بإخراجه مسلم ، وكذلك ما أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم من أنه يلحق الميت بعد موته ، فإن ذلك مما ينقطع بنفاده وذهابه ، كالصدقة بنفادها ، والعلم بذهابه ، والولد الصالح بموته ، والنخل بقطعه إلى غير ذلك مما ذكر ، والرباط يضاعف أجره لصاحبه إلى يوم القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام : « وإن مات أجرى عليه عمله » [حديث صحيح] .

٤٧٤- وقد جاء مفسراً مبيناً في كتاب الترمذى عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال : « كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر » . وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود بمعناه وقال : « يؤمن من فتنة القبر » ولا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتنة بانقطاعه ، بل هي فضل دائم من الله تعالى لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام ، وهذا العمل الذي يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمل من الأعمال الصالحة [حديث صحيح] .

٤٧٥- وخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان

يعمل وأجرى عليه (رزقه) وأمن من الفتان ويبعثه الله أميناً من الفرع الأكبر»
[حديث صحيح] .

٤٧٦- وخرج أبو نعيم عن جبير بن بكير وكبير بن مرة وعمرو بن الأسود عن العرباض بن سارية رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله ، فإنه ينمى عليه عمله ويجرى عليه رزقه إلى يوم الحساب» .

وفى هذا الحديث وحديث فضالة بن عبيد قيد ثان : وهو : الموت حالة الرباط. والله أعلم [حديث صحيح] .

٤٧٧- وروى عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رباط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها» [حديث حسن] .

٤٧٩- مسألة الرباط : هو الملازمة في سبيل الله ، مأخوذ من ربط الخيل ثم سمي ملازم لثغر من ثغور المسلمين : مرابطاً . فارساً كان أو راجلاً ، واللفظة مأخوذة من الرباط في سبيل الله ، والرباط اللغوي هو الأول ، وهو الذى يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما ، فأما سكان الثغور دائماً بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك ، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين . قاله علماؤنا ، وقد بيناه في كتاب الجامع لأحكام القرآن من سورة آل عمران والحمد لله [حديث صحيح] .

٤٨٠- الثاني : روى النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » [حديث صحيح] .

٤٨١- وخرج ابن ماجه فى سننه والترمذى فى جامعهم وغيرهما عن المقداد ابن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة . ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفرع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من أقاربه » لفظ الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح (غريب) ، وقال ابن ماجه : « يغفر له فى أول دفعة من

دمه قال : ويحلى حلة الإيمان » بدل : « ويوضع على رأسه تاج الوقار » قال ابن ماجه : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش قال : حدثني بجير بن سعد ، وقال الترمذى : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال : حدثنا نعيم بن حماد قال : حدثنا بقيق بن الوليد ، عن بجير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن (المقدام بن) معدى كرب . فذكره

قال المؤلف فى جميع نسخ الترمذى وابن ماجه : « ست خصال » وهى فى متن الحديث : « سبع » وعلى ما ذكر ابن ماجه : « ويحلى بحلة الإيمان » تكون ثمانية ، وكذا ذكره أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد بسنده عن المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ثمانية خصال »

[حديث صحيح] .

٤٨٢- الثالث : روى الترمذى عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا بقبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال (النبى) ﷺ : «هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر» . قال : حديث حسن غريب [حديث صحيح] .

٤٨٣- وخرج أيضاً عنه ﷺ : « أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها » . وروى أنها المجادلة تجادل عن صاحبها يعنى قارئها فى القبر ، وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان [حديث صحيح] .

٤٨٦- وخرج النسائى عن جامع بن شداد ، قال : سمعت عبد الله بن يسار يقول : كنت جالساً عند سلمان بن صرد ، وخالد بن عرفطة ، فذكرا : أن رجلا مات ببطنه ، فإذا يشتهيان أن يشهدا جنازته ، فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من يقتله بطنه لم يعذب فى قبره » أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده ، قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرنى جامع بن شداد ، فذكره وزاد : فقال الآخر : بلى [حديث صحيح] .

٤٨٧- الخامس : روى الترمذى ، عن ربيعة بن سيف ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » . قال: هذا حديث حسن غريب ، وليس إسناده بمتصل؛ ربيعة بن سيف إنما يروى عن عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله ابن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو .

قلت : قد خرج أبو عبد الله الترمذى في نوادر الأصول متصلاً عن ربيعة بن سيف الإسكندرى ، عن عياض بن عقبة الفهرى ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر » وخرجه على بن معبد عنه - أعنى عبد الله بن عمرو - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقى فتنة القبر » [حديث صحيح] .

٤٨٨- وأخرجه أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجبر من عذاب القبر ، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء » . غريب من حديث جابر ومحمد تفرد به عمر بن موسى الوجيهى وهو مدنى فيه لين عن محمد عن جابر [حديث صحيح] .

٤٨٩- فصل : قلت : اعلم رحمك الله أن هذا الباب لا يعارض ما تقدم من الأبواب ، بل يخصصها ويبين من لا يسأل فى قبره ولا يفتن فيه ، ممن يجرى عليه السؤال ، ويقاسى تلك الأهوال ، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه ، وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد ﷺ .

٤٩١- فصل : قوله عليه السلام فى الشهيد : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة معناه : أنه لو كان فى هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقى الزحفان ، وبرقت السيوف فروا لأن من شأن المنافق : الفرار والروغان عند ذلك، ومن شأن المؤمن: البذل والتسليم لله نفساً ، وهيجان حمية لله ، والتعصب له ، لإعلاء كلمته . فهذا قد أظهر صدق ما فى ضميره حين برز للحرب والقتل ، فلماذا يعاد عليه السؤال فى القبر ؟ قاله الترمذى الحكيم .

قلت : وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً وأعظم أجراً، فهو أخرى أن لا يفتن لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء في قوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ وقد جاء في المرابط الذى هو أقل مرتبة من الشهيد أنه لا يفتن ، فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد ؟ والله أعلم فتأمله .

باب ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغدادة والعشيرة

٤٩٤ - البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدادة والعشيرة إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » [حديث صحيح] .

٤٩٥ - فصل: قوله: «عرض عليه مقعده» ويروى: «عرض على مقعده» قال علماؤنا : وهذا ضرب من العذاب كبير وعندنا المثال فى الدنيا، وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب ، أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته . وجاء فى التنزيل فى حق الكافرين ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخير الصحيح فى ذلك ، وهل (كل) مؤمن يعرض على الجنان ؟ فقل ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ، ومن أراد الله إنجاءه من النار ، وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فله مقعدان يراهما جميعاً كما أنه يرى عمله شخصين فى وقتين أو فى وقت واحد قبيحاً وحسناً وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان، والله أعلم .

ثم قيل : هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من البدن ، ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة

حين يقعده الملكان ، ويقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة وكيفما كان ، فإن العذاب محسوس ، والألم موجود ، والأمر شديد ، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً في النائم فإن روحه تعذب أو تنعم والجسد لا يحس بشيء من ذلك .

٤٩٦- وقال عبد الله بن مسعود : أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم : هذه داركم فذلك قوله تعالى: ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ﴾ وعنه أيضاً: أن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها [خبر حسن] .

باب ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة كأرواح غيورهم

يدل على ذلك قوله عليه (الصلاة و)السلام في حديث ابن عمر: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله (تعالى) إليه يوم القيامة» وهذه حالة مختصة بغير الشهداء .

٤٩٨- وفي صحيح مسلم عن مسروق قال : سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا : أى شيء نشتهي، ونحن نسرح في الجنة حيث نشاء؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» [حديث صحيح] .

٥٠٠- فإن قيل : فقد روى مالك عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك الأنصاري أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: « إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم

يبعثه» قلنا : قال أهل اللغة: تعلق بضم اللام تأكل . ويقال علقت تعلق علوقاً . ويروى يعلق تعلق بفتح اللام وهو الأكثر ومعناه: تسرح وهذه حالة الشهداء لا غيرهم بدليل الحديث المتقدم .

وقوله تعالى : ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ولا يرزق إلا حي فلا

يتعجل الأكل والنعيم لأحد إلا للشهداء فى سبيل الله بإجماع من الأمة . حكاه القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين ، وغير الشهيد بخلاف هذا الوصف إنما يملأ عليه قبره خضراً ويفسح له فيه ، وقوله : « نسمة المؤمن» أى روح المؤمن الشهيد ، يدل عليه قوله فى نفس الحديث «حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم القيامة» [حديث صحيح] .

٥٠١ - الثاني : فإن قيل : فقد جاء أن الأرواح تتلاقى فى السماء والجنة فى السماء يدل عليه قوله عليه (الصلاة و)السلام : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء» وفى رواية « أبواب الجنة ؟ » قلنا : لا يلزم من تلاقى الأرواح فى السماء أن يكون تلاقيها فى الجنة ، بل أرواح المؤمنين غير الشهداء تارة تكون فى الأرض على أفنية القبور ، وتارة فى السماء لا فى الجنة ، وقد قيل : إنها تزور قبورها كل يوم جمعة على الدوام ، ولذلك تستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة وبكرة السبت فيما ذكر العلماء . والله أعلم .

قال ابن العربى : وبحديث الجرائد يستدل الناس على أن الأرواح فى القبور تعذب أو تنعم ، وهو أبين فى ذلك من حديث ابن عمر فى الصحيح : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغدادة والعشى » لأن عرض مقعده (عليه) ليس فيه بيان عن موضعه الذى يراه منه ، وحديث الجرائد نص على أن أولئك يعذبون فى قبورهم ، وكذلك حديث اليهود .

قلت : ويحتمل على ما ذكرناه والله أعلم : أن يكون قوله عليه (الصلاة و)السلام : « ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه فى الدنيا وروحه فى قبره إلا عرفه ورد عليه السلام » حتى لا تتناقض الأخبار . والله أعلم [حديث صحيح] .

٥٠٢- الثالث: فإن قيل: فقد قال ﷺ: «والذى نفسى بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيى، ثم قتل، ثم أحيى، وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه» .

وهذا يدل على أن بعض الشهداء لا يدخلون الجنة، من حين القتل ولا تكون أرواحهم في جوف طير، ولا تكون في قبورهم فأين تكون؟ [حديث حسن] .

٥٠٣- قلنا: قد خرج ابن وهب بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الشهداء على بارق نهر بياب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً» فلعلهم هؤلاء أو من منعه من دخول الجنة حقوق الآدميين إذ الدين ليس مختصاً بالمال على ما يأتي، ولهذا قال علماؤنا أحوال الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها أنهم يرزقون، وقد تقدم قوله عليه (الصلاة والسلام): «من مات مريضاً مات شهيداً وغدى وريح (عليه) برزقه من الجنة» وهذا نص في أن الشهداء مختلفو الحال وسيأتي: كم الشهداء؟ إن شاء الله تعالى

[حديث حسن] .

٥٠٥- قال رسول الله ﷺ: «من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله، ومن ترك مالاً فلورثته فإن لم يؤد عنه السلطان فإن الله تعالى يقضى عنه ويرضى خصمه» [حديث صحيح] .

٥٠٧- وأما من أدان في سفه أو سرف فمات ولم يوفه أو ترك له وفاء ولم يوص به أو قدر على الأداء فلم يوفه، فهذا الذى يحبس به صاحبه عن الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات على ما يأتي، فيحتمل أن يكون قوله عليه (الصلاة والسلام) في شهيد البحر عاماً في الجميع، وهو الأظهر، لأنه لم يفرق بين دين ودين، ويحتمل أن يكون قوله فيمن ادان ولم يفرط في الأداء وكان عزمه ونيته الأداء لا إتلاف المال على صاحبه، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله» خرجه البخارى [حديث صحيح] .

٥٠٨- على أن حديث أبي أمامة في إسناده لين، وأعلى منه إسناده وأقوى ما

رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين » ولم يخص برأ من بحر [حديث صحيح] .

٥٠٩- وكذلك ما رواه أبو قتادة : أن رجلاً قال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أيكفر الله عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر » ثم قال رسول الله ﷺ : « كيف قلت » ؟ فقال : « أرأيت إن قتلت في سبيل الله أيكفر الله عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين ، فإن جبريل قال لي ذلك » [حديث صحيح] .

٥١١- وقد روى ابن المبارك : أخبرنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان قال : حدث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أرواح المؤمنين في طير كالزرازير يتعارفون ، ويرزقون من الجنة . [خبر صحيح] .

٥١٢- أخبرنا ابن لهيعة قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب أن منصور بن أبي منصور حدثه قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- ، فقلت أخبرني عن أرواح المسلمين أين هي حين يتوفون ؟ قال : ما تقولون أنتم يا أهل العراق ؟ قلت : لا أدري . قال : فإنها صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة . وذكر الحديث [خبر حسن] .

قلت : فهذه حجة من قال : إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة ، والله أعلم ، على أنه يحتمل أن يدخله من التأويل ما تقدم - والله أعلم - فيكون المعنى : أرواح المؤمنين الشهداء وكذا فقلت : أخبرني عن أرواح المؤمنين الشهداء والله أعلم .

٥١٣- وروى ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد أنه سمع ابن عباس -رضي الله عنهما - يقول : « إن أرواح الشهداء تجول في طير خضر » [خبر صحيح] .

٥١٤- فصل : وقع في حديث ابن مسعود : « أرواحهم في جوف طير خضر » وفي حديث مالك : « نسمة المؤمن طائر » وروى الأعمش عن عبد الله بن مرة قال : سئل عبد الله بن مسعود عن أرواح الشهداء ؟ فقال : أرواح الشهداء عند الله كطير خضر في قناديل تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى

قناديلها، وذكر الحديث .

وروى ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :
«أرواح الشهداء طير خضر تعلق في شجر الجنة» وهذا كله مطابق لحديث مالك فهو
أصح من رواية من روى أن أرواحهم في جوف طير خضر . قاله أبو عمر في
الاستذكار . وقال أبو الحسن القاسمي : أنكر العلماء قول من قال في حواصل طير
لأنها رواية غير صحيحة ، لأنها إذا كانت كذلك فهي محصورة مضيق عليها .

قلت : الرواية صحيحة لأنها في صحيح مسلم بنقل العدل عن العدل
فيحتمل أن تكون (الفاء) بمعنى (على) فيكون المعنى : أرواحهم على جوف طير
خضر كما قال تعالى : ﴿ وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ أى على جذور النخل
وجائز أن يسمى الظاهر جوفاً إذ هو محيط به ومشمول عليه ، قال أبو محمد عبد الحق :
وهو حسن جداً [حديث صحيح] .

٥١٥ - وذكر شبيب بن إبراهيم في كتاب (الإفصاح المنعم) على
جهات مختلفة . منها ما هو طائر يعلق من شجر الجنة . ومنها ما هو في حواصل
طير خضر ، ومنها ما يأوى في قناديل تحت العرش ، ومنها ما هو في حواصل (طير)
بيض ، ومنها ما هو في حواصل طير كالزراير ، ومنها ما هو في أشخاص صور من
صور الجنة ، ومنها ما هو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم ، ومنها ما تسرح
وتعود إلى جنتها تزورها ، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين ، ومن سوى ذلك ما هو
في كفالة ميكائيل . ومنها ما هو في كفالة آدم ، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم عليه
(الصلاة والسلام) ، وهذا قول حسن فإنه يجمع الأخبار حتى لا تتدافع ، والله بغيبه
أعلم وأحكم .

باب كم الشهداء؟ ولم يسمي شهيداً؟ ومهند

الشهادة

٥١٧ - الترمذى ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الشهداء خمسة :
المبطون ، والمطعون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله عز وجل »
وقال : هذا حديث حسن صحيح [حديث صحيح] .

٥١٨- النسائي عن جابر : قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله : المطعون ، والمبطون ، والغريق ، والحرق ، وصاحب ذات الجنب والذى يموت تحت الهدم ، والمرأة تموت بجمع » قيل : هى التى تموت من الولادة وولدها فى بطنها قد تم خلقه ، وقيل : إذا ماتت من النفاس فهى شهيدة ، سواء ألفت ولدها أو ماتت وهو فى بطنها، وقيل : التى تموت بكرأ لم يمسه الرجال ، وقيل التى تموت قبل أن تحيض وتطمث . فهذه أقوال لكل قول وجهان ، وفى جمع لغتان ضم الجيم وكسرها ، وفى بعض الآثار : « المجنوب شهيد » يريد : صاحب الجنب ، يقال منه : رجل جنب بكسر النون وفتح الجيم إذا كانت به ذات الجنب وهو الشوصة [حديث صحيح] .

٥١٩- وفى كتاب الترمذى وأبى داود والنسائي عن سعيد بن زيد، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح [حديث صحيح] .

٥٢٠- وروى النسائي من حديث سويد بن مقرن قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون مظلمة فهو شهيد » [حديث حسن] .

٥٣١- وخرج مسلم من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من طلب الشهادة صادقاً أعطيتها ، وإن لم تصبه » [حديث صحيح] .

٥٣٢- وعن سهل بن حنيف أن النبى ﷺ قال : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه » [حديث صحيح] .

٥٣٣- وخرج الترمذى الحكيم من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس من أحد إلا وله كرائم من ماله ، يأبى لهم الذبح ، وإن لله خلقاً من خلقه يأبى لهم الذبح : أقوام يجعل موتهم على فرشهم ، ويقسم لهم أجور الشهداء » .

٥٣٤- **لفصل** : الشهداء جمع الشاهد ، والشهيد : القتل فى سبيل الله . كذا قال أهل اللغة : الجوهري وغيره وسمى بذلك لأنه مشهود له بالجنة، فالشهيد بمعنى : مشهود له فعيل بمعنى مفعول ، وقال ابن فارس اللغوى فى (المجمل) : والشهيد القتل

فى سبيل الله قالوا : لأن ملائكة الله تشهدة . وقيل : سمي شهيداً ، لأن أرواحهم أحضرت دار السلام . لأنهم ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ وأرواح غيرهم لا تصل إلى الجنة . فالشهيد بمعنى الشاهد أى : الحاضر للجنة ، وقيل سمي بذلك : لسقوطه بالأرض ، والأرض الشاهدة ، وقيل : سمي بذلك : لشهادته على نفسه لله - عز وجل - حين لزمه الوفاء بالبيعة التى بايعه فى قوله الحق : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ . فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً . ولذلك قال عليه (الصلاة و) السلام : « والله أعلم بمن يكلم فى سبيله » [حديث صحيح] .

٥٣٥- وقال فى شهداء أحد : « أنا شهيد على هؤلاء » لبذلهم نفوسهم دونه وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به ﷺ هذا الكلام فى الشهيد .

فأما الشهادة : فصفة سمي حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد ، وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهى : الحضور ، والوعى ، والأداء ، أما الحضور : فهو شهود الشاهد المشهود ، والوعى : زم ما شاهده وعلمه فى شهوده ذلك ، والأداء : هو الإتيان بالشهادة على وجهها فى موضع الحاجة إلى ذلك ، هذا معنى الشهادة ، والشهادة على الكمال ، وإنما هى لله سبحانه وتعالى ، وأن جميع الشاهدين سواء يؤدون شهادتهم عنده ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وجيء بالنبين والشهداء وقضى بينهم بالحق ﴾ والشهداء : هم العدول ، وأهل العدالة فى الدنيا والآخرة هم القائمون بما أوجب الحق سبحانه عليهم فى الدنيا [حديث صحيح] .

باب منه

٥٣٦- روى النسائي عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال : « يختصم الشهداء ، والمتوفون على فرشهم إلى ربنا فى الذين يتوفون من الطاعون ، فيقول الشهداء : قتلوا كما قتلنا ، ويقول المتوفون على فرشهم : إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا؟ فيقول ربنا - عز وجل - : انظروا إلى جراحهم ، فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم ، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم » [حديث حسن] .

٥٣٧- وروت عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ: « إن فناء أمتي بالطعن والطاعون » قالت : أما الطعن فقد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : «غدة كغدة البعير تخرج في المراق والإباط، من مات منها مات شهيداً» - أخرجه أبو عمر في (التمهيد والاستذكار) [حديث صحيح] .

باب ما جاء أن الإنسان يبلكه ويأكله التراب إلا عجب الذنب

٥٣٨- مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة » [حديث صحيح] .

٥٣٩- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ: « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب » [حديث صحيح] .

٥٤٠- فصله : يقال :عجم وعجب بالميم والباء : لغتان ، وهو جزء لطيف في أصل الصلب ، وقيل : هو رأس العصعص كما رواه ابن أبي داود في كتاب البعث من حديث أبي سعيد الخدري قيل : يا رسول الله ، وما هو ؟ قال : « مثل حبة خردل ومنه تنشؤون » ، وقوله « منه خلق ومنه يركب » أى أول ما خلق من الإنسان هو ، ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى

[حديث حسن] .

باب لا تأكل الأوض أجساد الأنبياء

ولا الشهداء ، وأنهم أحياء

قال الله تعالى : ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم . ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة في شهداء أحد وغيرهم ، وليس هذا موضع ذكرها .

٥٤١- مالك بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما ، وكان

قبرهما مما يلي السيل ، وكانا في قبر واحد ، وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر
عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدوا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد
جرح فوضع يده على جرحه فدفن ، وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت
فرجعت كما كانت، وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة، وقال
أبو عمر: هذا حديث لم يختلف عن مالك في انقطاعه وهو حديث يتصل من وجوه
صحاح عن جابر [خبر صحيح] .

٥٤٢- قال المؤلف - رضى الله عنه - : وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم ممن
قتل شهيداً في سبيل الله ، أو قتل على الحق كأنبيائهم ، وفي الترمذى في قصة
أصحاب الأخدود : « وأن الغلام الذى قتله الملك دفن » ، قال : فيذكر أنه أخرج فى
زمن عمر بن الخطاب وأصبغه على صدره كما وضعها حين قتل . وقال حديث
حسن غريب وقصة الأخدود . مخرجة فى صحيح مسلم ، وكانوا بنجران فى الفترة
بين عيسى ومحمد ﷺ وقد ذكرناها مستوفاة فى (البروج) فى كتاب (الجامع
لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان) [خبر صحيح] .

٥٤٣- وروى نقلة الأخبار : أن معاوية -رحمه الله- لما أجرى العين التى
استنبطها بالمدينة فى وسط المقبرة ، وأمر الناس بتحويل موتاهم ، وذلك فى أيام
خلافته ، وبعد الجماعة بأعوام وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة ، فوجدوا على
حالهم حتى إن الكل رأوا المسحاة وقد أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب فسأل منه
الدم ، وأن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس ، وهذا
أشهر فى الشهداء من أن يحتاج فيه إلى إكثار [خبر صحيح] .

٥٤٦- وخرج أبو داود وابن ماجه فى سننهما عن أوس بن أوس قال : قال
رسول الله ﷺ : « إن أفضل أيامكم (يوم) الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه
النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على »
قالوا : يا رسول الله ، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون: بليت فقال
: « إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » لفظ أبى داود وقال
ابن العربى : حديث حسن ، قلت : وخرجه أبو بكر البزار عن شداد بن أوس ،
واتفقوا فى السند ، عن حسين بن على ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى

الأشعث الصنعاني(فقلام) ، عن أوس ، بن أوس أو عن شداد بن أوس وقال البزار : لا يعلم أحدا يرويه بهذا اللفظ إلا شداد بن أوس ، ولا نعلم له طريقاً غير هذا الطريق ، عن شداد بن أوس ، ولا رواه إلا الحسين بن علي الجعفي ، وقال أبو محمد عبد الحق ، ويقال : إن عبد الرحمن هذا هو ابن يزيد بن تميم قال البخاري وأبو حاتم وهو منكر الحديث ضعيفه [حديث صحيح] .

٥٤٧- قلت : وقد خرج ابن ماجه من غير هذا الطريق فقال : حدثنا عمرو بن سواد المصري ، وحدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : «أكثرُوا على الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود ، تشهد الملائكة وإن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها» قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال : وبعد الموت ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» فنبى الله حى يرزق ﷺ ورواه أبو جعفر الطبري في تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء عن أبي الدرداء قال أبو محمد عبد الحق : وزيد ابن أيمن لا أعلم رواه عنه إلا سعيد بن هلال .

قال المؤلف : (رضى الله عنه)قال البخاري في التاريخ : زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء مرسل روى عنه سعيد بن أبي هلال . والله أعلم .

[حديث حسن لغيره] .

باب في انقراض هذا الخلق وذكر النفع

والصالح وكما بين النفختين ؟ وذكر البعث والنشر والنار

٥٤٨- مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين يوماً أو أربعين - لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً - فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم -عليه(الصلاة و)السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشمال ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى إن أحدكم لو دخل

في كبد جبل لدخلت عليه حتى قبضته، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم وحسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا» قال: «فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس» ثم قال: «يرسل الله» أو قال: «ينزل الله مطراً كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿وقفوهم إنهم مستولون﴾ ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» قال: «فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق» [حديث صحيح].

٥٤٩ - مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعين يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعين شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعين عاماً؟ قال: أبيت. ثم ينزل الله (تعالى) من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً» وفي رواية «لا تأكله الأرض أبداً» وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة، وعند ابن وهب في هذا الحديث: فأربعون جمعة؟ قال أبيت. وإسناده منقطع.

فصل: هذان الحديثان مع صحتهما في غاية البيان فيما ذكرناه ويزيدهما أيضاً بياناً في أبواب، ويأتى ذكر الدجال مستوعباً في الأشراف، إن شاء الله تعالى، وأصغى معناه: أمال، لينا يعنى صفحة العنق. ويلوط معناه: يطين ويصلح، وقول أبي هريرة: أبيت: فيه تأويلان.

الأول: أبيت: أى امتنعت من بيان ذلك، وتفسيره وعلى هذا كان عنده علم من ذلك أى سمعه من النبي ﷺ.

الثاني: أبيت أى أبيت أن أسأل عن ذلك النبي ﷺ وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك. والأول أظهر وإنما لم يبينه ولأنه لم ترهق لذلك حاجة، لأنه ليس من البينات والهدى الذى أمر بتبليغه [حديث صحيح].

٥٥٠- وفي البخارى عنه أنه قال :حفظت وعائين من علم فأما أحدهما
فبثنته ، وأما الآخر فلو بثنته لقطع منى هذا البلعوم ، قال أبو عبد الله : (البلعوم :
مجرى الطعام) وقد جاء أن بين النفختين أربعين عاماً ، والله أعلم وسيأتى .

• [خبر صحيح]

٥٥١- وذكر هناد بن السرى قال : حدثنا وكيع عن سفيان ، عن السدى
سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾
فلم يجبنى فسمعنا أنه ما بين النفختين [خبر صحيح] .

٥٥٢- حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازى عن أبى العالية : (وما بين ذلك)
قال : ما بين النفختين . والله أعلم [لا بأس به] .

باب فتح قول الله تعالى

﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من

شاء الله ﴾

وهم الملائكة ، أو الشهداء أو الأنبياء ، أو حملة العرش ، أو جبريل ، أو
ميكائيل أو ملك الموت . صعق : مات .

٥٥٣- روى الأئمة عن أبى هريرة قال : قال رجل من اليهود بسوق المدينة :
والذى اصطفى موسى على البشر . فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه ، قال : تقول
هذا وفيما رسول الله ﷺ ؟ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ قال الله عز وجل ﴿ ونفخ فى
الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه
أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ فأكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ
بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله ومن قال :
أنا خير من يونس بن متى ، فقد كذب « لفظ ابن ماجه أخرجه عن أبى بكر بن أبى
شيبه عن على بن مسهر ، وأخرجه الترمذى عن أبى كريب محمد بن العلاء ، قال
حدثنا عبدة بن سليمان جميعاً ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى

هريرة قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وأخرجه البخارى ومسلم بمعناه
[حديث صحيح] .

٥٥٤- فصله : واختلف العلماء فى المستثنى : من هو ؟ فقيل : الملائكة ، وقيل :
الأنبياء ، وقيل : الشهداء واختاره الحلیمی قال : وهو مروى عن ابن عباس أن
الاستثناء لأجل الشهداء ، فإن الله تعالى يقول : ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾
وضعف غيره من الأقوال على ما يأتى وقال شيخنا أبو العباس : والصحيح أنه لم يرد
فى تعيينهم خبر صحيح ، والكل محتمل .

٥٥٦- قال يحيى بن سلام فى تفسيره : بلغنى أن آخر من يبقى منهم : جبريل
وميكائيل وإسرافيل وملك الموت (عليهم الصلاة والسلام). ثم يموت جبريل
وميكائيل وإسرافيل ثم يقول الله -عز وجل -ملك الموت: مت ، فيموت ، وقد جاء
هذا مرفوعاً فى حديث أبي هريرة الطويل على ما يأتى ، وقيل : هم حملة العرش
وجبريل وميكائيل . وملك الموت .

٥٥٧ - وقال الحلیمی : من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش أو جبريل
أو ميكائيل وملك الموت أو زعم أنه لأجل الولدان والخور العين فى الجنة أو زعم أنه
لأجل موسى فإن النبى ﷺ قال : «أنا أول من تنشق عنه الأرض ، فأرفع رأسى ، فإذا
موسى متعلق بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلى أو كان ممن استثنى الله عز
وجل» فإنه لم يصح شيء منها .

أما الأول : فإن حملة العرش ليسوا من سكان السماوات والأرض لأن العرش
فوق السماوات كلها ، فكيف يكون حملته فى السماوات؟ وأما جبريل وميكائيل
وملك الموت فمن (الملائكة الصافين المسبحين) حول العرش ، وإذا كان العرش فوق
السماوات لم يكن الاصطفاف حوله فى السماوات . كذلك القول الثانى لأن الولدان
والخور فى الجنة والجنات ، وإن كان بعضها أرفع من بعض فإن جميعها فوق
السماوات ودون العرش ، وهى بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك أنها بمعزل
عما خلق الله تعالى للفناء ، وصرفه إلى موسى فلا وجه لأنه قد مات بالحقيقة فلا
يموت عند نفخ الصور ثانية ، ولهذا لم يعتد فى ذكر اختلاف المتأولين فى الاستثناء

بقول من قال : إلا من شاء الله ، أى الذين سبق موتهم قبل نفخ الصور ، لأن الاستثناء إنما يكون لمن يمكن دخوله فى الجملة ، فأما من لا يمكن دخوله فى الجملة فيها فلا معنى لاستثناءه منها ، والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بغرض أن يصعقوا فلا وجه لاستثناءهم . وهذا فى موسى موجود فلا وجه لاستثناءه [حديث صحيح] .

٥٥٨- وقال النبي ﷺ فى ذكر موسى ما يعارض الرواية الأولى وهو أن قال : « والناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلي أو جوزى بصعقة الطور ؟ » فظاهر هذا الحديث : أن هذه صعقة غشى تكون يوم القيامة، لاصعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور .

(فإن حمل الحديث عليها فذاك ، وإن حمل على صعقة الموت عند نفخ الصور) . وصرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوائله قيل : المعنى : أن الصور إذا نفخ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلي أو جوزى بصعقة الطور ؟ أى : فلا أدرى أبعثه قبلي كان وهباً له وتفضيلاً من هذا الوجه ، . كما فضل فى الدنيا بالتكليم ، أو كان جزاء له بصعقة الطور ، أى قدم بعثه على بعث الأنبياء بقدر صعقته عندما تجلى ربه للجبل إلى أن أفاق ليكون هذا جزاء له بها .

وما عدا هذا فلا يثبت قال شيخنا أحمد بن عمر : وظاهر حديث النبي ﷺ : يدل على أن ذلك إنما هو بعد النفخة الثانية نفخة البعث ، ونص القرآن يقتضى أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق . ولما كان هذا قال بعض العلماء : يحتمل أن يكون موسى عليه (الصلاة و)السلام ، ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل بما تقدم من ذكر موته ، وقال القاضى عياض : يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فرع بعد النشر حين تنشق السماوات والأرض، قال : فتستقل الأحاديث والآيات والله أعلم .

قال شيخنا أبو العباس : وهذا يرد ما جاء فى الحديث أنه عليه (الصلاة و)السلام حين يخرج من قبره يلقي موسى وهو متعلق بالعرش ، وهذا إنما هو عند نفخة البعث قال شيخنا أحمد بن عمر والذى يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى أن الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك : أن

الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء فى الدنيا وإذا كان هذا فى الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى [حديث صحيح] .

٥٥٩- مع أنه قد صح عن النبى ﷺ: « أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء » وأن النبى ﷺ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس ، وفى السماء وخصوصاً بموسى ، وقد أخبرنا النبى ﷺ بما يقتضى أن الله تبارك وتعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جمالته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندرکہم ، إن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من أوليائه ، وإذا تقرر أنهم أحياء ، فإذا نفخ فى الصور نفخة الصعق، صعق كل من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله فأما صعق غير الأنبياء فموت ، وأما صعق الأنبياء: فالأظهر: أنه غشية. فإذا نفخ فى الصور نفخة البعث . فمن مات حياً ومن غشى عليه أفاق . وكذلك قال ﷺ فى صحيح مسلم والبخارى: « فأكون أول من يفىق » وهى رواية صحيحة وحسنة فنبينا ﷺ أول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم قبل الأنبياء وغيرهم إلا موسى ، فإنه حصل له فيه تردد: هل بعث قبله من غشيته أو بقى على الحالة التى كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقاً لأنه حوسب بغشية الطور وهذه فضيلة عظيمة فى حق موسى عليه(الصلاة و) السلام ولا يلزم من فضيلة أحد الأمرين المشكوك فىهما فضيلة موسى عليه(الصلاة و) السلام على محمد ﷺ مطلقاً لأن الشئ الجزئى لا يوجب أمراً كلياً . والله أعلم .

قال المؤلف (رضى الله عنه): ما اختاره شيخنا هو ما ذكره الحلیمى ، واختاره فى قوله فإن حمل عليه الحديث فذاك . قال الحلیمى : وأما الملائكة الذين ذكرناهم صلوات الله عليهم فإننا لم ننف عنهم الموت ، ولا أحلناهم ، وإنما أئبنا أن يكونوا هم المرادين بالاستثناء من الوجه الذى ذكرناه ، ثم قد وردت الأخبار بأن الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يميت آخر من يميت : جبريل ويحييه مكانه ويحيى هؤلاء الملائكة(الذين) ذكرناهم ، وأما أهل الجنة فلم يأت عنهم خبر :

والأظهر أنها دار الخلد . فالذى يدخلها لا يموت فيها أبداً مع كونه قابلاً للموت .
والذى خلق فيها أولى أن لا يموت فيها أبداً ، وأيضاً فإن الموت لقهر المكلفين ونقلهم
من دار إلى دار ، وأهل الجنة لم يبلغنا أن عليهم تكليفاً ، فإن أعفوا من الموت كما
أعفوا من التكليف لم يكن بعيداً . فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ كل شيء هالك
إلا وجهه ﴾ وهو يدل على أن الجنة نفسها تفنى ثم تعاد يوم الجزاء ، فلم أنكرتم أن
يكون الولدان والحر يموتون ثم يحيون ؟ قيل : يحتمل أن يكون معنى قوله : ﴿ كل
شيء هالك إلا وجهه ﴾ أى : ما من شيء إلا وهو قابل للهلاك فيهلك إن أراد الله به
ذلك إلا وجهه أى إلا هو سبحانه ، فإنه تعالى قديم لا يمكن أن يفنى وما عداه
محدث ، والمحدث إنما يبقى قدر ما يبقيه محدثه فإذا حبس البقاء عنه فنى ، ولم يبلغنا
فى خبر صحيح ولا معلول أنه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله [حديث صحيح] .

٥٦٠-فصل : قوله ﷺ فى الحديث : « ومن قال : أنا خير من يونس ابن متى
فقد كذب » للعلماء فيه تأويلات : أحسنها وأجملها ما ذكره القاضى أبو بكر بن
العربى قال : أخبرنى غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك
بن عبد الله بن يوسف الجوينى أنه سئل : هل البارى فى جهة ؟ فقال : لا ، هو متعال
عن ذلك ، قيل له : ما الدليل عليه ؟ قال الدليل عليه قول النبى ﷺ : « لا تفضلونى
على يونس بن متى » فقيل له : ما وجه الدليل من هذا الخبر ؟ فقال : لا أقوله حتى
يأخذ ضيفى ، هذه ألف دينار ، يقضى بها ديناً ، فقام رجلان فقالا : هى علينا
فقال : لا يتبع بها اثنين لأنه يشق عليه ، فقال واحد منهم هى على . فقال : إن يونس
بن متى رمى بنفسه فى البحر فالتقمه الحوت ، وصار فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث
ونادى : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ كما أخبر الله (تعالى)
ولم يكن محمد ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر وارتقى به سعداً ، حتى انتهى
به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه به وأوحى إليه ما أوحى
بأقرب إلى الله من يونس فى ظلمة البحر [حديث صحيح] .

٥٦١- قال المؤلف (رضى الله عنه) : فالله سبحانه قريب من عباده يسمع

دعاءهم ، ولا يخفى عليه حالهم ، كيف ما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم ، فيسمع ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، تحت الأرض السفلى ، كما يسمع ويرى تسبيح حملة عرشه من فوق السبع السماوات العلى ، سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، ولقد أحسن أبو العلاء بن سليمان المغربي حيث يقول :

يا من يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها فى لحمها والمخ فى تلك العظام النحل
آجالها محتومة أرزاقها مقسومة بعبا وإن لم تسأل
فلقد سألتك بالنبي محمد الهاشمى المدثر المزمّل
امن على بتوبة تمحو بها ما كان منى فى الزمان الأول

باب يفنك العباد ويبقك الملك لله وحده

٥٦٢- البخارى ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء يمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » ؟ [حديث صحيح] .

٥٦٣- وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوى الله السماء يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرض بشماله . ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون » ؟ انفرد به مسلم [حديث صحيح] .

٥٦٤- وعن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكى رسول الله ﷺ ؟ قال : « يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه . فيقول : أنا الله ويقبض أصابعه ويسطها فيقول : « أنا الملك » حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل حتى إنى أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ [حديث صحيح] .

٥٦٥- فصل : هذه الأحاديث تدل على أن (الله) سبحانه يفنى جميع خلقه أجمع كما تقدم ، ثم يقول الله عز وجل : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فيجيب نفسه

المقدسة بقوله ﴿لله الواحد القهار﴾ .

وقيل : إن المنادى ينادى بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها على ما يأتي ﴿لمن الملك اليوم﴾ فيجيبه العباد : ﴿لله الواحد القهار﴾
رواه أبو وائل عن ابن مسعود، واختاره أبو جعفر النحاس قال : والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل [خبر صحيح] .

فصل في بيان ما أشكل من الحديث من ذكر اليد والأصابع

٥٦٩- إن قال قائل : ما تأويل اليد عندكم، واليد حقيقتها في الجارحة المعلومة عندنا . وتلك التي يكون القبض والطي بها ؟ قلنا : لفظ الشمال أشد في الإشكال وذلك في الإطلاق على الله محال .

والجواب : أن اليد في كلام العرب لها خمسة معان : تكون بمعنى : القوة . ومنه قوله تعالى : ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ وتكون بمعنى الملك والقوة . ومنه قوله تعالى : ﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ وتكون بمعنى النعمة . تقول العرب : كم يد لي عند فلان أي كم من نعمة أسديتها إليه . وتكون بمعنى الصلة ومنه قوله تعالى : ﴿مما عملت أيدينا أنعاما﴾ أي مما عملنا نحن . وقال تعالى : ﴿أويعنوا الذي بيده عقدة النكاح﴾ أي الذي له النكاح ، وتكون بمعنى الجارحة ومنه قوله تعالى : ﴿وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنث﴾ وقوله في الحديث (بيده) عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته ، ويقال : ما فلان إلا في قبضتي بمعنى : ما فلان إلا في قدرتي . والناس يقولون : الأشياء في قبضة الله يريدون في ملكه وقدرته ، وقد يكون معنى القبض والطي إفناء الشيء ، وإذبابه فقوله عز وجل : ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ يحتمل أن يكون المراد به الأرض جميعاً ذاهبة فانية يوم القيامة ، وقوله : ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ ليس يريد به

طياً بعلاج وانتصاب ، وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب . يقال : قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره ، وانطوى عنا دهر بمعنى : المضى والذهاب .

٥٧٠- فإن قيل : فقد قال في الحديث : « يقبض أصابعه ويسطها » وهذه حقيقة الجارحة قلنا : هذا مذهب المجسمة من اليهود والحشوية . والله تعالى متعال عن ذلك ، وإنما المعنى حكاية الصاحب عن النبي ﷺ يقبض أصابعه ويسطها وليس معنى اليد فى الصفات بمعنى الجارحة ، حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع ، فدل على أن النبي ﷺ هو الذى يقبض أصابعه ويسطها . قال الخطابى وذكر الأصابع لم يوجد فى شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها .

٥٧١- فإن قيل: فقد ورد ذكر الأصابع فى غير ما حديث ، فما جوابكم عنه؟ فقد روى البخارى ومسلم قال : أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله تعالى يحمل السماوات على أصبع ، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع، والخلائق على أصبع ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فأنزل الله عز وجل ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾ .

[حديث صحيح] .

٥٧٢- وروى عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ (يقول): « إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها حيث شاء» ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » ومثله كثير [حديث صحيح] .

٥٧٣م- قيل له : اعلم أن الأصبع قد يكون بمعنى الجارحة والله تعالى يتقدس عن ذلك ، ويكون بمعنى القدرة على الشيء ويسارة تقليبه ، كما يقول من استسهل شيئاً واستخفه مخاطباً لمن استثقله : أنا أحمله على أصبعى وأرفعه على أصبعى ، وأمسكه بخصرى ، كما يقول من أطاع بحمل شيء : أنا أحمله على عيني وأفعله على رأسى ، يعنى به الطواعية وما أشبه ذلك ، قد قال فى معناه وهو كثير ، ومما قال

عنتره ، وقيل : ابن زيادة التيمي :

الرمح لا أملاً كفى به واللبد لا أتبع تزواله يريد : أنه لا يتكلف أن يجمع كفه ، فيشتمل على الرمح لكن يطعن به خلساً بأصابعه لحفة ذلك عليه . وقوله : لا أتبع تزواله : أى إذا مال لم أمل معه .

يقول : أنا ثابت على ظهر الخيل لا يضرني فقد بعض الآلة ، ولا تغير السرج عما يريده الراكب . يصف نفسه بالفروسية فى الركوب والطعن ، فلما كانت السماوات والأرض أعظم الموجودات قدراً وأكبرها خلقاً كان إمساكها بالنسبة إلى الله تعالى كالشئ الحقيق الذى نجعله نحن بين أصابعنا ونهزه بأيدينا ، ونتصرف فيه كيف شئنا فتكون الإشارة بقوله : « ثم يقبض أصابعه ويبسطها » وبقوله : « ثم يهزهن » كما جاء فى بعض طرق مسلم وغيره . أى هى فى قدرته كالحبة مثلاً فى كف أحدنا التى لا نبالى بإمساكها ولا بهزها ولا تحريكها ، ولا القبض والبسط عليها ، ولا نجد فى ذلك صعوبة ولا مشقة ، وقد يكون الأصبع أيضاً فى كلام العرب بمعنى النعمة وهو المراد بقوله عليه (الصلاة و) السلام : إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن « أى بين نعمتين من نعم الرحمن يقال : لفلان على أصبع ، أى أثر حسن إذا أنعم عليه نعمة حسنة ، وللراعى على ما شئته أصبع أى أثر حسن ، وأنشد الأصمعى للراعى :

ضعيف العصى بادی العروق ترى له
وقال آخر :

صلاة وتسبيح وإعطاء سائل
أى أثر حسن . وقال آخر :

من يجعل الله عليه أصبعاً
فى الخير والشيريلقاه معاً
٥٧٣ - فإن قيل : كيف جاز إطلاق الشمال على الله تعالى وذلك يقتضى

النقص؟ قيل : هو مما انفرد به عمر بن حمزة عن سالم ، وقد روى هذا الحديث نافع وعبد الله بن مقسم عن ابن عمر لم يذكر فيه الشمال . ورواه أبو هريرة وغيره عن النبى ﷺ ولم يذكر فيه واحد منهم الشمال .

قال البيهقى : وروى ذكر الشمال فى حديث آخر فى غير هذه القصة إلا أنه

ضعيف بكرة ، وكيف يصح ذلك وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمي كلتا يديه يميناً ؟ وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين .

قال الخطابي : ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليد شمال ، لأن الشمال محل النقص والضعف . وقد روى : « كلتا يديه يمين » وليس معنى اليد عندنا : الجارحة ، وإنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكفيها ، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والسنة المأثورة الصحيحة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد يكون اليمين في كلام العرب بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى : ﴿ أو ما ملكت أيمانكم ﴾ يريد بها الملك . وقال : ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ أى : بالقوة والقدرة أى : أخذنا قدرته وقوته . قال الفراء : اليمين : القوة والقدرة وأنشد :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
وقال آخر :

ولما رأيت الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتى يميني
فقلت شنيفاً ثم فاران بعده وكان على الآيات غير أمين
٥٧٤- قلت : وعلى هذا التأويل تخرج الآية والحديث ، والله أعلم . وقد تكون اليمين في كلام العرب بمعنى : التبجيل والتعظيم . ويقال : فلان عندنا باليمين أى : بالمحل الجليل ، ومنه قول الشاعر :

أقول لناقتي إذ بلغتني لقد أصبحت عندي باليمين
أى بالمحل الرفيع وأما قوله : « كلتا يديه يمين » فإنه أراد بذلك : التمام والكمال ، وكانت العرب تحب التيامن ، وتكره التياسر ، لما فى التياسر من النقصان وفى التيامن من التمام . فإن قيل : فأين يكون الناس عند طى الأرض والسماء ؟ قلنا : يكونون على الصراط على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

باب البرزخ

٥٧٥- روى هناد بن السرى قال : حدثنا محمد بن فضيل ، ووكيع عن فطر قال : سألت مجاهداً عن قول الله تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم

يبعثون ﴿ قال : هو ما بين الموت والبعث . [خبر حسن]

٥٧٦- وقيل للشعبي: مات فلان ، قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة، هو في برزخ ، والبرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿ وجعل بينهما برزخا ﴾ أى : حاجزاً وكذلك هو في الآية من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل في البرزخ ، وقوله تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾ أى من أمامهم وبين أيديهم [خبر حسن] .

باب ذكر النفخ الثاني للبعث في الصور وبيانه

وكيفية البعث وبيانه ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يحيى من الخلق، وبيان السن الذى يخرجون عليه من قبورهم، وفى لسانهم ، وبيان قوله تعالى ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ قال الله عز وجل : ﴿ يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة ﴾ وقال : ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ وقال ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وقال ﴿ يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا ﴾ وسماه الله تعالى أيضاً بالناقور فى قوله تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ .

٥٧٧- قال المفسرون : الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتى بيانه ، قال الله تعالى مخبراً عن كفار قريش ﴿ ما ينظرون ﴾ أى ما ينتظرون كفار آخر هذه الأمة الدائنون بدين أبى جهل وأصحابه - ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ - يعنى: النفخة الأولى التى يكون بها هلاكهم ﴿ تأخذهم وهم يخصمون ﴾ أى يختصمون فى أسواقهم وحوادثهم . قال الله (تعالى) : ﴿ لا تأتكم إلا بغتة ﴾ ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ أى: أن يوصوا ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ أى من أسواقهم وحيث كانوا ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴾ .

﴿ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث﴾ والنفخة : هى النفخة الثانية نفخة البعث. والصور : قرن من نور يجعل فيه الأرواح يقال إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلائق على ما يأتى . قال مجاهد : هو كالبوق ذكره البخارى ، فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ أى القبور : ﴿ينسلون﴾ أى يخرجون سراعاً يقال : نسل ينسل ، وينسل بالضم أيضاً : إذا أسرع فى مشيه فالمعنى يخرجون مسرعين وفي الخبر : أن بين النفختين أربعين عاماً .
وسياتى ، وفى البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿فإذا نقر فى الناقور﴾ : الصور قال : «والراجفة» النفخة الأولى «والرادفة» : الثانية .

٥٧٨- وروى عن مجاهد أنه قال : للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم ، فإذا صبح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينظرون ما يراد بهم لقوله تعالى : ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ وقد أخبر الله تعالى عز وجل عن الكفار أنهم يقولون ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ ؟ فيقول لهم الملائكة أو المؤمنون على اختلاف المفسرين ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ وقيل إن الكفار هم القائلون : ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ وذلك أنهم لما بعثوا قال بعضهم لبعض : ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ ، صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به ثم قالوا : ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ فكذبنا به أقروا حين لم ينفعهم الإقرار ثم يؤمر بحشر الجميع إلى الموقف للحساب .
٥٧٩- وقال عكرمة : إن الذين يغرقون فى البحر تفتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام ، فتلقاها الأمواج إلى الساحل ، فتمكث حيناً ثم تصير حائلة نخرة ، ثم تمر بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر ، ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه . ثم تخدم تلك النار فيجىء الريح فيلقى ذلك الرماد

على الأرض فإذا جاءت النفخة ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ يخرج أولئك وأهل القبور سواء ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ أى نفخة واحدة ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾.

٥٨٢- الترمذى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه » قال : هذا حديث حسن . [حديث صحيح] .

٥٨٣- وعن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ ؟ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم : قولوا ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قال : حديث حسن [حديث صحيح] .

٥٨٤- وروى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أطرف صاحب الصور منذ وكل به مستعداً بحذاء العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه كأن عينيه كوكبان دريان » أخرجه أبو الحسن بن صخر في فوائده وغيره . [حديث صحيح] .

٥٨٩- وروى في تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ إن هذا خطاب للأرواح بأن ترجع إلى أجسادها : ﴿إلى ربك راضية﴾ أى : صاحبك كما تقول : رب الغلام ، ورب الدار ، ورب الدابة ، أى صاحب الغلام ، وصاحب الدار ، وصاحب الدابة ، ﴿فادخلي في عبادي﴾ أى فى أجسادهم من مناخرهم كما ورد فى الخبر المتقدم ، وقد روى أن الله تعالى خلق الصور حين فرغ من خلق السموات والأرض ، وأن عظم دارته كغلظ السماء والأرض .

٥٩١- فصله : الصور : بالصاد قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء ، وهى نفخة الصعق ويكون معها نقر لقوله تعالى : ﴿فإذا نقر فى الناقور﴾ أى فى الصور

فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ ، لتكون الصيحة أشد وأعظم ، ثم يمكث الناس أربعين عاماً ، ثم ينزل الله تعالى ماء كمنى الرجال على ما تقدم ، فتكبر منه الأجسام بقدره الله تعالى حتى يجعلهم بشرأ كما روى فى قصة الذين يخرجون من النار ، قد صاروا حمماً ، إنهم يغتسلون من نهر بباب الجنة فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل ، وعن ذلك عبر فى حديث أبى هريرة المتقدم فى صحيح مسلم وغيره : « فينبتون نبات البقل » فإذا تهيأت الأجسام ، وكملت نفخ فى الصور نفخة البعث من غير نقر ، لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنقيها من أجسادها فالنفخة الأولى للتنقيح ، وهى نظير صوت الرعد الذى قد يقوى فىمات منه ، ونظير الصيحة الشديدة التى يصيحها الرجل بصبى فيفزع منه فيموت ، فإذا نفخ للبعث من غير نقر كما ذكرنا خرجت الأرواح من المجال التى هى فيه فتأتى كل روح إلى جسدها فيحيها الله ، كل ذلك فى لحظة كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسًا وَّاحِدَةً﴾ وعند أهل السنة : أن تلك الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم . قال بعضهم : بأوصافها . فيعاد الوصف أيضاً كما يعاد الجسم واللون . قال القاضى أبو بكر ابن العربى : وذلك جائز فى حكم الله وقدرته وهين عليه جميعه ، ولكن لم يرد بإعادة الوصف خبر .

قلت : فيه أخبار كثيرة فى هذا الباب بعد هذا .

٥٩٢- فصل : وليس الصور جمع صورة كما زعم بعضهم أى نفخ فى صور الموتى بدليل الأحاديث المذكورة ، والتنزيل يدل على ذلك . قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى﴾ ولم يقل : فيها ، فعلم أنه ليس جمع صورة . قال الكلبي : لا أدرى ما الصور ؟ ويقال : هو جمع صورة مثل بسرة وبسر ، أى : ينفخ فى صور الموتى : الأرواح وقرأ الحسن ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ .

٥٩٣- قلت : وإلى هذا التأويل فى أن الصور بمعنى الصور جمع صورة . ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى وهو مردود بما ذكرنا ، وأيضاً لا ينفخ فى الصور للبعث مرتين بل ينفخ مرة واحدة ، وإسرافيل عليه [الصلاة] السلام ينفخ فى

الصور الذى هو القرن ، والله سبحانه يحيى الصور فينفخ فيها الروح كما قال تعالى ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ و ﴿ نفخت فيه من روحي ﴾ . قال ابن زيد : يخلق الله الناس في الأرض الخلق الآخر ثم يأمر السماء فتمطر عليهم أربعين يوماً ، فينبتون فيها ، حتى تنشق عن رؤوسهم كما تنشق عن رأس الكمأة . فمثلها يومئذ مثل الماخض تنتظر أن يأتيها أمر الله فتطرحهم على ظهرها . فلما كانت تلك النفخة طرحتهم .

قال علماؤنا : والأئم مجمعون على أن الذى ينفخ فى الصور إسرافيل عليه [الصلاة و] السلام .

٥٩٩- (فصله) : واختلف في عدد النفخات : فقليل : ثلاث : نفخة الفزع

لقوله تعالى : ﴿ ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتولا داخرين ﴾ ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث ، لقوله تعالى : ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وهذا اختيار ابن العربي وغيره وسيأتى .

٦٠٠- وقيل : هما نفختان ، ونفخة الفزع هى نفخة الصعق ، لأن الأمرين لا زمان بينهما أى فزعوا فزعاً ماتوا منه . والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبى هريرة وحديث عبد الله بن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ فاستثنى هنا كما استثنى فى نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة .

٦٠٢- وقال الحلیمی : اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة . وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع ، وحيوانات الماء ووطن الأرض ، وما أصاب النيران منها بالحرق ، والمياه بالغرق ، وما

وحيوانات الماء وبطن الأرض ، وما أصاب النيران منها بالحرق ، والمياه بالغرق ، وما أبلته الشمس ، وذرتة الرياح ، فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها . ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح فى الصور ، وأمر إسرائيل عليه [الصلاة] والسلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور ، فرجع كل ذى روح إلى جسده بإذن الله تعالى .

٦٠٣- وجاء فى بعض الأخبار ما يبين أن من أكله طائر أو سبع : حشر من جوفه . وهو ما رواه الزهرى عن أنس قال : مر رسول الله ﷺ بحمزة يوم أحد وقد جذع ومثل به فقال : « لولا أن تجد صفة فى نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطيور » ، وقد أنكر بعض أهل الزيغ أن يكون الصور قرناً . قال أبو الهيثم : من أنكر أن يكون الصور قرناً ، فهو كمن ينكر العرش والصراف والميزان . وطلب لها تأويلات [حديث صحيح] .

باب منه فك صفة البحث وما آية ذلك

فك الدنيا وأول ما يخلق من الإنسان وأتته

قال الله تعالى: ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقنا لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ وقال سبحانه : ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ﴾ إلى قوله ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ﴾ . ﴿ وكذلك النشور ﴾ والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

باب يبحث كل عبد على ما مات عليه

٦٠٦- مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبى ﷺ يقول : « يبحث كل عبد على ما مات عليه » [حديث صحيح] .

٦٠٧- وعن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على نياتهم » خرجه البخارى . ولفظ البخارى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم » [حديث صحيح] .

٦٠٨- مالك عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « الذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم فى سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه

يشعب دمأ اللون لون الدم ، والعرف عرف المسك » خرجه البخارى ومسلم .

[حديث صحيح] .

٦٠٩- أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال : يا رسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزو ، فقال : يا عبد الله ، إن قتلت صابراً محتسباً ، بعثت صابراً محتسباً وإن قتلت مرثياً مكائراً بعثت مرثياً مكائراً على أى حال قتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال » [حديث حسن] .

٦١١- مسلم عن ابن عباس أن رجلاً كان مع رسول الله ﷺ محرماً فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله ﷺ : « اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه فى ثوبه ، ولا تمسوه بطيب ، ولا تخمروا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً » وفى رواية « ملبداً » أخرجه البخارى . [حديث صحيح]

٦١٦- مسلم وابن ماجه عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « النياحة من أمر الجاهلية ، وإن النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثياباً من نار ودرعا من لهب النار » لفظ ابن ماجه وقال مسلم « تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » . [حديث صحيح]

٦١٩- ابن ماجه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « النياحة على الميت من أمر الجاهلية ، وإن النائحة . وإذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرايل من قطران ، ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار » . [حديث صحيح] .

٦٢٠- وفى التنزيل : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال أهل التأويل : المعنى : لا يقومون من قبورهم ، قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والربيع والسدى والضحاك وابن زيد وغيرهم ، قال بعضهم يجعل معه شيطان يخنقه . وقالوا كلهم : يبعث كالمخنوق عقوبة له ، وتمقيتاً عند جميع أهل المحشر . فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا ، وذلك أنه أرباه فى بطونهم فأنقلهم ، فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم ، نسأل الله الستر والسلامة والعافية فى الدنيا والآخرة . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وسيأتى .

٦٢١- وروى عن النبي ﷺ : « من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة » ذكره صاحب القوت وهو صحيح المعنى يدل على صحته ما ذكرناه وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان في باب بيان الحشر إلى الموقف إن شاء الله تعالى .
[حديث صحيح] .

باب في بحث النبذ ﷺ من قبوه

٦٢٢- ابن المبارك قال: أخبرنا ابن لهيعة قال: حدثني خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال ، عن نبيه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة -رضى الله عنها - فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ ، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار ، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه ﷺ ، والأخبار دالة ثابتة على أن جميع الناس يخرجون عراة ويحشرون كذلك على ما يأتى إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء في بحث الأيام والليالي ويوم الجمعة

٦٢٤- عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها ، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة ، أهلها محتفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها ، تضيء لهم يمشون في ضوئها . ألوانهم كالثلج بياضاً ، وريحهم يسطع كالمسك ، يخوضون في جبال الكافور ، وينظر إليهم الثقلان ما يترقون تعجباً ، يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون » خرجه القاضي الشريف أبو الحسن على بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن على بن عبد الله بن عباس -رضى الله عنهم- وإسناده صحيح . [حديث صحيح] .
٢٢٥- وقال أبو عمران الجوني : « ما من ليلة تأتي إلا تنادى : اعملوا في ما استطعتم من خير ، فلن أرجع إليكم (إلى) يوم القيامة » ذكره أبو نعيم [خبر صحيح] .

باب أين يكون الناس ؟

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾

٦٢٨ - مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، وذكر الحديث

وفيه : فقال اليهودى أين يكون الناس ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض
والسماوات ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم في الظلمة دون الجسر » الحديث بطوله
وسياىى [حديث صحيح] .

٦٢٩- وخرج مسلم أيضاً وابن ماجه جميعاً قالوا : حدثنا أبو بكر بن أبى
شيبه ، حدثنا علي بن مسهر ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ،
عن عائشة قالت : سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض
غير الأرض والسماوات ﴾ فأين يكون الناس يومئذ ؟ قال : « على الصراط »
[حديث صحيح] .

٦٣٠- وأخرجه الترمذى قال : حدثنا ابن أبى عمر قال : حدثنا سفيان عن
داود بن هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : يا رسول الله
﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾ فأين يكون
المؤمنون يومئذ ؟ قال : « على الصراط يا عائشة » قال : هذا حديث حسن صحيح .
٦٣١- وخرج عن مجاهد قال : قال ابن عباس : أتدرى ماسعة جهنم ؟ قلت :
لا . قال : أجل والله ما تدرى . حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله
عز وجل ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾
قال : فقلت : فأين الناس يا رسول الله ؟ قال : على جسر جهنم » قال : حديث
صحيح غريب من هذا الوجه .

٦٣٢- فصل : هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسماوات تبدل وتزال
ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط . لا
كما قال كثير من الناس أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها ، وتسوية آكامها ،
ونسف جبالها ، ومد أرضها ورواه ابن مسعود -رضى الله عنه - . خرجه ابن ماجه
وسياىى ذكره في الأشراف إن شاء الله .

٦٣٣- وذكر ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال : حدثتني ابن
عباس قال : « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد في سعتها كذا وكذا »
وذكر الحديث [خبر صحيح] .

٦٣٤- وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : « تبدل الأرض غير الأرض فيسقطها ويمدها مد الأديم » ، ذكره الثعلبي في تفسيره .

٦٣٦- قال ابن عباس وابن مسعود: تبدل الأرض أرضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط. قال ابن مسعود أيضاً: تبدل الأرض ناراً، والجنة من ورائها، يرى أكوابها وكواعبها. وقال أبو الجلد حيلان بن فروة: إنى لأجد فيما أقرأ من كتب الله أن الأرض تشعل ناراً يوم القيامة [خبر صحيح] ٦٣٩- وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب : تبدل الأرض خبزة بيضاء ويأكل المؤمن من تحت قدميه.

٦٤٠- قلت : وهذا المعنى الذى قاله سعيد بن جبير ومحمد بن كعب مروى فى الصحيح وسيأتى ، وإليه ذهب ابن بركان فى كتاب (الإرشاد) له، وأن المؤمن يطعم يومئذ من بين رجليه ويشرب من الحوض ، فهذه أقوال الصحابة والتابعين دالة على ما ذكرنا .

٦٤١- وأما تبديل السماء فقليل : تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها . قاله

ابن عباس .

٦٤٢- وقيل : اختلاف أحوالها فتارة كالمهل ، وتارة كالدخان . حكاه ابن الأنبارى . وقال كعب : تصوير السماء دخاناً ، وتصير البحار نيراناً ، وقيل : تبديلها : أن تطوى كطى السجل للكتاب ، وذكر أبو الحسن شبيب بن إبراهيم بن حيدرة فى كتاب (الإفصاح) له : أنه لا تعارض بين هذه الآثار ، وأن الأرض والسموات تبدل كرتين إحداهما: هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أولاً كواكبها ، وتكسف شمسها وقمرها وتصير كالمهل ، ثم تكشف عن رؤوسهم ، ثم تسير الجبال ثم تموج الأرض ، ثم تصوير البحار نيراناً ، ثم تشق الأرض من قطر إلى قطر فتصير الهيئة غير الهيئة ، والبنية غير البنية، ثم إذا نفخ فى الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض ، وبدلت السماء سماء أخرى وهو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ وبدلت الأرض: تمدد الأديم العكاظى وأعيدت كما كانت فيها القبور، والبشر على ظهرها وفى بطنها، وتبدل أيضاً تبديلاً ثانياً وذلك إذا وقفوا فى المحشر، فتبدل لهم الأرض التى

يقال لها(الساهرة) يجلسون عليها وهي أرض عفراء وهي البيضاء من فضة لم يسفك عليها دم حرام قط ، ولا جرى عليه ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط ، وهو لا يسع جميع الخلائق وإن كان قد روى أن مسافته ألف سنة صعوداً ، وألف سنة هبوطاً ، وألف سنة استواء ، ولكن الخلق أكثر من ذلك فيقوم من فضل على الصراط على متن جهنم ، وهي كإهالة جامدة وهي الأرض التي قال عبد الله: إنها أرض من نار يعرق فيها البشر ، فإذا حوسب عليها أعنى الأرض المسماة بالساهرة ، وجاوزوا الصراط، وجعل أهل الجنان من وراء الصراط ، وأهل النيران في النار وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون ، بدلت الأرض كقصرصة النقي، فأكلوا من تحت أرجلهم، وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة أى قرصاً واحداً ، يأكل منه جميع الخلق من دخل الجنة ، وإدامهم زيادة كبد ثور في الجنة وزيادة كبد النون على ما يأتي .

باب منه

أموه تكون قبل الساعة

٦٤٤- فصله : ولما نبأ النبي ﷺ بذكر الزلزلة التي تكون عند النفخة الأولى ذكر ما يكون في ذلك اليوم من الأهوال العظام التي يعظمها قوله ﴿ شىء عظيم ﴾ ومن فزعها ما لا تطيق حملة النفوس وهو قوله لآدم : « ابعث بعث النار » فيكون ذلك في أثناء ذلك اليوم ، ولا يقتضى أن يكون ذلك متصلاً بالنفخة الأولى التي يشيب فيها الوليد ، وتضع الحوامل ، وتذهل المراضع ، ولكن يحتمل أمرين : أحدهما : أن يكون آخر الكلام منوطاً بأوله تقديره : يقال لآدم ابعث بعث النار أثناء يوم يشيب فيه الوليد، وتضع الحوامل، وتذهل المراضع من أوله. الثاني : أن شيب الوليد ، ووضع الحوامل ، وذهول المراضع يكون في النفخة الأولى حقيقة . وفي هذا القول الثانى تكون صفته بذلك إخباراً عن شدته وإن لم يوجد غير ذلك الشىء فيه وهذه طريقة العرب في فصاحتها .

٦٤٦- قلت: قد تقدم أن الصحيح في النفخ إنما هو مرتان لا ثلاث، وحديث مسلم في قول الله تعالى لآدم : « يا آدم ابعث بعث النار » إنما هو بعد البعث يوم القيامة ونفخة الفرع هي نفخة الصعق على ما تقدم ، أو نفخة البعث على ما قيل على ما يأتي ، ولأنه لو كانت نفخة الفرع غير نفخة الصعق لاقتضى ذلك أن يكون

بقاء الناس بعدها أحياء ما شاء (الله) ، ويكون هنالك ليل ونهار ، حتى تأتي نفخة الصعق التي يموت لسماعها جميع الخلق، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى هذا لا يكون قوله: ابعث في أثناء اليوم الذى يكون مبدؤه نفخة الفزع على ما ذكر ابن العربي والله أعلم .

ولا يلزم من زلزال الأرض أن تكون عن نفخة فإننا نشاهد تحرك الأرض وميدها بمن عليها وما عليها من جبال ومياه ، كالسفينة في البحر إذا تلاطمت أمواجه من غير نفخ ، وإنما تلك الزلزلة من أشراط الساعة ومقدماتها كسائر أشراطها [حديث صحيح] .

٦٤٧- وقد قال علقمة والشعبي : الزلزلة من أشراط الساعة وهى في الدنيا وكذلك قال أنس بن مالك والحسن البصرى . وقد ذكر القشيري أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم في تفسيره : أن المراد بنفخة الفزع ، والنفخة الثانية أى يحيون فزعين يقولون : ﴿ من بعثنا من مرقدنا ﴾ ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم . والله أعلم . ونحو ذلك ذكره الماوردى واختاره .

٦٤٨- وقد قيل : إن هذه الزلزلة تكون قبل الساعة في النصف من شهر رمضان بعدها طلوع الشمس من مغربها والله أعلم .

٦٤٩- وقوله تعالى ﴿ ترونها ﴾ الضمير المنصوب فى ﴿ ترونها ﴾ للزلزلة أو القيامة قولان : فعلى الأول أن ذلك في الدنيا قبل نفخة الصعق ، لعظم تلك الزلزلة، وقوة حركتها بالأرض ، لأن القيامة لا رضاع فيها ولا حمل فترى الناس سكارى يعنى من الخوف . وعلى القول الثانى يكون فيه وجهان : أحدهما : أن يكون مثلاً ، والمعنى أنه يكون يوماً لا يهم أحداً فيه إلا نفسه، والحامل تسقط من مثله كما تسقط الحوامل من الصيحة الشديدة، ويكون الهول عظيماً .

والوجه الآخر : أن يكون ذلك حقيقة لا مثلاً ويكون المعنى أن من كانت محشورة مع ولد رضيع ، فإنها إذا رأت هول ذلك اليوم ذهلت عن من ولدت ، وأن الحوامل إذا بعثن أسقطن من فزع يوم القيامة الأحمال التى كانت أحياء فماتت بموت أمهاتها أحياء ، ثم لا يمتن بالإسقاط ، لأن الموت لا يتكرر عليهن مرتين لأنه لا موت

فى القيامة ، وإنما هو يوم الحياة ، وتضع الحوامل حملها . ثم يحتمل أن يحيى الله كل حمل كان قد أتم خلقه ونفخ فيه الروح ويسويه ويعدله فإن الأم تذهل عنه ، ولو لم تذهل ما قدرت على إرضاعه لأنه لا غذاء يومئذ لها ولا لبن ، واليوم يوم الحساب لا يقبل فيه من عذر ولا علة ، فكيف تخلى والاشتغال بالولد مع ما عليها من الحساب وهى بصدده من الجزاء والحمل الذى لم ينفخ فيه قط إذا سقط يكون مع الوحوش ترابا ولم يتبدأ إحياءه لأن اليوم الإعادة ، فمن لم يمت فى الدنيا لم يحيى فى الآخرة ، قاله الحلیمی فى (منهاج الدين) .

٦٥٠- وقال الحسن فى قوله تعالى : ﴿وترى الناس سكارى﴾ أى من العذاب والخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ من الشراب ومما يبين ما قلناه : أن إبليس قال : ﴿أنظرنى إلى يوم يبعثون﴾ سأل النظرة والإمهال إلى يوم البعث والحساب طلب أن لا يموت لأن يوم البعث لا موت بعده فقد قال تعالى : ﴿إنك من المنظرين﴾ .

٦٥١- قال ابن عباس والسدى وغيرهما : أنظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم ، وكان طلب الإنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين فأبى الله ذلك عليه [خبر حسن] .

٦٥٢- قال المؤلف رحمه الله : وما وقع فى هذا الحديث من انشقاق السماء ، وتناثر نجومها وطمس شمسها وقمرها . فقد ذكر المحاسبى وغيره : أن ذلك يكون بعد جمع الناس فى الموقف . وروى عن ابن عباس وسيأتى وقاله الحلیمی فى كتاب (منهاج الدين) .

٦٥٣- ففصل : فأما التكوين يوم القيامة قبل الحساب . فقد قال الله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم﴾ إلى قوله ﴿عذاب الله شديد﴾ وقال (تعالى) : ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ إلى آخرها .

٦٥٤- والذي ثبت بسياق الآيات : أن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم ، لأنه لا يراد بها إلا إذعان الناس والتهويل عليهم ، فينبغى أن

يشاهدونها ليفزعوا منها ويهولهم أمرها ، ولا تمكن المشاهدة منهم وهم أموات .
ولأنه تعالى قال : ﴿ يَوْمَئِذٍ تَحْدُثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أى : تخبر عما عمل عليها من
خير وشر ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ فدل ذلك على أن هذه الزلزلة إنما تكون
والناس أحياء واليوم يوم الجزاء وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾
يعنى الآخرة ﴿ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ إلى قوله ﴿ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾
فدللت هذه السورة على أن اصطدام الأرض والجبال لا يكون إلا بعد الإحياء ،
فدللت هذه الآية على أن الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية . والله أعلم .

٦٥٥- وأما قوله: فيه يوم التناد ، فقال الحسن وقتادة ، وذلك يوم ينادى أهل
الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، وينادى أهل النار أهل الجنة أن
أفويضوا علينا من الماء ، يوم تولون مدبرين ، يعنى عن النار أى غير قادرين غير
معجزين في تفسير مجاهد . وقيل : معناه يوم ينادى أهل النار بالويل والثبور
ويولون مدبرين من شدة العذاب . وقيل : إن ذلك نداء بعض الناس لبعضهم في
المحشر وتوليهم مدبرين إذا رأوا عنقا من النار [خبر صحيح] .
٦٥٦- وقال قتادة : معنى تولون مدبرين : منطلقاً بكم إلى النار مالكم من
الله من عاصم أى : مانع يمنعكم [خبر صحيح] .

٦٥٧- فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا
الرَّادِفَةُ ﴾ إلى أن قال : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ وهذا يقتضى بظاهره أنها
ثلاث ، قيل له : ليس كذلك ، وإنما المراد بالزجرة : النفخة الثانية التى يكون عنها
خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهم ،
قال مجاهد : هما صيحتان ، وأما الأولى ، فيموت كل شىء بإذن الله (تعالى) ،
وأما الأخرى فيحيا كل شىء بإذن الله (تعالى) .

٦٥٨- وقال مجاهد أيضاً : الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الأرض والجبال
فتندك دكة واحدة . وقال عطاء : الراجفة القيامة ، والرادفة البعث ، وقال ابن زيد :

الراجفة الموت ، والرادفة : الساعة ، فهذا يبين لك ما قلناه من أن المراد بالزجرة
النفخة الثانية .

٦٥٩- واختلفوا في الساهرة اختلافاً كثيراً ، فقال ابن عباس : وأما الساهرة
فأرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها طرفة عين ، خلقها الله يومئذ وهو قوله
تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ .

وقال بعضهم : الساهرة : اسم الأرض السابعة يأتي الله بها فيحاسب عليها
الخلائق ، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض . وقال قتادة : هي جهنم أى : فإذا
هؤلاء الكفار في جهنم ، وقيل صحراء قريب من شفير جهنم .
وقال الثوري : الساهرة : أرض الشام ، وقيل غير هذا ، وإنما قيل لها : ساهرة
لأنهم لا ينامون عليها حينئذ ، ومعنى ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ أى على الأرض
بعدها كانوا في بطنها والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة ، وقال أمية بن أبي
الصلت :

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهسوا به لهم مقيم

باب الحشر ومعناه الجمع

هو على أربعة أوجه : حشران في الدنيا ، وحشران في الآخرة .
أما الذى في الدنيا فقوله تعالى : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل
الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ .

٦٦٠- قال الزهرى : كانوا من سبط لم يصيهم جلاء ، وكان الله عز وجل
قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا ، وكان أول حشر حشروا في
الدنيا إلى الشام [خبر صحيح] .

٦٦١- قال ابن عباس : من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية ،
وذلك أن النبى ﷺ قال لهم : « اخرجوا » قالوا : إلى أين ؟ قال : « إلى أرض الحشر »
قال قتادة : هذا أول الحشر [حديث صحيح وإسناده ضعيف] .

٦٦٢- الثانى : ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :
يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير

وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتسمى معهم حيث أمسوا» أخرجه البخارى أيضاً .

[حديث صحيح] .

٦٦٣- وقال قتادة : الحشر الثانى نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تخلف . قال القاضى عياض : هذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة ، وهو آخر أشراتها كما ذكره مسلم بعد هذا فى آيات الساعة .

٦٦٤- قال فيه : وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تزجر الناس ، وفى رواية : تطرد الناس إلى محشرهم . وفى حديث آخر : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله : فتقبل معهم حيث قالوا ، وتسمى معهم حيث أمسوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا . قال : وفى بعض الروايات فى غير مسلم فإذا سمعتم به فاخرجوا إلى الشام كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم [حديث صحيح] .

٦٦٥- قال المؤلف رحمه الله: وذكره الحلیمی في(منهاج الدين) له من حديث ابن عباس وذكر أن ذلك فى الآخرة فقال:يحتمل قوله عليه (الصلاة والسلام):«تحشر الناس على ثلاث طرائق إشارة إلى الأبرار والمخلصين والكفار، فالأبرار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه ، والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء ، فأما الأبرار فإنهم يؤتون بالنجائب كما فى الحديث ، على ما يأتى فى هذا الباب ، وأما المخلطون فهم الذين أريدوا فى هذا الحديث وقيل : إنهم يحملون على الأبررة ، وأما الفجار الذين تحشرهم النار، فإن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة فتقيض لهم ناراً تسوقهم ، ولم يرد فى هذا الحديث إلا ذكر البعير ، فأما أن ذلك من إبل الجنة أو من الإبل التى تحيا وتحشر يوم القيامة، فهذا لم يأت بيانه، والأشبه ألا يكون من نجائب الجنة ، لأن من خرج من جملة الأبرار فكان مع ذلك من جملة المؤمنين . فإنهم بين الخوف والرجاء ، لأن من هؤلاء من يغفر الله تعالى ذنوبه فيدخل الجنة ، ومنهم من يعاقبه بالنار ، ثم يخرج منه ويدخله الجنة وإذا كانوا كذلك لم يلق أن يردوا موقف الحساب على نجائب الجنة ، ثم ينزل الله بعضهم

إلى النار لأن من أكرمه الله بالجنة لم يهنه بعد ذلك بالنار ، قال : وفى حديث آخر عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « يحشر الناس » الحديث وفى آخره أما أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك ، فهذا إن ثبت مرفوعاً فالركبان هم المتقون السابقون الذين يغفر الله ذنوبهم عند الحساب ولا يعذبهم ، إلا أن المتقين يكونون على نجائب الجنة والآخرون على دواب سوى دواب الجنة. والصنف الثانى الذين يعذبهم الله بذنوبهم ثم يخرجهم من النار إلى الجنة وهؤلاء يكونون مشاة على أقدامهم ، وقد يحتمل على هذا أن يمشوا وقتاً ثم يركبوا أو يكونوا ركباناً فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا وقتاً ثم يركبون أو يكونوا ركباناً ، فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا ليتفق الحديثان . والصنف الثالث: المشاة على وجوههم هم الكفار، وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف: صنف مسلمون وهم ركبان، وصنفان من الكفار أحدهما العتاة وأعلام الكفر، فهؤلاء يحشرون على وجوههم والآخرون الأتباع فهم يمشون على أقدامهم .

٦٦٦- قال المؤلف رحمه الله : وإلى هذا القول ذهب أبو حامد فى كتاب (كشف علم الآخرة) فى قوله عليه (الصلاة و)السلام كيف تحشر الناس يا رسول الله ؟ قال : « اثنان على بعير ، وخمسة على بعير ، وعشرة على بعير » ومعنى هذا الحديث والله أعلم. أن قوماً يأتلفون فى الإسلام برحمة الله يخلق الله لهم من أعمالهم بعيراً يركبون عليه ، وهذا من ضعف العمل لكونهم يشتركون فيه كقوم خرجوا فى سفر بعيد وليس مع واحد منهم ما يشتري به مطية توصله فاشترك فى ثمنها رجلان أو ثلاثة ، فابتاعوا مطية يتعقبون عليها فى الطريق ، ويبلغ بعير مع عشرة ، فاعمل هداك الله عملاً يكون لك به بعير خالص من الشركة ، واعلم أن ذلك هو المتجر الرابع ، فالمتقون وافدون كما قال الجليل : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ [حديث صحيح] .

٦٦٩- وخرج النسائى عن أبى ذر قال : « إن الصادق المصدوق حدثنى أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج ، فوجاً راكبين طاعمين كاسين ، وفوجاً تسحبهم الملائكة على وجوههم ، ويحشر الناس فوجاً يمشون ويسعون يلقى الله الآفة على الظهر فلا تبقى حتى إن الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها » [حديث صحيح] .

٦٧٠- وذكر عمر بن (شبة) في كتاب (المدينة) على ساكنها السلام. عن
أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: آخر من يحشر رجلاً: رجل من جهينة، وآخر
من مزينة، فيقولان أين الناس؟ فيأتیان المدينة فلا يريان إلا الثعلب، فينزل إليهما
ملكاً فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقان بالناس». وهذا كله مما يدل على
أن ذلك في الدنيا كما قال القاضي عياض، وأما الآخرة، فالناس أيضاً مختلفو الحال
على ما ذكره، وسنذكر من ذلك ما فيه كفاية في الباب بعد هذا.

والحشر الثالث: حشرهم إلى الموقف على ما يأتي بيانه في الباب بعد هذا إن
شاء الله. قال الله تعالى ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ [حديث صحيح].

٦٧٢- مسلم عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، الذين يحشرون على
وجوههم أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على
الرجلين قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة
ربنا. أخرجه البخاري أيضاً [حديث صحيح].

٦٧٣- ففصله: قال أبو حامد وذكر هذا الفصل: وفي طبع الآدمي إنكار ما
لم يأنس به ولم يشاهده، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها لأنكر
المشي من غير رجل، والمشى بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك، فإياك
أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لخالفتها قياس الدنيا، فإنك لو لم تشاهد
عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها، فأحضر
رحمك الله في قلبك صورتك، وأنت قد وقفت عارياً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً
منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء.

باب بيان الحشر إلى الموقف كيف هو؟ وقد أكد أرض المحشر؟

وذكر الصخرة. وقوله تعالى ﴿واستمع يوم ينادى المنادى

من مكان قريب﴾ الآية

٦٧٤- أبو نعيم قال: (قال بعض العلماء): حدثنا أبي قال: حدثنا إسحاق قال،

حدثنا محمد قال : قال حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا المنذر بن النعمان أنه سمع وهب بن منبه يقول: قال الله تعالى الصخرة بيت المقدس: « لأضعن عليك عرشي، ولأحشرن عليك خلقى، وليأتينك يومئذ داود راكباً».

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات] .

٦٧٦- فإن قيل : فإذا كانت الصيحة للخروج فكيف يسمعونها وهم

أموات ؟

قيل له : إن نفخة الإحياء تمتد وتطول ، فتكون أوائلها للإحياء ، وما بعدها للإزعاج من القبور ، فلا يسمعون ما يكون للإحياء ويسمعون ما يكون للإزعاج ، ويحتمل أن تتناول تلك النفخة والناس يحيون منها أولاً فأولاً ، وكلما حيى واحد سمع ما يحيى به من بعده إلى أن يتكامل الجميع للخروج ، وقد تقدم أن الأرواح فى الصور ، فإذا نفخ فيه النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده ﴿ فإذا هم من الأجداث ﴾ أى : القبور ﴿ إلى ربهم ينسلون ﴾ وهذا يبين لك ما ذكرنا وبالله توفيقنا .

٦٧٧- وقال محمد بن كعب القرظى: يحشر الناس يوم القيامة فى ظلمة ، وتطوى السماء ، وتتناثر النجوم ، وتذهب الشمس والقمر ، وينادى مناد فيتبع الناس الصوت يومئذ، فذلك قول الله عز وجل: ﴿ يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له ﴾ الآية . وقال الله عز وجل ﴿ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتشرت * وإذا البحار فجرت ﴾ فجر عذبها فى ملحها ، وملحها فى عذبها فى تفسير قتادة ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ أى : أخرج ما فيها من الأموات ، وقال تعالى ﴿ إذا السماء انشقت وأذنت لربها ﴾ أى سمعت وأطاعت ﴿ وحقت ﴾ أى وحق لها أن تفعل ﴿ وإذا الأرض مدت ﴾ تمد مد الأديم وهذا إذا بدلت بأرض بيضاء كأنها فضة لم تعمل عليها خطيئة قط ، وألقت ما فيها من الأموات فصاروا على ظهرها .

٦٧٨- مسلم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيه علم لأحد » .

[حديث صحيح] .

٦٧٩- وخرج أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، عن عبد الله بن مسعود :
« يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأظماً ما كانوا ، وأعرى ما
كانوا قط ، وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه ، ومن سقا لله سقاه ، ومن كسا
لله كساه ، ومن عمل لله كفاه ، ومن نصر الله أراحه الله في ذلك اليوم .
٦٨١- وقال أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة) : ومن الناس من
يحشر بفتنته الدنيوية ، فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم ، فعند قيام
أحدهم من قبره يأخذه يمينه فيطرحه من يده ويقول: سحراً لك، شغلتنى عن ذكر
الله ، فيعود إليه ، يقول : أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ،
وكذلك يبعث السكران سكران ، والزامر زامراً ، وكل واحد على الحال الذي صده
عن سبيل الله . قال : ومثل الحديث الذي روى في الصحيح ، أن شارب الخمر
يحشر والكوز معلق في عنقه ، والقدح بيده ، وهو أتت من كل جيفة على الأرض ،
يلعنه كل من يمر به من الخلق ، وقال أيضاً في هذا الكتاب : فإذا استوى كل واحد
قاعداً على قبره فمنهم العريان ، ومنهم المكسو والأسود والأبيض ، ومنهم من يكون
له نور كالمصباح الضعيف ، ومنهم من يكون كالشمس لا يزال كل واحد منهم
مطرقاً برأسه ألف عام ، حتى تقوم من الغرب نار لها دوى تساق ، فيدهش لها رؤوس
الخليقة إنساً وجنأً وطيراً ووحشاً فيأتى كل واحد من المخاطبين عمله ويقول له : قم
فانهض إلى المحشر ، فمن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عمله بغلاً ، ومنهم من
يشخص عمله حماراً ، ومنهم من يشخص له كبشاً تارة يحمله ، وتارة يلقيه يجعل
لكل واحد منهم نور شعاعى بين يديه وعن يمينه ومثله (يسير) بين يديه في الظلمات ،
وهو قوله تعالى : ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم ﴾ وليس عن شمائلهم
نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع البصر نفاذا ، يحار فيها الكفار ، ويتردد المرتابون ،
والمؤمن ينظر إلى قوة حلكتها ، وشدة حنوسها ، ويحمد الله تعالى على ما أعطاه من
النور المهتدى به في تلك الشدة يسعى بين أيديهم وبأيمنهم ، لأن الله تعالى يكشف
للعبد المؤمن المنعم عن أحوال المعذب الشقى ليستبين له سبيل الفائدة ، كما فعل بأهل
النار حيث يقول فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، وكما قال سبحانه : ﴿ وإذا صرفت

أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴿ لأن أربعاً لا يعرف قدرها إلا أربع : لا يعرف قدر الحياة إلا الموتى ، ولا يعرف قدر الأغنياء إلا الفقراء ، ولا يعرف قدر الصحة إلا أهل البلاء والسقم : ولا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ ، وفي نسخة: ولا يعرف قدر النعيم إلا أهل الجحيم ، ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى طرف بنانه ونوره يطفأ تارة ، ويشتعل أخرى ، وإنما هم عند البعث على قدر إيمانهم وأعمالهم، وقد مضى في باب (يبعث كل عبد على ما مات عليه) ما فيه كفاية ، والحمد لله .

باب الجمع بين آيات ووطدت فك الكتاب

فك الحشر ظاهرها التعارض

٦٨٢- منها قوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ﴾ وقال تعالى ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ﴾ ، وفي آية ثالثة أنهم يقولون ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ وهذا كلام وهو مضاد للبكم . والتعارف: تخاطب وهو مضاد للصمم والبكم معا ، وقال تعالى ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ والسؤال لا يكون إلا بالإسماع ، وإلا لناطق (يستمع) للجواب ، وقال ﴿ ونحشر الجحورين يومئذ زرقاً ﴾ وقال: ﴿ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ قال: ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراغاً كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ والنسلان والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه .

والجواب لمن سأل عن هذا الباب أن يقال له : إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم ، فليست حالهم حالة واحدة ، ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً ، ولكن لهم مواقف وأحوال ، واختلفت الأخبار عنهم لا اختلاف مواقفهم وأحوالهم ، وجملة ذلك أنها خمسة أحوال : حال البعث من القبور، والثانية حال السوق إلى موضع الحساب، والثالثة: حال المحاسبة ، والرابعة: حال السوق إلى دار الجزاء ، والخامسة: حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها .

٦٨٣- فأما حال البعث من القبور : فإن الكفار يكونون كاملى الحواس والجوارح لقول الله تعالى : ﴿ يتعارفون بينهم ﴾ وقوله : ﴿ يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً ﴾ وقوله : ﴿ فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وقوله : ﴿ قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ﴾ إلى قوله ﴿ ترجعون ﴾ .

والحالة الثانية : حال السوق إلى موضع الحساب ، وهم أيضاً فى هذه الحال بحواس تامة لقوله عز وجل : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوههم إنهم مسئولون ﴾ ومعنى (فاهدوهم) أى دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم، فنبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة.

الحالة الثالثة : وهى حالة المحاسبة وهم يكونون فيها أيضاً كاملى الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرؤوا كتبهم الناطقة بأعمالهم ، وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ . وأنهم يقولون لجلودهم : ﴿ لم شهدقنا علينا ﴾ ويشاهدوا أحوال

القيامة وما كانوا مكذبين فى الدنيا به من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها .

وأما الحالة الرابعة : وهى السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ماؤامر جهنم ﴾ ويحتمل أن يكون قوله تعالى : ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق .

والحالة الخامسة ، حال الإقامة فى النار، وهذه الحالة تنقسم إلى بدو ومآل

فبدوها أنهم إذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عمياً وبكما وصماً إذلاً لهم تمييزاً عن غيرهم ، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار ، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين ، فيستقرون فى النار ناطقين سامعين مبصرين ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى ﴾ وقال ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب آيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ وقال: ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخرامهم لأولامهم ﴾ إلى قوله ﴿ وقالت أولامهم لأخرامهم ﴾ وقال : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ﴾ وأخبر تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون ﴿ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ وأن أهل الجنة ينادونهم : ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم ﴾ وأنهم يقولون: ﴿ يا مالك ليقتض علينا ربك ﴾ فيقول لهم ﴿ إنكم ما كثون ﴾ وأنهم يقولون لخزنة جهنم ﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴾ فيقولون لهم: ﴿ أولم تك تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾. وأما العقبي والمآل فإنهم إذا قالوا: ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فقال الله تعالى: ﴿ اخسثوا فيها ولا تكلمون ﴾ وكتب عليهم الخلود بالمثل الذى يضرب لهم وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى الموت، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار ، وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، سلبوا فى ذلك الوقت أسماعهم ، وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام، لكن سلب السمع يقين، لأن الله تعالى يقول:

﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾ فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق ، ويحتمل أن تكون الحكمة في سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على السنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه ، وكذبوا به بعد قيام الحجة عليهم بصحته ، فلما كانت حجة الله عليهم في الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم في الأخرى ، بسلب الأسماع يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ، وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وإن قوم نوح عليه الصلاة والسلام كانوا يستغشون ثيابهم تستراً منه ، لتلا يروه ولا يسمعوا كلامه ، وقد أخبر الله تعالى عن الكفار في وقت نبينا محمد ﷺ مثله فقال : ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم﴾ وإن سلبت أبصارهم فلأنهم أبصروا الغير فلم يعتبروا ، والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا والله أعلم .

باب ما جاء في حشر الناس إلى الله عز وجل
حفاة عراة غرلاً وقد أول من يكسده منهم وفي أول ما
يتكلم من الإنسان

٦٨٤- مسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال : «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ، ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام ، ألا وإنه يؤتى برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب أصحابي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾ إلى قوله ﴿العزیز الحكيم﴾ قال : فيقال : إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . أخرجه البخارى أيضاً والترمذى [حديث صحيح] .

٦٨٥- عن معاوية بن (جبله) -رضى الله عنه- عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال : وأشار بيده إلى الشام فقال : «هنا إلى ههنا تحشرون ركباناً ومشاةً وتجرون على وجوهكم يوم القيامة ، (على) أفواهكم القدام ، توفون سبعين أمة ، أنتم

خيرهم على الله ، وأكرمهم على الله وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذة » وفي رواية أخرى ذكرها ابن أبي شيببة : « وإن أول ما يتكلم من الإنسان فخذة وكفه » [حديث صحيح] .

٦٨٦- فصل : قوله « غرلاً » أى غير مختونين ، النقى : الحوارى ، وهو الدرملك من الدقيق ، والعفر بياض ليس بخالص يضرب إلى الحمرة قليلاً ، والفدام مصفاة الكوز والابريق ، قاله الليث . قال أبو عبيدة : يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الإبريق وقوله « أول من يكسى إبراهيم » فضيلة عظيمة لإبراهيم ، وخصوص له كما خص موسى عليه (الصلاة)السلام بأن النبى ﷺ يجده معلقاً بساق العرش مع أن النبى ﷺ أول من تنشق عنه الأرض ، ولا يلزم من هذا أن يكون أفضل منه مطلقاً ، بل هو أفضل من وافى القيامة على ما يأتى بيانه في أحاديث الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله تعالى . قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب (المفهم) له : يجوز أن يراد بالناس من عداه من الناس ، فلم يدخل تحت خطاب نفسه ، والله أعلم .

٦٨٧- قلت : هذا حسن لولا ما جاء منصوباً خلفه ، فقد روى ابن المبارك فى رقايقه : أخبرنا سفيان عن عمر بن قيس ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن على رضى الله عنه قال : « أول من يكسى خليل الله إبراهيم قبطيتين ، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش » خرجه البيهقى أيضاً [خبر صحيح] .

٦٨٨- وروى عباد بن كثير ، عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله عنه قال : « إن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى ، وأول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم خليل الله ، ثم محمد ﷺ ثم النبيون والرسل عليهم (الصلاة)السلام ، ثم يكسى المؤذنون وتلقاهم الملائكة على نجائب من نور أحمر ، أزمتها من زمرد أخضر ، رحالها من الذهب ، ويشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك إلى المحشر » ذكره الحلیمی فى كتاب (منهاج الدين) له .

٦٩١- فصل : وتكلم العلماء فى حكمة تقديم إبراهيم عليه (الصلاة)السلام بالكسوة ، فروى أنه لم يكن فى الأولين والآخرين لله عز وجل عبد أخوف من إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فتعجل له كسوته أماناً له ليطمئن قلبه ، ويحتمل أن

يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أمر بلبس السراويل إذا صلى مبالغة في التستر ، وحفظاً لفرجه من أن يماس مصلاه ففعل ما أمر به ، فيجزى بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون الذين ألقوه في النار وجردوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين الناس كما يفعل بمن يراد قتله، وكان ما أصابه من ذلك في ذات الله عز وجل، فلما صبر واحتسب وتوكل على الله تعالى دفع الله عنه شر النار في الدنيا والآخرة ، وجزاه بذلك العرى أن جعله أول من يدفع عنه العرى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، وهذا أحسنها ، والله أعلم .

وإذا بدئ في الكسوة بإبراهيم وثنى بمحمد ﷺ أوتى محمد بحلة لا يقوم لها البشر لينجبر التأخير بنفاسة الكسوة ، فيكون كأنه كسي مع إبراهيم عليهما الصلاة والسلام قاله الحليمي . وقوله: « تجدون على أفواهكم الفدام»، والفدام : مصفاة الكوز والإبريق ، قاله الليث . قال أبو عبيد يعني أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل على الإبريق . (و) قال سفيان : وفدامهم أن يؤخذ على ألسنتهم وهذا مثل .

باب منه

وبيان قوله تعال: ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾

٦٩٢- مسلم عن عائشة -رضى الله عنها- قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » قلت: يا رسول الله ، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة ، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » [حديث صحيح] .

٦٩٣- الترمذى عن ابن عباس -رضى الله عنه- أن النبي ﷺ قال : « تحشرون حفاة عراة غرلاً فقالت امرأة : أبيضر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » قال : حديث حسن صحيح [حديث صحيح] .

٦٩٤- فصل : قلت : هذا الباب والذي قبله يدل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً أى غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده . قال العلماء : يحشر العبد غداً وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد ، فمن قطع منه عضو يرد في القيامة

عليه حتى الختان .

٦٩٥- وقد عارض هذا الباب ما (رواه) أبو داود في سننه ، عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه- لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الميت يبعث فى ثيابه التى دفن فيها » قال أبو عمر بن عبد البر : وقد احتج بهذا الحديث من قال : إن الموتى يبعثون جملة على هياتهم ، وحمله الأكثر من العلماء على الشهيد الذى أمر أن يزمل فى ثيابه، ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه، ولا يغير عليه شيء من حاله بدليل حديث ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما ، قالوا : ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث فى الشهيد فتأوله على العموم ، والله أعلم .

قلت : ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قوله الحق : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ وقوله : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ ولأن الملابس فى الدنيا أموال ، ولا مال فى الآخرة ، زالت الأملاك بالموت ، وبقيت الأموال فى الدنيا ، وكل نفس يومئذ، فإنما يقبها المكاره (ثواب) وجب لها بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله (تعالى) عليها ، فأما الملابس فلا غنى فيها يومئذ إلا ما كان من لباس الجنة على ما تقدم فى الباب قبل (قاله الحلیمی) [حديث صحيح] .

باب قول النبي ﷺ

من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ

﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾

و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وفى أسماء يوم القيامة

٦٩٨- الترمذي عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وقال : هذا حديث حسن [حديث صحيح] .

٦٩٩- فصل : قلت : وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة ، لما فيها

من انشقاق السماء، وانفطارها ، وتكور شمسها ، وانكدار نجومها ، وتناثر
كواكبها ، إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها ، وخروج الخلق من قبورهم إلى
سجونهم أو قصورهم ، بعد نشر صحفهم ، وقراءة كتبهم ، وأخذها بأيانهم ،
وشمائلهم ، أو من وراء ظهورهم ، في موقفهم على ما يأتي بيانه . قال الله تعالى :
﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وقال ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ وقال : ﴿ ويوم تشقق
السماء بالغمام ﴾ فتراها واهية منقطرة متشقة كقوله تعالى : ﴿ وفتحت السماء
فكانت أبوابا ﴾ ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض . وقيل : إن (الباء) بمعنى
(عن) أى : تشقق عن سحاب أبيض . ويقال : انشقاقها لما يخلص إليها من حر
جهنم ، وذلك إذا بطلت المياه وبرزت النيران ، فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية
كالدهن ، وتشقق لما يريد الله من نقض هذا العالم ورفعها ، وقد قيل : إن السماء
تتلوث فتصفر ثم تحمر ، أو تحمر ثم تصفر ، كالمهرة تميل في الربيع إلى الصفرة ، فإذا
اشتد الحر مالت إلى الحمرة ثم إلى الغبرة . قاله الحلیمی .

وقوله تعالى : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنه تكويرها
إدخالها فى العرش . وقيل : ذهاب ضوئها . قاله الحسن وقتادة .

وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد . وقال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير
العمامة تلف فتحمى ، وقال الربيع بن خيثم كورت رمى بها ، ومنه كورته فتكور
أى : سقط .

قلت : وأصل التكوير : الجمع ، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أى
لاتها وجمعها فهى تكور ثم يحى ضوؤها ثم يرمى بها والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ أى انشثرت قيل : تتناثر من أيدي
الملائكة لأنهم يموتون . وفى الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي
الملائكة . وقال ابن عباس رضى الله عنه : انكدرت تغيرت ، وأصل الانكدار :
الانصباب ، فتسقط فى البحار ، فتصير معها نيراناً إذا ذهب الماء .

وقوله ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ هو مثل قوله ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ أى تحول
عن منزلة الحجارة فتكون كشيأ مهيلأ أى : رملاً سائلاً وتكون كالعهن ، وتكون هباء

منبثاً ، وتكون سراباً مثل السراب الذى ليس بشيء ، وقيل : إن الجبال بعد اندكائها أنها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل . قال الحلیمی : وهذا والله أعلم لأن مياه الأرض كانت حاجزة بين السماء والأرض ، فإذا ارتفعت وزيد مع ذلك في إحماء جهنم أثر في كل واحد من السماء والأرض ما ذكر .
وقوله : ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أى عطّلها أهلها فلم تحلب من الشغل

بأنفسهم . والعشار : الإبل الحوامل واحدها عشراء ، وهى التى أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ، ثم يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ، وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما يكون على العرب ، فأخبر أنه تعطّل يوم القيامة . ومعناه : أنهم إذا قاموا من قبورهم ، وشاهد بعضهم بعضاً ، ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التى كانت أنفس أموالهم لم يعبؤوا بها ولم يهتمهم أمرها ، ويحتمل (تعطيل) العشار : إبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملكهم إياها فى الدنيا ، وأهل العشار يرونها فلا يجدون إليها سبيلاً . وقيل : العشار السحاب يعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يطر ، وقيل : العشار : الديار تعطّل فلا تسكن . وقيل : الأرض التى يعشر زرعها تعطّل فلا تزرع ، والقول الأول أشهر وعليه من الناس الأكثر .

وقوله : ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أى : جمعت ، والحشر : الجمع وقد تقدم .

وقوله : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أى : أوقدت وصارت ناراً ، رواه الضحاك

عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال قتادة : غار ماؤها فذهب ، وقال الحسن والضحاك : فاضت . قال ابن أبي زمنين ﴿سجرت﴾ حقيقته ملكت فيفضى بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً وهو معنى قول الحسن ، ويقال : إن الشمس تلف ثم تلقى في البحار فمناها تحمى وتقلب ناراً .

قال الحلیمی : يحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار في قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئذ تكون أكثرها ، لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة ، فإذا كورت وألقت في البحر فصارت ناراً ازدادت امتلاء .

وقوله : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ تفسير الحسن أن تلحق كل شيعة

شيعتها، اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى ، والمجوس بالمجوس ، وكل من كان

يعبد من دون الله شيئاً يلحق بعضهم ببعض والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين .
وقال عكرمة : المعنى : تقرن بأجسادها ، أى : ترد إليها ، وقيل يقرن الغاوى بمن
أغواه من شيطان أو إنسان . وقيل : يقرن المؤمنون بالخور العين والكافرون بالشياطين
وقوله : ﴿ وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ يعنى : بنات الجاهلية كانوا يدفنونهن أحياء لخصلتين :

إحدهما : كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله ، فألحقوا البنات به .

الثانية : مخافة الحاجة والإملاق ، وسؤال الموعودة على وجه التوبيخ
لقاتلها ، كما يقال للطفل إذا ضرب : لم ضربت وما ذنبك ؟ وقال الحسن : أراد الله
أن يوبخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وبعضهم يقرأ ﴿ وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ تعلق
الجارية بأبيها فتقول بأى ذنب قتلتنى ؟ وقيل : معنى سئلت يسأل عنها ، كما قال :
﴿ إِنْ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ أى : للحساب ، وسيأتى .

وقوله : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ قيل : معناه : طويت ، كما قال الله تعالى :
﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ أى كطى الصحيفة على ما فيها ،
فاللام بمعنى « على » يقال : كشطت السقف أى قلعته فكان المعنى قلعت فطويت .
والله أعلم . والكشط والقشط سواء وهو القلع ، وقيل : السجل كاتب للنبي ﷺ ولا
يعرف في الصحابة من اسمه : سجل .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴾ أى أوقدت .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أى قربت لأهلها وأذنت ﴿ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا
أَحْضَرْتَ ﴾ أى : من عملها وهو مثل قوله : ﴿ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدِمْتَ وَأَخْرَجْتَ ﴾
ومثل قوله : ﴿ يَنْبَأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ فهو يوم الانشقاق ويوم
الانفطار ويوم التكوير ويوم الانكدار ويوم الانتثار ، ويوم التسيير ، قال الله تعالى :

﴿وتسير الجبال سيرا﴾ ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ ويوم التسجير ، ويوم التعطيل
ويوم التفجير ويوم المشط والطي ويوم المد لقروله تعالى : ﴿وإذا الأرض مدت﴾ إلى
غير ذلك من أسماء القيامة ، وهى الساعة الموعود أمرها ولعظمتها أكثر الناس السؤال
عنها لرسول الله ﷺ حتى أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿يسألونك عن
الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى
السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾ وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته
وكثرت أسماؤه ، وهذا جميع كلام العرب ، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم
موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم ، وله نظائر ، فالقيامة
لما عظم أمرها ، وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى فى كتابه بأسماء عديدة ،
ووصفها بأوصاف كثيرة ، منها ما ذكرناه ، مما وقع فى هذه السور الثلاث .
وقيل : إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها فتوقف بين يدى الله
تعالى ويوم الجمعة فيها زهراء مضيئة يعرفها الخلائق فيوم القيامة يوم يتضمن الأيام
كلها فسمى بكل حال يوما فقيل ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ ثم قيل : ﴿يوم
يكون الناس كالفراش المبتوث﴾ ثم قيل : ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾
فهذه حالة أخرى . ثم قيل : يومئذ تعرضون ثم قيل : ﴿يومئذ يصدر الناس
أشتاتا﴾ . فهذه أحوال فقد يجرى يوم القيامة بطوله على هذه الأحوال كل حال
منها كالיום المتجدد ولذلك كررت فى قوله تعالى : ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾ *
ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴿ لأن ذلك اليوم وما بعده يوم ، واليوم العظيم
متضمن لهذه الأيام فهو لله تعالى يوم وللخلائق أيام فقد عرفت أيامهم فى يومه وقد
بطل الليل والنهار . قاله الترمذى الحكيم ، ومما قيل فى معنى ما ذكرنا من النظم قول
بعضهم :

مثل لنفسك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور
 إذ كورت شمس النهار وأدريت حتى على رأس العباد تسيير
 وإذا الجبال تفجرت من خوفها ورأيتهما مثل الجحيم تفور
 وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدور
 وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتهما مثل السحاب تسيير
 وإذا العشار تعطلت وتخربت خلعت الديار فما بها معمور
 وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت وتقول للأملاك أين نسيير
 وإذا تقاة المسلمين تزوجت من حور عين زانهن شعور
 وإذا الموعودة سئلت عن شأنها وبأى ذنب قتلها ميسور
 وإذا الجليل طوى السما يمينه طى السجل كتابه المنشور
 وإذا الصحائف عند ذلك تساقطت تبدى لنا يوم القصاص أمور
 وإذا الصحائف نشرت فتطايرت وتهتكت للمؤمنين ستور
 وإذا السماء تكشطت عن أهلها ورأيت أفلاك السماء تدور
 وإذا الجحيم تسعرت وتلهبت فيها مقامع زلة وزفير
 وإذا الجحيم تسعرت نيرانها فلها على أهل الذنوب زفير
 وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت لفتى على طول البلاء صبور
 وإذا الجنين بأمه متعلق يخشى القصاص وقلبه مذعور
 هذا بلا ذنب يخاف جنائية كيف المصير على الذنوب دهور

ومنها: الساعة ، قال الله تعالى : ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما
 لبثوا غير ساعة﴾ وقال ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ . ﴿ويوم
 تقوم الساعة يومئذ يفرقون﴾ ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون

أشد العذاب وهو في القرآن كثير ، والساعة : كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءاً من يوم وليلة واللذين هما أصل الأزمنة ، وتقول العرب أفعل كذا الساعة ، وأنا الساعة في أمر كذا تريد الوقت ، الذي أنت فيه ، والذي يليه تقريبا له وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت ، والذي أنت فيه وهو المسمى بالآن ، وسميت به القيامة إما لقربها فإن كل آت قريب ، وإما أن تكون سميت بها تنبيها على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام ، وقيل : إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة ، وقيل إنما سميت بالساعة لأن الله تعالى أمر السماء أن تمطر بماء الحيوان حتى تنبت الأجساد في مدافنها ، ومواضعها حيث كانت من بحر أو بر وتستقل وتنحرك بحياتها بماء الحيوان ، وليست فيها أرواح ثم تدعى الأرواح ، فأرواح المؤمنين تنوقد نوراً ، وأرواح الكافرين تنوهج ظلمة ، فإذا دعا الأرواح ألقاها في الصور ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور فإذا نفخ في خرجت من الصور ثم أمرت أن تلحق الأجساد فتبعث إلى الأجساد في أسرع من اللمحة ، وإنما سميت الساعة لسعي الأرواح إلى الأجساد في تلك السرعة فهي سائغ وجمعها ساعة كقولك ، بائع وباعة، وصائغ وصاغة ، وكائل وكالة ، فوصف أن سائر أموره في السرعة كلمح البصر وأمر الساعة أقرب من لمح البصر . قاله الترمذى الحكيم (أبو عبد الله) .

٧٠٠ - وذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال : إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العصاة دما ، ومنها القيامة قال الله تعالى : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ وهي في العربية مصدر قام يقوم ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب ، واختلف في تسميتها بذلك على أربعة أقوال :

الأول : لوجود هذه الأمور فيها .

الثاني : لقيام الخلق من قبورهم إليها . قال الله تعالى ﴿ يوم يخرجون من

[خبر حسن]

الأجداث سراعا ﴾ .

٧٠١ - الثالث : لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر رضی

الله عنهما عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: يوم يقوم

أحدكم في رشحه إلى نصف أذنيه. [حديث صحيح]

٧٠٢- قال: ابن عمر رضی اللہ عنہما: «يقومون مائة سنة» .

[خبر صحيح]

الرابع: لقيام الروح والملائكة صفياً . قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ

والملائكة صفياً﴾ .

٧٠٤- قال علماؤنا: واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته ، ولكنها

قيامه صغرى فالقيامه قيامتان : صغرى وكبرى ، فالصغرى: هي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله.

إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر ، والقيامه الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة ، والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته : قول

النبي ﷺ لقوم من الأعراب وقد سألوه متى القيامة ؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: « إن يعيش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » [حديث صحيح]

أخرجه مسلم وغيره ، وقال الشاعر:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أقبل الحاملون جنازتي

وعجل أهلي حفر قبري وصبروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي

كأنهم لم يعرفوا قط سيرتي غداة أتى يومى على وساعتي

ومنها : يوم النفخة . قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ وقد مضى

القول فيه .

ومنها : يوم الزلزلة ، ويوم (الراجفة) . قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ

الراجفة تتبعها الرادفة﴾ وقد تقدم .

ومنها : يوم الناقور ، كقوله تعالى ﴿فَإِذَا نَفَرَ فِي النَّاقُورِ﴾ وقد تقدم القول

فيه والحمد لله .

ومنها : القارعة سميت بذلك لأنها تفرع القلوب بأهوالها يقال : قد أصابتهم قوارع الدهر أى أهواله وشدائده ، قالت الخنساء :
تعرفنى الدهر نهشاً وحزاً وأوجعنى الدهر قرعاً وغمزاً
أرادت أن الدهر أوجعها بكبريات نوائبه وصغرياتها .
ومنها يوم البعث وحقيقته إثارة الشيء عن خفاء وتحريكه عن سكون ، قال
عنتره :

وعصابة شم الأنوف بعثتهم
وقال امرؤ القيس :

وفتيان صدق قد بعثت بسحرة
وقد تقدم القول فيه وفي صفته والحمد لله .

ومنها : يوم النشور هو عبارة عن الإحياء . يقال : قد أنشر الله الموتى فنشروا
أى أحياهم الله فحيوا ومنه قوله تعالى : ﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشرها ﴾ أى
نحييها ، وقد يكون معناه التفريق من ذلك (كقولك) أمرهم نشر .

ومنها : يوم الخروج ، قال الله تعالى : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث
سراعاً ﴾ فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار ثم لا خروج ولا
دخول على ما يأتى .

ومنها : يوم الحشر ، وهو عبارة عن الجمع ، وقد يكون مع الفعل لإكراه قال
الله تعالى : ﴿ فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ﴾ أى من يسوق السحرة
كرها وقد مضى القول في الحشر مستوفى والحمد لله .

ومنها : يوم العرض قال الله تعالى : ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم
خافية ﴾ ، وقال : ﴿ وعرضوا على ربك صفاً ﴾ وحقيقته إدراك الشيء بإحدى
الحواس ليعلم حاله وغايته السمع والبصر فلا يزال الخلق قياماً فى يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة ما شاء الله أن يقوموا حتى يلهموا أو يهتّموا . فيقولون : قد كنا
نستشفع فى الدنيا فهلم فلنسأل الشفاعة إلى ربنا فيقولون : ائتوا آدم الحديث

وسياتى.

٧٠٥- قال ابن العربي : وفى كيفية العرض أحاديث كثيرة المعول منها على
تسعة أحاديث فى تسعة أوقات :

الأول :الحديث المشهور الصحيح ، رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى رضى
الله عنهما واللفظ له قال : إن ناساً فى زمن النبى ﷺ قالوا: يا رسول الله ، هل نرى
ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ: « هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة
صحواً ليس معها سحاب ، وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس
فيها سحاب » قالوا : لا يارسول الله ، قال : « ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة
إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما . إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما
كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى
النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب ، فيدعى
اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيراً بن الله . فيقال لهم:
كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا
فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون
فى النار ، ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح
ابن الله . فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد . فيقال لهم:ماذا تبغون ؟
فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا (قال) : فيشار (إليهم) ألا تردون فيحشرون إلى
جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار ، حتى إذا لم يبق إلا من
يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها . قال :
فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا ، فارقنا الناس فى الدنيا أفقر
ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك
بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً.حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية
فتعرفونه بها؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء
نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياء إلا جعل الله ظهره
طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى
الصورة التى رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا ثم يضرب

الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم ، وذكر الحديث وسيأتي
تمامه إن شاء الله تعالى [حديث صحيح] .

٧٠٦- الثاني : صح من حديث عائشة رضی الله عنها أنها قالت: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: « من نوقش الحساب عذب » قلت: يا رسول الله أليس الله
يقول: ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ قال: « ليس ذلك الحساب ذلك

العرض » وسيأتي [حديث صحيح] .

٧٠٩- الثالث : ثبت عن أبي هريرة رضی الله عنه وأبى سعيد الخدري
واللفظ له « يؤتى بعبد يوم القيامة فيقال له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً
وولداً وتركتك ترأس وترتع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا . فيقال
له : اليوم أنساك كما نسيتني » وهذا حديث صحيح. قلت : خرجه مسلم والترمذي
مطولاً [حديث صحيح] .

٧١٠- الرابع : ثبت من طرق صحاح أن النبي ﷺ قال : « يؤتى بالعبد يوم
القيامة فيضع عليه كنفه فيقول له: عبدى تذكر يوم كذا وكذا حين فعلت كذا وكذا
فلا يزال يقرره حتى يرى أنه (قد) هلك ، ثم يقول له : عبدى، أنا سترتها عليك فى
الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم » [حديث صحيح] .

٧١١- الخامس : وفى الصحيح عن أبى ذر رضی الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ: « إننى لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً من النار
رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها »
وذكر الحديث [حديث صحيح] .

٧١٢- السادس : وفى الصحيح عن أنس رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال : « يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول: أى رب ،
إذا أخرجتنى منها فلا تعدنى فيها فينجيه الله منها » [حديث صحيح] .

٧١٣- وروى مسلم : « يجمع الله الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم
الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة ، فيقول لهم : وهل أخرجكم من
الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك » وذكر حديث الشفاعة قال الله

تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ وذلك قوله في الحديث المتقدم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً» قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا مما أغفله الأئمة في التفسير .
السابع: العرض على الله (سبحانه) ولا أعلمه في الحديث إلا قوله في النص المتقدم حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين ، وذكر الحديث .

قلت: إذا تتبعنا الأحاديث في هذا الباب على هذا السياق كان الحسن والصحيح منها أكثر من تسعة [حديث صحيح] .

٧١٤- وقد خرج (مسلم) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع الحديث وسيأتي [حديث حسن] .

٧١٦- وخرج مسلم عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » الحديث وسيأتي [حديث صحيح] .

٧١٧- وخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب » الحديث وسيأتي .

ويتضمن من غير رواية البخاري عرض اللوح المحفوظ ، ثم إسرافيل ، ثم جبرائيل ، ثم الأنبياء نبياً نبياً صلوات الله عليهم أجمعين ، وسيأتي [حديث صحيح] .
٧١٨- وخرج الترمذي وابن ماجه حديث الرجل الذي ينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً وسيأتي .

وهذا كله من باب العرض على الله ، وإذا تتبعنا الأحاديث كانت أكثر من هذا في مواطن مختلفة وأشخاص متباينة ، والله أعلم ، وفي بعض الخبر أنه يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ، ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ، ولا يكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق .

قلت: وأما ما وقع ذكره في الحديث من كشف الساق وذكر الصورة فيأتي

إيضاح ذلك وكشفه إن شاء الله فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى [حديث صحيح] .

ومنها : يوم الجمع ، وحقيقته فى العربية ضم واحد إلى واحد ، فيكون شفعاً أو زوجاً إلى زوج فيكون جمعاً . قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وقال ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو فى القرآن كثير .

ومنها : يوم التفرق قال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَنفَرِقُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ .

ومنها يوم الصدع أيضاً، قال الله تعالى : ﴿يَوْمِئذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾

وقال : ﴿يَوْمِئذٍ يَصْدَعُونَ﴾ ومعناها معنى الاسم الذى قبله

٧٢٠- ومنها : يوم البعثرة ومعناه تتبع الشيء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى الأجسام من التراب والكافرين من المؤمنين والمنافقين ، ثم يخلص المؤمنين من المنافقين كما فى الحديث الصحيح : « إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد » خرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه [حديث صحيح] .

٧٢١- ومنها : ما روى « أنه يخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر

حب السمسم » وهو صحيح أيضاً وسيأتى [حديث صحيح] .

٧٢٢- وقال ﷺ « يؤخذ برجال ذات الشمال فأقول يا رب ، أصحابى ،

فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

ومنها : يوم الفزع ، وحقيقته ضعف النفس عن حمل المعانى الطارئة عليها

خلاف العادة ، فإن استمر كان جنباً وعند ذلك تتشوق النفس إلى ما يقويها فلاجل

ذلك قالوا : فزعت من كذا أى ضعفت عن حملته عن طريقه على خلاف العادة، وفزعت إلى كذا أى تشوقت نفسى عند ذلك إلى ما يقويها على ما نزل بها والآخرة كلها خلاف العادة وهى فزع كلها وفى التنزيل ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ ، وقد اختلف فيه فقيل هو قوله ﴿ لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ وقيل : إذا طبقت النار ، على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار . وقال الحسن : هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار وعنه أن الفزع الأكبر النفخة الآخرة وتلقاهم الملائكة بالبشارة حتى يخرجوا من قبورهم [حديث صحيح] .

٧٢٤- قلت : قد بينا أقوال العلماء فى ذلك عند ذكر حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى باب (أين يكون الناس) فتأمله هناك .
ومنها : يوم الدعاء وهو النداء أيضاً .
والنداء على ثمانية وجوه فيما ذكر ابن العربى .
الأول : نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع
الثانى : نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة كما أخبر الله عنهم .

الثالث : يدعى كل أناس بإمامهم ، وهو قوله : « لتتبع كل أمة ما كانت تعبد » قال المؤلف رضى الله عنه : ويقال بكتابهم ، وقيل : بنبيهم . قال سرى السقطى : تدعى الأمم يوم القيامة بأبيائها فيقال : يا أمة موسى ، يا أمة عيسى ، ويا أمة محمد ، غير المحيين لله فإنهم ينادون يا أولياء الله تعالى هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً .

الرابع : نداء الملك ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن فلاناً ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وسيأتى .
الخامس : النداء عند ذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت .

السادس : نداء أهل النار يا حسرتنا ويا ويلتنا .
السابع : قول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين .
الثامن : نداء الله تعالى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل رضيتم ؟

فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك . فيقول : أعطيتكم أفضل من ذلك : رضائي .

٧٢٥- قال المؤلف رضى الله عنه : ونداء تاسع ذكره أبو نعيم عن مروان بن محمد قال : قال أبو حازم الأعرج : يخاطب نفسه يا أعرج ينادى يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا وكذا وفتقوم معهم ، ثم ينادى يا أهل خطيئة أخرى فيقوم معهم فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة وفي التنزيل ﴿يوم يناديهم فيقول أين شركائي﴾ الآية التي في القصص ، وحم السجدة ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ والنداء في الأخبار كثير يأتي بيانها وذكرها في باب من يدخل الجنة بغير حساب .

ومنها : يوم الواقعة . وأصل وقع في كلام العرب : كان ووجد . وجاءت الشريعة في تأكيد ذلك بثبوت ما وجد ، قال الله تعالى : ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ والمراد بالقول هنا إخبار الباري عن الساعة وأنها قريبة ، ومن أعظم علاماتها الدابة ، وسيأتي ذكرها وما للعلماء فيها من الأثر إن شاء الله تعالى وقوله كاذبة مصدر كالباقية والعاقبة أى ليس لوقعتها مقالة كاذبة .

ومنها: الخافضة الرافعة أي ترفع قوماً في الجنة وتخفض أخرى في النار، والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والإهانة ، ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل ، يقولون: ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ والخاص والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده ، فرفع أوليائه في أعلى الدرجات وجعل أعداءه في أسفل الدرجات قال الله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ [خبر صحيح] .

٧٢٦- وقال ﷺ في حديث جابر رضى الله عنه: « نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس » قال ابن العربي : وهذا حديث فيه تخليط في كتاب مسلم لم يتقنه رواية . ومعناه: أن جميع الخلق على بسيط من الأرض سواء إلا محمداً ﷺ وأمه فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من الكوم ويخفض الناس عنهم ، وفي رواية :أكون أنا وأمتي يوم القيامة على تل فيكسوني ربي حلة خضراء ، ثم يؤذن لى فذلك المقام المحمود [حديث صحيح] .

٧٢٧- قلت : وهذا الرفع في المكان بحسب الزيادة في المكانة . قال ابن العربي : وهى أنواع فرفع محمد ﷺ بالشفاعة فى أول الخلق ، وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرعه بابها ، ورفع العادلين بالحديث الصحيح: المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم . يقال : اقرأ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، وسيأتى [حديث صحيح] .

٧٢٨- ورفع الشهداء فى سبيله فقال فى الحديث الصحيح: « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله » الحديث وسيأتى [حديث صحيح] .

٧٢٩- ورفع كافل اليتيم فقال ﷺ « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » وأشار مالك بالسبابة والوسطى يريد: فى الجوار [حديث صحيح] .

٧٣٠- وقال ﷺ: « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغائر فى أفق السماء وأن أبابكر وعمر منهم وأنعما ، ورفع عائشة على فاطمة رضى الله عنهما ، فإن عائشة مع النبى ﷺ وفاطمة مع على رضى الله عنهما .

ومنها : يوم الحساب ومعناه أن البارى سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوق بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر

[حديث صحيح].

٧٣١- وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال : « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » فقيل إن الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معاً ولا

يحاسبهم واحداً بعد واحد والمحاسبة حكم . فلذلك تضاف إليه كما يضاف الحكم إليه قال الله تعالى: ﴿ألا له الحكم﴾ وقال: ﴿وهو خير الحاكمين﴾

[حديث صحيح] .

٧٣٢- وفي الخبر: أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له: يا شيخ، ما أنصفت! غذوتك بالنعمة صغيراً فلما كبرت عصبيتني أما إنى لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل، وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضعضعت أركانه واصططكت ركبتاه فيقول الرب جل جلاله: أما استحييتني؟ أما راقبتني؟ أما خشيت نعمتي؟ أما علمت أنى مطلع عليك خذوه إلى أمه الهاوية، وقيل: إن الملائكة يحاسبون بأمر الله كما أن الحكام يحكمون بأمر الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى قوله: ﴿ولا يكلمهم الله﴾ وإن من لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حساباً يسيراً من غير ترجمان إكراماً لهم، كما أكرم موسى عليه (الصلاة و) السلام فى الدنيا بالتكليم ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة ويميزهم بذلك عن أهل الكرامة فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق كلهم معا كما تتسع قدرته لأحداث خلائق كثيرة معاً، قال الله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ أى إلا كخلق نفس واحدة [الخبر من الإسراييات].

٧٣٣- ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال: « كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة » .

٧٣٤- وفى صحيح مسلم حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: سأل الناس رسول الله ﷺ: « هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر وليس فى سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذى نفس محمد بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ». قال: « فيلقى العبد فيقول: أيا فل

ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وترتع ؟
 فيقول : بلى، فيقول : أفظنت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول : إني أنساك كما
 نسيتني، ثم يلقي الثاني فيقول له : ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقي الثالث فيقول له
 مثل ذلك فيقول : يا رب آمنت بك ، وبكتابك ، وبرسلك ، وصليت ، وتصدقت ،
 وصمت ، ويثني بخير ما استطاع ، قال : فيقول : ها هنا إذا ثم يقول : الآن نبعث
 شاهداً عليك فيقول في نفسه من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ، ويقال
 لفخذه: انطقى فتنطق فخذ ، ولحمه ، وعظامه ، بعمله وذلك ليعذر من نفسه ،
 وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه ، وقد قال الله تعالى ﴿ اقرأ كتابك كفى
 بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ أى : حاسباً ، فعيلاً بمعنى فاعل [حديث صحيح] .

٧٣٥- وإذا نظر فيها ورأى أنه قد هلك فإن أدركته سابقة حسنة وضعت له
 لا إله إلا الله في كفة فرجحت له السموات والأرض ، وفي رواية فطاشت
 السجلات وثقلت البطاقة « وسيأتى [حديث صحيح] .

٧٣٦- وقال : « من نوقش الحساب عذب » .

ومنها : يوم السؤال والبارى سبحانه وتعالى يسأل الخلق في الدنيا والآخرة
 تقريراً لإقامة الحجة وإظهاراً للحكمة ، قال الله تعالى ﴿ سل بنى إسرائيل كم

آتيناهم من آية بينة ﴾ وقال : ﴿ وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة

البحر ﴾ وقال : ﴿ وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ﴾ وهو في القرآن كثير

وقال : ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ وقال : ﴿ وإذا الموءودة سئلت ﴾

وقال : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ قيل : عن لا إله إلا الله ،

وقال : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ وقال عليه

(الصلاة والسلام) : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع » الحديث

وسياتى [حديث صحيح] .

٧٣٧- وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ألا كلكم

راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته
والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها
وهي مسؤولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع
وكلكم مسؤول عن رعيته .

ومنها : يوم الشهادة ، ويوم يقوم الأشهاد .

والشهادة على أربعة أنواع :

شهادة محمد ﷺ وأمنه تحقيقاً لشهادة الرسل على قومها .

الثاني : شهادة الأرض والأيام والليالي بما عمل فيها وعليها .

الثالث : شهادة الجوارح ، قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّهُمْ**

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ﴾ . وقال : ﴿ **وَقَالُوا بَلْجُودِمْ لَمْ شَهِدْنا عَلَيْنَا** ﴾ وذلك بين

أيضا في حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

الرابع : حديث أنس رضى الله عنه وفيه « ويختتم على فيه ويقال لأركانه

انطقى ، فتنتطق بأعماله ، وسيأتى بيان هذا الباب كله إن شاء الله تعالى .

ومنها يوم الجداول ، قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدَالٍ عَنِ**

نَفْسِهَا ﴾ أى : تعاصم وتحاج عن نفسها . وجاء فى الخبر : « أن كل أحد يقول يوم

القيامة نفسى نفسى من شدة أهوال يوم القيامة سوى محمد ﷺ فإنه يسأل فى أمته «

على ما يأتى [حديث صحيح] .

٧٣٨- وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه قال لكعب الأحبار : يا كعب :

خوفنا ، هيجنا ، حدثنا ، نبهنا ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، والذى نفسى بيده

لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأنت عليك تارات ولا يهملك إلا

نفسك ، وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي منتخب إلا وقع جائئاً على

ركبته ، حتى إن إبراهيم الخليل ليدلى بالخلقة فيقول رب ، أنا خليلك إبراهيم لا أسألك

اليوم إلا نفسى قال : يا كعب : أين نجد ذلك فى كتاب الله تعالى ؟ قال : قوله تعالى :

﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدَالٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهَمَّ لَا**

يظلمون ﴿ [خبر صحيح له طرق عديدة] .

٧٣٩- وقال ابن عباس رضى الله عنه فى هذه الآية : ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد ، فتقول الروح : رب ، الروح منك ، أنت خلقتة ، لم يكن لى يد أبطش بها ، ولا رجل أمشى بها ، ولا عين أبصر بها ، ولا أذن أسمع بها ، ولا عقل أعقل به ، حتى جئت فدخلت فى هذا الجسد فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى . فيقول الجسد : رب أنت خلقتنى بيدك فكنت كالحشبة ليس لى يد أبطش بها ولا قدم أسعى بها ، ولا بصر أبصر به ، ولا سمع أسمع به ، فجاء هذا كشعاع الشمس ، فيه نطق لسانى ، وبه أبصر عينى ، وبه مشيت رجلى ، وبه سمعت أذنى ، فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى قال : فيضرب الله لهما مثلاً أعمى ومقعد أدخلتا بستاناً فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا ينالها ، فنادى المقعد للأعمى : ائتنى فاحملنى أكل وأطعمك فدنا منه فحمله فأصابا من الثمرة فعلى من يكون العذاب ؟ قالوا : عليهما ، قال : عليكم جميعاً العذاب .

قال المؤلف رضى الله عنه وأرضاه : ومن هذا الباب قول الأئم : كيف يشهد علينا من لم يدر كنا إلى غير ذلك مما فى معناه حسب ما يأتى .

ومنها : يوم القصاص . وفيه أحاديث كثيرة (يأتى) ذكرها فى باب إن شاء الله

تعالى .

ومنها : يوم الحاقة . وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها . قاله الطبرى كأنه

جعلها من باب : لىلى نائم كما تقدم .

وقيل : سميت حاقة لأنها كانت من غير شك . وقيل : سميت بذلك لأنها

أحقت (لأقوام الجنة وأحقت) لأقوام النار .

ومنها : يوم الطامة . معناها الغالبة من قولك : طم الشيء إذا علا وغلب ، ولما

كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل شيء .

قال الحسن : الطامة النفخة الثانية ، وقيل (هو) : حين يساق أهل النار إلى النار .

ومنها : يوم الصاخة ، قال عكرمة : الصاخة : النفخة الأولى ، والطامة :

النفخة الثانية ، قال الطبرى : أحسبه من صخ فلان فلانا إذا أصمه . قال ابن العربى :

الصاخة التى تورث الصمم وإنها المسمعة ، وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال

بعض أحداث الأسنان حديثي الأزمان :
« أصم بك الناعى وإن كنت أسمعا »

وقال آخر :

أصمنى شرهم أيام فرقتهم فهل سمعتم بشر يورث الصمما ؟
ولعمرو الله إن صيحة القيامة مسمعة تقسم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة ،
وبهذا كله كان يوماً عظيماً كما قال الله تعالى فى وصفه بالعظيم . وكل شيء كبير
فى أجزاءه فهو عظيم وكذلك ما كبير فى معانيه ، وبهذا المعنى كان البارئ عظيماً ،
لسعة قدرته و علمه وكثرة ملكه الذى لا يحصى ، ولما كان أمر الآخرة لا ينحصر
كان عظيماً بالإضافة إلى الدنيا ولما كان محدثاً له أول صار حقيراً بالإضافة إلى
العظيم الذى لا يحد .

ومنها : يوم الوعيد وهو أن البارئ سبحانه أمر ونهى ووعد وأوعد فهو أيضاً
يوم الوعد والوعيد والوعد للنعم ، والوعيد للعذاب الأليم ، وحقيقته الوعد ، هو الخير
عن العقوبة عند مخالفة ، والوعد : الخير عن المثوبة عند الموافقة . وقد ضل فى هذه
المسألة المبتدعة وقالوا : إن من أذنب ذنباً واحداً فهو مخلص فى النار تخليد الخفار
أخذاً بظاهر هذا اللفظ فى أن فلم يفهموا العربية ولا كتاب الله تعالى ، وأبطلوا
شفاعة رسول الله ﷺ وسيأتى الرد عليهم فى أبواب من هذا الكتاب إن شاء الله
تعالى .

ومنها : يوم الدين ، وهو فى لسان العرب الجزاء ، قال الشاعر :

حصادك يوماً ما زرعت وإنما يدان الفتى فيه كما هو دائن
وقال آخر :

واعلم يقيناً أن ملكك رائل والى علم بأنك كسماً تدين نادان
ومنها : يوم الجزاء . قال الله تعالى : ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾
وقال : ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ وهو أيضاً يوم الوفاء . قال الله تعالى :
﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أى حسابهم وجرأؤهم والجنة جزاء
الحسنات والنار جزاء السيئات ، قال الله تعالى فى المعين : ﴿جزاء بما كانوا

يكسبون ﴿﴾ و ﴿﴾ جزاء بما كانوا يعملون ﴿﴾ وقال في جهة الوعيد ﴿﴾ كذلك
نجزي كل كفور ﴿﴾ .

ومنها : يوم الندامة . وذلك أن المحسن إذا رأى جزاء إحسانه والكافر جزاء
كفره ندم المحسن أن لا يكون مستكثراً ، وندم المسيء أن لا يكون استعتب ، فإذا صار
الكافر إلى عذاب لا نفاذ له تحسر ، فلذلك سمي يوم الحسرة قال الله تعالى :
﴿﴾ وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر ﴿﴾ وذلك عند ذبح الموت على ما يأتي وهم
في غفلة يعنى الآن عن ذلك اليوم . والحسرة : عبارة عن استكشاف المكروه بعد
خفائه .

ومنها : يوم التبديل ، قال الله تعالى : ﴿﴾ يوم تبدل الأرض غير الأرض
والسماوات ﴿﴾ وقد تقدم القول في ذلك مستوفى .

ومنها : يوم التلاق ، قال الله تعالى : ﴿﴾ لينذريوم التلاق ﴿﴾ وهو عبارة عن
اتصال المعنيين بسبب من أسباب العلم والجسمين . وهو أنواع أربعة :
الأول : لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا كما
تقدم .

والثاني : عمله ، وقد تقدم .

الثالث : لقاء أهل السماوات لأهل الأرض في المحشر ، وقد تقدم .

الرابع : لقاء الخلق للبارئ سبحانه وتعالى ، وذلك يكون في عرصات القيامة
وفى الجنة على ما يأتي .

ومنها : يوم الآزفة . تقول العرب أزف كذا أى : قرب قال الشاعر :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما نزل برحالتنا وكأن قد
وهى قريبة جداً وكل آت قريب وإن بعد مداه قال الله تعالى : ﴿﴾ وما يدريك

لعد الساعة تكون قريباً ﴿﴾ وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة .

ومنها : يوم المآب . ومعناه الرجوع إلى الله تعالى ولم يذهب عن الله شيء

فيرجع إليه ، وإنما حقيقته أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله لما خلق فيه علما

وخلق فيه إيثارا واختياراً ظن الناس أنه شيء أو أن له فعلاً ، فإذا أماته وسلب ما كان أعطاه أذعن وآب في وقت لا ينفعه الإياب ، ولم يزل عن الله تعالى في حال فهو الأواب .

ومنها : يوم المصير . وهو المآب بعينه قال الله تعالى : ﴿ ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ﴾ فالخلق سائرون إلى أمر الله تعالى . وآخر ذلك دار القرار وهي الجنة أو النار قال الله تعالى في حق الكافرين : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ .

٧٤٠ - ومنها : يوم القضاء ، وهو أيضاً يوم الحكم والفصل وسيأتى أن أول ما يقضى فيه الدماء وقال ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها » الحديث وفيه كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، والفصل هو : الفرق والقطع فيفصل يومئذ بين المؤمن والكافر والمسيء والمحسن ، قال الله تعالى : ﴿ يوم القيامة يفصل بينكم ﴾ الآية وهو يوم الحكم لأن إنفاذ الحكم هو إنفاذ العلم قال الله تعالى : ﴿ الملوك يومئذ لله يحكم بينهم ﴾ الآية . وقال ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ .

ومنها : يوم الوزن ، قال الله تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾ الآية ، وسيأتى الكلام في الميزان ووزن الأعمال فيه في أبواب إن شاء الله (تعالى) .
ومنها : يوم عقيم . وهو في اللغة عبارة عن من لا يكون له ولد . ولما كان الولد يكون بين الأبوين ، وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع بالتعدية فيها كهيئة الولادة ، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم .
ومنها : يوم عسير . وهذا في حق الكافرين خاصة . والعسر ضد اليسر فهو عسير على الكافرين ، لأنهم يرون فيه أملاً ولا يقطعون فيه رجاء حتى إذا خرج المؤمنون من النار طلبوا مثل ذلك ، فيقال لهم : ﴿ اخسثوا فيها ولا تكلمون ﴾ فحينئذ يكون المنع الصريح على ما يأتي بيانه في أبواب النار إن شاء الله تعالى ، وأما

المؤمنون فتنحل عقدهم بيسر إلى يسر ، فينحل طول الوقوف إلى تعجيل الحساب
وتثقييل الموازين وجواز الصراط والظلال بالأعمال ، ولا تنحل للكافرين من هذه
العقد عقدة واحدة إلا إلى أشد منها حتى إلى جهنم دار القرار .

ومنها : يوم مشهود سمي بذلك : لأنه يشهده كل مخلوق وقيل : سمي
بذلك : لأن الشهداء يشهدون فيه على ما يأتي والله أعلم .

ومنها : يوم التغابن . سمي بذلك لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله : فريق
في الجنة وفريق في السعير ، وحقيقته في لسان العرب : ظهور الفضل في المعاملة
لأحد المتعاملين والدنيا والآخرة دار العملين وحالين وكل واحد منهما لله ولا يعطى
أحدهما إلا لمن ترك نصيبه من الأخرى قال الله تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ وقال : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له
في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾
ومن أراد الآخرة فسعيه مشكور ، وحظه في الآخرة موفور .

ومنها : يوم عبوس قمطرير ، والقمطرير : الشديد وقيل الطويل ، وأما
العبوس فهو الذي يعبس فيه سمي باسم ما يكون فيه ، كما يقال ليل قائم ونهار
صائم ، وكلوح الوجه ، وعبوسه هو قبض ما بين العينين وتغير السحنة عن عاداتها
الطلقة . ويقال : يوم طلق إذا كانت شمس نيرة فاترة ، وإذا كانت شمس مدجية قد
غطاها السحاب . قيل : يوم عبوس وأول العبوس والكلوح عند الخروج من القبور
ورؤية الأعمال في الصور القبيحة كما تقدم ، وآخر ذلك كلوح النار وهو الكلوح
الأعظم يشوى الوجوه ويسقط الجلود على ما يأتي ، ومع العبوس تشخص الأبصار
وهي ثبوتها راكدة على منظر واحد لهول لا ينتقل منه إلى غيره كما قال سبحانه
﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ .

ومنها: «يوم تبلى السرائر*» . ومعناه: إخراج المخبات بالاختبار بوزن الأعمال في
الصحف ويكشف الساق عند السجود على ما يأتي .

ومنها : يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . وهو مثل قوله (تعالى): ﴿واتقوا يوماً
لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعتة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم

ينصرون ﴿ وقال تعالى ﴾: ﴿يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً﴾ فكل نفس بما كسبت رهينة لا يغنى أحد عن أحد شيئاً، بل ينفصل كل واحد عن أخيه وأبيه ، ولذلك كان يوم الفصل ويوم الفرار . قال الله تعالى : ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً﴾ وقال تعالى : ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ من أمره يومئذ شأن يغنيه﴾ أما إنه يجزى ويقضى ويعطى ويغنى بغير اختياره من حسناته ما عليه من الحقوق على ما يأتي بيانه فى أحاديث المفلس إن شاء الله تعالى .

ومنها : ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ . والدع الدفع أى يدفعون إلى جهنم ويسحبون فيها على وجوههم كما قال تعالى : ﴿يوم يسحبون فى النار على وجوههم﴾ .

ومنها : يوم التقلب ، وهو: التحول . قال الله تعالى : ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أى قلوب الكفار وأبصارهم فتقلب قلوب الكفار انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر فلا هى ترجع إلى أماكنها ولا هى تخرج ، فأما تقلب الأبصار فالزركة بعد الكحل والعمى بعد البصر . وقيل : تتقلب القلوب بين الطمع فى النجاة والخوف من الهلاك والأبصار تنظر من أى ناحية يعطون كتبهم وإلى أى ناحية يؤخذ بهم . وقيل : إن قلوب المشركين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين إلا أن ذلك لا ينفعهم فى الآخرة .
ومنها: يوم الشخصوص والإقناع ، قال الله تعالى : ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أى لا تغمض فيه من هول ما ترى فى ذلك اليوم . قاله الفراء [حديث صحيح] .

٧٤١- وقال ابن عباس رضى الله عنه : تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغمضون ﴿ مهطعين ﴾ أى : مديى النظر .

قال مجاهد والضحاك : ﴿ مقنعى رؤوسهم ﴾ أى رافعى رؤوسهم وإقناع الرأس : رفعه . قاله ابن عباس ومجاهد ، وقال الحسن : وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد ، فإن قيل : فقد قال الله تعالى في غير هذه الآية : ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾ وقال : ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ فكيف يكون الرافع رأسه الناظر نظراً طويلاً حتى إن طرفه لا يرتد إليه خاشع البصر ؟ .

فالجواب أنهم يخرجون حال المضى إلى الموقف خاشعة أبصارهم ، وفى هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار ، وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا قلوب لهم ، ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل ، ولا يرتد إليهم طرفهم ، كأنهم قد نسوا الغمض أو جهلوه فهو تعسير عليهم .

ومنها : ﴿ يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ .

وذلك حين يقال لهم ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ وتطبق عليهم جهنم على ما يأتى بيانه في أبواب النار .

ومنها : ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ وإن أذن لهم بأن يمكنوا منها لا بأن يقال لهم اعتذروا كقوله : ﴿ ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا ﴾ الآية وكقوله ﴿ ربنا أخرجنا منها ﴾ الآية .

ومنها : ﴿ ولا يكتُمون الله حديثاً ﴾

ومنها : يوم الفتنة . قال الله تعالى : ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ أى يعذبون من قولك فنتت الذهب إذا رميت به فى النار .

ومنها : ﴿ يوم لا مرد له من الله ﴾ يريد يوم القيامة أى : لا يرده أحد بعد ما

حكم الله به وجعل له أجلاً ووقتاً .

ومنها : يوم الغاشية . وسميت بذلك : لأنها تغشى الناس بإفزعها . أى
تعمهم بذلك ، ومنه غاشية السرج ، ومنها : ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا
يوثق وثاقه أحد ﴾ .

ومنها : يوم لا بيع فيه ولا خلال قال الله تعالى : ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا
يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع
فيه ولا خلال ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من
قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ والخلة والخلال الصداقة
والمودة .

ومنها : يوم لا ريب فيه ، وإن وقع فيه ريب الكفار أى : شك فليس فيه ريب
لقيام الأدلة الظاهرة عليه كما قال الله تعالى : ﴿ أفى الله شك ﴾ فليس فى البارى
شك لقيام الأدلة عليه ، ولشهادة أفعاله ولا اقتضاء المحدث أن يكون له محدث ،
ولكن قد شك فيه قوم ونفاه آخرون ، ولم يوجب ذلك شكاً فيه لقيام الأدلة عليه ،
فكذلك يوم القيامة لا ريب ولا شك فيه مع النظر فى الدليل والعلم ، فإذا خلق الله
تعالى الرين (على القلب كان الشك ، قال الله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنه
يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله
يبعث من فى القبور ﴾ .

ومنها : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ وسيأتى إن شاء الله
تعالى .

٧٤٢- ومنها : يوم الأذان ، دخل طاوس على هشام بن عبد الملك فقال له :
اتق الله واحذر يوم الأذان فقال : وما يوم الأذان ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ فأذن مؤذن
بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ فصعق هشام ، فقال طاووس : هذا ذل الصفة

فكيف ذل المعاينة .

ومنها : يوم الشفاعة قال الله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾
وقال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ وقال ﴿ لا تنفع الشفاعة عنده إلا
لمن أذن له ﴾ وقال : ﴿ فما لنا من شافعين ﴾ وسيأتى بيانه .

ومنها : يوم العرق ، وسيأتى بيانه فى أحاديث فى الباب بعد هذا بحول الله
وقوته .

ومنها : يوم القلق والجولان . وهو عبارة عن عدم الاستقرار والثبوت . ويقال
قلق الرجل يقلق قلقاً إذا لم يستقر ومثله جال يجول إذا لم يثبت .

ومنها : يوم الفرار . قال الله تعالى ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه

وأبيه وصاحبته وبنيه ﴾ فيفر كل واحد من صاحبه حذراً من مطالبته إياه إما لما
بينهم من التبعات أو لثلا يروا ما هو فيه من الشدة ، قال عبد الله بن طاهر الأبهري :
يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب
والهموم عنه ، ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد شيئاً سوى ربه تعالى ، وقال
الحسن : أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم ، وأول من يفر من ابنه نوح ، وأول
من يفر من امرأته لوط . وقال : فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم ، وهذا فرار التبرى
نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبي الرحمة وصحبه الكرام البررة ، وجعلنا
ممن حشر فى زمرتهم ولا خالف بنا عن طريقهم ومذهبهم بمنه وكرمه أمين ، وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

٧٤٣- قال المؤلف (رضى الله عنه) : وقد سرد تسمية هذه الأيام على التوالى
من غير تفسير غير واحد من العلماء ، منهم ابن نجاح فى (سبل الخيرات) ، وأبو
حامد الغزالي فى غير موضع من كتبه (كالإحياء) وغيره ، والقنبي فى كتاب (عيون
الأخبار) ، وهذا تفسيرها حسب ما ذكره القاضى أبو بكر بن العربى فى (سراج
المريدين) ، وربما زدنا عليه فى ذلك والحمد لله على ذلك . ولا يمتنع أن تسمى غير
ما ذكرنا بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام ،
والخزى ، والهوان ، والذل ، والافتقار ، والصغار ، والانكسار ، ويوم الميقات ،

والمرصاد إلى غير ذلك من الأسماء، وسيأتى التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى في الباب بعد هذا .

باب ما يلحق الناس فك الموقوف من الأهوال العظام والأمور الجسام

٧٤٤- قال المحاسبى فى كتاب (التوهم والأهوال) : يحشر الله الأمم من الإنس والجن عرأة أذلاء قد نزع الملك من ملوك (أهل) الأرض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم علي عباد الله (تعالى) فى أرضه . ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير رية ولا خطيئة أصابتها حتى وقفت من وراء الخلق بالذلة والانكسار لذلك الجبار ، وأقبلت الشياطين بعد تمرداها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الملك الديان ، حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها ، وجنها ، وشياطينها ، ووحوشها ، وسباعها ، وأنعامها ، وهوامها ، تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلموا عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بعظمها فوق رؤوسهم (وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف ينظرون إلى هولته ثم انشقت بغلظها فوق رؤوسهم) وهى خمسمائة عام فى هول صوت انشقاقها فى سمعهم وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظم يوم الطامة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالى: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ وقال ﴿يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعين﴾ أى كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من

حافاتنا إلى الأرض بالتقديس لربها فتوهم انحذارهم من السماء لعظيم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفرع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محذقين بالخلائق منكسى رؤوسهم لعظيم هول يومهم ، قد تسربلوا أجنتهم ونكسوا رؤوسهم بالذلة والخضوع لربهم ، وكذلك ملائكة كل سماء إلى السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم فى العدة وعظم الأجسام

والأصوات حتى إذا وافى الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ، ثم أدنيت من الخلائق قاب قوسين أو قوس فلا ظل ذلك اليوم إلا ظل عرش الرحمن ، فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الأمم وتضايقت ودفع بعضها بعضا . واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش قد اجتمع عليهم في مقامهم حر الشمس مع وهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم على وجه الأرض ، ثم على أقدامهم ، ثم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاء ، فمنهم من يبلغ العرق منكبيه وحقوقه ، ومنهم إلى شحمة أذنيه ، ومنهم من قد أجمه العرق فكاد أن يغيب فيه .

قلت : ذكر المحاسبى وغيره أن انفطار السماء : انشقاقها بعد جمع الناس فى الموقف ، وقد قدمنا أن ذلك يكون قبل ذلك وهو ظاهر القرآن كما ذكرنا والله أعلم . وقد جاء ذلك مرفوعاً فى حديث أبي هريرة رضى الله عنه وقد تقدم .

٧٤٥- وما ذكره المحاسبى مروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد فى سعتها كذا وكذا ، وجمع الخلائق بصعيد واحد جنهم وإنسهم ، فإذا كان ذلك قبضت هذه السماء عن أهلها فينتشرون على وجه الأرض فلأهل السماء أكثر من أهل جميع الأرض جنهم وإنسهم بالضعف » . الحديث بطول ما ذكره ابن المبارك فى رقائقه . قال : أخبرنا عوف عن أبي المنهال سيار بن سلامة الرياحى قال : أخبرنا شهر بن حوشب . قال : حدثنى ابن عباس فذكره [خبر صحيح] .

٧٤٦- قال ابن المبارك وأخبرنى جويبر عن الضحاك قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها فتكون الملائكة على حافاتهما حتى يأمر الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ، ثم يأمر السماء التى تليها فينزلون فيكونون صفاً خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فينزل الملك الأعلى فى بهائه وجلاله وملكه وبجنته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً قياماً من الملائكة فذلك قوله تعالى ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا

من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴿﴾ والسلطان العذر ،
 وذلك قوله عز وجل ﴿﴾ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴿﴾ وقال ﴿﴾ وانشقت السماء فهي
 يومئذ واهية والملك على أرجائها ﴿﴾ يعنى على حافاتهما يعنى بأرجائها ما تشقق منها
 فيبيناهم كذلك إذ سمعوا الصوت فأقبلوا إلى الحساب [خبر حسن] .
 ٧٤٧- قلت : ولا يصح إسنادهما ، فإن شهراً وجويز قد تكلم فيهما
 وضعفوهما .

قال البخارى فى التاريخ: جويز بن سعيد البلخى عن الضحاك قال لى على:
 قال يحيى : كنت أعرف جويزاً بحدِيثين ، ثم أخرج هذه الأحاديث بعد فضعه ،
 وأما شهر فقال مسلم فى صدر كتابه: سئل ابن عوف عن حديث شهر وهو قائم
 على أسكفة الباب ، فقال: إن شهراً تركوه ، إن شهراً تركوه . قال مسلم : يقول
 أخذته ألسنة الناس تكلموا فيه ، وقال عن شعبة وقد لقيت شهراً فلم أعتد به .
 ٧٤٨- وذكر أبو حامد فى كتاب (كشف علم الآخرة) نحواً مما ذكر

المحاسبي عن ابن عباس رضى الله عنه والضحاك فقال: إن الخلائق إذا (جمعوا) فى
 صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولواهم
 فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين إنسا وجناً ووحشاً وطيراً
 وحولواهم إلى الأرض الثانية ، وهى أرض بيضاء من فضة نورية ، وصارت الملائكة
 من وراء العالمين حلقة واحدة ، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ، ثم إن الله
 سبحانه وتعالى يأمر ملائكة السماء الثانية فيحذقون بهم واحدة فإذا هم مثلهم
 عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة فإذا
 هم أكثر منهم ثلاثين ضعفاً ، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحذقون من وراء الكل
 حلقة واحدة أكثر منهم بأربعين (ضعفاً) ، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحذقون
 من وراءهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء
 السادسة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ، ثم تنزل
 ملائكة السماء السابعة فيحذقون السابعة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم
 مثلهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ،
 وتخوض الناس فى العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدر وإلى الحقوين

والى الركبتين ، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ، ومنهم من تصيبه البلة كالعاطش إذا شرب الماء ، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها ، ويضاعف حرها سبعين مرة .

٧٤٩- وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وذابت الصخر وجفت الأنهار ، فبينما الخلائق يمججون فى تلك الأرض البيضاء التى ذكرها الله تعالى حيث يقول : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ وهم على أنواع فى المحشر على ما تقدم فى حديث معاذ ، والملوك كالذر كما قد ورد فى الخبر فى وصف المتكبرين وليس هم كهيئة الذر غير أن الأقدام عليهم حتى صاروا كالذر فى مذلتهم وانخفاضهم ، وقوماً يشربون ماء بارداً عذبا صافيا ، لأن الصبيان يطوفون على آبائهم بكؤوس من أنهار الجنة يسقونهم .

٧٥٠- وعن بعض السلف: أنه نام فرأى القيامة قد قامت ، وكأنه فى الموقف عطشان وصبيان صغار يسقون الناس قال : فناديتهم ناولونى شربة ، فقال : لى واحد منهم ألك فىنا ولد ؟ فقلت : لا . فقال : فلا إذا ولهذا فضل التزويج . . ولهذا الولد الساقى شروط ذكرناها فى (الإحياء) وقوم قدموا على رؤوسهم ظل بمنعهم من الحر وهى الصدقة الطيبة لا يزالون كذلك ألف عام حتى إذا سمعوا نقر الناقر الذى وصفناه فى كتاب (الإحياء) وهو بعض أسرار القرآن فتوجل له القلوب وتخضع الأبصار لعظيم نقره ، وتشتاف * الرؤوس من المؤمنين ، والكافرين يظنون أن ذلك عذاب يزداد بهم فى هول يوم القيامة ، فإذا بالعرش تحمله ثمانية أملاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة ، وأفواج الملائكة وأنواع الغمام بأصوات التسبيح ، لهم هرج عظيم لا يطيقه العقول حتى يستقر العرش فى تلك الأرض البيضاء التى خلقها الله تعالى لهذا الشأن خاصة ، فتطرق الرؤوس وتخس وتشفق البرايا وترعب الأنبياء وتخاف العلماء وتفزع الأولياء والشهداء من عذاب الله سبحانه الذى لا يطيقه شيء إذ غشاهم نور حتى غلب عليه نور الشمس التى كانوا فى حرها فلا يزالون يمجج بعضهم فى بعض ألف عام والجليل سبحانه لا يكلمهم

كلمة واحدة ، فحينئذ يذهب الناس إلى آدم فيقولون : يا أبا البشر، الأمر علينا شديداً ،
وأما الكافر فيقول : يا رب أرحنى ولو إلى النار من شدة ما يرى من الهول .
يقولون: أنت الذى خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه اشفع
لنا فى فصل القضاء وذكر أمر الشفاعة من نبي إلى نبي وأن ما بين إتيانهم من نبي
إلى نبي ألف عام حتى تنتهى الشفاعة إلي نبينا محمد ﷺ على ما يأتى (بيانه) من أمر
الشفاعة فى أحاديث إن شاء الله تعالى، ونحو من هذا (أيضاً) ذكره الفقيه أبو بكر
ابن برجان فى كتاب (الإرشاد) له قال : فإذا كان يومئذ جمع الله الأولين والآخرين
فى صعيد واحد وكورت الشمس وانكدرت النجوم ومارت السماء فوق الخلائق
مورا، وتفطرت من عظيم هول ذلك اليوم، وتشققت بالغمام المنزل عليهن من
فوقهن، ثم صارت وردة كالدهان وكشطن سماء سماء ونزلت الملائكة تنزيلاً، وقام
الخلائق وطال قيامهم أقل ما قيل فى قيامهم مقدار أربعين عاماً إلى ثلاثمائة عام
وأياماً كان فالיום يسعه قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب إبل » الحديث وفيه
«وردت عليه أولاهها» فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وسيأتى بكماله وهم
فى قيامهم ذلك فى الظلمة دون الجسر كما فى صحيح مسلم من حديث ثوبان عزة
عزلاً. أعطش ما كانوا وأجوع ما كانوا عليه قط عزة، فلا يسقى ذلك اليوم إلا من
سقى الله عز وجل، ولا يطعم إلا من أطعم الله ، ولا يكسى يومئذ إلا من كسا الله ،
ولا يكفى إلا من اتكل على الله. ومصداق هذا من كتاب الله عز وجل قوله الحق :
﴿يوفون بالنذر﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ أى من إزالة
الجوع والعطش والعرى إلى غير ذلك من أهوال القيامة وأفزاعها على ما يأتى بيانه فى
هذا الباب ، والذى يليه .

٧٥١- أبو بكر بن أبي شيبة ، عن أبي معاوية عن عاصم ، عن أبي عثمان ،
عن سلمان قال : تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم
الناس حتى تكون قاب قوسين . قال : فيعرقون حتى يرشح العرق فى الأرض قائمة،
ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل، قال سلمان : حتى يقول الرجل غرغر ، فإذا رأوا ما هم
فيه قال بعضهم لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ائثوا أباكم آدم فيشفع لكم . الحديث
بطوله ، وسيأتى مرفوعاً من حديث أبي هريرة ، وأخرجه ابن المبارك قال : أنبأنا

سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال : « تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤوسهم قاب قوسين فتعطي حر عشر سنين وليس على أحد يومئذ طحرية ولا يرى فيها عورة مؤمن ولا مؤمنة لا يضر حرها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة، وأما الآخرون أو قال الكفار (فتطحنهم طحناً) فإنما تقول أجوافهم : غق غق » قال نعيم : الطحرية : الخرقه ، وأخرجه هناد بن السرى ، حدثنا قبيصة عن سفيان عن سليمان التيمي فذكره سواء إلا أنه قال : « ولا يجد حرها » بدل : « ولا يضر » وقال : « وأما الكافر أو الآخرون فتطبخهم طبخاً حتى يسمع لأجوافهم غق غق » . [خبر صحيح] .

٧٥٢- مسلم عن سليم بن عامر، عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال : « فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه (العرق) إلجاماً » قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه ، وأخرجه الترمذي وزاد قوله تكحل به العين فتصهرهم الشمس [حديث صحيح] .

٧٥٣- وذكر ابن المبارك (قال): أخبرنا ملك بن مغول ، عن عبيد الله ابن العيزار قال : إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل فى القرن والسعيد الذى يجد لقدميه موضعاً يضعهما عليه ، وإن الشمس تدنى من رؤوسهم حتى لا يكون بينها وبين رؤوسهم إما قال ميلاً أو ميلين ثم يزداد فى حرها بضعة وستون ضعفاً، وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى : ألا إن فلان ابن فلان قد ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، ألا إن فلان ابن فلان قد خفت موازينه وشقى شقاء لا يسعد بعده أبداً [خبر صحيح] .

٧٥٤- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعاً وإنه ليلبغ إلى أفواه الناس أو آذانهم » يشك ثور أيهما . قال : أخرجه البخارى [حديث صحيح] .

٧٥٥- وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي ﷺ : ﴿ يوم يقوم

الناس لرب العالمين ﴿ قال : « يوم يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه »
أخرجه البخاري والترمذى وقال : حديث صحيح مرفوعاً وموقوفاً

[حديث صحيح] .

٧٥٦- وروى هناد بن السرى قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن ضرار بن
مرة ، عن عبد الله بن المكتب ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال له
رجل إن أهل المدينة ليوفون الكيل يا أبا عبد الرحمن ، قال : وما يمنعهم أن يوفوا
الكيل وقد قال الله تعالى : ﴿ ويل للمطففين ﴾ حتى بلغ : ﴿ يوم يقوم الناس
لرب العالمين ﴾ قال : إن العرق ليبلغ أنصاف آذانهم من هول يوم القيامة وعظمه

[خبر صحيح] .

٧٥٨- وقد خرج مسلم لابن وهب عن أبي هانئ نفسه عن (الختلى) عن عبد
الله أحاديث ابن المبارك قال : أخبرنا الأوزاعى قال : سمعت بلال ابن سعيد يقول :
إن للناس يوم القيامة جولة وهو قوله عز وجل ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾

وقوله ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ﴾ [خبر صحيح] .

٧٥٩- وفى حديث جويبر عن الضحاك : فينزل الملك ومجنبتة اليسرى
جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً
قياماً من الملائكة فذلك قوله : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا
من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ والسلطان : العذر

[خبر صحيح] .

٧٦١- فصل : قلت : ظاهر ما رواه ابن المبارك عن سلمان أن الشمس لا يضر
حرها مؤمناً ولا مؤمنة العموم فى المؤمنين ، وليس كذلك لحديث المقداد المذكور
بعده ، وإنما المراد لا يضر حرها مؤمناً كامل الإيمان أو من استظل بظل عرش الرحمن
كما فى الحديث الصحيح : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » الحديث
رواه الأئمة مالك وغيره وسيأتى فى الباب بعد هذا (إن شاء الله تعالى) .

وكذلك ما جاء أن المرء في ظل صدقته وكذلك الأعمال الصالحة أصحابها في ظلها إن شاء الله ، وكل ذلك من ظل العرش ، والله أعلم .

وأما غير هؤلاء فمتفاوتون في العرق على ما دل عليه حديث مسلم ، قال ابن العربي : وكل واحد يقوم عرقه معه فيغرق فيه إلى أنصاف ساقيه وإلى جانبيه مثلاً يمئة من يبلغ كعبيه ، ومن الجهة الشمال من يبلغ ركبتيه ، ومن أمامه من يكون عرقه إلى نصفه ، ومن خلفه من يبلغ العرق صدره ، وهذا المعتاد في الدنيا فإن الجماعة إذا وقفوا في الأرض المعتدلة أخذهم الماء أخذاً واحداً ولا يتفاوتون كما ذكرنا مع استواء الأرض ومجاورة المحل ، وهذا من القدرة التي تخرق العادات في زمن الآيات [حديث صحيح] .

٧٦٢- وقال الفقيه أبو بكر بن بركان في كتاب (الإرشاد) له : ولا (يبعد) عليك هذا - يرحمك الله- أن يكون الناس كلهم في صعيد واحد ومواقف سواء يشرب أحدهم أو بعضهم من الحوض ولا يشرب الغير ، ويكون النور يسعى بين يدي البعض في الظلمات مع قرب المكان وازدحام الناس ، ويكون أحدهم يغرق في عرقه حتى يلجمه أو يبلغ (منه) عرقه ما شاء الله جزاء لسعيه في الدنيا ، (وآخر) في ظل العرش على قرب المكان والمجاورة ، وكذلك كانوا في الدنيا يمشى المؤمن بنور إيمانه في الناس والكافر في ظلام كفره ، والمؤمن في وقاية الله وكفايته والكافر والعاصي في خذلان الله لهما وعدم العصمة ، والمؤمن السنن يكرم في سنة رسول الله ﷺ ، ويروى ببرد اليقين ويمشى في (سبيل) الهداية بحسن الاقتداء والمبتدع عطشان إلى ما روى المؤمن به حيران لا يشعر سالك في مسالك ضلالات البدع وهو لا يدري ، وكذلك في الوجود الأعمى لا يجد نور بصر البصير ولا ينفعه دواء إنما هي بواطن وظواهر بطنت فتشعر لذلك وتفطن واستعن بالله يعنك ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

٧٦٣- وقال أبو حامد : واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حيج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ، ولو سلم ابن آدم من الجهل (والغرور) لعلم أن تعب (العرق) في تحمل

مصاعب الدنيا أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار فى القيامة ، فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته .

باب ما ينجي من أهوال يوم القيامة ومن كربها

٧٦٥- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » وذكر الحديث [حديث صحيح] .

٧٦٧- وقد ينجى منها كلها ما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانة أن يتجاوزوا عن المعسر ، قال : قال الله عز وجل أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى »

[حديث صحيح] .

٧٦٨- وخرج عن حذيفة عن النبي ﷺ أن رجلاً مات فدخل الجنة ، فقيل له : ما كنت تعمل ؟ فقال : (أما ذكروا ما ذكر ، فقال :) إني كنت أبايع الناس ، فكنت أنظر المعسر وأتجاوز فى السكة أو فى النقد فغفر له » فقال له أبو مسعود رضى الله عنه : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ رواه مسلم من طرق ، وخرجه البخارى [حديث صحيح] .

٧٦٩- وروى مسلم عن أبي قتادة رضى الله عنه أنه طلب غرباً له فتوارى عنه ، ثم وجده فقال : إني معسر . قال : آله؟ فقال : آله . قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » [حديث صحيح] .

٧٧٠- وعن أبي اليسر واسمه كعب بن عمرو رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله فى ظله » خرجه مسلم [حديث صحيح] .

٧٧١- وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : « من أنظر مديوناً فله بكل يوم عند الله وزن أحد ما لم يطلبه » .

٧٧٢- وروى الأئمة عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» ، : معنى « في ظله » أى : فى ظل عرشه وقد جاء هكذا تفسيراً في الحديث [حديث صحيح] .

باب فجد الشفاعة العامة لنبينا محمد ﷺ لأهل المحشر

٧٧٦- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبي ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبونا أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى (غيرى) ، اذهبوا إلى(نوح) ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى (ربك) ، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومي : نفسى نفسى ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبتكليمه على الناس اشفع

لنا إلى ربك ، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أو مر بقتلها ، نفسى نفسى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى (إلى) ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولم يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً . نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك (ألا ترى إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فأنتقل قاتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى ثم قال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول: يا رب أمتى أمتى ، فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى » وفى البخارى « كما بين مكة وحمير » [حديث صحيح] .

٧٧٧- فصل : هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هى المراد بقوله عليه (الصلاة و)السلام : « لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى » رواه الأئمة البخارى ومسلم وغيرهما ، وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هى ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهى الخاصة به ﷺ وقوله : « أقول : يا رب ، أمتى أمتى » اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم ، وقوله : فيقال : يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم . وكان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر فى ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذى وعده ،

ولذلك قال كل نبي : لست لها ، لست لها ، حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال :
« أنا لها » [حديث صحيح] .

٧٧٨- وروى مسلم ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك » . وفى رواية « فيلهمون
فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال : فيأتون آدم ، وذكر
الحديث [حديث صحيح] .

٧٧٩- وذكر أبو حامد أن بين إتيانهم من آدم إلى نوح ألف عام ، وكذا بين
كل نبي إلى محمد ﷺ .

وذكر أيضا أن الناس في الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب
جرائمهم ، كمانع الزكاة والغال والغادر على ما يأتى بيانه ، وآخرون قد عظمت
فروجهم وهى تسيل صديدا يتأذى بنتنها جيرانهم ، وآخرون قد صلبوا على جذوع
النيران ، وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح ما يكون ، وهؤلاء
المذكورون هم الزناة واللوطية والكاذبون ، وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال
الرواسى وهم آكلو الربا وكل ذى ذنب قد بدا سوء ذنبه . قاله فى كتاب
(كشف(علم) الآخرة) ، وذكر فى آخر(هذا) الكتاب أن الرسل يوم القيامة على
المنابر والأنبياء والعلماء على منابر صغار ، ومنبر كل رسول على قدره ، والعلماء
العاملون على كراسى من نور ، والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على
كثبان من مسك ، وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسى هم الذين يطلبون الشفاعة
من آدم ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان فى
كتاب (الإرشاد) له : ويلهم رؤوس المحشر ممن يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم
رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك [حديث صحيح] .

باب ما جاء أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود

٧٨٠- الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويبدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبي
يومئذ آدم ومن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال :
فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون : أنت أبونا فاشفع لنا إلى (ربنا)

فيقول : أنا أذنبت ذنباً فأهبطت به إلى الأرض (ولكن) اتنوا نوحاً (فيأتون نوحاً) فيقول : إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن (أذهبوا) إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول : إني كذبت ثلاث كذبات ، ثم قال رسول الله ﷺ : ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ، ولكن اتنوا موسى فيأتون موسى ، فيقول : إني قد قتلت نفساً ، ولكن اتنوا عيسى (فيأتون عيسى) فيقول : إني عبدت من دون الله ولكن اتنوا محمداً ﷺ فيأتوني فأنطلق معهم » . قال ابن جدعان : قال أنس : فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ قال : « فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها ، فيقال من هذا؟ فيقال : محمد ، فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحباً فأخر ساجداً لله فيلهمني من الثناء والحمد ، فيقال لي : ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع وقل يسمع لقولك هو المقام المحمود الذي قال الله فيه : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ . وقال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها ، قال الترمذي : حديث حسن [حديث حسن] .

٧٨١- وخرجه أبو داود الطيالسي بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنه فقال : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا (أحمد حدثنا) علي بن زيد عن أبي نضرة قال : خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي إلا وله دعوة ، كلهم قد تنجزها في الدنيا وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ألا وإني سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، ويبدى لواء الحمد تحته آدم ﷺ ومن دونه ولا فخر ، ويشند كرب ذلك اليوم على الناس فيقولون : انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربنا عز وجل حتى يقضى بيننا » . الحديث وفيه : فيأتون عيسى عليه (الصلاة و) السلام فيقولون : اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا ، فيقول : إني لست هنا كم ، إني اتخذت وأمي إلهين من دون الله ، ولكن أرأيتم لو أن متاعاً في وعاء قد ختم عليه أكان يوصل إلى ما في الوعاء حتى يفيض الخاتم ؟ فيقولون : لا . فيقول : إن محمداً ﷺ قد خصه اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال رسول الله ﷺ : « فيأتيني الناس ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فأقول : أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، فإذا أراد الله أن يقضى بين خلقه نادى مناد أين محمد

ﷺ وأمته؟ فأقوم وتتبعني أمتي غراً محجلين من أثر الطهور» قال رسول الله ﷺ: «فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب ويفرج لنا في الأمم عن طريقنا، ويقولون: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها» وذكر الحديث

[حديث حسن]

٧٨٢- وفي البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً كل أمة تتبع نبيها تقول: يا فلان، اشفع، يا فلان، اشفع، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» [خبر صحيح].

٧٨٣- وروي الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله (تعالى): ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ سئل عنها قال:

«هى الشفاعة». قال: هذا حديث (حسن) صحيح

[الحديث صحيح وإسناده ضعيف]

٧٨٤- فصل: قوله: فيفزع الناس ثلاث فزعات إنما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تجر بأزمتها وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديان، فإذا نظرت إلى الخلائق فارت وثار وتشتتت إلى الخلائق وزفرت نحوهم وتوثبت عليهم غضباً لغضب ربهم على ما يأتى بيانه فى كتاب النار إن شاء الله تعالى، فتساقط الخلائق حينئذ على ركبهم جثاة حولها قد أسبلوا الدموع من أعينهم ونادى الظالمون بالويل والثبور. ثم تزفر الثانية فيزداد الرعب والخوف فى القلوب. ثم تزفر الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم ويشخصون بأبصارهم وهم ينظرون من طرف خفى خوفاً أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها. أجارنا الله منها.

فصل: واختلف الناس فى المقام المحمود على خمسة أقوال:

٧٨٥- الأول: أنه الشفاعة (العامة) للناس يوم القيامة كما تقدم. قاله حذيفة

ابن اليمان وابن عمر رضى الله عنهما [خبر صحيح].

٧٨٧- الثالث: ما حكاه الطبرى عن فرقة منها مجاهد. أنها قالت: المقام

المحمود هو أن يجلس الله محمداً ﷺ معه على كرسية، وروت فى ذلك حديثاً.

قلت: وهذا قول مرغوب عنه وإن صح الحديث، فيتأول على أنه يجلسه مع

أنبيائه وملائكته. قال ابن عبد البر فى كتاب (التمهيد): ومجاهد وإن كان أحد

الأئمة بتأويل القرآن فإن له قولين ، مهجورين عند أهل العلم . أحدهما : هذا ، والثاني : فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وجولاً يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ قال : تنتظر الثواب وليس من النظر .

٧٨٨- الرابع : إخراج طائفة من النار . (كما) روى مسلم عن يزيد الفقير قال : كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج ، فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد الحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة ، فإذا جابر ابن عبد الله رضى الله عنه يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال : إذا هو قد ذكر الجهنميين قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله ﷺ : ما هذا الذى تحدثون والله تعالى يقول : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتنا ﴾ ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديوا فيها ﴾ فما هذا الذى تقولون ؟ فقال : أتقرأ القرآن ؟ فقلت : نعم . فقال :

فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعنى : الذى يعثه الله عز وجل فيه ؟ قلت : نعم . قال فإنه مقام محمد ﷺ الذى يخرج الله به من يخرج . وذكر الحديث [خبر صحيح] .

٧٨٩- وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ وفيه : « وقد سمعته يقول فأخرجهم وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى : وجب عليه الخلود قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال : هو المقام المحمود الذى وعده نبيكم ﷺ .

الخامس : ما روى أن مقامه المحمود شفاعته رابع أربعة وسياتى [حديث صحيح] .

٧٩٠- فصل : إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذى يتدافعه الأنبياء عليهم (الصلاة و) السلام حتى ينتهى الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليأرحوا من هول موقفهم ، فاعلم أن العلماء اختلفوا فى شفاعته وكم هى ، فقال النقاش : لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات : العامة ، وشفاعة فى السبق إلى الجنة وشفاعة فى أهل الكبائر . وقال ابن عطية فى تفسيره : والمشهور أنهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة فى إخراج المذنبين من النار ، وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء .

قال القاضى عياض : شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات :
الأولى : العامة .

الثانية : إدخال قوم الجنة بغير حساب .

الثالثة : فى قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفعه فيهم نبينا ﷺ ، ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هى التى أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة ، فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهى الاستحقاق العقلى المبنى على التحسين والتقبيح .

الرابعة : فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا (محمد ﷺ) وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين .

قلت : وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضاً وإذا منعوها فيمن استوجب النار بذنبه وإن لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها .

الخامسة : فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها وترفيعها . قال القاضى عياض :
وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول .

٧٩١- قلت : وشفاعة سادسة لعمه أبى طالب فى التخفيف عنه ، كما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه » فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ قيل له : لا تنفع فى الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون

منها ويدخلون الجنة [حديث صحيح] .

٧٩٢- فصل : واختلف العلماء (أيضاً) هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعد النبوة صفائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها ويشفقون على أنفسهم منها أم لا بعد اتفاهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن الصفائر التى تزرى بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته إجماعاً ؟ عند القاضى أبى بكر وعند الأستاذ أبى بكر أن ذلك مقتضى دليل المعجزة وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم فقال الطبرى وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين : تقع

الصغائر منهم خلافاً للرافضة حيث قالوا: إنهم معصومون من جميع ذلك كله ، واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر لاخفاء به .

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي : إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر (أجمعها) لأننا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة ، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القرية والإباحة والحظر أو (المعصية) ولا يصح أن يؤمر المرء بامتنال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين .

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني : واحتلّفوا في الصغائر والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم ومال بعضهم إلى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة . وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى القول الأول : والذي ينبغي أن يقال : إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن نفوسهم وتصلوا منها واستغفروا منها وتابوا ، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا تقبل التأويل جملتها ، وإن قبل ذلك آحادها وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات ، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم إذ قد يؤخذ الوزير بما يثاب عليه السائس فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة (قال) وهذا هو الحق .

ولقد أحسن الجنيد رضى الله عنه حيث قال : حسنات الأبرار سيئات المقربين فهم صلوات الله عليهم وسلامه وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم ، فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم ، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم (واختارهم) واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه .

باب من أسعد الناس بشفاعته النبي ﷺ [يوم القيامة]

٧٩٤- البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قلت : يا رسول الله ،

من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد (أولى) منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه» [حديث صحيح].

باب ما جاء في تطاير الصحف عند العرض والحساب، وإعطاء الكتب باليمين والشمال، ومن أول من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمة، وفي كيفية وقوفهم للحساب وما يقبل منهم من الأعمال، وفي دعواتهم بأسماء آبائهم،

وبيان قوله تعالى: ((يوم ندعو كل أناس بإمامهم)) وفي تعظيم خلق الإنسان الذي يدخل الناس به النار أو الجنان، وذكر القاضي العطل، ومن نوقش عذب

٧٩٦- قال الترمذي: وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب على من حاسب نفسه في الدنيا» [خبر صحيح].

٧٩٨- البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «من حوسب يوم القيامة عذب». قالت: فقلت يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فسوف يحاسب حساباً يسيراً؟ فقال: «ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب» أخرجه مسلم والترمذي، وقال حديث حسن صحيح [حديث صحيح].

٨٠١- وذكره الترمذي الحكيم في (الأصل السادس والثمانين) قال: فروى لنا عن رسول الله ﷺ: «أن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة، فأما عرضتان: فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة: فتطاير الصحف، فالجدال لأهل الأهواء يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حاجتهم والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم إلى آدم وإلى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يعشهم إلى النار، فإنه يجب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهراً حتى لا

تأخذهم الحيرة».

٨٠٢- ولذلك قيل عن رسول الله ﷺ: « لا أحد أحب إليه المدح من الله (تعالى) ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتبهم في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبهم حتى يذوق وبال الحياء ويرفض عرفاً بين يديه ويفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء ، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم » [حديث صحيح] .

٨٠٤- أبو داود عن عائشة رضی الله عنها قالت : ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله ﷺ : « ما يبكيك » ؟ قلت : ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال : « أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً . عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز » [حديث حسن] .

٨١٠- وروى أن عيسى عليه (الصلاة و)السلام مر بقبر فوكزه برجله وقال: يا صاحب هذا القبر قم بإذن الله فقام إليه رجل ، قال : يا روح الله ما الذي أردت (منى) فإنى لقائم فى الحساب منذ سبعين سنة حتى أتتنى الصيحة الساعة أن أجب روح الله ، فقال(له)عيسى : يا هذا، لقد كنت كثير الذنوب والخطايا ما كان عملي؟ فقال : والله يا روح الله ، ما كنت إلا حطاباً أحمل الحطب على رأسى أكل حلالاً وأتصدق ، فقال عيسى : يا سبحان الله حطاباً يحمل الحطب على رأسه ، يأكل حلالاً ويتصدق وهو قائم فى الحساب منذ سبعين سنة ، ثم قال له : يا روح الله كان من توبيخ ربي لى أن قال : اكتراك عبدى لتحمل له حزمة ، فأخذت منها عوداً فتخللت به وألقيته فى غير مكانه امتهاناً منك بى ، وأنت تعلم أنى أنا الله المطلع عليك وأراك!؟ .

٨١١- فصل : قال الله تعالى: ﴿وكل إنسان أئماً طائرًا فى عنقه﴾ قال

الزجاج : ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق ، وقال إبراهيم بن أدهم: كل آدمى فى عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله فإذا مات طويت وإذا بعث

نشرت وقيل له: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنه: طائرته عمله ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ قال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه أمياً كان أو غير أمى .

وقال أبو السوار العدوى: وقرأ هذه الآية ﴿وكل إنسان ألزمناه طائراً فى عنقه﴾ قال: هما نشرتان وطية أما ما حييت يا ابن آدم ، فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت فإذا مت طويت ، حتى إذا بعثت نشرت ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها . قال الله تعالى: ﴿فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب ، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم ، قال الله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوا﴾ .

وقد تقدم القول فى محاسبة الله تعالى لخلقه فى يوم الحساب من أسماء القيامة، فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه ما شاء الله تعالى على ما تقدم حفاة عراة وجاء وقت الحساب الذى يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التى كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها ، فمنهم من يؤتى كتابه يمينه فأولئك هم السعداء ، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كل كتابه ، وأنشدوا :

مثل وقوفك يوم العرض عرياناً مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا

لما قرأت ولم تنكر قراءته (أقررت) إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل : خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبد عصي للنار عطشاناً
المشركون غدا في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكاناً

فتوهم نفسك يا أخى إذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديت
باسمك على رؤوس الخلائق أين فلان ابن فلان هلم إلى العرض على الله تعالى ، وقد
وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك
إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذ قرع النداء قلبك ، فعلمت أنك المطلوب ، فارتعدت
فرائصك ، واضطربت جوارحك ، وتغير لونك ، وطار قلبك ، تخطى بك الصفوف
إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه ، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت
فى أيديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك .

فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك فى يدك (صحيفتك) مخبرة بعملك لا
تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسرتها ، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل وقلب
منكسر ، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك ، فكم من بلية قد كنت
نسيتها (ذكرتها) ، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها وقد أظهرها وأبداها ، وكم من
عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك فى ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان
أملك فيه عظيماً ، فيا حسرة قلبك ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك
﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه﴾ فعلم أنه من أهل الجنة ﴿فيقول هاؤم اقرؤوا
كتابه﴾ (أى: هاكم) وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه .

فإذا كان الرجل رأساً فى الخير يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دعى باسمه
واسم أبيه فيتقدم ، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض فى باطنه السيئات
وفى ظاهره الحسنات ، فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه ،
فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه سيئاتك وقد غفرت لك ، فيفرح عند ذلك فرحاً
شديداً ، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحاً ، حتى إذا بلغ آخر الكتاب
وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض وجهه ، ويؤتى بتاج فيوضع على

رأسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل فيه ويطول ستين ذراعاً وهى قامة آدم ،
 ويقال له : انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فإذا
 أدبر قال : ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حساييه ﴾ قال الله
 تعالى : ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ : أى مرضية قد رضيها ﴿ فى جنة عالية ﴾
 فى السماء ﴿ قطوفها ﴾ : ثمارها وعناقيدها ﴿ دانية ﴾ أدت منهم فيقول
 لأصحابه : هل تعرفوننى؟ فيقولون قد غمرتك كرامة الله ، من أنت ؟ فيقول : أنا
 فلان ابن فلان ، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم
 فى الأيام الخالية ﴾ أى قدمتم فى أيام الدنيا .

وإذا كان الرجل رأساً فى الشر يدعو إليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه نودى
 باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه فيخرج له كتاب أسود بخط أسود فى باطنه
 الحسنات وفى ظاهره السيئات ، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها ويظن أنه سينجو ، فإذا بلغ
 آخر الكتاب وجد فيه : هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن
 ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً ولا يزداد وجهه إلا
 سواداً ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك أى
 يضاعف عليه العذاب ليس المعنى أنه يزداد عليه ما لم يعمل . قال : فينظر إلى النار
 وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سراويل القطران ، ويقال له : انطلق إلى
 أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول : ﴿ يا ليتنى لم
 أوت كتابيه ولم أدر ما حساييه ياليتها كانت القاضيه ﴾ يعنى: الموت ﴿ هلك
 عنى سلطانيه ﴾ تفسير ابن عباس رضى الله عنهما هلكت عنى حجتى . قال تعالى
 ﴿ خذوا فغلوا ثم الجحيم صلوا ﴾ أى اجعلوه يصلى الجحيم ﴿ ثم فى
 سلسلة ذرعا سبعون ذراعاً فاسلكوا ﴾ والله أعلم أى ذراع ، (قاله) الحسن وقال
 ابن عباس رضى الله عنهما : سبعون ذراعاً بذراع الملك . وسيأتى فى كتاب (النار)

لهذه السلسلة مزيد بيان ، فاسلكوه فيها أى: تدخل من فيه حتى تخرج من دبره قاله الكلبي ، وقيل : (بالعكس) ، وقيل: يدخل عنقه فيها ثم يجر بها ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لأذابته فينادى أصحابه فيقول: هل تعرفونني فيقولون : لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزي فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان لكل إنسان منكم مثل هذا .

وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فتخلع كتفه اليسرى فتجعل يده خلفه (يدخلها) ويأخذ بها كتابه ، وقال مجاهد : يحول وجهه في موضع قفاه فيقرأ كتابه كذلك ، فتوهم نفسك إن كنت من السعداء وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه ، قد حل لك الكمال والحسن والجمال ، كتابك في يمينك آخذ بضعبيك ملك ينادى على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

أما إن كنت من أهل الشقاوة فيسرد وجهك وتتخطى الخلائق ، كتابك في شمالك أو من وراء ظهرك تنادى بالويل والشور وملك آخذ بضعبيك ينادى على رؤوس الخلائق ، ألا إن فلان ابن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً .

باب فك قوله تعال : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾

٨١٣- الترمذى عن أبي غالب قال : رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على برج دمشق ، فقال أبو أمامة: « كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه » ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ إلى آخر الآية فقلت لأبي أمامة الباهلي : أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً حتى عد سبعا ما حدثتكموه، قال : هذا حديث حسن . [حديث صحيح]

باب فك قوله تعال : ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما

فيه﴾ الآية

٨١٩- وقد روى أن النبي ﷺ ضرب بصغائر الذنوب مثلاً فقال : «إنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل منهم يحتطب فجعل الرجل يجيء بالعود والآخر بالعودين، حتى جمعوا سواداً

وأججوا ناراً فشوروا خبزهم ، وأنالذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله ، واتقوا محقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً [حديث صحيح] .

٨٢٠ أنبأنا الشيخان أبو محمد عبد الوهاب القرشي (والفقيه) الإمام أبو الحسن الشافعي قالا: أخبرنا السلفي قال: أخبرنا النقي (قال)، أخبرنا أبو طالب محمد بن (محمد بن أحمد بن) محمش الزيادي إملاء بنيسابور قال : أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي قال : أخبرنا محمد بن حماد الأبيوردي قال : أخبرنا أنس ابن عياض الليثي ، عن أبي حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كممثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » غريب من حديث أبي حازم سلمة بن دينار تفرد به عنه أبو ضمرة أنس بن عياض الليثي ، ولقد أحسن القائل :

خجل الذنوب صميمها	وكبيرها ذاك التقى
واصنع كمشاش فوق	أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة	إن الجبال من الحمصى

وقال جماعة من العلماء : إن الذنوب كلها كبائر ، قال بعضهم : لا تنظر إلى صغر الذنوب ، ولكن انظر من عصيت فهي من حيث المخالفة كبائر ، والصحيح أن فيها صغائر وكبائر ليس هذا موضع الكلام في ذلك ، وقد بيناه في سورة النساء في كتاب جامع أحكام القرآن ، والله أعلم [حديث صحيح] .

باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه

مسؤولاً ﴾ وقال : ﴿ ثم إينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ وقال

﴿ قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ﴾ أى ما عملتموه وقال ﴿ فمن

يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ أى سأل عن ذلك

ويجأى عليه والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقال ﴿ ثم لتستلن يومئذ عن
النعيم ﴾ .

٨٢١- الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية
﴿ لتستلن يومئذ عن النعيم ﴾ قال الناس يا رسول الله : عن أى نعيم نسأل ، فأبنا
هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا ؟ قال : « إن ذلك سيكون »
[حديث حسن] .

٨٢٢- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة
يعنى العبد أن يقال له ألم نصبح لك جسمك ونروك من الماء البارد » قال الترمذى :
حديث غريب [حديث صحيح] .

٨٢٤- مسلم عن أبي برزة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن
جسده فيم أبلاه ؟ وعن عمله ما عمل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ »
خرجه الترمذى ، وقال فيه : حديث حسن صحيح ، ورواه عن ابن عمر عن ابن
مسعود رضى الله عنهما عن النبي ﷺ وقال فيه : حديث غريب لا أعرفه إلا من
حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس ، والحسين يضعف
في الحديث [حديث حسن] .

٨٢٥- وفى الباب عن أبي برزة وأبي سعيد ، قلت : ومعاذ بن جبل أخبرنا
الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب بشعر الإسكندرية قراءة عليه قال : قرأ على
البيهقى وأنا أسمع قال : حدثنا الحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلاف
بيغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن
بشران المعدل ، وقال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى بمكة فى شوال سنة
ثلاث وخمسين وثلاثمائة قال : أخبرنا أبو سعيد الفضل بن محمد الجندى إملاء فى
المسجد الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين قال : أخبرنا صامت بن معاذ
الجندى ، (قال : حدثنا) عبد الحميد عن سفيان بن سعد الثورى ، عن صفوان بن
سليم ، عن عدى ابن عدى عن الصنابجى ، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن

عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن عمله ماذا عمل فيه؟ [حديث حسن] .

٨٢٧- مسلم عن صفوان بن محرز قال : قال رجل لابن عمر رضي الله عنه . كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال : سمعته يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقره بذنوبه ، فيقول هل تعرف ؟ فيقول : رب أعرف . قال فيقول : إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . قال : فيعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار والمنافقون ، فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله . أخرجه البخاري وقال في آخره : ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [حديث صحيح] .

قال المؤلف (رضي الله عنه): أخرجه مسلم بمعناه وسيأتي آنفا إن شاء الله تعالى .

٨٢٩- وخرج أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الختلى في كتاب الديباج له . حدثنا هارون بن عبد الله قال : حدثنا سيار قال : حدثنا جعفر قال : حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « يدنى الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول له : اقرأ يا ابن آدم كتابك قال : فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ، ويمر بالسيئة فيسود لها وجهه ، قال : فيقول الله تعالى له: أتعرف يا عبدي؟ قال : فيقول نعم يا رب أعرف، قال : فيقول : (فإني) أعرف بها منك، قد غفرتها لك ، قال : فلا تزال حسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد ، فلا يرى الخلائق منه إلا ذلك حتى ينادى الخلائق بعضها بعضاً طوبى لهذا العبد الذي لم يعص قط فلا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله تعالى مما قد وقفه عليه » [خبر حسن] .

٨٣٠- قلت : نسخة من هنا إلى الفصل قوله: لا يزول ، أخبرنا الشيخ الراوية القرشي عبد الروهاب قراءة عليه بشعر الإسكندرية حماه الله ، قال : قرئ على الحافظ السلفي ، وأنا أسمع ، قال : حدثنا الحاجب أبو الحسن بن العلاء ، وقال : أخبرنا أبو القاسم بن بشران ، أخبرنا الآجري ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد

ابن موسى السونيطي . حدثنا أحمد بن أبي رجاء المصيصي ، حدثنا وكيع بن الجراح ، حدثنا الأعمش عن المعرور ابن سويد ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال : عرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبأ كبارها ، فيقال له : عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا ثلاث مرات ، قال : وهو يقر ليس ينكر قال : وهو مشفق من الكبائر أن تجيء قال : فإذا أراد الله به خيراً قال : أعطوه مكان كل سيئة حسنة ، فيقول حين طمع : يا رب إن لي ذنوباً ما رأيتها ها هنا ، قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . ثم تلا ﴿ فَأُولَئِكَ

يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ خرجه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نمير قال : حدثنا الأعمش فذكره [حديث صحيح] .

٨٣١- فصل : قوله : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل » : عام لأنه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله عليه (الصلاة و) السلام ، « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » على ما يأتي [حديث صحيح] .

٨٣٢- وبقوله لحمد عليه (الصلاة و) السلام : أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن الحديث وقد تقدم .

وبقوله تعالى : ﴿ يعرف المحرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ (على ما يأتي) قوله عليه (الصلاة و) السلام : « وعن عمله ما عمل فيه » . قلت : هذا مقام مخوف لأنه لم يقل وعن عمله ما قال فيه ، وإنما قال : ما عمل فيه فليظن العبد ما عمل فيما علمه هل صدق الله في ذلك وأخلصه حتى يدخل فيمن أثنى الله (تعالى) عليه بقوله ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ أو خالف علمه بفعله

فيدخل في قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾ وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ [حديث صحيح] .

وقيل: في صغائر اقترفها ، وقيل : كبائر بينه وبين الله تعالى اجترحها ، وأما ما كان بينه وبين العباد فلا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات على ما يأتي وقيل : ما خطر بقلبه ما لم يكن في وسعه ويدخل تحت كسبه، ويثبت في نفسه وإن لم يعمله وهذا اختيار الطبري والنحاس وغير واحد من العلماء جعلوا الحديث مفسراً بقوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوا يحاسبكم به الله ﴾

فتكون الآية على هذا محكمة غير منسوخة والله أعلم .
قد بينا فى كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة ، وآى الفرقان والحمد لله .

٨٣٤- وروى عن ابن مسعود أنه قال : « ما ستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستر الله عليه فى الآخرة » وهذا مأخوذ من حديث النجوى ، ومن قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » خرج مسلم [حديث صحيح] .

٨٣٥- وفى صحيح مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضى الله عنه : « من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة [حديث صحيح] .

٨٣٦- وروى « من ستر على مسلم عورته ، ستر الله عورته يوم القيامة » [حديث حسن لغيره] .

٨٣٧- قال أبو حامد : فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم ، ولم يحرك لسانه بذكر مساوئ الناس ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة.

٨٣٨- فصل : وفى قوله : « سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم نص منه تعالى على صحة قول أهل السنة فى ترك إنفاذ الوعيد على العصاة من المؤمنين، والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم :

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى
ولانى متى أوعدته أو وعدته
ولا أختشى من روعة المتهدد
لخلف إيعادى ومنجز موعدى
قال ابن العربى : إنه كذلك عند العرب ، وأما ملك الملوك القدوس الصادق فلا يقع أبدا خبره إلا على وفق مخبره كان ثواباً أو عقاباً ، فالذى قال المحققون فى

ذلك قول بديع ، وهو أن الآيات وقعت مطلقة في الوعد والوعيد عامة فخصصتها الشريعة ، وبينها الباري تعالى في كتابه في آيات أخر ، كقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ رِبْكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ﴾ الآية وكقوله تعالى : ﴿حَرِّمْنَا عَلَيْكَ الْفَوَاحِشَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَالزُّبُرَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَالزُّبُرَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَالزُّبُرَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ﴾ وبالشفاعة التي أكرم الله (تعالى) بها (محمداً) ﷺ ومن شاء من الخلق من بعده .

باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه

توجهان

٨٣٩- مسلم عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » زاد ابن حجر قال الأعمش : وحدثني عمرو بن مرة عن خيشمة عن عدى مثله وزاد فيه «ولو بكلمة طيبة» . أخرجه البخاري والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح [حديث صحيح] .

قلت : قوله : ما منكم من أحد مخصوص بما ذكرناه في الباب قبل أي ما منكم ممن لا يدخل الجنة بغير حساب من أمتي إلا وسيكلمه الله ، والله أعلم . فتفكر في عظيم حياتك إذا ذكرك ذنوبك شقاها إذ يقول : يا عبدي أما استحييت مني فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادي واستخففت بنظري إليك فلم تكثر به ، واستعظمت نظر غيري ألم أنعم عليك فماذا غرك بي ؟ .

٨٤١- وعن ابن مسعود قال : «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيباً على أذنك؟ وهكذا عن سائر

الأعضاء فكيف ترى حياءك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك؟ فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك ، فنعوذ بالله من الافتضاح على ملاً الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله وعد (المؤمنين) أن يستر (عليهم) ، ولا يطلع (عليهم) غيره كما ذكرنا ، وذلك بفضل منه

وهل يكلم الكفار عند المحاسبة لهم؟ فيه خلاف تقدم بيانه فى أسماء القيامة ويأتى أيضاً فى باب ما جاء فى شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ، ولقائهما بالله عز وجل مستوفى إن شاء الله تعالى [خبر صحيح] .

٨٤٢- فصل : فإن قيل : أخير الله تعالى عن الناس أنهم مجزيون محاسبون ، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء فما القول فى ذلك عندكم ؟ وهل يكلمهم الله؟ فالجواب: أن الله تعالى أخبر أن الإنس والجن يسألون فقال خبيراً عما يقال لهم : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ الآية وهذا سؤال فإذا ثبت بعض السؤال

ثبت كله ، ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل ، قال « منكم » وإن كانت الرسل من الإنس وغلب الإنس فى الخطاب كما تغلب المذكر على المؤنث ، وأيضاً لما كان الحساب عليهم دون الخلق قال : « منكم » فيصير الرسل فى مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتها عرصة القيامة ، فلما صاروا فى تلك العرصة فى حساب واحد فى شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة لأن بدء خلقهم للعبودية كما قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا

ليعبدون﴾ والثواب والعقاب على العبودية إلا أن الجن أصلهم من مارج من نار ، وأصلنا من تراب وخلقهم غير خلقنا ، ومنهم مؤمن وكافر ، وعدونا إبليس عدو لهم يعادى مؤمنهم ويوالى كافرهم ، وفيهم أهواء شيعية ، وقدرية ومرجئة وهو معنى

قوله : ﴿كنا طرائق قددا﴾

وقيل : إن الله تعالى لما قال : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك

أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿ دخل في الجملة الجن والإنس ، فثبت للجن من وعد الجنة لعموم الآية ما ثبت للإنس .
فإن قيل : فما الحكمة في ذكر الجن مع الإنس في الوعيد وترك إفراده الإنس عنهم في الوعد ؟
فالجواب : أنهم قد ذكروا أيضاً في الوعد لأنه سبحانه يقول : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول في أمر قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ ثم قال : ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ وإنما أراد لكل من الإنس والجن فقد ذكروا في الوعد مع الإنس .

فإن قيل : فقد ذكر يخاطب الجن والإنس في النار لأن الله تعالى قال : ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ﴾ إلى قوله ﴿ ولوموا أنفسكم ﴾ (قال تعالى) : ﴿ وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ ولم يأت عن تفاوض الفريقين في الجنة خبر . قيل : إنما ذكر من تفاوضهم في النار أن الواحد من الإنس يقول للشيطان الذي كان قرينه في الدنيا : إنه أظغاني وأضلني فيقول له قرينه : ربنا ما أطغيته ولكنه كان ضالاً بنفسه ولا سبب بين الفريقين يدعو أهل الجنة فيهما إلى التفاوض فلذلك سكت عنهما ، وأيضاً فإن الله تعالى أخبر الناس أن عصاتهم يكونون قرناء الشياطين يتخاصمون في النار ليزجرهم بذلك عن التمرد والعصيان ، وهذا المعنى مقصود في الأخبار ، فلهذا سكت عن ذلك في الوعد .

**باب القصاص يوم القيامة ممن استطال فك حقوق الناس
وفك حبسه لهم حتى ينصفوا منه**

٨٤٣- مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لتؤد الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاحء من الشاة القرناء »
[حديث صحيح].

٨٤٤- البخارى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه . »

٨٤٥- مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفلس من أمتى ، من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار » [حديث صحيح] .

٨٤٦- وخرج ابن ماجه ، حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء ، حدثنا عمى محمد بن سواء عن حسين المعلم ، عن مطر الوراق ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته ، ليس ثم دينار ولا درهم من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله » [حديث صحيح] .

٨٤٧- الحارث بن أبى أسامة ، وعن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد أو قال : الناس - شك - وأوماً بيده إلى الشام عراة غرلاً بهماً ، قال : ما بهماً ؟ قال : ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب : أنا الملك ، وأنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ، قال : قلنا : كيف وإنما نأتى الله عراة حفاة ، قال : بالحسنات والسيئات »

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا الحديث الذى أراد البخارى بقوله ، ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد .

[حديث صحيح] .

٨٤٨- سفيان بن عيينه ، عن مسعر عن عمرو بن مرة قال : سمعت الشعبي

يقول : حدثني الربيع بن خيثم وكان من معادن الصدق قال : إن أهل الدين في الآخرة أشد تقاضياً له منكم في الدنيا يحبس لهم فيأخذونه فيقول : يا رب ألسنت تراني حافياً ؟ فيقول : خذوا من حسناته بقدر الذي لهم ، فإن لم يكن له حسنات يقول : زيدوا على سيئاته من سيئاتهم .

٨٥٠- وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن زاذان أبي عمر قال : دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخبز واليمنة قد سبقوني إلى المجلس ، فقلت : يا عبد الله ، من أجل أني رجل أعجمي أدنيت هؤلاء وأقصيتني ، قال : ادن فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس فسمعتة يقول : يؤخذ بيد العبد أو الأمة فينصب على رؤوس الأولين والآخريين ، ثم ينادى مناد : هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق فليأت إلى حقه ، فتفرح المرأة بأن يدون لها الحق على ابنها أو أختها أو أبيها أو على زوجها ، ثم قرأ ابن مسعود ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ ، فيقول الرب تعالى

للعبد : ائت هؤلاء حقهم ، فيقول : يا رب ، فنيت الدنيا فمن أين أوتيتهم ؟ فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته ، فإن كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ وإن كان عبداً شقيماً قالت الملائكة : رب فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول للملائكة . خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكاً إلى النار [خبر حسن] .

٨٥٢- وروى رزين عن أبي هريرة قال : كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول : مالك إلي وما بيني وبينك معرفة ؟ فيقول : كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني . وقال ابن مسعود : تفرح المرأة يوم القيامة أن يكون لها حق وعلى أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها أو أختها ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ .

٨٥٣- ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال : لما رجعت إلى رسول الله ﷺ

مهاجرة البحر قال : ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فنية منهم : بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت على ركبته فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا . قال: يقول رسول الله ﷺ : « صدقت صدقت كيف يقدر الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم ».

[حديث صحيح]

٨٥٤- فصل : أنكر بعض المتغفلة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله إعجاباً برأيهم وتحكماً على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ بعقول ضعيفة وأفهام سخيفة ، فقالوا : لا يجوز فى حكم الله تعالى وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى من لم يعملها ، وهذا زعموا جوراً وأولوا قول الله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فكيف

تصح هذه الأحاديث وهى تخالف ظاهر القرآن وتستحيل فى العقل ؟ .

والجواب : أن الله سبحانه وتعالى لم يبين أمور الدين على عقول العباد، ولم يعد ولم يوعد على ما تحتمله عقولهم ويذكر كونها بأفهامهم ، بل وعدوا وعداً بمشيئته وإرادته وأمر ونهى بحكمته ، ولو كان كلما لا تدركه العقول مردوداً لكان أكثر الشرائع مستحيلًا على موضوع عقول العباد ، وذلك أن الله (سبحانه وتعالى) أوجب الغسل بخروج المنى الذي هو ظاهر عند بعض الصحابة وكثير من الأئمة ، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذى لا خلاف بين الأئمة وسائر من يقول بالعقل وغيره فى نجاسته وقذارته وئنته ، وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الغائط الكثير المتفاحش ، فبأى عقل يستقيم هذا وبأى رأى تجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه وتزيد على الريح تنناً وقدرًا ، وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن بعشرة دراهم ، وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك . ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار فيكون القطع فيهما سواء ، وأعطى الأم من ولدها الثلث ، ثم إن كان للمتوفى إخوة جعل لها السدس من غير أن ترث

الإخوة من ذلك شيئاً ، فبأى عقل يدرك هذا إلا تسليماً وانقياداً من صاحب الشرع إلى غير ذلك ، فكذلك القصاص بالحسنات والسيئات ، وقد قال وقوله الحق ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ الآية ، وقال: ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ وقال: ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ وهذا يبين معنى قوله تعالى: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى إذا لم تتعد ، فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها ، كما تقدم فى أسماء القيامة عند قوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ﴾ .

٨٥٥ -- فصل : وإذا تقرر هذا ، فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه ، كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصير فى فرائض الله عز وجل ، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة ، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده (وسوء ظنه) بقلبه ، ويطيب قلوبهم حتى يموت ، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة ، فهذا يدخل الجنة بغير حساب ، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه ، فهذا يأخذ بيده ، وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته ، وهذا يقول ظلمتني ، وهذا يقول شتمتني ، وهذا يقول استهزأت بي ، وهذا يقول ذكرتني فى الغيبة بما يسوؤنى وهذا يقول : جاورتني فأسأت إلى جوارى ، وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول : بايعتني وأخفيت عنى عيب متاعك ، وهذا يقول : كذبت فى سعر متاعك ، وهذا يقول رأيتني وأخفيت عنى عيب متاعك ، وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني ، وهذا يقول وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني ، فبينما أنت كذلك وقد أنشبت الخصماء فىك مخالبيهم وأحكموا فى تلايبك أيديهم ، وأنت مبهور متحير من كثرتهم حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو

استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ إلى قوله ﴿لا يرد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾.

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم ! وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل، وشوفهت بخطاب السيئات، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى (خصمائك) عوضاً عن حقوقهم، كما ورد في الأحاديث المذكورة في هذا الباب .

فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة قد سلمت من آفات الرياء ومكائد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة في مدة طويلة ابتدراها خصماؤك وأخذوها، ويقال: لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبياً وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه، وقيل: يؤخذ بدانق قسط سبعمئة صلاة مقبولة فتعطي للخصم. ذكره القشيري في (التحبير) له عند اسمه المقسط الجامع [أثر صحيح].

٨٥٦- قال أبو حامد: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا (ينقضى) عليك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك. فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام، (والشبهات) والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء؟ ﴿ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً﴾ فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك؟ فتقول أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك، فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط. فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء، وظلمتهم في المعاملة والمبالغة والمجاورة

والمخاطبة، والمناظرة والمذاكرة والمدارسة، وسائر أصناف المعاملة، فاتق الله في مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم (فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الإخلاص) من حيث لا يطلع عليه إلا الله (تعالى) فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه، فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي ادخره لأرباب المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم على ما يأتي بيانه في باب إرضاء الخصوم بعد هذا إن شاء الله تعالى.

٨٥٧- فصل: قوله في الحديث: فيناديهم بصوت استدل به من قال: بالحرف والصوت. وأن الله يتكلم بذلك تعالى الله عما يقوله الجسمون والجاحدون علواً كبيراً، وإنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين بإذن الله تعالى وأمره، ومثل ذلك سائق في الكلام غير مستنكر أن يقول القائل نادى الأمير وبلغنى نداء الأمير كما قال تعالى ﴿ونادى فرعون فى قومه﴾ وإنما

المراد: نادى المنادى عن أمره وأصدر نداءه عن إذنه، وهو كقولهم أيضاً: قتل الأمير فلاناً، وضرب فلاناً، وليس المراد توليه لهذه الأفعال وتصديه لهذه الأعمال، ولكن المقصود صدورها عن أمره، وقد ورد في صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد فيخاطبون أهل التقى والرشاد: ألا إن فلان ابن فلان كما تقدم.

٨٥٨- ومثله ما جاء في حديث التنزيل مفسراً فيما أخرجه النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع (فيستجاب) له؟ هل من مستغفر (فيغفر) له؟ هل من سائل يعطى؟» صححه أبو محمد عبد الحق، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء، فهذا التأويل فيه وأن ذلك من باب حذف المضاف. والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ما هو مذكور في كتاب (الديانات).

٨٥٩- فإن قال بعض الأغبياء: لا وجه لحمل (هذا) الحديث على ما ذكرتموه فإن فيه (أنا الديان) وليس يصدر هذا الكلام حقاً وصدقاً إلا من رب العالمين.

قيل له : إن الملك إذا كان يقول عن الله تعالى وينبئ عنه فالحكم يرجع إلى الله رب العالمين ، والدليل عليه أن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى ﴿ إني أنا الله ﴾ فليس يرجع إلى القارئ وإنما القارئ ذاكركلام الله تعالى ودال عليه بأصواته ، وهذا بين ، وقد أتينا عليه فى الصفات من كتاب (الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا).

٨٦٠- فصل : واختلف الناس فى حشر البهائم وفى قصاص بعضها من بعض ، فروى عن ابن عباس أن حشر الدواب والطيير موتها ، وقال الضحاك : وروى عن ابن عباس فى رواية أخرى: أن البهائم تحشر وتبعث ، (و) قاله أبو ذر ، وأبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والحسن البصرى ، وغيرهم وهو الصحيح لقوله تعالى : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ وقوله ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ .

٨٦١- وقال أبو هريرة : يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم والطيير والدواب وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماة من القرناء ، ثم يقول : كونى تراباً فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ ويقول الكافرياً ليتنى كنت تراباً ﴾ ونحوه عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وفى الخبر : إن البهائم إذا صارت تراباً يوم القيامة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وجوالة يومئذ عليها غبرة ﴾ أى: غبار ، وقالت طائفة : الحشر فى قوله تعالى ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ راجع إلى الكفار . وما تخلل من قوله تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمر أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ﴾ كلام معترض وإقامة حجج ، وأما الحديث فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص (والاغيا) فيه حتى يفهم منه أنه لا بد لكل أحد منه وأنه لا محيص لمخلوق عنه ، وعضدوا ذلك بما روى فى غير الصحيح عن بعض رواته من الزيادة ، فقال : حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء ، وللحجر لما ركب الحجر ، والعود لما خدش العود . قالوا : فظهر من هذا أن المقصود التمثيل

المفيد للاعتبار والتهويل ، لأن الجمادات لا تعقل خطابها ولا عقابها وثوابها ولم يصر إليه أحد من العقلاء ومتخيله من جملة المعتهين الأغبياء . أجاب بعض من قال إنها تحشر وتبعث بأن قال : إن من الحكمة الإلهية أن لا يجرى أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا على سنة مسنونة وحكمة موزونة [خبير حسن] .

ومن قال هنا بما قالته طائفة من المتوسمة بالعلم المتسمة بالفقه والفهم على الزعم أن الجامد لا يفقه والحيوان غير الإنسان لا يعقل وإنما هو منزل في الحيوان ولسان حال في الجامد والنامي ، قال: إن الله تعالى يقول في الضالين المكذبين : ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ولو كان عندها عقل أو فهم ما نزل بالكافر الفاسق إلى درجتها في موضع التنقيص والتقصير ، والله سبحانه قد وصفه بالموت والصمم في موضع التبصير والتذكير ، فقال : ﴿ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمْرُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ ﴾ وقال : ﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمْرَ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى ﴾ ﴿ صَمْرٌ

بِكُمْ عُمْى فهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

قيل له : ليس الأمر كما ذكرت ولا الحق على شيء مما زعمت ، وأنه ليس عليك من حيث الزعم ورؤية النفس في درجة العلم أبدا من الآية التي وقفت فيها إلى (الآية) التي قبلها إن شئت ، فارجع بصرك في الذي رأيت تجده قد وصفهم عز وجل بالموت والصمم ، كما وصفهم بالعمى والبكم وليسوا في الحقيقة الظاهرة بموتى ولا صم ولا بعميان ولا بكم ، وإنما هم أموات بالعقول والأذهان عن صفة الإيمان وحياة دار الحيوان . صم عن كلمة الأحياء ، عمى عن النظر في مرآة وجوه الأنحاء ، كذلك وصف الأنعام بضلال وليست في الحقيقة بضلال من حيث شرعتها وحكمتها ، وإنما ذلك من حيث قد كنا وافقنا فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ يَحْشُرُونَ ﴾ فوربك لنحشرنهم جمعا غفيرا ولنحاسبن حسابا يسيرا ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، وأنه تعالى لا يسأل إلا عاقلا ولا يحاسب إلا مفضولا (وفاضلا)، وإنما

جعل لكل موجود من موجوداته فى أشتات الخلائق وأجناس العوام دار دنيا ودار أخرى، وجعل لها أفلاكاً وآفاقاً وظلماً وأضواءً، فكل فى فلكه، وأفقه بليله ونهاره وسمعه وبصره وعلمه وفهمه، وحاكم من عقله أو جهله، وقائم بنحلته وحكمته وسنته وشرعته، فأدنى وأعلى من الروحانية الأفضى إلى الجمادية الأقسى، فالملائكة الروحانية فى مصافها ترانا من حيث لا (نعلم) وتعلم منا أكثر مما نعلم، وإنها لتشاهد من نقصنا وقلة عقلنا فى الموضع الذى يجب العلم به وإعمال العقل فيه ما تحكم به علينا أكثر مما نحكم به على الأنعام من قلة العقل وتحقيق المعرفة، فمن نظر فيه نظر إلى الأنعام وجدها من حيث نحن لا من حيث فلكها وأفقها ولا تسمع ولا تعقل إلا ميراً ما قدر ما تتسخر به وتتذلل طبعاً، فتلقن المراد منها من هذا الفن خاصة لا غير وأما ما نحن بسبيله من تصرفات وتعملات فليس لها ذلك من حيث الفلكية التى أحازتها عنا والأفقية التى اقتطعتها منا، فهى فى طرقنا ضلالاً وتعملاتنا وأحوال تصرفاتنا جهال، وأما من حيث شرعتها وباطن رؤيتها فعارفة عقال .

٨٦٢- قال رسول الله ﷺ حين أخذ الجمل القضم الذى ند وامتنع بحائط بنى النجار وغلب الخلق عن أخذه والوصول إليه حتى جاء ﷺ فلما مشى إليه ورآه الجمل برك لديه وجعل يمر بمشفره على الأرض بين يديه تذلاً وتسخييراً فقال ﷺ «هات الخطام» فلما خطمه ورأى الناس يعجبون منه رد رأسه إليهم فقال: «ألا تعجبون-أو كما قال- إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله غير عاصى الجن والإنس» [حديث حسن] .

٨٦٣- وثبت فى الصحاح عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من دابة إلا وهى

مصيخة بأذنها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة» [حديث صحيح] .

٨٦٤- وقال ﷺ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر

ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» [حديث صحيح] .

٨٦٥- قال المؤلف رحمه الله: خرج ماله فى موطنه وابن ماجه فى سننه

واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدرى، وقد تقدم أن الميت يسمع صوته كل شيء إلا الإنسان، وفى رواية: إلا الثقلين. والأخبار فى هذا المعنى كثيرة قد أتينا على جملة منها فى هذا الكتاب، فكل حيوان وجماد محشور لما عنده من الإدراك

والمشاهدة والحضور من حيث هي لا من حيث نحن . قال الله تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ وقال : ﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ وقال عز من قائل: ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ لا يقال إن هذا السجود والتسبيح لسان حال ليس بلسان المقال ، فإننا نقول هذا مجاز والله سبحانه يقص الحق كما أخبر فى كتابه: ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق ﴾ .

ومن نظر بنور الله جاز العين إلى المعنى وحل الرمز وفك المعنى وهم إنما نظروا من حيث هم ومن حيث العقل البشرى ولم ينظروا الحياة الفلكية من حيث هي فغابوا عن الحضور ، وجمدوا على القصور ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ .

٨٦٦- قلت : هذا كله صحيح لحديث أبي سعيد الخدرى المذكور وهو صحيح ، وكذلك حديث أبي هريرة فى شهادة الأرض بما عمل عليها ، وهو صحيح وكذلك حديث أبي سعيد الخدرى فى شهادة المال صحيح وسيأتى .

٨٦٧- وقد روى ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن مروان ، عن الهزيل ، عن أبي ذر عن النبى ﷺ أنه مر بشاتين تنتطحان فقال : « إن الله تعالى ليقضين يوم القيامة لهذه الجلهاء من هذه القرناء » [حديث حسن] .

٨٦٨- وذكر ابن وهب ، أخبرنى ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكر بن سودة أن أبا سالم الجيشانى حدثه أن ثابت بن طريف استأذن على أبي ذر فسمعه رافعاً صوته يقول : أما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك . قال ثابت : فدخلت فقلت : ما شأنك يا أبا ذر ؟ قال : هذه قلت : وما عليك إن رأيتك تضربها قال : « والذى نفسى بيده أو نفس محمد بيده لتسفلن الشاة فيما نطحت صاحبها وليسفلن الجماد فيما نكب أصبع الرجل » [حديث حسن] .

٨٦٩- وروى عن شعبة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه عن أبي

ذر قال: رأى رسول الله ﷺ شاتين تنتطحان ، فقال: « يا أبا ذر أتدرى فيم تنتطحان؟ » قلت : لا، يا رسول الله ، قال : « لكن الله يدري ويقضى بينهما يوم القيامة » أخرجه أبو داود الطيالسي فقال : حدثنا شعبة قال: أخبرني الأعمش ، قال : سمعت منذر الثوري يحدث عن أصحاب له عن أبي ذر بلفظه ومعناه .

[حديث حسن] .

٨٧١- وذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في (التجبير) له فقال : في خبر الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة: ليس هذا يوم سجود، هذا يوم الثواب والعقاب ، وتقول البهائم : هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله (تعالى) من بنى آدم ويقال إن الملائكة تقول للبهائم : لم يحشركم الله جل ثناؤه لثواب ولا لعقاب وإنما يحشركم تشهدون فضائح بنى آدم . ذكره القشيري في اسمه المقسط الجامع . وهذا قول ثابت فتأمله .

٨٧٢- فصل : ظن بعض العلماء أن الصيام مختص بعامله موافراً له أجره ولا يؤخذ منه شيء مظلمة ظلمها متمسكا بقوله تعالى : « الصيام لى وأنا أجزي به » وأحاديث هذا الباب ترد قوله ، وأن الحقوق تؤخذ من سائر الأعمال صياماً كان أو غيره ، وقيل : إن الصوم إذا لم يكن معلوماً لأحد ولا مكتوباً فى الصحف هو الذى يستره الله ويخبؤه عليه ، حتى يكون له جنة من العذاب ، فيطرحون أولئك عليه سيئاتهم فيذهب عنهم ويقيه الصوم فلا يضر أصحابها لزوالها عنهم ولا له لأن الصوم جنته . قال القاضى أبو بكر بن العربى فى (سراج المريدين) : وهو تأويل حسن إن شاء الله تعالى ولا تعارض والحمد لله [حديث صحيح] .

بأب منه

٨٧٣- أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن آبائهم دنية عن رسول الله ﷺ قال : « ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه فى حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » صححه أبو محمد عبد الحق [حديث حسن] .

باب فك إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة

٨٧٦- وقال ابن أبي الدنيا ، وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل قال : بلغني أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلى ، وما يكابدون في طلب مرضاتي أتراني أنسى لهم عملاً كيف وأنا أرحم الراحمين بخلقى، لو كنت معاجلاً بالعقوبة أحداً أو كانت العقوبة من شأنى لعاجلت بها القانطين من رحمتى ، ولو يرى عبادى المؤمنون كيف أستوهبهم ممن ظلموه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم فى جوارى إذا ما اتهموا فضلى وكرمى .

٨٧٧- فصل : قلت : وهذا لبعض الناس ممن أراد الله أن لا يعذبه بل يعفو عنه ويغفر له ويرضى عنه خصمه وقد يكون هذا فى الظالمين الأوابين وهو قوله تعالى ﴿إِنَّه كَانَ لِلأوابين غفوراً﴾ والأواب : الذى أقلع عن الذنب فلم يعد إليه . كذا تأوله أبو حامد ، وهو تأويل حسن أو يكون ذلك فىمن يكون له خبيثة حسنة من عمل صالح يغفر الله له به ويرضى (عنه) خصماؤه كما تقدم ، وظاهر حديث أنس الخصوص بدينك الرجلين لقوله : رجلان ولفظ التثنية لا يقتضى الجمع إلا ما روى فى الحديث : « مثل المنافق كالشاة العابرة بين الغنمين » خرجه مسلم وليس هذا موضعه ، ولو كان ذلك فى جميع الناس ما دخل أحد النار [حديث صحيح] .

باب أول من يحاسب أمة محمد ﷺ

٨٧٩- روى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال : أين الأمة الأمية ونبيها ؟ فنحن الآخرون الأولون ». وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما : « فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فمضى غراً محجلين من آثار الوضوء فتقول الأمم : كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها ». خرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده بمعناه وقد تقدم . [حديث حسن] .

باب أول ما يحاسب عليه العبد من عمله : الصلاة وأول ما يقضه

فيه بين الناس : الطماء ، وفك أول من يطعمه للخصومة

٨٨٠- مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » أخرجه البخارى أيضاً والنسائى والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . وللنسائى أيضاً عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أول

ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء» [حديث صحيح] .
٨٨١- وفي البخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه (أنه قال): «أنا
أول من يجثو يوم القيامة بين يدى الرحمن للخصومة» يريد قصته فى مبارزته هو
(وأصحابه) الثلاثة من كفار قريش قال أبو ذر : وفيهم نزلت : ﴿هذان خصمان
اختصموا فى ربهم﴾ الآية ، والخبر بهذا مشهور صحيح خرجه البخارى ومسلم
وغيرهما . [حديث صحيح] .

٨٨٣- حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى ، حدثنا أبو عاصم
الضحاك ، عن مخلد ، حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد ، عن محمد بن
كعب وخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضى من حديث نافع ابن جبير بن مطعم عن
عبد الله بن عباس قال : سمعت نبيكم ﷺ يقول : «يأتى المقتول معلقاً رأسه بإحدى
يديه متلبياً قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دماً حتى يوقفا فيقول المقتول لله
سبحانه : هذا قتلتى ، فيقول الله تعالى للقاتل : تعست ، ويذهب به إلى النار»
[حديث صحيح] .

٨٨٤- وخرجه ابن المبارك موقوفاً على عبد الله بن مسعود قال : حدثنا
حماد بن سلمة ، عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله فذكره بمعناه [خبر حسن] .
٨٨٥- وخرجه الترمذى فى جامعه قال : حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى
قال : حدثنا شبابة قال : حدثنا ورقاء بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن
النبي ﷺ قال : «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه
تشخب دماً يقول : يا رب ، قتلتى هذا حتى يدنيه من العرش» قال : هذا حديث
حسن غريب [حديث صحيح] .

٨٨٦- مالك عن يحيى بن سعيد قال : بلغنى أن أول ما ينظر فيه من عمل
المرء: الصلاة ، فإن قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظر فى
شيء من عمله .

قلت : وهذا الحديث وإن كان موقوفاً بلاغاً ، فقد رواه الترمذى والنسائى
مرفوعاً بهذا المعنى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : «أول ما
يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم : الصلاة . قال يقول ربنا عز وجل

للائكته : انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » لفظ أبي داود وقال الترمذى: حديث (حسن) غريب وخرجه ابن ماجه أيضاً [حديث صحيح] .

٨٨٧- فصل : قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك ، وأما من تعمد تركها أو شيئا منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاك له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه والله أعلم .

وقد روى من حديث الشاميين في هذا الباب حديث منكر يرويه محمد بن حمير عن عمرو بن قيس السكوني ، عن عبد الله بن قرط ، عن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده وخشوعه زيد فيها من تسبيحاته حتى تتم » قال (أبو عمرو) : هذا لا يحفظ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه وليس بالقوى وإن كان صح كان معناه: (أنه) أخرج من صلاة قد أتمها عند نفسه وليس في الحكم بتامة (والله أعلم) [حديث صحيح] .

٨٨٨- قلت : ينبغي للإنسان أن يحافظ على أداء فرضه فيصليه كما أمر من إتمام ركوع وسجود ، وحضور قلب . فإن غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك في نفيه ولا يتساهل فيه ولا في تركه ، ومن لا يحسن أن يصلي الفرض فأحرى أن لا يحسن النفل لا جرم بل تنفل الناس في أشد ما يكون من النقصان والخلل في التمام لخفة النفل عندهم وتهاونهم به ، ولعمر الله لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم بنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك ، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون ، وإذا كان هذا فكيف يكمل بهذا النفل ما نقص من الفرض هيات هيات ! فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها في معنى قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياك ﴾ وقال جماعة من العلماء: التضييع للصلاة هو: أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك وهو مع ذلك يصلها ، ولا

يتمتع من القيام بها في وقتها وغير وقتها قالوا : فأما من تركها أصلاً ولم يصلها فهو كافر .

٨٨٩- وروى الترمذى عن أبي مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود » وقال : حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود .

قال الشافعى وأحمد وإسحاق : من لم يقيم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة لحديث النبي ﷺ : « لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود » [حديث صحيح] .

٨٩٠- وروى البخارى عن زيد بن وهب عن حذيفة ، ورأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده ، فلما قضى صلاته قال له حذيفة : ما صليت ولو مت مت على غير سنة محمد ﷺ . وأخرجه النسائي أيضاً عنه عن حذيفة أنه رأى رجلاً يصلى فخفف فقال له حذيفة : منذ كم تصلى هذه الصلاة ؟ قال منذ أربعين عاماً قال : ما صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير فطرة (محمد صلى الله عليه وسلم) ، ثم قال : إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً قد أتينا عليها في غير هذا الباب وهى تبين لك المراد فى قوله تعالى : ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾ [خبر صحيح] .

٨٩١- وروى النسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أول ما يحاسب (به) العبد يوم القيامة (عن) صلاته ، فإن وجدت تامة ، كتبت تامة ، وإن كان انتقص منها شيئاً قال : انظروا ، هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه ؟ ثم سائر الأعمال تجرى على ذلك ، وهذا نص . وقال عمر رضى الله عنه : ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع [حديث صحيح] .

٨٩٢- قلت : ولا اعتبار بقول من قال : إن الواجب من أركان الصلاة ومن الفصل بين أركانها أقل ما (ينطلق) عليه الاسم ، وهو أبو حنيفة ، وأشار إلى ذلك القاضى عبد الوهاب فى تلقينه ، وهو يروى عن ابن القاسم ، لأن من اقتصر على ذلك صدق عليه أنه نقر الصلاة ، فدخل فى الذم المترتب على ذلك بقوله عليه

(الصلاة و) السلام : « تلك صلاة المنافقين يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » . رواه مالك في موطنه ومسلم في صحيحه [حديث صحيح] .

٨٩٣- والأحاديث الثانية تقضى بفساد صلاته كما بيناه مع قوله عليه (الصلاة و) السلام : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم » خرجه مسلم [حديث صحيح] .

٨٩٤- وفي موطأ مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن النعمان بن مرة الأنصاري ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما ترون في الشارب والشارق والزاني؟ قال : وذلك قبل أن ينزل فيهم ، قالوا الله ورسوله أعلم . قال : هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله ، وكيف يسرق صلاته؟ قال لا يتم ركوعها ولا سجودها » [حديث صحيح لغيره] .

باب منه

٨٩٦- ابن ماجه ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله (عز وجل) ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول له : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره ، فإذا لقن الله عبداً حجته قال : يا رب ، رجوتك وفرقت من الناس [حديث صحيح] .

٨٩٧- ورواه الفريابي قال : حدثنا سفيان عن زيد ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحقرن أحدكم نفسه ، إذا رأى أمر الله عليه فيه مقال فلا يقول فيه (فيقال) يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت كذا وكذا أن تقول فيه ، فيقول له أي ربي ، خفت الناس ، فيقال : إياي كنت أحق أن تخاف » ، قال الوائلي أبو نصر ، ورواه أحمد بن عبد الله بن يونس (بن) عبد الله اليربوعي الكوفي ، قال : حدثنا زهير قال : حدثنا عمر (و) بن قيس عن (عمر) بن مرة المعنى واحد ، وهذا محفوظ من الطريقتين عن (عمر) بن مرة ومخرجه من الكوفة [حديث صحيح] .

باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما
ولقائهما الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد

أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ وقال (الله عز وجل): ﴿يوم تشهد عليهم

أسننتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ وقال: ﴿وقالوا لجلودهم لم
شهدننا علينا (قالوا أنطقنا الله) الآية .

٨٩٩ - وذكر أبو بكر بن أبي شيبه من حديث معاوية بن حيدة
(القشيري) أن النبي ﷺ قال: «تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام وأول ما
يتكلم من الإنسان فخذة وكفه» وقد تقدم [حديث صحيح] .

٩٠٠ - مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ (فضحك)
فقال: «هل تدرون (م) أضحك»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة
العبد ربه، يقول: يا رب، ألم تجرنى من الظلم؟ قال: يقول: بلى قال: فيقول:
فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني قال: كفى بنفسك اليوم عليك (شهيداً)
وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي فتنتطق
بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن
كنت أناضل» [حديث صحيح] .

٩٠١ - الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة قالوا: قال رسول الله ﷺ «يؤتى
بالعبد يوم القيامة فيقول: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخرت لك
الأنعام، والحراث (وتركتك) ترأس وتربع فكنت تنظن أنك ملاقى يومك هذا؟
فيقول: لا، فيقول: اليوم أنساك كما نسيتني». قال: هذا حديث (حسن) صحيح
غريب، أخرجه مسلم عن أبي هريرة بأطول من هذا وقد تقدم [حديث صحيح] .

٩٠٢ - البخاري عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يجاء بالكافر يوم
القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً كنت تفتدى به؟ فيقول:
نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك». وأخرجه مسلم وقال بدل

« قد كنت » : « كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك » [حديث صحيح] .
٩٠٣- فصل : قوله عليه (الصلاة و)السلام « فأول ما يتكلم من الإنسان

فخذه » يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك زيادة في الفضيحة والخزى على ما نطق به الكتاب
في قوله : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ لأنه كان في الدنيا يجاهر
بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى فلا يفعل ما يفعل خائفاً مشفقاً
فيجزيه الله بمجاهرته (والإشارة) بفحشه على رؤوس الأشهاد .

والوجه الآخر : أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به، بل
يجحد فيختم الله على فيه عند ذلك وتنطق منه الجوارح التي لم تكن ناطقة في
الدنيا فتشهد على سيئاته ، وهذا أظهر الوجهين يدل عليه أنهم يقولون لجلودهم أى
لفروجهم فى قول زيد بن أسلم . لم شهدتم علينا ؟ فتمردوا فى الجحود فاستحقوا
من الله الفضح والإخزاء ، نعوذ بالله منهما .

٩٠٤- فصل : قوله : (وتركتك ترأس وتربع) أى : ترأس على قومك بأن
يكون رئيساً عليهم ويأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم والكسب ، وكانت
عادتهم أن أمراءهم كانوا يأخذون من الغنائم الربع ويسمونه : المربع ، قال شاعرهم :
لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
وقال آخر :

منا الذي ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يعد فى الأحياء
يقال : ربع الجيش يربعه رباعة : إذا أخذ ربع الغنيمة . قال الأصمعى : ربع فى
الجاهلية وخمس فى الإسلام .

وقوله : اليوم أنساك كما نسيتنى أى : اليوم أتركك فى العذاب كما تركت
عبادتى ومعرفتى .

٩٠٥- فإن قيل : فهل يلقى الكافر ربه ويسأله ؟ قلنا : نعم بدليل ما ذكرنا .

وقد قال تعالى : ﴿ فلنساءن الذين أرسل إليهم ﴾ فى أحد التأويلين وقال : ﴿ ولو

ترى إذ وقفوا على ربهم ﴿ وقال: ﴿ أولئك يعرضون على ربهم ﴾ وقال :
﴿ وعرضوا على ربك صفاء ﴾ الآيتين. وقال ﴿ إن إلينا إيابهم ثم إن علينا
حسابهم ﴾ وقال: ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم ﴾ إلى قوله: ﴿ وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ والآية في
هذا المعنى كثير .

٩٠٦- فإن قيل : قد قال الله تعالى : ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ
بالنواصي والأقدام ﴾ وقال عليه (الصلاة و)السلام: « يخرج عنق من النار فيقول:
وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد وكل من جعل مع الله إلهاً آخر وبالمصورين » .
قلنا : هذا يحتمل أن يكون بعد الوزن والحساب وتطاير الكتب في اليمين
والشمال وتعظيم الخلق كما تقدم ويدل عليه قوله : وبالمصورين فإنهم وإن كانوا
موحدين فلا بد لهم من سؤال وحساب وبعده يكونون أشد الناس عذاباً ، وإن
كانوا كافرين مشركين فيكون ذكرهم تكراراً في الكلام ، على أنا نقول :

[حديث صحيح]

٩٠٧- قال بعض العلماء : ذكر الله تعالى الحساب جملة وجاءت الأخبار
بذلك ، وفي بعضها ما يدل على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب ،
فصار الناس إذا ثلاث فرق : فرقة لا يحاسبون أصلاً ، وفرقة تحاسب حساباً يسيراً .
وهما من المؤمنين ، وفرقة تحاسب حساباً شديداً يكون منها مسلم وكافر ، وإذا
كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله ، فلا يبعد أن يكون من الكفار من هو
أدنى إلى غضب الله ، فيدخله النار بغير حساب .

٩٠٨- وقد ذكر ابن المبارك في (رقائقه) عن شهر بن حوشب عن ابن عباس
أن بعد أخذ النار هؤلاء ، تنشر الصحف وتوضع الموازين ، وتدعى الخلائق للحساب .
فإن قيل : فقد قال (الله) تعالى: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾
وقال : ﴿ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ وقال: ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ وهذا

يتناول بعمومه جميع الكفار .

قلنا : القيامة مواطن : فمواطن يكون فيه سؤال وكلام ، وموطن لا يكون فيه ذلك فلا يتناقض الآى ، والأخبار والله المستعان [خبر صحيح] .
٩٠٩- قال عكرمة : القيامة مواطن يسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها ، وقال ابن عباس : لا يسألون سؤال شفاء وراحة ، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا ، والقاطع لهذا قوله تعالى : ﴿ فؤوبك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ .

قال أهل التأويل عن لا إله إلا الله : وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذى كان طول العمر دنارهم وشعارهم وكل دالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها ، فإنهم يكتنون عليها ويسألون عنها وعن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ والآى فى هذا المعنى كثيرة ومن تأمل آخر سورة المؤمنون : ﴿ فإذا نفخ فى الصور ﴾ إلى آخرها تبين له الصواب فى ذلك والحمد لله على ذلك .

٩١٠- وذكر ابن المبارك ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : « إن بعد أخذ النار هؤلاء الثلاثة ، تنشر الصحف ، وتوضع الموازين ويدعى الخلائق للحساب » وشهر : ضعفه مسلم فى كتابه وغيره [خبر صحيح] .

باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام
بما عمل فيها وعليها وفي شهادة المال على صاحبه
وقوله تعال: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾

٩١٥- قال: وأخبرني ابن أبي خالد رضى الله عنه قال: سمعت أبا عيسى
يحيى بن رافع يقول: سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يقول: ﴿وجاءت
سكرة الموت بالحق﴾ ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ قال: سائق
يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

٩١٦- وخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ وفيه :
« وإن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم
وابن السبيل - أو كما قال رسول الله ﷺ - وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل
ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة ، وقد تقدم أنه لا يسمع مدى صوت المؤذن
جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر إلا شهد له يوم القيامة » . رواه أبو سعيد
الخدرى عن النبي ﷺ ورواه الأئمة مالك وغيره .

قال المؤلف (رضى الله عنه) : فتفكر يا أخى ، وإن كنت شاهداً عدلاً بأنك
مشهود عليك فى كل أحوالك من فعلك ، ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع
عليك الذى لا تخفى عليه خافية عين ولا يغيب عنه زمان ولا أين ، قال الله تعالى
﴿ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ فاعمل عمل
من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير .
سبحانه لا إله إلا هو [حديث صحيح] .

باب ما جاء في سؤال [الله تعالى] الأنبياء وفد شهادة هذه الأمة للأنبياء على أهمهم

قال الله تعالى: ﴿فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين فلنقتصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ ، وقال ﴿فوربك لنساءنهم أجمعين﴾ فيبدأ بالأنبياء عليهم (الصلاة و) السلام: ﴿فيقول ماذا أجبتم﴾ قيل في تفسيرها: كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظيم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا: ﴿لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ ثم يقربهم (الله تعالى) فيدعى نوح عليه (الصلاة و) السلام ويقال: إن الهيئة تأخذ بمجامع قلوبهم، فيدهلون عن الجواب. ثم إن الله يشبهم ويحدث لهم ذكراً فيشهدون بما أجات به أهمهم ويقال: إنما قالوا ذلك تسليماً كما فعل المسيح في قوله ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ والأول أصح لأن الرسل يتفاضلون، والمسيح من أجلهم لأنه كلمة الله وروحه، قاله أبو حامد.

٩١٨- وخرج ابن ماجه، حدثنا أبو كريب وأحمد بن سنان قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون لا فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [حديث صحيح].

٩١٩- وذكره البخارى أيضاً بمعناه عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل

بلغت؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول :
من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ، فذلك قوله ﴿ وكذلك
جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهاداً ﴾ [حديث صحيح] .

٩٢٢- وقد قيل للأصمعي : تزعم أنك أحفظهم لكتاب الله قال : يا ابن أخي
يوم أسمع من رسول الله ﷺ كأنى ما سمعته ، فإذا فرغت قراءة الكتب خرج النداء
من قبل سرادقات الجلال : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ فيرتج الموقف ويقوم
فيه روع عظيم والملائكة قد امتزجت بالجن والجن ببني آدم ، والكل لجة واحدة ثم
يخرج النداء : يا آدم ابعث بعث النار ، فيقول : كم يا رب ؟ فيقال له : من كل ألف
تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة على ما يأتي بيانه ، فلا يزال
يستخرج من سائر الملحددين والغافلين والفاسقين حتى لا يبقى إلا قدر حفنة الرب
(تعالى) كما قال الصديق رضی الله عنه : نحن حفنات بحفنات الرب سبحانه
وتعالى ، على ما يأتي إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء في الشهادة عند الحساب

٩٢٣- قال العلماء : وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم ، قال الله
تعالى ﴿ وحيى بالنبیین والشهداء وقضى بينهم بالحق ﴾ وقال : ﴿ فكيف إذا جئنا
من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ ، وشهيد كل أمة : نبيا .
وقيل : إنهم كتبة الأعمال وهو الأظهر ، فتحضر الأمة ورسولها . فيقال للقوم : ماذا
أجبتتم المرسلين ؟ ويقال للرسول : ماذا أجبتتم ؟ فتقول الرسل : لا علم لنا على ما تقدم
في الباب قبل ، ثم يدعى كل واحد على الأفراد فالشاهد عليه صحيفة عمله
وكاتبها ، فإنه قد أخبر في الدنيا أن عليه ملكين يحفظان أعماله وينسخانها .

٩٢٤- وذكر أبو حامد في (كتاب كشف علم الآخرة) أن المنادى ينادى من
قبل الله لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ، فيستخرج لهم كتاب عظيم يسد ما بين
المشرق والمغرب فيه جميع أعمال الخلائق ، فما من صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها

ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ، وذلك أن أعمال الخلائق تعرض على الله (تعالى) فى كل يوم فىأمر الكرام البررة أن ينسخوها فى ذلك الكتاب العظيم وهو قوله تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ ثم ينادى بهم فرداً فرداً فىحاسب كل واحد منهم، فإذا الأقدام تشهد واليدين . وهو قوله تعالى : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ وقد جاء فى الخبر أن رجلاً منهم يوقف بين يدي الله تبارك وتعالى فيقول له : يا عبد السوء كنت مجرماً عاصياً ، فيقول : ما فعلت ؟ فيقال له : عليك بينة فىوتى بحفظته فيقول : كذبوا على فتشهد جوارحه عليه فىؤمر به إلى النار ، فيجعل يلوم جوارحه ، فتقول له : ليس عن اختيارنا ﴿ أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ﴾ وقد تقدم هذا المعنى مستوفى ، وتقدم أن الأرض والأيام والليالى والمال ممن يشهد ، وإذا قال الكافر لا أجزى على نفسى إلا شاهداً منى ختم على فيه فتشهد أركانه كما تقدم .

باب ما جاء فى عقوبة ما نهى الزكاة وفضيحة الخاضر والحال فى الموقف وقت الحساب

٩٢٦-- مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فىكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى (الله) بين العباد فىرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » . قيل : يا رسول الله ، فالإبل ؟ قال : « ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ، ومن حقها : حلبها يوم ورتها (الإلا) إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواها كلما مر عليها أو لاها رد عليه أخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فىرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل : يا رسول الله ، فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منه شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها فى يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة، حتى يقضى (الله) بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار»
وذكر الحديث: أخرجه البخارى بمعناه [حديث صحيح].

٩٢٧ وروى مالك موقوفاً والنسائى والبخارى مرفوعاً عن أبي هريرة رضى
الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم
القيامة شجاعاً أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه، يعنى: شذقيه، ثم
يقول: أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا ﴿ولا تحسبن الذين يبخلون﴾ الآية

[حديث صحيح].

٩٢٨ وذكر مسلم من حديث جابر قال: «ولا صاحب كنز لا يؤدى فيه
حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه: خذ كنزك
الذى نجأتنا فأننا عنه غنى فإذا رأى أن لا بدله منه، سلك يده في فيه فيقضمها قضم
الفحل» وذكر الحديث [حديث صحيح].

٩٢٩ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم
فذكر الغلول وعظم أمره ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته
يعير له رغاء يقول يا رسول الله، أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين
أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول يا رسول الله، أغثنى
فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته
شاة لها نغاء يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ لا
ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول يا رسول الله:
أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة
على رقبته رقاغ تخفق فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من (الله
شيئاً) قد أبلغتكَ. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا
رسول الله، أغثنى فأقول: لا أملك لك (من الله) شيئاً قد أبلغتكَ» أخرجه البخارى
أيضاً [حديث صحيح].

٩٣٠ وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع
الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدره
فلان ابن فلان» [حديث صحيح].

٩٣١- وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة » [حديث صحيح] .

٩٣٢ - وذكر أبو داود الطيالسى قال : حدثنا قرة بن خالد ، عن
عبد الملك بن عمير ، عن رافع بن شداد ، عن عمرو بن الحمق الخزاعى أن النبى ﷺ
قال « إذا آمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء غدر يوم القيامة » .

[حديث صحيح]

٩٣٣- فصل : قال علماؤنا رحمهم الله فى قوله تعالى : ﴿ ومن يغسل يأت

بما غل يوم القيامة ﴾ أن ذلك على الحقيقة كما بينه ﷺ أى : يأتى به حاملاً له على

ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله ومرعوباً بصوته وموبخاً بإظهار خيائنه على رؤوس
الأشهاد ، وكذلك مانع الزكاة كما فى صحيح الحديث .

قال أبو حامد : فمانع زكاة الإبل يحمل بغيراً على كاهله له رغاء وثقل يعدل
الجبل العظيم ، ومانع زكاة البقر يحمل ثوراً على كاهله له نحرار وثقل يعدل الجبل
العظيم ، ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها نغاء، وثقل يعدل الجبل العظيم، والرغاء
والنحرار والنغاء كالرعد القاصف ، ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله أعدالاقد
ملئت من الجنس الذى كان يسخل به برأ كان أو شعيراً أثقل ما يكون ينادى تحته
بالويل والثبور ، ومانع زكاة المال يحمل شجاعاً أقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب فى
منخريه واستدارت بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق بكل (رحى) فى الأرض
وكل واحد ينادى مثل هذا فتقول الملائكة: هذا ما بخلتم به فى الدنيا رغبة فيه وشحا
عليه وهو قوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ .

قلت : وهذه الفضيحة التى أوقعها الله تعالى بالغال ومانعى الزكاة نظير
الفضيحة التى يوقعها بالغادر ، وجعل الله هذه المعاقبات حسب ما يعهده البشر
 ويفهمونه، ألا ترى إلى قول الشاعر :

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها فى المجمع
فكانت العرب ترفع للغادر لواء فى المحافل ومواسم الحج ، وكذلك يطاف
بالجاني مع جنائته ، وذهب بعض العلماء إلى أن ما يجيء به الغال يحمله ، عبارة عن

وزر ذلك وشهرة الأمر، أى: يأتى يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل بعيراً له رغاء أو فرساً له حمحة .

٩٣٤- قلت : وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه ، وقد أخبر النبى ﷺ بالحقيقة فهو أولى ، وقد روى أبو داود عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ إذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى فى الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسها ويقسمها ، فجاء رجل يوماً بعد النداء بزمام من شعر ، فقال: يا رسول الله ، هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة . قال : «أسمعت بلالاً ينادى ثلاثاً ؟ قال : نعم قال : «فما منعك أن تجيء به؟» فاعتذر إليه فقال: «كلا، أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك» [حديث حسن] .

٩٣٥- قال النبى ﷺ : « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » [حديث صحيح] .

٩٣٦- وقال : « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى » [حديث صحيح] .
٩٤٠- فصل : وقوله « هذه غدره فلان ابن فلان » دليل على أن الناس يدعون فى الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقد تقدم هذا فى غير موضع ، وفى هذا رد على من قال إنما يدعون بأسماء أمهاتهم لأن فى ذلك ستراً على آبائهم ، وهذا الحديث خلاف قولهم ، خرجه البخارى ومسلم وحسبك .

٩٤١- فصل : وقوله : « فيكوى بها جنبه » الحديث ، إنما خص الجنب والمجبهة والظهر بالكى لشهرته فى الوجه وشناعته ، وفى الجنب والظهر لأنه ألم وأوجع ، وقيل خص الوجه لتقطيبه فى وجه السائل أولاً والجنب لازوراره عن السائل ثانياً والظهر لانصرافه إذا زاد فى السؤال وأكثر منه ، فرتب الله تعالى هذه العقوبات فى هذه الأعضاء لأجل ذلك والله أعلم .

٩٤٢- وقالت الصوفية : لما طلبوا الجاه والمال شان الله وجوههم ولما طروا كشحاً عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم ، ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتماداً عليها كويت ظهورهم .

نصف نهار من أيام الدنيا . وقيل : قدر مواقفهم للحساب، عن الحسن وقال ابن
اليمان : كل موقف منها ألف سنة .

٩٤٥- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن
أبي هريرة قال : يقصر يومئذ على المؤمن حتى يكون كوقت الصلاة .

[إسناده صحيح موقوف]

وبطح : ألقى على وجهه قاله بعض المفسرين . وقال أهل اللغة : البطح : وهو
البسط كيفما كان غير الوجه أو على الوجه ، ومنه سميت بطحاء مكة لا نبساطها ،
وبقاع قرقر: أى بموضع مستو واسع وأصل القاع : الموضع المنخفض الذى يستقر فيه
الماء وجمعه قيعان ، والعقضاء : المتتوية القرن . والجلحاء : التى لا قرن لها ،
والعضباء : المكسورة داخلة القرن يريد : إنها كلها ذوات قرون صحاح ويمكن بها
النتطح والطنن حتى يكون أشد لآله وأبلغ فى عذابه ، والله أعلم .

باب منه وذكر الهلالة

٩٤٧- ذكر الغيلانى أبو طالب قال : حدثنا أبو بكر الشافعى قال : حدثنا
محمد بن غالب قال : حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا روح بن
القاسم ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه- قال : قال
رسول الله ﷺ : « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يفكه الله بعدله أو
يوقه بجرمه » [حديث صحيح] .

٩٤٩- وروى الأئمة ، عن أبي حميد الساعدى ، عن النبي ﷺ أنه استعمل
رجلاً من بنى أسد يقال له : ابن اللببية على الصدقة فجاء فقال : هذا لكم وهذا
أهدى لى ، فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « ما بال العامل
نبعثه فيجىء فيقول : هذا لكم وهذا أهدى لى أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر
أيهدى إليه أم لا؟ لا يأتى أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان
بعيراً فله رغاء ، وإن كان بقرة فلها خوار أو شاة تشغو ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى
إبطيه ، ثم قال اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت؟ » [حديث صحيح] .

٩٥٠- وروى أبو داود عن بريدة عن النبي ﷺ : « من استعملناه على عمل
فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » [حديث صحيح] .

باب ما جاء في حوض النبي ﷺ فد الموقف وسعته وكثرة أوانيه وذكر أركانه ومن عليها

٩٥١- ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ هو بعد الصراط، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين : أحدهما : في الموقف قبل الصراط ، والثاني : في الجنة وكلاهما يسمى كوثرأ على ما يأتي ، والكوثر في كلام العرب : الخير الكثير ، واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر ، فقيل : الميزان قبل ، وقيل : الحوض ، قال أبو الحسن القاسبي : والصحيح أن الحوض قبل .
قلت : والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم ، فيتقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم . وقال أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة) ، وحكى بعض السلف من أهل التصنيف : أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله . قال المؤلف (رضي الله عنه) : هو كما قال .

٩٥٢- وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم: فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله قلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقري، ثم إذا (زمرة) أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بينى وبينهم رجل فقال لهم: هلم، فقلت إلى أين؟ قال إلى النار والله، قلت: ما شأنهم قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» .
قلت : فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه ، فمن جازه سلم من النار على ما يأتي ، وكذا حياض الأنبياء عليهم (الصلاة و)السلام تكون أيضاً في الموقف على ما يأتي [حديث صحيح] .

٩٥٤- مسلم عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال : «والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان

إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل» [حديث صحيح] .
٩٥٥- وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : « إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال : من مقامي إلى عمان ، وسئل عن شرابه فقال : أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل ، يغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق . في غير كتاب مسلم يعب فيه ميزابان من الكوثر الحديث . وفي أخرى ما ييسط أحد منكم يده إلا وقع عليه قدح .
[حديث صحيح] .

٩٥٦- مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت عليّ آفا سورة فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد النجوم، فيختلج العبد فأقول: يا رب ، إنه من أمتى فيقال: ما تدري ما أحدث بعدك». وفي رواية أخرى ما أحدث (بعدك) [حديث صحيح] .

٩٥٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ :
« حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ، كيزانه كنجوم السماء ، من ورد فشرب منه لم يظمأ بعده أبداً » أخرجه البخاري [حديث صحيح] .

٩٥٨- وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أمامكم حوضاً كما بين جربا وأذرح فيه أباريق كنجوم السماء ، من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً » .
قال عبيد الله : فسألته فقال: قريرتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث . أخرجه البخاري [حديث صحيح] .

٩٥٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ، ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه » ، قالوا : يا رسول الله ، أتعرفنا يومئذ ؟ قال : «نعم ، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون عليّ غراً محجلين من أثر الوضوء» [حديث صحيح] .

٩٦١- فصل : ظن بعض الناس أن هذه التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك ، وإنما تحدث النبى ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة . وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها . فيقول لأهل الشام ، ما بين أذرح وجربا ، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن ، وهكذا ، وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول : مسيرة شهر ، والمعنى المقصود: أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات ، فخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها . والله أعلم .

ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما يكون وجوده فى الأرض المبدلة على مساميه هذه الأقطار أو فى المواضع التى تكون بدلاً من هذه المواضع فى هذه الأرض وهى أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ، ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم، تطهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء ، ويغت : معناه يصب ، ويشخب: أى يسيل ، والعقر: مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردته، وتسكن قافه وتضم فيقال : عقر وعقر كعسر وعسر قاله فى الصحاح ، والهمل من النعم الضوال من الإبل، واحدها هامل ، قاله الهروى والمعنى(أن) الناجى منهم قليل كهمل النعم ، ويقال : إن على أحد أركانه أبا بكر، وعلى الثانى عمر ، وعلى الثالث عثمان ، وعلى الرابع علياً .

فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ، ومن أحب عثمان وأبغض علياً ، لم يسقه عثمان ، ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه على . وذكر الحديث .

بأب منه

٩٦٣- ذكر أبو داود الطيالسى : قال : حدثنا شعبة قال : أخبرنى عمرو بن مرة قال : سمعت أبا حمزة عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ قال : «ما أنتم بجزء من مائة ألف أو سبعين ألف جزء ممن يرد على الحوض ، وكانوا يومئذ ثمانمائة أو تسعمائة ، والله أعلم [حديث صحيح] .

باب فقراء المهاجرين أول الناس وروداً

الحوض عند النبي ﷺ

٩٦٤- ابن ماجه عن الصنابجى الأحمسى قال : قال رسول الله ﷺ: « ألا لاني فرطكم على الحوض ، وإني مكائر بكم الأمم ، فلا تقتلن بعدى » .

[حديث صحيح]

٩٦٥- وخرج عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : إن حوضي ما بين عدن

إلى أيلة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل أكاوييه كعدد نجوم السماء من شرب منه (شربة) لم يظلمأ بعدها أبداً ، وأول الناس من يرد على الحوض فقراء المهاجرين .
الدينس ثيابا الشعث رؤوساً الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد قال : فبكى عمر حتى ابتلت لحيته فقال: لكنني نكحت (المتنعمات) وفتحت لى أبواب السدد ، لا جرم أنى لا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ ، ولا أذهن رأسى حتى تشعث .» . خروجه الترمذى .

عن أبى سلام الحبشى قال : بعث إلى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد ، قال : فلما دخل عليه ، قال يا أمير المؤمنين ، لقد شق مركبى البريد فقال : يا أبا سلام ، ما أردت أن أشق عليك ولكن بلغنى عنك حديث تحدته عن ثوبان عن النبى ﷺ فى الحوض فأحببت أن تشافهنى به .

قال أبو سلام: حدثنى ثوبان عن رسول الله ﷺ قال : « إن حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد...» فذكره بمعناه وقال : حديث غريب [حديث صحيح].
٩٦٦- وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : « أول من يرد الحوض على رسول الله ﷺ الذابلون الناحلون السائحون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بالحنن» .

باب ذكر من يطرد عن الحوض

٩٦٧- البخارى عن أنس عن النبى ﷺ قال : « ليردن على ناس من أصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى فأقول : أصحابى ، فيقال لى : لا تدري ما أحدثوا بعدك » [حديث صحيح] .

٩٦٨- وعن أبى هريرة أنه كان (يحدث) أن رسول الله ﷺ قال : « يرد على

الحوض رهط من أصحابي فيخلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري .

[حديث صحيح]

٩٦٩- مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يا رب منى ومن أمتي فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » . وفي حديث أنس فيختلج العبد فأقول : يا رب ، من أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » ، وقد تقدم .

وكذلك حديث البخاري : « إذا زمرة حتى إذا عرفتهم » تقدم أيضاً ، وفي (الموطأ) وغيره من حديث أبي هريرة فقالوا : كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك يا رسول الله ؟ الحديث . وفيه قال : « فإنهم يأتون غراً محجلين من أثر الوضوء » .

[حديث صحيح]

٩٧٠- فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق ، وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع ، ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد ، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ، ثم يقال لهم سحقا ، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر . ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم : سحقا سحقا ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .

وقد يقال إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش ، والله أعلم .

٩٧١- وروى الترمذي عن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله ﷺ
« أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدى فمن غشى أبوابهم
فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ، ولا يرد على
الحوض ، ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو
منى وأنا منه ، وسيرد على الحوض ، يا كعب بن عجرة ، الصلاة برهان ، والصبر
جنة حصينة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، يا كعب بن عجرة إنه لا
يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به » قال أبو عيسى : هذا حديث
حسن غريب وخرجه أيضاً في كتاب (الفتن) وصححه [حديث صحيح] .

باب ما جاء أن لكل نبي حوضاً

٩٧٤- الترمذي عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي
حوضاً، وأنهم يتباهون أيهم أكثر وارده وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارده». قال أبو
عيسى: هذا حديث حسن غريب، رواه قتادة عن الحسن عن سمرة، وقد رواه الأشعث
بن عبد الملك عن الحسين رضي الله عنه عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه غير سمرة. وقال
البكري المعروف بابن الواسطي: لكل نبي حوض إلا صالحاً فإن حوضه ضرع
ناقته، والله سبحانه وتعالى أعلم [حديث حسن لغيره] .

باب ما جاء في الكوثر الضحى أعطيه

[النبي] ﷺ في الجنة

٩٧٥- البخاري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « بينا أنا أسير في الجنة
إذا أنا بنهر في الجنة حافته قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا
الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه أو طينته مسك أذفر » - شك هدية - خرجه أبو
عيسى الترمذي بمعناه وزاد « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً » .
[حديث صحيح] .

٩٧٧- الترمذي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في
الجنة حافته من ذهب ومجراه الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من
العسل وأبيض من الثلج » . هذا حديث حسن (صحيح) والله أعلم .

[حديث صحيح]

تم الجزء الأول من كتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)

ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

أبواب الميزان

باب ما جاء في الميزان وأنه حق

قال الله تعالى: ﴿ وَنُضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ وقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَمَّهُ هَآوِيَةٌ ﴾ . قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى ﴿ وَنُضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ الآية.

وقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ إلى آخر السورة .

وقال: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ الآيتين في الأعراف والمؤمنون .

وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار، لأن عامة المعينين بقوله: خفت موازينه في هذه الآيات هم الكفار، وقال في سورة المؤمنون ﴿ فَكُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴾ وفي الأعراف ﴿ بَمَا كَانُوا بآيَاتِنَا يَظْلَمُونَ ﴾ وقال: ﴿ فَأَمَّهُ هَآوِيَةٌ ﴾ وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار، وإذا جمع بينه وبين قوله (تعالى) ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ثبت أن الكفار يسألون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه، إذا لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها في الوزن أيضا، فإذا كانت موزونة، دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب، وفي القرآن ما يدل على أنهم مخاطبون بها، مسؤولون عنها، محاسبون بها مجزيون على الإخلال بها، لأن الله تعالى يقول ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ فتوعدهم على منعهم الزكاة، وأخبر

عن المشركين أنهم يقال لهم: ﴿ما سلككم في سقر﴾ الآية : فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنهم مسؤولون عنها محتسبون مجزيون على الإخلال بها .

٩٧٨- وفي البخارى ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه، وقرؤوا إن شئتم ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ .

قال العلماء : معنى هذا الحديث : أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة ، ومن لا حسنة له فهو فى النار ، وقال أبو سعيد الخدرى : يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئا .

وقيل : يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة كأنه قال : فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله أعلم ، وفيه من الفقه : ذم السمن لمن تكلفه لما فى ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم ، بل يدل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن [حديث صحيح] .

باب منه

وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضاه لأخيه حاجة
٩٨٠- الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ :

«إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا ، أظلمك كتبته الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فقال: لا، يا رب ، فيقول: بل إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله (وأشهد) أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»

قال : حديث حسن غريب وأخرجه ابن ماجه فى سننه وقال بدل قوله فى أول الحديث «إن الله يستخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة» «يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق» وذكر الحديث .

وقال محمد بن يحيى : البطاقة : الرقعة . أهل مصر يقولون للرقعة: بطاقة .
وفى الخبر : إذا خفت حسنات المؤمن ، أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأتملة فيلقها
فى كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجع الحسنات ، فيقول ذلك العبد المؤمن
للنبي ﷺ : بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت ؟ فيقول :
أنا نبيك محمد وهذه صلاتك على التى كنت تصلى ، على قد وفيتك إياها أحوج ما
تكون إليها . ذكره القشيري فى تفسيره [حديث صحيح] .

٩٨٢- فصل : قال المؤلف (رضى الله عنه) : الميزان حق ولا يكون فى حق
كل أحد ، بدليل قوله عليه (الصلاة و)السلام ، فيقال يا محمد ، أدخل الجنة من
أمتك من لا حساب عليه . الحديث ، وقوله تعالى : ﴿يعرف المحرمون بسيماهم﴾
الآية ، وإنما يكون لمن بقى من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من
المؤمنين ، وقد يكون للكافرين على ما ذكرنا ويأتى .

وقال أبو حامد : والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع
لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً ، وإنما هى براءات مكتوبة لا إله إلا الله محمد
رسول الله . هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها (أبدأ)
فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام [حديث صحيح] .

٩٨٦- فصل : فإن قيل : أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه تقابل
الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن ، والكافر لا يكون له حسنات ، فما الذى
يقابل بكفره وسيئاته وأنى يتحقق فى أعماله الوزن ؟ .
فالجواب : إن ذلك على وجهين :

أحدهما : أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته فى إحدى
كفتيه ، ثم يقال له : هل لك من طاعة تضعها فى الكفة الأخرى ؟ فلا يجدها فيشال
الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة ، فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر
الآية ، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون ، وإذا كان فارغاً فهو خفيف .
والوجه الآخر : أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق
المملوك ونحوهما مما لو كانت من المسلم لكانت قريبة وطاعة ، فمن كانت له مثل
هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع فى ميزانه ، غير أن الكفر إذا قابلها بها

رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذى فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا .

٩٨٧- فإن قيل : لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزى بها جزاء مثلها وليس له منها جزاء ، لأن رسول الله ﷺ سئل عن عبد الله بن جدعان وقيل له : إنه كان يقرى الضيف ويصل الرحم ويعين فى النوائب ، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين» [حديث صحيح] .

٩٨٨- وسأله عدى بن حاتم عن أبيه مثل ذلك ، فقال : « إن أباك طلب أمراً فأدركه » يعنى الذكر، فدل أن الخيرات من الكافر ليست بخيرات، وأن وجودها وعدمها بمنزلة واحدة سواء [حديث حسن] .

٩٨٩- والجواب : أن الله تعالى قال : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم

القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ ولم يفصل بين نفس ونفس ، فخيرات الكافر توزن

ويجزى بها ، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة ، فجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبى طالب فإنه قيل له : يا رسول الله، إن أباً طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك ؟ فقال : « نعم ، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار » وما قاله عليه (الصلاة و)السلام فى ابن جدعان وأبى عدى إنما هو فى أنهما لا يدخلان الجنة ولا يتنعمان بشيء من نعيمها والله أعلم .

[حديث صحيح]

٩٩٠- فصل : أصل ميزان : موزان قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها . قال ابن

فورك : وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها ، ومن المتكلمين من يقول كذلك ، وروى ذلك عن ابن عباس : أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيوزنها يوم القيامة، وقد تقدم بهذا المعنى .

والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف، كما دل

عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز . قال الله عز وجل ﴿ وإن عليكم لحافظين

كراماً كاتبين ﴾ وهذا نص . قال ابن عمر : توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت

هذا، فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً

على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار ، وروى عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء ، وذكر الوزن والميزان: ضرب مثل ، كما يقول هذا الكلام في وزن هذا ، وفي وزنه: أى يعادله ويساويه ، وإن لم يكن هناك وزن . قلت : وهذا القول مجاز وليس بشيء وإن كان شائعاً فى اللغة للسنة الثابتة فى الميزان الحقيقى ووصفه بكفتين ولسان ، وإن كل كفة منهما طباق السماوات والأرض .

٩٩١- وقد جاء أن كفة الحسنات من نور ، والأخرى من ظلام ، والكفة النيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات ، وجاء فى الخبر: أن الجنة توضع عن يمين العرش ، والنار عن يسار العرش ، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة ، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار ، وذكره الترمذى الحكيم فى (نوادى الأصول).

٩٩٢- وروى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قال : توضع الموازين يوم القيامة، فلو وضعت فيهن السماوات والأرض لوسعتهن ، فتقول الملائكة : يا ربنا ، ما هذا ؟ فيقول : أزن به لمن شئت من خلقى ، فتقول الملائكة عند ذلك : ربنا ما عبدناك حق عبادتك [خبر صحيح] .

٩٩٤- قال علماؤنا : ولو جاز حمل الميزان على ما ذكره لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح والشياطين ، والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى الحمودة ، وهذا كله فاسد ، لأنه رد لما جاء به الصادق. وفى الصحيحين : « فيعطى صحيفة حسناته وقوله « فتخرج له بطاقة » وذلك يدل على الميزان الحقيقى ، وأن الموزون صحف الأعمال كما بينا ، وبالله توفيقنا .
ولقد أحسن من قال :

تذكر يوم تأتى الله فرداً
وهتكت الستور عن المعاصى
وقد نصبت موازين القضاء
وجاء الذنب منكشف الغطاء

٩٩٥- فصل : قال علماؤنا رحمهم الله: الناس فى الآخرة ثلاث طبقات : متقون لا كبائر لهم ، ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر، والثالث

الكفار .

فأما المتقون : فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم الكفة الأخرى ، فلا يجعل الله (تعالى) لتلك الصغائر وزناً وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح ، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي .

وأما المخلطون : فحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل ، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة ، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار إلا أن يغفر الله، وإن تساوى كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي ، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله (تعالى)، وأما إن كانت عليه تبعات ، وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات فيحمل عليه ، من أوزار من ظلمه ، ثم يعذب على الجميع . هذا ما تقتضيه الأخبار على ما تقدم ويأتي .

قال أحمد بن حرب : تبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق : فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة ، وفرقة فقراء ، وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات .

وقال سفيان الثوري : إنك إن تلقي الله عز وجل بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد .
قال المؤلف (رضي الله عنه): هذا صحيح ، لأن الله غني كريم وابن آدم فقير مسكين محتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه ، حتى (ترجع) ميزانه فيكثر خيره وثوابه .

وأما الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى ، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير ، فيأمر الله (تعالى) بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه .

وأما المتقون : فإن صغائرهم تكفر باجتناهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته ، فهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن في آيات الوزن ، لأن الله تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه ، وقطع لمن ثقلت موازينه بالإفلاح والعيشة الراضية ولمن خفت موازينه

بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر ، وبقي الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً
فبينهم النبي ﷺ حسب ما ذكرناه .

وإنما توزن أعمال المؤمن المتقى لإظهار فضله ، كما توزن أعمال الكافر لخزيه
وذلك ، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه عن كل خير ، فكذلك توزن
أعمال المتقى تحسیناً لحاله وإشادة لخلوه من كل شر وتزیناً لأمره على رؤوس
الأشهاد . وأما المخلط السيئ بالصالح ، فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة على ما يأتي .

٩٩٦- فصل : فإن قيل : أخبر الله (تعالى) عن الناس أنهم محاسبون
مجزيون ، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ، ولم يخبر عن ثواب الجن
ولا عن حسابهم بشيء ، فما القول في ذلك عندكم وهل توزن أعمالهم ؟ .

فالجواب : أنه (قد) قيل إن الله تعالى لما قال ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ دخل في الجملة الجن والإنس ، فنبت للجن

من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس وقال : ﴿أولئك الذين حق عليهم القول
في أمر قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ ثم
قال ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ وإنما أراد لكل من الجن والإنس ، فقد ذكروا في

الوعد والوعيد مع الإنس ، وأخبر تعالى أن الجن يسألون فقال خبراً عما يقال لهم :
﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يتقصون عليكم آياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ وهذا سؤال ، وإذا ثبت

بعض السؤال ثبت كله وقد تقدم هذا ، وقال تعالى : ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من
الجن يستمعون القرآن﴾ إلى قوله : ﴿يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به

يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾ وهذا

يدل صريحاً على أن حكمهم في الآخرة كالمؤمنين . وقال حكاية عنهم : ﴿وأننا منا

المسلمون ومنا القاسطون ﴿ الآيتين .

ولما جعل رسول الله ﷺ زادهم كل عظيم وعلف دوابهم كل روث (قال): فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم الجان فجعلهم إخواننا ، وإذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا في الآخرة سواء، والله أعلم. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان).

٩٩٧- فصل: (و) قوله في الحديث: « فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » ليست هذه شهادة التوحيد لأن من شأن الميزان أن يوضع في كفة شيء ، وفي أخرى ضده ، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فهذا غير مستحيل لأن العبد يأتي بهما جميعاً ، ويستحيل أن يأتي الكفر والإيمان جميعاً عند واحد حتى يوضع الإيمان في كفة، والكفر في كفة، فلذلك استحال أن توضع شهادة التوحيد في الميزان ، وأما بعد ما آمن العبد ، فإن النطق منه بلا إله إلا الله حسنة توضع في الميزان مع سائر الحسنات . قاله الترمذى الحكيم رحمه الله .

وقال غيره : إن النطق بها زيادة ذكر على حسن نية ، وتكون طاعة مقبولة قالها على خلوة وخفية من المخلوقين ، فتكون له عند الله تبارك وتعالى وديعة يردّها عليه في ذلك اليوم بعظم قدرها ومحل موقعها ، وترجع بخطاياها وإن كثرت ، وبدنوبه ، وإن عظمت ، ولله الفضل على عباده ويفضل على من يشاء بما شاء .

٩٩٨- قلت : ويدل على هذا قوله في الحديث فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ولم يقل : إن لك إيماناً وقد سئل رسول الله ﷺ عن : لا إله إلا الله أمن الحسنات هي ؟ فقال : « من أعظم الحسنات » خرجه البيهقي وغيره [حديث صحيح] ٩٩٩- ويجوز أن تكون هذه الكلمة هي آخر كلامه في الدنيا ، كما في حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله وجبت له الجنة » رواه صالح بن أبي غريب عن كثير ابن مرة عن معاذ ، وقد تقدم أول الكتاب .

وقيل : يجوز حمل هذه الشهادة على الشهادة التي هي الإيمان ، ويكون ذلك في كل مؤمن ترجع حسناته، ويوزن إيمانه كما توزن سائر حسناته، وإيمانه يرجع

سيئاته كما فى هذا الحديث ، ويدخله النار بعد ذلك فيطهره من ذنوبه، ويدخله الجنة بعد ذلك ، وهذا مذهب قوم يقولون : إن كل مؤمن يعطى كتابه بيمينه وكل مؤمن يشقل ميزانه ويتأولون قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أى: الناجون من الخلود وهو فى قوله ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ يوماً ما ، وكذلك فى قول النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة» إنه صائر إليها لا محالة أصابه قبل ذلك ما أصابه [حديث صحيح] .

١٠٠٠- قلت : هذا تأويل فيه نظر يحتاج إلى دليل من خارج ينص عليه ، والذي تدل عليه الآى والأخبار، أن من ثقل ميزانه فقد نجا وسلم وبالجنة أيقن ، وعلم أنه لا يدخل النار بعد ذلك ، والله أعلم ، وقال عليه (الصلاة و)السلام : « ما شيء يوضع فى الميزان أثقل من خلق حسن » خرجه الترمذى عن أبى الدرداء وقال فيه: حديث حسن صحيح . وقد تقدم من حديث سمرة بن جندب : ورأيت رجلاً من أمتى قد خف ميزانه ، فجاء أفراطه فنقلوا ميزانه » وكذلك الأعمال الصالحة دليل على فضل الصلاة على النبي ﷺ [حديث صحيح] .

بَابُ مِنْهُ

١٠٠٢- الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن رجلاً قعد بين يدى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : إن لي مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟ قال : « بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل » قال : فتنحى الرجل فجعل ييكى ويهتف ، فقال رسول الله ﷺ : « أما تقرأ كتاب الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ الآية ؟ فقال الرجل : والله ، يا رسول الله ، ما أجد لى ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم . أشهدك أنهم أحرار كلهم قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان .

وقد روى أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان هذا الحديث .

[حديث صحيح]

١٠٠٣- وعن وهب بن منبه فى قوله تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير ، وإذا أراد الله به شراً ختم له بشر عمله . ذكره أبو نعيم .
وقال المؤلف (رضى الله عنه) : هذا صحيح ، يدل عليه قوله عليه (الصلاة والسلام) : « وإنما الأعمال بالخواتيم » والله تعالى أعلم [إسناده حسن] .

باب منه

وذكر أصحاب الأعراف

١٠٠٦- وقال كعب الأحبار : إن الرجلين كانا صديقين فى الدنيا ، فيمر أحدهما بصاحبه وهو يجر إلى النار فيقول له أخوه : والله ما بقى لى إلا حسنة أنجو بها خذها أنت يا أخى فتتجو بها مما أرى وأبقى أنا وإياك من أصحاب الأعراف ، قال : فيأمر الله بهما جميعاً فيدخلان الجنة .

١٠٠٨- فصل : ذكر الله تعالى الميزان فى كتابه بلفظ الجمع ، وجاء فى السنة بلفظ الإفراد والجمع ، فقيل : يجوز (أن يكون) هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من (أعماله) كما قال (الشاعر) :

ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان
تتصرف الأشياء فى ملكوته ولكل شىء مدة وأوان
ويمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع ، كما قال تعالى :

﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ وإنما هورسول واحد ، وقيل : المراد بالموازين : جمع موزون ، أى الأعمال الموزونة ، لاجمع ميزان .

١٠١١- فصل : وأما أصحاب الأعراف فيقال إنهم مساكين أهل الجنة .

١٠١٢- واختلف العلماء فى تعيينهم على اثنى عشر قولاً :

الأول : ما تقدم ذكره فى الحديث ، وهو قول ابن مسعود وكعب الأحبار

كما ذكرنا ، وذكره ابن وهب عن ابن عباس .

الثانى : قوم صالحون فقهاء علماء . قاله مجاهد .

الثالث : هم الشهداء ، ذكره المهدوى .

الرابع : هم : فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا

لمطالعة أحوال الناس . ذكره أبو نصر عبد الرحيم ابن عبد الكريم القشيري .
الخامس : هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصابة لآبائهم . قاله
شرحبيل بن سعد ، وذكر الطبري في ذلك حديثاً عن رسول الله ﷺ وأنه تعادل
عقوقهم واستشهادهم .

السادس : هم : العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين
يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضهم بسواد الوجوه . ذكره الثعلبي عن ابن
عباس .

السابع : هم : عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في
(كل) أمة . ذكره الزهراوى واختاره النحاس .

الثامن : هم : قوم أنبياء . قاله الزجاج .

التاسع : هم قوم كانت لهم صفائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا،
فوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم ، فيقع في مقابلة
صفائهم . حكاه ابن عطية القاضى أبو محمد في تفسيره .

العاشر : ذكره ابن وهب عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف الذين ذكر
الله (تعالى) في القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة ، وذكره ابن المبارك
قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف رجال
كانت لهم ذنوب عظام ، وكان جسيم أمرهم لله فأقيموا ذلك المقام إذا نظروا إلى
أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه وقالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، وإذا نظروا
إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم .

قال ابن عباس : أدخل الله أصحاب الأعراف الجنة ، وفي رواية سعيد ابن
جبير عن عبد الله بن مسعود « وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً الجنة » .
قال ابن عطية : وتمنى سالم مولى أبي حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف ،
لأن مذهبه أنهم مذنبون .

الحادى عشر : أنهم أولاد الزنا . ذكره أبو نصر القشيري عن ابن عباس .
الثانى عشر : أنهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين
قبل إدخالهم الجنة والنار . قاله أبو مجلز لاحق بن حميد ، فقيل له : لا يقال

للملائكة رجال فقال : إنهم ذكور وليسوا بإناث فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وضع عن الجن في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ .

والأعراف : سور بين الجنة والنار . قيل : هو جبل أحد يوضع هناك .
وروى عن النبي ﷺ من طريق أنس وغيره ، ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره حسب ما ذكرناه في كتاب (جامع أحكام القرآن) من سورة الأعراف والحمد لله .

حكاية

١٠١٣- روى عن بعض الصالحين رضی الله عنه أنه قال : أخذتني ذات ليلة سنة فمنت ، فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت ، وكأن الناس يحاسبون ، فقوم يعضى بهم إلى الجنة ، وقوم يعضى بهم إلى النار قال : فأتيت إلى الجنة فنادت أهل الجنة: بماذا نلتم سكنى الجنة في محل الرضوان ؟ فقالوا: بطاعة الرحمن ، ومخالفة الشيطان ، ثم أتيت إلى باب النار فنادت: يا أهل النار : بماذا نلتم النار ؟ قالوا : بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن ، قال : فنظرت فإذا أنا بقوم (موقوفين) بين الجنة والنار(فقلت لهم : ما بالكم موقوفين بين الجنة والنار؟) فقالوا لى : لنا ذنوب جلّت وحسنات قلت ، فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا من دخول النار وأنشدوا :

نحن قوم لنا ذنوب كبار
منعتنا من الوصول إليه
تركتنا مذبحين حيارى
أمسكتنا من القدوم عليه

**باب إذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد
فإذا بقيت في هذه الأمة منافقون امتحنوا وضرب الصراط**

١٠١٤- الترمذى عن أبي هريرة رضی الله عنه أن النبي ﷺ قال : «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد ، فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون » وذكر الحديث بطوله [حديث صحيح] .

١٠١٥- وخرج مسلم عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ،

هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: « هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال: هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتىهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتىهم الله فى صورته التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتى أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفى جهنم كاليب مثل شوك السعدان . هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم، يا رسول الله . قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجى » وذكر الحديث وسيأتى [حديث صحيح]

١٠١٧- فصل: قوله: « هل تضارون » (يروى) بضم التاء وفتحها وبتشديد الراء وتخفيفها، وضم التاء وتشديد الراء أكثر، وأصله: تضارون، أسكنت الراء الأولى وأدغمت مع الثانية، وماضيه ضورر على ما لم يسم فاعله، ويجوز أن يكون مبنياً للفاعل بمعنى تضارون بكسر الراء، إلا أنها سكنت الراء، وأدغمت وكله من الضر المشدد، وأما التخفيف فهو من ضاره يضيره ويضوره مخففاً . والمعنى: أن أهل الجنة إذا امتن الله عليهم برؤيته سبحانه تجلّى لهم ظاهراً بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً، ولا يضره ولا يزاحمه ولا يجادله كما يفعل عند رؤية الأهله، بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه .

وقد روى: تضامون من المضامة وهى الازدحام أيضاً . أى: لا تزدهمون عند رؤيته تعالى، كما تزدهمون عند رؤية الأهله .

وروى: تضامون بتخفيف الميم من الضميم الذى هو الذل، أى: لا يذل بعضكم بعضاً بالمزاحمة والمنافسة والمنازعة، وسيأتى هذا المعنى مرفوعاً إلى النبى ﷺ فى أبواب الجنة إن شاء الله تعالى .

وقوله : « فإنكم ترونه كذلك » هذا تشبيه للرؤية وحالة الرائي لا المرئي ، لأن الله سبحانه لا يحاط به ، وليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء .

وقوله : « فيأتيهم الله (تعالى) في صورة غير صورته التي يعرفون » هذا موضع الامتحان ليميز (الحق) من (الباطل) وذلك أنه لما بقى المنافقون والمرأون متلبسين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين أنهم منهم وأنهم عملوا مثل أعمالهم ، وعرفوا الله مثل معرفتهم . امتحنهم الله بأن أتاهم بصورة قالت للجميع أنا ربكم ، فأجاب المؤمنون بإنكار ذلك والتعوذ منه لما قد سبق لهم من معرفتهم بالله عز وجل في دار الدنيا ، وأنه منزه عن صفات هذه الصور، إذ سماتها سمات المحدثين .

ولهذا قال في حديث أبي سعيد الخدرى : فيقولون : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً ، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب : (المفهم لشرح اختصار كتاب مسلم) ، وهذا لمن لم يكن له رسوخ العلماء ، ولعلمهم الذين اعتقدوا الحق وجزموا عليه من غير بصيرة ، ولذلك كان اعتقادهم قابلاً للانقلاب . والله أعلم .
١٠١٨ - قلت : ويحتمل أن يكونوا المنافقين والمرائين ، وهو أشبه والله أعلم .

لأن في الامتحان الثانى يتحقق ذلك ، لأن في حديث أبى سعيد بعد قوله : حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفوه بها ؟ فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التى رأوا فيها فيقول : أنا ربكم ؟ فيقولون : أنت ربنا . ثم ضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ، وسيأتى قوله : فيأتيهم الله في صورته التى يعرفون أى يتجلى لهم في صفته التى هو عليها من الجلال والكمال والتعالى والجمال بعد أن رفع الموانع عن أبصارهم ، فيتبعونه ، أى : يتبعون أمره أو ملائكته ورسله الذين يسوقونهم إلى الجنة . والله أعلم .

والدعوى : الدعاء . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ دعواهم فيها سبحانهك ﴾

اللهم ﴿ أى : دعاؤهم والكلاليب: جمع كلوب . والسعدان : نبت كثير الشوك شوكة كالخطاطيف والمحاجن ترعاه الإبل فيطيب لبنها . تقول العرب : مرعى ولا كالسعدان . والموبق : المهلك ، أو بقة ذنبه : أهلكه [حديث صحيح] .
١٠١٩- ومنه الحديث : اجتنبوا السبع الموبقات . وقوله تعالى : ﴿ أو يوتقنن بما كسبوا ﴾ والمجازى : الذى جوزى بعمله .

١٠٢١-- فأما ما روى : أن الله تعالى يكشف عن ساقه يوم القيامة ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة كما فى صحيح البخارى ، فإنه تعالى على التبويض والأعضاء ، وأن ينكشف ويتغطى ، ومعناه : أى يكشف على العظيم من أمره .
وقال الخطابى : إنما جاء ذكر الكشف عن الساق على معنى الشدة ، فيحتمل أن يكون معنى الحديث أنه يبرز من أهوال القيامة وشدتها ما يرتفع معه سواتر الامتحان ، فيميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص ، فيؤذن لهم فى السجود ، وينكشف الغطاء عن أهل النفاق فتعود ظهورهم طبقاً واحداً لا يستطيعون السجود قال : وقد تأوله بعض الناس فقال : لا ينكر أن يكون الله سبحانه قد يكشف لهم عن ساق لبعض المخلوقين من ملائكته أو غيرهم ، فيجعل ذلك سبباً لبيان ما شاء من حكمه فى أهل الإيمان وأهل النفاق [حديث صحيح] .

١٠٢٢- قال الخطابى : وفيه وجه آخر لم أسمع من قدوة وقد يحتمله معنى اللغة سمعت أبا عمر يذكر عن أبى العباس أحمد بن يحيى النحوى فيما عده من المعانى المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم ، قال : والساق : النفس ، ومنه قول على رضى الله عنه حين راجعه أصحابه فى قتال الخوارج فقال : والله لأقاتلنهم حتى ولو تلفت ساقى ، يريد : نفسه . وقال أبو سليمان : وقد يحتمل على هذا أن يكون المراد التجلى لهم وكشف الحجب عن أبصارهم حتى إذا رأوه سجدوا له قال : ولست أقطع به القول ، ولا أراه واجباً فيما أذهب إليه من ذلك .

١٠٢٥- وروى البخارى فى تفسيره مسنداً إلى رسول الله ﷺ قال : «يكشف الله عن ساقه يوم القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة» ، وقد أشفقت من تأويل الحديث وعدلت عن منكره ، وكذا أشفقت من صفة الميزان وزيفت قول

واصفيه وجعلته متحيزاً إلى العالم الملكوتي ، فإن الحسنات والسيئات أعراض ولا يصح وزن الأعراض إلا بميزان ملكوتي .

قال المؤلف (رضي الله عنه) : قد ذكرنا الميزان وبيننا القول فيه ، وفي الأعمال الموزونة غاية البيان بالأخبار الصحيحة والحسان ، وبيننا القول هنا في كشف الساق بحيث لم يبق فيه لأحد ريب ولا مخالفة ولا شقاق ، فله الحمد على ما به أنعم وفهم وعلم [حديث صحيح] .

باب كيف الجواز على الصراط وصفته

ومن يحبس عليه ويذل عنه. وفي شفقة النبي ﷺ على أمته عند ذلك، وفي ذكر القناطر قبله والسؤال عليها وبيان

قوله تعال **﴿وان منكم إلا واردها﴾**

١٠٢٦- وروى عن بعض أهل العلم أنه قال : لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر ، فأما القنطرة الأولى : فيسأل عن الإيمان بالله ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها مخلصاً ، والإخلاص قول وعمل ، جاز ، ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة ، فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان ، فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فإن جاء بهما تامتين جاز ، ثم يسأل في القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء فإن جاء بهما تامتين جاز ، ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلمات الناس .

١٠٢٧- وذكر أبو حامد في كتاب: (كشف علم الآخرة) : أنه إذا لم يبق في الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مراتب ولا منافق ولا زنديق فيقول الله تعالى : يا أهل الموقف ، من ربكم ؟ فيقولون : الله ، فيقول لهم : أتعرفونه ؟ فيقولون : نعم ، فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش ، لو جعلت البحار السبع في نقرة إبهامه لما ظهرت ، فيقول لهم بأمر الله : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم ملك عن يمين العرش لو جعلت البحار الأربعة عشر في نقرة إبهامه لما ظهرت فيقول لهم أنا ربكم. فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم الرب سبحانه في صورة غير

صورته التي كانوا يعرفونه ، وسمعوا وهو يضحك فيسجدون له جميعهم فيقول : أهلا بكم ثم ينطلق بهم سبحانه إلى الجنة فيتبعونه فيمر بهم على الصراط ، والناس أفواج : المرسلون ، ثم النبيون ، ثم الصديقون ثم الشهداء ، ثم المؤمنون ، ثم العارفون ثم المسلمون . منهم المكروب لوجهه ، ومنهم المحبوس في الأعراف ، ومنهم قوم قصروا عن تمام الإيمان ، فمنهم من يجوز الصراط على مائة عام ، وآخر يجوز على ألف ، ومع ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه عياناً لا يضام في رؤيته . فتوهم نفسك يا أخى إذا صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة قد لظى سعيها وعلا لهيبها وأنت تمشى أحياناً وترحف أخرى قال :

أبت نفسى تتوب فما احتيالى	إذا برز العباد لذى الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى	بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكى يجوزوا	فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن	تلقاه العرائس بالغوالى
يقول له المهيمن يا وليى	غفرت لك الذنوب فلا تبالى

وقال آخر :

إذا مد الصراط على جحيم	تصول على العصاة وتستطيل
فقوم فى الجحيم لهم ثبور	وقوم فى الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف الغطاء	وطال الويل واتصل العويل

١٠٢٨- ذكر مسلم من حديث أبي هريرة « فيأتون محمداً ﷺ فيؤذن لهم وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق الخاطف » .

قال : قلت : بأبى أنت وأمى وأى شيء كمر البرق ؟ قال : « ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونيبكم ﷺ قائم على الصراط يقول : يارب ، سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل ولا يستطيع السير إلا زحفاً » .

قال : «وفى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه ،
فمخدوش ناج ، ومكردس فى النار والذى نفس محمد بيده ، إن قعر جهنم لسبعون
خريفاً » [حديث صحيح] .

١٠٢٩- وروى من حديث حذيفة أيضاً . وذكر مسلم أيضاً من حديث أبي
سعيد الخدرى وفيه : « ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم ،
سلم سلم » قيل : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : « دحض مزلة فيه خطاطيف
وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السعدان : فيمر المؤمنون كطرف
العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكردس فى نار جهنم » وسيأتى الحديث بتمامه إن شاء الله تعالى .

[حديث صحيح]

١٠٣٠- وفى رواية : قال أبو سعيد الخدرى : « بلغنى أن الجسر أدق من
الشعر وأحد من السيف » وفى رواية : « أرق من الشعر » رواها مسلم [خبر صحيح]
١٠٣١- ونخرج ابن ماجه حديث أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول
الله ﷺ يقول : « يوضع الصراط بين ظهرائى جهنم على حسك كحسك السعدان .
ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها » .
[حديث حسن وله شواهد]

١٠٣٢- وذكر ابن المبارك قال : حدثنا هشام بن حسان ، عن موسى ابن
أنس ، عن عبيد بن عمير « أن الصراط مثل السيف على جسر جهنم وأن لجنبتيه
كلاليب وحسكاً ، والذى نفسى بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة
ومضر » [حديث إسناده صحيح وهو مقطوع] .

١٠٣٤- قال : وأخبرنا عوف عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال : « يجوز
الناس يوم القيامة على الصراط على قدر إيمانهم وأعمالهم ، فيجوز الرجل كالطرف
فى السرعة وكالسهم المرمى وكالطائر السريع الطيران وكالفرس الجواد المضمهر
ويجوز الرجل يعد عدواً والرجل يمشى مشياً حتى يكون آخر من ينجو يحبو حبواً »
[إسناده صحيح والخبر مقطوع]

١٠٣٥- وذكر هناد بن السرى ، حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا سفیان ،

حدثنا سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء قال : قال عبد الله : « يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم » . قال : « فيمر الناس على قدر أعمالهم ، أولهم كلمح البرق ، ثم كمر الريح ، ثم كأسرع البهائم ، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعياً وحتى يمر الرجل ماشياً ، ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه يقول : يا رب لم أبطأت بي ؟ فيقول : لم أبطئي بك إنما أبطأ بك عملك » [خبر حسن] .

فتفكر الآن فيم يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها ، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك ، واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه (إحدى) رجلك فأحسست بحدته ، واضطرت إلى أن ترفع القدم الثاني ، والخلائق بين يديك يزلون ويعشرون ، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم ، وتعلو أرجلهم فيما له من منظر ما أفظعه ، ومرتقى ما أصعبه ، ومجاز ما أضيقه . ۱۱ .

۱۰۴۰ فصل : ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها ، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الحفي : دقيق ، فضرب المثل له بدقة الشعر . فهذا والله أعلم من هذا الباب .

ومعنى قوله : « وأحد من السيف » : أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتناله ، ولا يكون له مرد كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد .

وإما أن يقال : إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر ، فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبه وأن فيه كلاليب وحسكاً أي : أن من يمر عليه يقع على بطنه ، ومنهم من يزل ثم يقوم ، وفيه أن من الذين يبرون عليه

من يعطى النور بقدر موضع قدميه ، وفى ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام ومعلوم أن دقة الشعير لا يحتمل هذا كله ، وقال بعض الحفاظ : إن هذه اللفظة ليست بثابتة .

قال المؤلف (رضى الله عنه): ما ذكره (هذا) القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار ، وأن الإيمان يجب بذلك ، وأن القادر على إمساك الطير فى الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجره أو يمشيه ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة فى ذلك ، للآثار الواردة فى ذلك وثباتها بنقل الأئمة العدول ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ .

١٠٤٢- فصل: أحاديث هذا الباب تبين لك معنى ورود المذكور فى القرآن فى قوله عز وجل ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ .

روى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحمار أنهم قالوا : « الورود المرور على الصراط » . رواه السدى عن ابن مسعود عن النبي ﷺ .

١٠٤٤- وقيل : الورود الدخول . روى عن ابن مسعود وعن ابن عباس أيضاً خالد بن معدان وابن جريج وغيرهم . وحديث أبي سعيد الخدرى نص فى ذلك على ما يأتى ، فيدخلها العصاة بجرائمهم ، والأولياء بشفاعتهم .

١٠٤٦- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان عن رجل عن خالد بن معدان قال : قالوا ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار فقال : إنكم مررتم بها وهى خامدة . [خبر مقطوع صحيح]

١٠٤٧- قال ابن المبارك وأخبرنا سعيد الجريرى عن أبي السليل عن (غيثم)، عن أبي العوام ، عن كعب أنه تلا هذه الآية : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال : هل تدرون ما ورودها ؟ قالوا : الله أعلم . قال : فإن ورودها أن يجاء بهم وتمسك للناس كأنها متن إهالة حتى إذا استقرت عليها أقدام الخلق برهم وفاجرهم نادى مناد : أن خذى أصحابك وذرى أصحابى ، فتخسف بكل ولى لها . لهى أعلم بهم من الوالد بولده وينجو المؤمنون .

١٠٤٩- وأسند أبو عمر بن عبد البر فى ذلك حديثاً فى التمهيد، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً من وعك به فقال النبي ﷺ : « أبشر فإن الله

(تبارك و) تعالی يقول: هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار» .

[حديث صحيح]

١٠٥٠- وقالت طائفة : الورود النظر إليها في القبر فينجى منها الفائز، ويصلاها من قدر عليه دخولها ، ثم يخرج منها بالشفاعة أو غيرها من رحمة الله تعالى ، واحتجوا بحديث ابن عمر : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدأة والعشى » الحديث [حديث صحيح] .

١٠٥١- وقيل : المراد بالورود الإشراف على جهنم والاطلاع عليها والقرب منها . وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب ، ثم ينجى الله الذين اتقوا مما نظروا إليه ، ويصار بهم إلى الجنة ونذر الظالمين أي : يؤمر بهم إلى النار قال الله تعالى : ﴿ وما ورد ماء مدين ﴾ أى أشرف عليه لا أنه دخله وروت حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل النار أحد من أهل بدر ، والحديبية » قالت : فقلت : يا رسول الله : وأين قول الله عز وجل : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ : ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ خرجه مسلم من حديث أم مبشر قالت : سمعت رسول الله ﷺ عند حفصة الحديث [حديث صحيح] .

١٠٥٣- وفى مسند الدارمى أبى محمد، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ، ثم كالراكب في رحله ، ثم كشد الرجل في مشيه » .

[حديث صحيح]

١٠٥٤- وقال ﷺ : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتسمه النار إلا تحلة القسم » خرجه الأئمة ، قال الزهري : كأنه يريد هذه الآية ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ذكره أبو داود الطيالسى في مسنده ، وهذا يبين لك ما ذكرناه لأن المسيس حقيقته فى اللغة : المماسة إلا أنها تكون بردا وسلاماً على المؤمنين وينجون منها سالمين ، قال نخالد بن معدان : إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا : ألم يقل ربنا إنا نرد النار ؟ فيقال : قد وردتموها فلقبتموها رماداً .

قلت : والذي يجمع شتات الأقوال : أن يقال : من وردها ، ولم تؤذ به بلهبها

وحرها فقد أبعد عنها ونجى منها ، نجانا الله منها بفضله وكرمه ، وجعلنا ممن وردنا
سالمًا وخرج منها غانمًا [حديث صحيح] .

١٠٥٦- وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورد والجهل بالصدر، كان
أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول : ليت أمى لم تلدنى ، فتقول له امرأته : يا أبا
ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام : قال : أجل، ولكن الله قد بين لنا
أنا واردوا النار ولم يبين لنا أنا صادرون [خبر صحيح] .

١٠٥٧- وعن الحسن قال : قال رجل لأخيه : أى أخى ، هل أتاك أنك وارد
النار؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال : لا . قال : ففيم الضحك
إذا؟ قال : فمارئى ضاحكاً حتى مات [خبر صحيح] .

١٠٥٨- وروى عن ابن عباس أنه قال فى هذه المسألة لنافع بن الأزرق
الخارجى : «أما أنا وأنت فلا بد أن نردها فأما أنا فينجينى الله منها وأما أنت فما أظنه
ينجيك» [خبر صحيح] .

١٠٥٩- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن
أبى عاصم قال : بكى ابن مساجه فبكت امرأته فقال لها : ما يبكيك؟ قالت : بكيت
حين رأيتك تبكى . فقال عبد الله : إنى علمت أنى وارد النار فما أدري أناج منها أم
لا؟ وفى معناه قيل : [خبر صحيح]

وقد آتانا ورود النار ضاحية
حقاً يقيناً ولما يأتنا الصدر
١٠٦١- وفى صحيح مسلم : ونبىكم ﷺ قائم على الصراط يقول : رب
سلم سلم ، وقد تقدم .

باب ثلاثة مواطن لا يخطئها النبى ﷺ لعظم الأمر فيهما وشدة

١٠٦٦- الترمذى عن أنس قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم
القيامة، قال : «أنا فاعل إن شاء الله» . (قلت) : فأين أطلبك؟ قال : «أول ما تطلبنى
على الصراط ، قلت : فإن لم ألقك؟ قال : فاطلبنى عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك
عند الميزان؟ قال : فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن» . قال :
هذا حديث حسن ، وقد تقدم من حديث عائشة أنه عليه (الصلاة و)السلام قال : أما

ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان وعند تطاير الصحف وعند الصراط .
[حديث حسن]

باب فجد تلقى الملائكة للأنبياء وأمههم بعد الصراط وفي هلاك أعماطهم

١٠٦٧- ابن المبارك ، عن عبد الله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبياً نبياً ، وأمة أمة حتى يكون آخرهم مركزاً محمد وأمه ، ويضرب الحجر على جهنم وينادى مناد : أين أحمد وأمه ؟ فيقوم نبي الله ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها ، حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا في النار يميناً وشمالاً ويمضى النبي ﷺ والصالحون معه فتلقاهم الملائكة (رتباً فيدلونهم على طريق الجنة على يمينك ، على شمالك حتى ينتهي إلى ربه فيوضع له كرسي عن يمين الرحمن ثم يتبعه عيسى عليه الصلاة والسلام على مثل سبيله ويتبعه برها وفاجرها حتى إذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا في النار يميناً وشمالاً ويمضى النبي ﷺ والصالحون معه فتلقاهم الملائكة (رتباً) فيدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك ، حتى ينتهي إلى ربه فيوضع له كرسي من الجانب الآخر ، ثم يدعى نبي نبي وأمة أمة ، حتى يكون آخرهم نوحاً ، رحم الله نوحاً [خبر صحيح]

باب ذكر الصراط الثاني

وهو القنطرة التي بين الجنة والنار

اعلم- رحمك الله- أن في الآخرة صراطين : أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حسبوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه .

١٠٦٨- البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض

مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا» .

[حديث صحيح]

١٠٦٩- فصل: قلت: معنى: « يخلص المؤمنون من النار » أى: يخلصون من الصراط المضروب على النار ، ودل هذا الحديث على أن المؤمنين فى الآخرة مختلفو الحال . قال مقاتل : إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم - بمعنى التحية- طبتم فادخلوها خالدون . وقد ذكر الدارقطني حديثاً ذكر فيه : أن الجنة بعد الصراط .

قلت : ولعله أراد بعد القنطرة بدليل حديث البخارى والله أعلم أو يكون ذلك فى حق من دخل النار وخرج بالشفاعة فهؤلاء لا يحبسون بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة على ما يأتى بيانه فى الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى .

باب من دخل النار من الموحدين مات وأحترق ثم يخرجون بالشفاعة

١٠٧١- مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناساً أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم فى الشفاعة فيجىء بهم ضبائر ضبائر فبشوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » فقال رجل من القوم : كان رسول الله ﷺ قد كان يرعى الغنم بالبادية [حديث صحيح] .

١٠٧٢- فصل : هذه الموتة للعصاة موتة حقيقة لأنه أكدها بالمصدر ، وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلد فيها ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ وقيل : يجوز أن يكون إماتتهم عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ، ولا يكون ذلك موتاً على الحقيقة ، فإن النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ ،

وقد سماه الله (تعالى وفاة). فقال الله تعالى : ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها﴾ فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة الذى هو خروج الروح عن البدن ، وكذلك الصعقة قد عبر الله بها عن الموت فى قوله تعالى : ﴿فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله﴾ .

وأخبر عن موسى عليه (الصلاة و) السلام أنه خر صعقا ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتاً ، وكذلك يجوز أن يكون أماتهم : غيبهم عن الآلام وهم أحياء بلطفية يحدثها الله فيهم ، كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغيبن فيه عن الآلمهن ، والتأويل الأول أصبح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ، ولقوله فى نفس الحديث حتى إذا كانوا فحما فهم أموات على الحقيقة كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات .

فإن قيل : فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين؟ قيل : يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم وإن لم يعذبهم فيها ، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين فى السجن ، فإن الحبس عقوبة لهم ، وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم . وسيأتى لهذا مزيد بيان فى أبواب النار إن شاء الله تعالى .
وقوله : « ضبائر ضبائر » معناه : جماعات جماعات ، الواحدة : ضبارة بكسر الضاد وهى : الجماعة من الناس . « وبشوا » : فرقوا ، و « الحبة » : بكسر الحاء بذر البقول ، و « حميل السيل » ما احتمله من غشاء وطين ، وسيأتى (بيانه) إن شاء الله تعالى .

باب فيما يشفع لهم قبل دخول النار

من أجل أعمالهم الصالحة وهم أهل الفضل فى الدنيا

١٠٧٥ وخرج أبو نعيم الحافظ بإسناده عن الثورى ، حدثنا الأعمش ، عن شفيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله » قال : « أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا » [حديث حسن] .

باب فهد الشافعيين لمن دخل النار

١٠٨٢- ابن ماجه عن عبد الله بن أبي الجدعاء أنه سمع النبي ﷺ يقول :
«ليدخلن الجنة بشفاعه رجل من أمتي أكثر من بنى تميم» قالوا : يا رسول الله،
سواك؟ قال : «سواي» قلت : أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال : أنا سمعته.
أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب . ولا نعرف لابن الجدعاء غير
هذا الحديث الواحد [حديث صحيح] .

١٠٨٣- قال المؤلف رحمه الله: وخرجه البيهقي فى : (دلائل النبوة) وقال
فى آخره : قال عبد الوهاب الثقفى : قال هشام بن حيان كان الحسن يقول : إنه أويس
القرنى ، وذكر ابن (المبارك) قال : حدثنا يحيى بن جعفر ، حدثنا شبابة بن سوار
حدثنا حريز بن عثمان ، عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن (عبيد) الرحبى ، عن أبى
أمامة قال : قال رسول الله ﷺ: «يدخل بشفاعه رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين :
ربيعة ومضر» قال: قيل يا رسول الله وما ربيعة من مضر؟ قال: «إنما أقول ما أقول»
قال : فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان [حديث صحيح] .

١٠٨٥- وذكر البزار فى مسنده ، عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول :
قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة » وذكر القاضى عياض فى
(الشفاء) عن كعب : « أن لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعه » .
[حديث حسن]

١٠٨٧- فصل : إن قال قائل : كيف تكون الشفاعه لمن دخل النار ، والله
تعالى يقول: ﴿ إنك من تدخل النار فقد أخزيتة ﴾ وقال: ﴿ ولا يشفعون إلا لمن
ارتضى ﴾ وقال : ﴿ وكرم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا
من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ ومن ارتضاه الله لا يخزيه . قال الله
تعالى : ﴿ يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين
أيديهم وبأيمانهم ﴾ الآية؟ قلنا : هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق ،

وحادوا عن التحقيق .

وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة ، فإن الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة ، حتى لا يبقى منهم أحد إلا دخل الجنة . والجواب عن الآية الأولى ما قاله أنس بن مالك رضي الله عنه أن معنى : ﴿ من تدخل النار ﴾ : من يخلد . وقال قتادة : يدخل : مقلوب يخلد ولا تقول كما قال أهل حروراء فيكون قوله على هذا : ﴿ فقد أخزيتك ﴾ على بابه من الهلاك أى أهلكته وأبعدته ومقتته . وبهذا قال سعيد بن المسيب فإن الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار . دليله قوله في آخر الآية : ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ أى الكفار .

وإن قدرنا الآية في العصاة من الموحدين ، فيحتمل أن يكون الخزي بمعنى: الحياء ، يقال : خزي يخزي خزاية: إذا استحيى فهو خزيان وامرأة خزيانة . كذا قال أهل المعاني فخزي المؤمن يومئذ : استحيواؤهم في دخول النار من سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها ، والخزي للكافرين : هو هلاكهم فيها من غير موت والمؤمنون يموتون ، فافترقوا في الخزي والهوان ، ثم يخرجون بشفاعة من أذن الله له في الشفاعة وبرحمة الرحمن وشفاعته على ما يأتي في الباب بعد هذا ، وعند ذلك يكونون مرضيين قد رضى عنهم، ثم لا يأتي الإذن في أحد حتى لا يبقى عليه من قصاص ذنبه إلا ما تميزه الشفاعة فيؤذن فيه فيلحق بالفائزين الراضين ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قوله تعالى : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ فمعناه:

لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا وإن عذب العصاة وأماتهم فإنه يخرجهم بالشفاعة وبرحمته على ما يأتي في الباب بعد هذا ، والله أعلم .

باب منه في الشفاعة وذكر الجهنميين

١٠٨٨- ذكر ابن المبارك قال ، أخبرنا رشدين بن سعد عن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الختلى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ قال : « إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رب ، منعتك الطعام والشراب

والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعه النوم بالليل فشفعنى فيه ،
فيشفعان » [حديث صحيح] .

١٠٨٩- وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه وفيه بعد
قوله فى نار جهنم : « حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من
أحد منكم بأشد من أشدة لله تعالى فى استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم
الذين فى النار » [حديث صحيح] .

١٠٩٠- وخرجه ابن ماجه ولفظه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ : « إذا
خلص الله المؤمنين من النار وآمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى
الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين الذين دخلوا النار. قال: يقول ربنا إخواننا كانوا .
فذكره بمعناه . يقولون: ربنا كانوا معنا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم
:أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار
إلى نصف ساقه وإلى ركبته يقولون: ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ، ثم يقول
الله عز وجل : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ،
فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به . ثم يقول :
ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً
كثيراً ، ثم يقولون.ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به ، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم
فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ربنا لم نذر فيها خيراً» .
وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول : « إن لم تصدقونى بهذا
الحديث فاقروا إن شئتم : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها

ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ،

وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين » . وفى البخارى « وبقيت شفاعتى»
بدل قوله « ولم يبق إلا أرحم الراحمين » . فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما
لم يعملوا خيراً قط ، عادوا حمماً فيلقىهم فى نهر على أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ،
فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر
ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ؟ قالوا:

يا رسول الله ، كأنك كنت ترعى بالبادية . قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولاخير قدموه، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا . فيقولون : يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً .

[حديث صحيح]

١٠٩٢ - فصل : هذا الحديث يبين أن الإيمان يزيد وينقص حسب ما بيناه في آخر سورة آل عمران من كتاب (جامع أحكام القرآن) فإن قوله : « أخرجوا من في قلبه مثقال دينار ونصف دينار وذرة » يدل على ذلك . وقوله : « من خير » يريد : من إيمان ، وكذلك ما جاء ذكره في الخبر في حديث قتادة عن أنس « وكان في قلبه من الخير ما يزن شميرة ، ما يزن برة ، ما يزن ذرة » أى : من الإيمان بدليل الرواية الأخرى التي رواها معبد بن هلال العنزى عن أنس وفيها : « فأقول يا رب ، أمتي أمتي » فيقال : « انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فأخرجه منها ، فأنتطلق فأفعل » . الحديث بطوله أخرجه مسلم . فقوله : « من إيمان » أى : من أعمال الإيمان التي هي أعمال الجوارح ، فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان، ومنه قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أى صلاتكم .

١٠٩٣ - وقد قيل : إن المراد في هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول : أخرجوا من عمل عملاً بنية من قلبه كقوله : « الأعمال بالنيات » وفي هذا المعنى خبر عجيب يأتي ذكره آنفاً إن شاء الله تعالى .

ويجوز أن يراد به ، رحمة على مسلم رقة على يتيم خوفاً من الله رجاء له ، توكلأ عليه ثقة به مما هي أفعال القلوب دون الجوارح ، وسماها إيماناً لكونها في محل الإيمان .

والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلنا، ولم يرد مجرد الإيمان الذي هو التوحيد له ونفي الشركاء، والإخلاص بقول لا إله إلا الله، ما في الحديث نفسه من قوله : « أخرجوا أخرجوا » ثم هو سبحانه بعد ذلك يقبض قبضة فيخرج قوماً لم يعملوا خيراً قط يريد : إلا التوحيد المجرد عن الأعمال ، وقد جاء هذا مبيناً فيما رواه الحسن

عن أنس وهى الزيادة التى زادها على بن معبد فى حديث الشفاعة ، ثم أرجع إلى ربي فى الرابعة فأحمدته بتلك الحامد ثم أخر له ساجداً ، قال: فيقال لي : محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، ائذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله . قال: ليس ذاك لك أو قال : ليس ذلك إليك ، وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبروتى لأخرجن من قال : لا إله إلا الله [حديث صحيح] .

١٠٩٥- وذكره أبو بكر البزار فى مسنده ، عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين يريد الله إخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة، فيرسل الله عليهم من مائها فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ويدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين ، فيدعون الله تعالى فيذهب ذلك الاسم عنهم » [حديث صحيح] ١٠٩٦- البخارى عن أنس (بن مالك) عن النبى ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفح فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين » .

[حديث صحيح]

١٠٩٧- الترمذى عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال: « ليخرجن قوم من النار بشفاعتى يسمون: الجهنميين » قال : حديث حسن صحيح [حديث صحيح] . ١٠٩٨- وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » أخرجه الترمذى وصححه أبو محمد عبد الحق [حديث صحيح] .

١٠٩٩- وأخرجه أبو داود الطيالسى وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » زاد الطيالسى ، قال : فقال لى جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة ؟ قال أبو داود: وحدثناه محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر [حديث صحيح لغيره] .

١١٠١- وأخرج ابن ماجه ، حدثنا إسماعيل بن أسد ، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد السكونى ، حدثنا زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبى هند ، عن ربهى بن حراش ، عن أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة، فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ، ولكنها للخاطئين المذنبين المتلوثين » [حديث صحيح] .

١١٠٢- قلت : وأنبأناه الشيخ (الإمام) الفقيه أبو القاسم عبد الله بن علي بن خلف الكوفى إجازة عن أبيه الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن علي بن خلف الكوفى قال : قرئ على الشيخة الصالحة فخر النساء خديجة بنت أحمد بن الحسن بن عبد الكريم النهروانى فى منزلها وأنا حاضر أسمع ، قيل لها : أخبركم الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد النعمانى فأقرت به ، وقالت : نعم . قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن زرقويه البزار ، وأخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح الصغار ، حدثنا عبد الله بن أيوب المخرمى ، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد السكونى ، عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبى هند ، عن ربعى بن حراش عن النبى ﷺ قال : « خيرت بين الشفاعة ونصف أمتى فاخترت الشفاعة أترونها للمتقين ؟ لا ، ولكنها للخاطئين المتلوثين ؟ » .

[حديث صحيح وإسناده مرسل]

١١٠٣- وخرج ابن ماجه قال : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ابن خالد حدثنا ابن جابر قال : سمعت سليم بن عامر يقول ، سمعت عوف ابن مالك الأشجمى يقول : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما خيرنى ربي الليلة ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنه خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، قلنا : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنا من أهلها . قال : هى لكل مسلم » [حديث صحيح] .

١١٠٥- فصل : قلت : جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى قال : « فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم » وفى حديث أبى هريرة -رضى الله عنه- : « يكتب على جباههم عتقاء الرحمن » وهذا تعارض .

ووجه الجمع بين الحديثين أن يكون بعضهم سيماهم فى وجوههم وبعضهم سيماهم فى رقابهم ، وقد جاء فى حديث جابر وفيه بعد إخراج الشافعين ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : أنا الله أخرج بعلمى ورحمتى ، فيخرج أضعاف ما خرجوا وأضعافهم ، ويكتب فى رقابهم عتقاء الله عز وجل فيدخلون الجنة فيسمون فيها بالجهنميين .

قلت : وقد يعبر بالرقبة عن جملة الشخص قال الله تعالى : ﴿ فتحريرو رقبة ﴾

وقال عليه (الصلاة و)السلام: « ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها» ، وقد
تعبّر العرب بالرقاب عن جملة المال قال الشاعر :

غمّر الرداء إذا تبسم ضاحكاً علقت لضحكته رقاب المال
فيحتمل أن يكون المعنى فى حديث أبى سعيد وجابر- رضى الله عنهما - :
فيخرجون مثل اللؤلؤ يعرف أهل الجنة أشخاصهم بالخواتيم المكتوبة على جباههم
كما فى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه- ولا تعارض على هذا ، والله أعلم .

[حديث صحيح]

١١٠٨- أخبرنا الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب عرف بابن رواحة
قرأت عليه ، قال : قرئ على الحافظ السلفى وأنا أسمع قال : أخبرنا الحاجب أبو
الحسن بن العلاف أخبرنا أبو القاسم بن بشران ، أخبرنا الآجرى أبو بكر محمد بن
الحسين ، حدثنا أبو على الحسن بن محمد بن (شعبة) الأنصارى ، حدثنا على بن
مسلم الطوسى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى قال : حدثنى عمرو بن رفاعة
الربعى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل
النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون وأهلها الذين يخرجون منها إذا
أسقطوا فيها كانوا فحما ، حتى يأذن الله فيخرجهم فيلقبهم على نهر يقال له الحياة ،
أو الحيوان ، فيرش أهل الجنة عليهم الماء ، فينبتون ، ثم يدخلون الجنة يسمون
الجهنمين .

ثم يطلبون من الرحيم - عز وجل - فيذهب ذلك الاسم عنهم ويلحقون
بأهل الجنة ، وأما سيماء المتحابين فعلامه شريفة ونسبة رفيعة ، فلذلك لم يسألوا
محوها ولا طلبوا زوالها وإزالتها » . والله أعلم .

فإن قيل : ففى هذا ما يدل على أن بعض من يدخل الجنة قد يلحقه تنغيص ما ،
والجنة لا تنغيص فيها ولا نكد .

قيل له : هذه الأحاديث تدل على ذلك وأن ذلك يلحقهم عند دخول الجنة ،
ثم يزول ذلك الاسم عنهم ، وقد مثل بعض علمائنا هذا الذى أصاب هؤلاء بالبحر
تقع فيه النجاسات أنه لا حكم لها ، كذلك ما أصاب هؤلاء بالنسبة إلى أهل الجنة ،
وهو تشبيه حسن .

قلت : وقد يلحق الجميع خوف ما عند ذبح الموت على الصراط على ما يأتي،
وبعده يكونون آمنين مسرورين قد زال عنهم كل متوقع، والله أعلم [حديث صحيح]
١١١٠- وقد جاء في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابي
قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا
يعملون به تتقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال
ما نسيتهن بعد قال : « كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما
فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما » [حديث صحيح] .

باب معرفة المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

١١١٥- قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري أن المؤمنين يقولون : ربنا
إخواننا كانوا يصومون معنا ، ويصلون ويحجون ، أدخلتهم النار ، فيقول لهم :
أذهبوا فمنا عرفتم أخرجه . وذكر الحديث [حديث صحيح] .

١١١٦- وخرج مسلم من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ وفيه بعد
قوله : « ومنهم المجازي حتى ينجى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج
برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من كان لا يشرك بالله شيئا
ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار بأثر السجود
تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ،
فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة
في حميل السيل » وذكر الحديث [حديث صحيح] .

١١١٧- وخرج عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن قوما يخرجون من
النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة » [حديث صحيح] .
١١٢٠- فصل : قوله : « إذا فرغ الله » مشكل وفي التنزيل ﴿ سنفرغ لكم

أيها الثقلان ﴾ ومعناه : المبالغة في التهديد والوعيد من عند الله تعالى لعباده كقول
القائل : سأفرغ لك ، وإن لم يكن مشغولا عنه بشغل وليس بالله تعالى شغل ، تعالى
عن ذلك .

وقيل : المعنى : سنقصد لمجازاتكم وعقوبتكم كما يقول القائل لمن يريد

تهديده: إذا أفرغ لك أى : أقصد قصدك . وفرغ بمعنى قصد وأحكم . قال جرير بن نمير الجعفى :

ألا ن وقد فرغت إلى نمير
فهذا حين كنت لها عذابا
يريد : وقد قصدت نحوه فمعنى فرغ الله من القضاء بين العباد ، أى تم عليهم حسابهم وفصل بينهم ، لأنه لا يشغله شأن عن شأن، سبحانه وتعالى .
باب ما يرجك من رحمة الله تعالى ومغفواته وعفوه يوم
القيامة

١١٢١- قال الحسن : يقول الله تعالى : « جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم » .

١١٢٢- وروى أن أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ : ﴿ وكنتم على شفا حفرة

من النار فأنقذكم منها ﴾ فقال الأعرابي : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها، فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

١١٢٤- وقال الصنابحي : دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت فقال : مهلاً لم تبكى ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثكموه إلا حديثاً واحداً ، وسوف أحدثكموه اليوم ، وقد أحيط بنفسى . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، حرم الله عليه النار » . أخرجه مسلم وغيره من الأئمة [حديث صحيح] .

١١٢٥- وأخرج مسلم من حديث سلمان الفارسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل فى الأرض منها رحمة واحدة ، فيها تعطف الوالدة على ولدها ، والطير والوحوش بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة » أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد .

وفى بعض الطرق لأبى هريرة : « فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة على تلك التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة ، فرحم بها عباده يوم القيامة » .

[حديث صحيح]

١١٢٦- قلت : أخبرناه عاليا. الشيخ الإمام الحافظ المسند أبو الحسن ، على بن محمد بن محمد بن عمرو البكرى التيمى من ولد أبى بكر الصديق - رضى الله عنه- قرأه عليه بالصنورة المنصورة بالديار المصرية فى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب الفرد سنة سبع وأربعين وستمائة قال : حدثنا الشيخ المسند أبو حفص عمر بن محمد بن معمر الدارقرى قدم علينا دمشق قال : أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الكاتب ببغداد ، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن عيلان البزاز ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى ، أخبرنا موسى ابن سهل الوشا ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الحجاج بن أبى ديب قال : سمعت أبا عثمان النهدى يحدث عن أبى هريرة - رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : «لما خلق الله تعالى السموات والأرض ، أنزل مائة رحمة ، كل رحمة طباقهما ، فقسم رحمة واحدة منها بين جميع الخلائق ، فمنها يتعاطفون ، فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة على التسعة والتسعين فأكملها مائة يرحم الله بها عباده يوم القيامة حتى إن إبليس ليتناول لها رجاء أن ينال منها شيئاً » [حديث صحيح] .

١١٣٠- وروى مسلم عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- أنه قال : قدم على رسول الله ﷺ بسبى وإذا بامرأة من السبى تبتغى ولدا لها إذ وجدت صبياً فى السبى فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله ﷺ : «أترون هذه المرأة طارحة ولدها (فى النار) قلنا : لا ، والله وهى قادرة على أن تطرحه ، فقال رسول الله ﷺ : «لله أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه البخارى أيضاً [حديث صحيح] .

١١٣١- وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبى أمامة بالشام ، فدخلت يوماً على فتى مريض من جيران أبى أمامة وعنده عم له وهو يقول له : يا عدو الله ألم أمرك ؟ ألم أنكه ؟ فقال (الفتى) : يا عماه ، لو أن الله تعالى دفعنى إلى والدتى كيف كانت صانعة بى ؟ قال : كانت تدخلك الجنة ، قال : إن ربى الله أشفق من والدتى وأرحم بى منها . وقبض الفتى من ساعته ، فلما جهزه عمه وصلى عليه ، وأراد أن يضعه فى لحدته فدخلت القبر مع عمه ، فلما سواه صاح وفرع ، فقلت له : ما شأنك ؟ قال : فسح له فى قبره وملىء نورا فدهشت منه [إسناده حسن] .

باب منه

١١٣٨- ذكر أبو نعيم الحافظ قال : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة، ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله، ثم مات قال: أي رب ، مالي عندك؟ (فقال): النار . (فقال : يا رب) فأين عبادتي واجتهادي ؟ قيل له : «إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك (اليوم) من رحمتي» . [إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

١١٤٠- مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات» . خرجه البخاري أيضاً ، وقال فيه الترمذي : حديث (حسن) صحيح غريب [حديث صحيح] .

١١٤١- وخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال : انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . قال : فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال : فرجع إليه وقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها . قال : فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال : فارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها . قال : فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه فقال : وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد . قال : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضها فرجع إليه فقال : وعزتك لقد خفت ألا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال : ارجع إليها، فرجع إليها، فقال : وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها» .

قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح [حديث حسن] .

فصل : المكاره : كل ما يشق على النفس ويصعب عليها عمله كالطهارة في السبرات وغيرها من أعمال الطاعات ، والصبر على المصائب وجميع المكروهات . والشهوات : كل ما يوافق النفس ويلائمها ودعو إليه ويوافقها . وأصل الحفاف: الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى ، فمثل (النبي) ﷺ المكاره والشهوات بذلك، فالجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها ،

والنار لا ينجو منها إلا بترك الشهوات و فطام النفس عنها .

١١٤٣- وقال القاضي أبو بكر بن العربي في (سراج المريدين) له ، ومعنى قوله عليه (الصلاة و)السلام : « حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات » أي جعلت على حافاتها وهي جوانبها ، ويتوهم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعله في جوانبها من الخارج ، ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً ، وإنما هي من داخل وهذه صورتها :

النار

الجنة

النساء	(الجاه)	المال	الدنيا
--------	---------	-------	--------

الصبر	الألم (الفقر)
المكاره	(العدو)

وعن هذا قال ابن مسعود: حفت الجنة بالمكاره ، والنار حفت بالشهوات ، فمن اطلع الحجاب فقد وقع ما وراء ، وكل من تصورها من خارج فقد ضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال .

فإن قيل : فقد (قال) حجبت النار بالشهوات . قلنا : المعنى واحد لأن الأعمى عن التقوى : الذي (قد) أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التي هي فيها ، وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة عنه ، ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه وتعلق باله بها ، وجهله بما جعلت فيه وحجبت .

باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها

١١٤٤- البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «احتجت الجنة والنار فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين ، فقال الله لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها » . خرجه مسلم والترمذى ، وقال : هذا حديث حسن صحيح [حديث صحيح] .

١١٤٥- فصل : قال الحاكم أبو عبد الله فى علوم الحديث : سئل محمد (بن إسحاق بن) خزيمه عن قول النبى ﷺ : تحاجت النار والجنة فقالت هذه : يدخلنى الضعفاء ، من الضعيف؟ قال: الذى يرى نفسه من الحول والقوة يعنى فى اليوم عشرين مرة أو خمسين مرة .
قال المؤلف (رحمه الله): ومثل هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع، والله أعلم .

١١٤٦- وأما المساكين : فالمراد بهم : المتواضعون ، وهم المشار إليهم فى قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم أحيى مسكيناً وأميتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين » . ولقد أحسن من قال :

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الله رغبته وذاك (الذى) يصلح للدنيا وللدين
ومعنى (احتجت) الجنة والنار) أى حاجت كل واحدة صاحبتهما
وخاصمتها، وسيأتى بيانه عند قوله عليه الصلاة والسلام: «اشتكت النار إلى ربها»
[حديث حسن]

باب منه فجد صفة أهل الجنة وأهل النار وفقه شوار الناس

من هم ؟

١١٤٧- مسلم عن عياض بن (حمار) الجاشعوى أن رسول الله ﷺ قال يوماً فى خطبته : « أهل الجنة . ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قرىبى ومسلم ، وعفيف ضعيف متضعف ذو عيال » .
قال : « وأهل النار خمسة : الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فىكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته ، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ، ومالك ، وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش » [حديث صحيح] .

١١٤٨- وعن حارثة بن وهب الخزاعى قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر » وفى رواية : « زنيم متكبر » . خرجه ابن ماجه

أيضاً [حديث صحيح] .

١١٤٩- أبو داود عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى » قال : والجواظ : الغليظ الفظ [حديث صحيح] .
١١٥٢- وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع ، وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع » [حديث صحيح لغيره] .

١١٥٣- مسلم عن (أنس بن مالك) قال : « مر بجنازة فأثنى عليها خيراً فقال رسول الله ﷺ : « وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنازة فأثنى عليها شراً فقال رسول الله ﷺ : وجبت وجبت وجبت . فقال عمر : فذاك أبى وأمى ، مر بجنازة فأثنى عليها خيراً فقلت : وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنازة فأثنى عليها شراً فقلت : وجبت وجبت وجبت ، فقال رسول الله ﷺ : من أثنتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومن أثنتم عليه شراً ، وجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض » قالها ثلاثاً .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - : الجنة دار الأسخياء ، والنار دار البخلاء .
وقال زيد بن أسلم : أمرك الله تعالى أن تكون كريماً فيدخلك الجنة ، ونهاك أن تكون بخيلاً فيدخلك النار [حديث صحيح] .

١١٥٥- فصل : قوله : ذو سلطان مقسط وما بعده مرفوع على أنها صفات (لذو) وهى بمعنى صاحب ، والمقسط : العادل ، والمتصدق : المعطى الصدقات ، والموفق : المسدد لفعل الخيرات ، ورقيق القلب : لينه عند التذكر والموعظة ، ويصلح أن يكون بمعنى : الشفيق .

وقوله : « ضعيف متضعف » يعنى ضعيف فى أمور الدنيا قوى فى (أمر) دينه كما قال عليه (الصلاة و)السلام : « المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » . الحديث خرجه مسلم .

أما من كان ضعيفاً فى أمور دينه لا يعنى بها فمذموم ، وذلك من صفات أهل النار كما قال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذى لا زبر له أى لا عقل له ، ومن لا عقل له ينفك به عن المفاسد ولا ينزجر به عنها ، فحسبك به ضعفاً وخسارة فى الدين ، وقد قيل فى الزبر : إنه المال وليس بشيء ، لأن النبى ﷺ فسر ذلك

بقوله: الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا [حديث صحيح] .
١١٥٦- قال شيخنا أبو العباس - رضى الله عنه -: فيعنى بذلك أن هؤلاء
ضعفاء العقول فلا يسعون فى تحصيل مصلحة دنيوية ولا فضيلة نفسية ولا دينية ، بل
يهملون أنفسهم إهمال الأنعام ولا يبالون بما (يعيشون) عليه من الحلال والحرام ،
وهذه الأوصاف الخبيثة الذاتية هى أوصاف هذه الطائفة المسماة بالقدرية .
وقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير راوى الحديث : والله لقد أدرتكم
فى الجاهلية وإن الرجل ليرعى على الحى ما به إلا وليدتهم يطاولها ، و يخفى بمعنى
يظهر وهو من الأضداد .

وقوله : وذكر البخل والكذب هكذا الرواية المشهورة بالواو الجامعة والكذب
وقد رواه ابن أبى جعفر عن الطبرانى بأو التى للشك قاله القاضى عياض ، ولعله
الصواب وبه تصح القسمة ، لأنه ذكر أن أصحاب النار خمسة : الضعيف الذى
وصفه ، والخائن الذى وصف ، والرجل المخادع الذى وصف .

قال : وذكر البخل والكذب ، ثم ذكر الشنظير الفحاش فرأى هذا القائل أن
الرابع هو (صاحب) أحد الصنفين ، وقد يحتمل أن يكون الرابع قد جمعهما على
رواية واو العطف كما جمعها فى الشنظير الفحاش .

(وكذلك) قوله : أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل
رحيم رقيق القلب لكل ذى قرىبى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال .

١١٥٧- قال القاضى عياض : كذا قيدناه بخفض مسلم عطفًا على ما قبله .
وفى رواية أخرى ومسلم عفيف بالرفع وحذف الواو ، (قال) شيخنا انتهى كلام
القاضى عياض - رحمه الله - .

والعفيف : الكثير العفة وهى الانكفاف عن الفواحش وعن مالا يلىق .
والمتعفف : المتكلف العفة . الشنظير : السبىء الخلق ويقال شنظيرة أيضا . قاله
الجوهرى . وأنشد قول أعرابية :

شنظيرة زوجنيه أهلى
من حمقه يحسب رأسى رجلى
* كأنه لم ير أنثى قبلى *

وربما قالوا شنظيرة بالذال المعجمة لقربها من الظاء لغة أو لثغة ، والفحاش :

الكثير الفحش ، وقيل الشنظير : وهو الفحاش . قال صاحب العين: ويقال شنظر بالقوم إذا شتم أعراضهم ، والشنظير : الفحاش من الرجال القلق وكذلك من الإبل . والجواظ : الجموع المنوع ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَمْعُ فَأَوْعَى ﴾ .

وقيل : الجواظ : الكثير اللحم المختال . وقيل : هو الجافى القلب . والعتل . قيل: الجافى الشديد الخصومة . وقيل : هو الأكل الشروب الظلوم . ١١٥٨- قال المؤلف : ويقال : إنه اللفظ الغليظ الذي لا ينقاد لخير . والجعظرى : اللفظ الغليظ القصير ، وجاء في تفسيره في بعض الأحاديث: هم الذين لا تصدع رؤوسهم .

قال شيخنا : والزنيم : المعروف بالشر . وقيل : اللثيم ، وأما الزنيم المذكور في القرآن : فرجل معين له زنمة كزنمة التيس . وقيل : هو الوليد وكان له زنمة تحت أذنه ، وقيل هو الممصق بالقوم ، وقيل : وهو الأخنس بن شريق .

وقوله عليه السلام : « من أثبتتم عليه شرا وجبت له النار » يعارضه قوله عليه السلام « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » . أخرجه البخارى . والثناء بالشر : سب . فقيل ذلك خاص بالمنافقين الذين شهدت الصحابة فيهم بما ظهر لهم ، ولذلك قال عليه السلام : « وجبت له النار » . والمسلم لا تجب له النار ، واختار هذا القول القاضى عياض .

وقيل : ذلك جائز فيمن كان يظهر الشر ويعلن به ، فيكون ذلك من باب (لا غيبة لفاسق) .

وقيل : إن المنهى إنما هو بعد الدفن . أما قبله فممنوع ، لقوله عليه السلام : « لا تسبوا الأموات » فالنهي عن سب الأموات متأخر فيكون ناسخا ، والله أعلم . وقوله : « أنتم شهداء الله في الأرض » معناه عند الفقهاء إذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة ، لأن الفسقة قد يشنون على الفاسق فلا يدخل في الحديث ، وكذلك لو كان القائل فيه عدوا له وإن كان فاضلا لأن شهادته في حياته لو كانت عليه كانت غير مقبولة ، وكذلك الحكم في الآخرة والله أعلم [حديث صحيح] . ١١٥٩- وقيل إن تكرار « أنتم شهداء الله في الأرض » ثلاثا إشارة إلى القرون الثلاثة الذين قال فيهم النبي ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم

الذين يلونهم» .

قلت : الأول أصح ، لأن الله تعالى مدح هذه الأمة بالفضل والعدالة إلى يوم القيامة قال الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ يعني في الآخرة كما تقدم فلا يشهد إلا العدول [حديث صحيح] .

١١٦٠- وقد خرج البخارى ، عن حماد بن زيد عن ثابت ، عن أنس قال : «مر على النبي ﷺ بجنازة فأتنوا عليها خيرا، فقال : وجبت، ثم مر عليه بأخرى فأتنوا عليها شرا- أو قال غير ذلك - فقال : وجبت، فقيل : يا رسول الله، قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت؟ فقال : المؤمنون شهداء الله فى الأرض» وخرجه ابن ماجه بهذا الإسناد وقال شهادة القوم ، والمؤمنون شهود الله فى الأرض [حديث صحيح] .

١١٦١- وفي البخارى أيضا عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ، قلنا : وثلاثة ؟ قال : وثلاثة ، فقلنا : واثنان ؟ قال : واثنان ، ثم لم نسأله عن الواحد » قال أبو محمد عبد الحق : وهذا الحديث مخصوص والله أعلم ، والذي قبله يعطى العموم وإن كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة ، والله أعلم .

[حديث صحيح]

١١٦٢ - قال المؤلف رحمه الله : ومن هذا المعنى ما ذكره هناد بن السرى، أخبرنا إسحاق الرازى ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن السائب قال : مرت جنازة بعبد الله بن مسعود فقال لرجل : قم فانظر من أهل الجنة هو أم من أهل النار ؟ قال الرجل : وما يدرينى أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار ؟ وكيف أنظر ؟ قال : ثناء الناس عليه، فإنهم شهداء الله فى الأرض .

قال أبو محمد : وغير مستنكر إذا أحب الله عبداً أمر أن يلقي على ألسنة المسلمين الثناء عليه وفى قلوبهم المحبة له، قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [إسناده صحيح] .

١١٦٣- وقال عليه السلام : « إذا أحب الله عبدا قال : يا جبريل ، إني أحب فلانا فأحبه، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء : إن الله يحب فلانا فأحبه،

قال: فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ، وذكر فى البغضاء مثل ذلك » وهذا حديث صحيح خرجه البخارى ومسلم . قال أبو محمد عبد الحق : وقد شوهد رجال من المسلمين علماء صالحون كثر الثناء عليهم وصرفت القلوب إليهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، ومنهم من كثر المشيعون لجنازته ، وكثر الحاملون لها والمنشغلون بها ، وربما كثر الله الخلق بما شاء من الجن المؤمنين أو غيرهم مما يكون فى صور الناس [حديث صحيح] .

وقد شوهد من جنائز الصالحين من يشيعها الطير ويسير معها حيث سارت منهم : أبو الفيض ذو النون المصرى ، وأبو إبراهيم المزنى صاحب الشافعى حدث بذلك الثقات ، قاله أبو محمد عبد الحق فى كتاب (العاقبة) له .

باب منه فى صفة أهل الجنة وأهل النار

١١٦٧- مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب: الرواية بالياء بلا خلاف، وتحكم أبو اليد الكتانى فرواه بالشاء المثلثة وهى المنتصبة وهذا خطأ منه وتصحيح [حديث صحيح] .

١١٦٨- وخرجه مسلم أيضا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» [حديث صحيح] .

١١٦٩- فصل : للعلماء فى تأويل هذا الحديث وجهان :

أحدهما : أنها مثلها فى الخوف والهيبة والطير أكثر الحيوانات خوفا حتى قالوا : أحذر من غراب ، وقد غلب الخوف على كثير من السلف حتى انصدعت قلوبهم فماتوا .

الثانى : أنه مثلها فى الضعف والرقة ، كما جاء فى الحديث الآخر فى أهل اليمن هم أرق قلوبا ، وأضعف أفئدة .

١١٧١- قلت : ونظير ما ذكرناه وما قاله هؤلاء الأئمة من الكتاب قوله تعالى : ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ وقوله عليه السلام وقد سئل أى الناس

أفضل؟ قال: « الصادق اللسان الخموم القلب » قالوا: أما الصادق اللسان فقد عرفناه أنه ذلك، فما الخموم القلب؟ قال: « النقى الذى لا غل فيه ولا حسد » ذكره أبو عبيدة. والعرب تقول خممت البيت أى كنته، ومنه سميت الخمامة وهى مثل القمامة والكناسة [حديث صحيح] .

١١٧٢- وقال بعض العلماء فى البله وجهاً آخر لطيفاً وهو: أنهم سموا بذلك لقصورهم عن كمال المعرفة بحق الله تعالى ورؤية استحقاقه العبادة، وإيثار طلبه، والشغف بحبه وخدمته، وطلب رضاه الذى هو جنة الخلد إذا وقفوا بخواطيرهم على الجنة ونعيمها، وعبدوه، وأطاعوه فى نيل درجاتها ولذاتها غافلين عن مراقبة جلاله وملاحظة كماله بعكوف همهم على نيل نعمه وأفضاله، فهم بله أيضاً بالإضافة إلى العقلاء عن الله عز وجل ذوى الأبواب المقبلة على مشاهدة عظمة الله تعالى، (و) المتوجهين بكليتهم إليه المشغولين به عما لديه، ولهذا قال النبى ﷺ فى سياق قوله: « أكثر أهل الجنة البله وعليون لأولى الأبواب » وفى الخير: أن طائفة من العقلاء بالله عز وجل تزفهم الملائكة إلى الجنة والناس فى الحساب، فيقولون للملائكة: إلى أين تحملوننا؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا، فتقول لهم الملائكة: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد الصديق مع الحبيب. كما أخبر ﷺ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

١١٧٣- ولعل من هذا القبيل من يسأل الله الجنة إلا أن سؤاله إياها لا لها بل موافقة لمولاه لما علم أنه يحب أن يسأل من ثوابه ويستعاذ من عذابه فوافق مولاه فى إيثاره، لا لحظ نفسه كما قال عليه (الصلاة و) السلام لأحد أصحابه الذى قال: «أما أنا فأقول فى دعائى: اللهم أدخلنى الجنة وعافنى من النار ولا أدرى ما دندنتك ولا دندنة معاذ فقال له النبى ﷺ حولها ندندن».

قلت: خرج أبو داود فى سننه وابن ماجه أيضاً [حديث صحيح] .

١١٧٤- فصل: قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب: قوله « صنفان من أهل النار لم أرهما » الصنف فيما ذكر عن الخليل الطائفة من كل شيء، والسوط فى اللغة اسم للعذاب وإن لم يكن له ثم ضرب . قاله الفراء . وقال ابن فارس فى (المجمل) السوط من العذاب النصيب، والسوط خلط

بعضه ببعض، وإنما سمي سوطاً لمخالطته، وإنما أراد النبي ﷺ عظم السياط وخروجه عن حد ما يجوز به الضرب في التأديب، وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن وغيره .

وقوله « نساء كاسيات عاريات » يعني : أنهن كاسيات من الثياب عاريات من الدين لانكشافهن وإبدائهن بعض محاسنهن .

وقيل : كاسيات ثياباً رفاقاً يظهر ما خلفها وما تحتها فهن كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة .

وقيل : كاسيات في الدنيا بأنواع الزينة من الحرام وما لا يجوز لبسه عاريات يوم القيامة، ثم قال عليه (الصلاة و) السلام «مائلات مميلات» قيل: معناه زائغات عن طاعة الله تعالى وطاعة الأزواج وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب، ومميلات يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن .

قيل : مائلات متبخترات في مشيهن، مميلات يملن رؤوسهن وأعطافهن من الخيلاء والتبخر، ومميلات لقلوب الرجال إليهن لما يبدن من زينتهن وطيب رائحتهن .

وقيل : يتمشطن الميلاء وهي مشطبة البغايا، والمميلات : اللواتي يتمشطن غيرهن المشطبة الميلاء . قال ﷺ: « رؤوسهن كأسنمة البخت » معناه : يعظمن رؤوسهن بالخمر والمقانع ويجعلن على رؤوسهن شيئاً (يسمى) عندهن التازة لا عقص الشعر، والذوائب المباح للنساء حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة قالت: قلت : يا رسول الله، إني امرأة أشد ضفر رأسي . الحديث .

باب ما جاء في أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

١١٧٥- مسلم عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين ، وإذا أصحاب الجدة محبسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء » .

[حديث صحيح]

١١٧٦- ومن حديث ابن عباس في حديث كسوف الشمس: (ورأيت النار فلم أر منظرأ كالיום قط، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال: بكفرن ، قيل أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت

إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك ما تكره قالت : ما رأيت منك خيرا قط .

[حديث صحيح]

١١٧٧- وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : « إن أقل ساكنى

الجنة النساء » [حديث صحيح] .

١١٧٨- فصل : قال علماؤنا : إنما كان النساء أقل ساكنى الجنة لما يغلب

عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذن بصائرهما إلى الأخرى ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ، ولميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها ، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التى تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى والميل لهن ، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن ، صارفات عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعيهن

من المعرضين عن الدين ، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى

وأعمالها من المتقين .

وعن كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : أيها الناس ، لا

تطيعوا للنساء أمراً ، ولا تأمنوهن على مال ، ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير ، فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك ، وجدناهن لا دين لهن فى خلواتهن ، ولا ورع لهن عند شهواتهن ، اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة ، فأما صواحجهن ففاجرات ، وأما طواحيهن فعاشرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات ، فيهن ثلاث خصال من اليهود : يتظلمن وهن ظالمات ، ويحلفن وهن كاذبات ، ويتمنعن وهن راغبات ، فاستعيذوا بالله من شرارهن ، وكونوا على حذر من خيارهن ، والسلام .

١١٧٩- وقال ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء »

وسياتى [حديث صحيح] .

١١٨٠- وقال : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للرجل الحازم

من إحداهن يا معشر النساء ، وهو معنى قوله عليه(الصلاة و) السلام فى الحديث المتقدم : « مائلات بميلات » . قال الحافظ ابن دحية : تحفظوا عباد الله منهن وتجنبوا غيبن ، ولا تثقروا بوهن ولا عهدن ، ففى نقصان عقولهن ودينهن ما يغنى عن

الإطناب فيهن [حديث صحيح] .

باب منه

١١٨١- البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتى يدخلون الجنة، إلا من يأبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى» [حديث صحيح].

باب ما جاء أن العرفاء فجد النار

١١٨٤- وفى الصحيح فى قصة هوازن: ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم.

فصل: قال علماؤنا: العريف هنا القيم بأمر القبيلة والمحلة، يلى أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم، وقوله: «العرفاء حق»، يريد: أن فيها مصلحة للناس ورفقا لهم، ألا تراه يقول: «ولا بد للناس من عرفاء»، وقوله «فى النار»: معناه التحذير من الرئاسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة. والله أعلم. [حديث صحيح]

باب منه

١١٨٥- أبو داود الطيالسى قال: حدثنا هشام عن عباد بن أبى على عن أبى حازم، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للأمناء، ويل للعرفاء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوابهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض، وأنهم لم يلوا عملاً» [حديث حسن]

باب لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع رحم

قال الله تعالى: ﴿ولا تتعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا﴾ نزلت فى المكاسين والعشارين فى قول بعض العلماء وقال تعالى: ﴿فهد عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أولئك الذين لعنهم الله ﴿الآية.

١١٨٦- مسلم عن جبير بن مطعم، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» قال ابن أبى عمير: قال سفيان: يعنى قاطع رحم. رواه

البخارى [حديث صحيح] .

١١٨٧- أبو داود ، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » .

فصل : قال علماؤنا : صاحب المكس هو الذى يعثر أموال الناس ويأخذ من التجار والمختلفين مالا يجب عليهم إذا مروا به مكسا باسم العشر أو الزكاة ، وليس هو الساعى الذى يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء ، وقد (قلنا) إن التبديل إذا كان فى الأعمال وليس فى العقائد صاحبه فى المشيئة وإن عذب ، فإنه يخرج بالشفاعة على ما تقدم ، وهكذا القول فى أهل الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعنة يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال [حديث حسن] .

بَابُ مَا جَاءَ فِيهِ أَوْلُ مِنْ تَسْعَرُ بِهِمْ جَهَنَّمَ

١١٨٩- مسلم عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها : قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت. قال : كذبت، ولكنك قاتلت ليقال فلان جرى ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه (فعرّفها) قال: قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، (وقد) قرأت فيك القرآن. قال : كذبت، ولكنك تعلمت (العلم) ليقال: عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ، ورجل وسع الله (تعالى) عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت (من) سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار .» خروجه أبو عيسى الترمذى بمعناه ، وقال فى آخره: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي ، فقال: « يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة » [حديث صحيح] .

باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب

١١٩٠- مسلم عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتنون، وعلى ربهم يتوكلون» [حديث صحيح] .

١١٩١- الترمذى عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «وعدنى ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حشيات من حشيات ربي» قال الترمذى : هذا حديث غريب، وقد أخرجه ابن ماجه أيضاً [حديث صحيح] .

١١٩٥- فصل : لا تظن أن من استرقى واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب، فإن النبي ﷺ رقى نفسه وأمر بالرقى ، وكذلك كوى أصحابه ونفسه فيما ذكر الطبرى وغيره ، فمحمل النبي ﷺ عن رقى مخصوصة بدليل قول رسول الله ﷺ لآل عمرو بن حزم : «أعرضوا على رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» وكذلك الكى الذى لا يوجد عنه غنى ، فمن فعله فى محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروها فى حقه، ولا منقصا له من فضله، ويجوز أن يكون من السبعين ألفاً ، وقد كوى النبي ﷺ نفسه فيما ذكره الطبرى فى كتاب (آداب النفوس) له ذكره الحلیمى فى كتاب (المنهاج فى الدين) له .

واختلفت الرواية فى الكى ، فروى أن النبي ﷺ اكتوى من الكلم الذى أصابه فى وجهه يوم أحد ، وكوى سعد بن زرارة من الشوكة ، وكوى سعد(بن) معاذ الذى اهتز لموته عرش الرحمن وأبى بن كعب المخصوص بأنه أقرأ الأمة للقرآن ، وقد اكتوى عمران بن حصين وقطع رجله عروة بن الزبير ، فمن اعتقد أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا من السبعين ألفاً ، ففساد كلامه لا يخفى [حديث صحيح] .

باب منه

١١٩٩- ابن المبارك عن ابن عباس قال : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال ، فيقومون ، فيسرحون إلى الجنة ، ثم ينادى ثانية : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين كانت ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً

وظمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴿﴾ قال : فيقومون فيسرحون إلى الجنة . قال : ثم ينادى ثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين كانوا ﴿﴾ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴿﴾. الآية (فيقومون) فيسرحون إلى الجنة [خبر صحيح] .

باب منه

١٢٠٥- فصل : لا يحملنك (يا) أخى شيء من هذا الحديث ولا الذى قبله ولا ما وقع في صحيح مسلم من قوله عليه(الصلاة و)السلام مخبراً عن الله تعالى كما تقدم : « فيقبض قبضة من النار على التجسيم ، وقد تقدم القول فى هذا المعنى عند قوله : ويطوي السموات بيمينه ، وإنما المعنى: أن الله تعالى يخرج من النار خلقاً كثيراً لا يأخذهم عد، ولا يدخلون تحت حصر (فيخرجهم) دفعة واحدة بغير شفاعة أحد ولا ترتيب خروج ، بل كما يلقي القابض الشيء المقبوض عليه من يده فى مرة واحدة ، فعبر عن ذلك بالحفنة والحثوة والقبضة ، (والله أعلم) . فاعلم ذلك .

باب أمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة وأكثر

١٢٠٦- مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله تبارك وتعالى: يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير (بين) يديك .

قال : فيقول : أخرج بعث النار من ولدك قال : وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون . قال : فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، (و)قال : فاشتد ذلك عليهم . قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل ؟ قال : أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم (رجل ، قال) ثم قال : والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ربيع أهل الجنة ، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال : والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، فحمدنا الله (تعالى) وكبرنا ، ثم قال : والذى نفسى بيده إن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالرقمة فى ذراع الحمار « خرجة البخارى [حديث صحيح] .

١٢٠٩- ورواه مرفوعاً عن عبد الله بن مسعود وفيه : فقال رسول الله ﷺ «أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفاً» فى إسناده الحارث ابن حضيرة ضعيف . ضعفه مسلم فى صدر كتابه. [حديث صحيح]

١٢١٠- وخرج ابن ماجه والترمذى عن بريدة بن حصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب [حديث صحيح] .

١٢١١- فصل: تقدم من حديث عبد الله بن (عمرو) وفيه ثم يقول: «أخرجوا بعث النار» وفي هذا يقال لآدم: أخرج بعث النار، فقيل: إن آدم لما أمر أولاً بالإخراج أمر هو والملائكة أن يخرجوا ويميزوا أهل الجنة وأهل النار. والله أعلم. وقول الصحابة رضوان الله عليهم: «أينما ذلك الرجل؟» يريدون من الواحد الذى لا يدخل النار؟ توهماً منهم أن القضية واردة فيهم، فقال ﷺ: «إن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم رجلاً» وأطلق لفظ البشارة وبين أن الألف كلها فى النار لكن من غير هذه الأمة المحمدية، ومن هذه الأمة واحد فى الجنة على ما يقتضيه ظاهر هذا اللفظ، وإذا كان كذلك استغرق العدد جميع أمة محمد ﷺ، فكانوا فى الجنة أو أكثرهم، لأن يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه، على ما يأتى بيانه من ذكرهم فى آخر الكتاب إن شاء الله تعالى والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

باب فى ذكر أبواب جهنم وما جاء فيها

وفى أهوالها وأسمائها أجازنا الله (تعالى) منها برحمته

وفضله إنه ولي ذلك والقادر عليه

ذكر الله عز وجل النار فى كتابه ووصفها على لسان نبيه ﷺ، ونعتها فقال عز من قائل: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَلظَىٰ لَشَوْىٰ﴾ الشوى: جمع شواة وهى جلدة الرأس، وقال: ﴿وما أدراك ما سقر* لا تبقي ولا تذر* لواحة للبشر﴾ أى مغيرة. يقال: لاحت الشمس ولوحت: إذا غيرته وقال: ﴿وما أدراك ما هية* نار حامية﴾ وقال: ﴿لينبذن فى الحطمة﴾ أى: ليرمين فيها ﴿وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة﴾ الآية .

باب ما جاء أن النار لما خلقت فزعمت الملائكة حتى طارت أفئدتها

١٢١٣- ذكر ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن محمد بن المنكدر قال : لما خلقت النار فزعمت الملائكة حتى طارت أفئدتها ، فلما خلق الله آدم سكن ذلك عنهم ، وذهب ما كانوا يجدون . [إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

١٢١٤- وقال ميمون بن مهران : لما خلق الله (تعالى) جهنم أمرها فزفرت زفرة فلم يبق في السماوات السبع ملك إلا خر على وجهه ، فقال لهم الجبار جل جلاله : ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقت جهنم لأهل معصيتي من خلقي . فقالوا : ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ فالنار عذاب الله فلا ينبغي لأحد أن يعذب بها ، وقد جاء النهي عن ذلك فقال : لا تعذبوا بعذاب الله ، والله أعلم .

باب ما جاء فيمن سأل الله [تعالى] الجنة واستجار به من النار

١٢١٩- الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الله الجنة ثلاث مرات ، قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار بالله من النار ثلاث مرات ، قالت النار : اللهم أجره من النار » . [حديث صحيح]

باب في ما تقور من الكتاب والسنة

١٢٢١- تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران ، وذلك يكسر إرادته والقطع به مع الموافاة على ذلك يغني عن ذكر ذلك ، ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » أخرجه النسائي [حديث صحيح] .

١٢٢٢- (و) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » ، وأخرجه أبو عيسى الترمذي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً »

كما بين المشرق والمغرب» ، ويروى : « ما بين السماء والأرض » . قال : هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة [حديث صحيح] .

١٢٢٤- وفي كتاب أبي داود ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم ، بوعد من جهنم سبعين خريفاً » قلت : يا أبا حمزة : وما الخريف ؟ قال : العام .

١٢٢٥- وفي الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمره فليفعل » لفظ مسلم .

[حديث صحيح]

باب ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هج؟

قال الله تعالى : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ فالنار دركات

سبعة أى : طبقات ومنازل، وإنما قال : أدراك ولم يقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل درك، ولما تعالى درج ، فيقول للجنة درج وللنار درك ، فالمنافقون فى الدرك الأسفل من النار ، وهى الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنهم من أذى المؤمنين .

١٢٢٧- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن خيثمة ، عن ابن مسعود فى قوله تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من

النار ﴾ قال : توأيت من حديد تصمت عليهم فى أسفل النار . [خبر صحيح]

١٢٢٨- قال : وأخبرنا إبراهيم أبو هارون الغنوى قال : سمعت حطان بن عبد الله الرقاشى يقول : سمعت علياً يقول : هل تدرون كيف أبواب جهنم ؟ قال : قلت : هى مثل أبوابنا هذه ؟ قال : لا ، بل هى هكذا بعضها فوق بعض .

[خبر صحيح]

١٢٢٩- وقال العلماء : أعلى الدرجات جهنم وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ هى التى تخلو من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ، ثم لظى ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، وقد يقال للدركات : درجات لقوله تعالى : ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ .

ووقع فى كتب (الزهد والرقائق) أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد فى أثر صحيح .

١٢٣٠- قال الضحاك : فى الدرك الأعلى :المحمديون ، وفى الثانى : النصارى، وفى الثالث : اليهود ، وفى الرابع : الصابئون ، وفى الخامس : المجوس ، وفى السادس : مشركو العرب ، وفى السابع : المنافقون .

١٢٣١- وقال معاذ بن جبل : وذكر العلماء السوء: من العلماء من إذا وعظ عنف، وإذا وعظ أنف، فذلك فى الدرك الأول من النار ، ومن العلماء من يأخذ علمه بأخذ السلطان فذلك فى الدرك الثانى من النار ، ومن العلماء من يخزن علمه، فذلك فى الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يتخير العلم والكلام لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعاً، فذلك فى الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم، فذلك فى الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا يقول للناس : سلونى فذلك الذى يكتب عند الله متكلف، والله لا يحب المتكلفين ، فذلك فى الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً، فذلك فى الدرك السابع من النار. ذكره غير واحد من العلماء .

قلت : ومثله لا يكون رأياً وإنما يدرك توقيفا ، ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها . نحو جهنم وسقر ولظى وسموم ، فهذه أعلام ليست لباب دون باب فاعلم ذلك . وفى التنزيل: ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ يريد: النار بجملتها ، كما ذكرنا أجازنا الله تعالى منها بمنه وكرمه آمين .

باب ما جاء فى قول الله تعالى :

﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾

قال الله تعالى فى محكم كتابه: ﴿لها سبعة أبواب﴾ وقال: ﴿حتى إذا

جاءوها فتحت أبوابها﴾ .

١٢٣٤- وقال أبى بن كعب : « لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكرهاً وحرماً وأنتها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا بعد العلم» .

باب منه وفيه بعض أبواب جهنم بغضها عن بغض وما
أعد الله تعالى فيها من العذاب

١٢٣٧- (روى) عن بعض أهل العلم فى قول الله تعالى: ﴿لكل باب منهم

جزء مقسوم﴾ قال: (من) الكفار والمنافقين والشياطين وبين الباب والباب
خمسمائة عام .

فالباب الأول : يسمى : جهنم لأنه يتجهم فى وجوه الرجال والنساء فىأكل
لحومهم وهو أهون عذاباً من غيره .

والباب الثانى : يقال له: لظى نزاعة للشوى . يقول: أكله اليدان والرجلان،
تدعو من أدبر عن التوحيد ، وتولى عما جاء به محمد ﷺ .

والباب الثالث : يقال له سقر ، وإنما سمي سقر؛ لأنه يأكل (لحوم الرجال
والنساء لا يبقى لحماً على عظم).

الباب الرابع : يقال لها: الحطمة ، فقد قال الله تعالى : ﴿وما أدراك ما الحطمة

نار الله الموقدة﴾ تحطم العظام وتحرق الأفتدة ، قال الله تعالى : ﴿التي تطلع

على الأفتدة﴾ تأخذ النار من قدميه وتطلع على فؤاده وترمى بشرر كالقصر كما

قال (الله) تعالى : ﴿إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالت صفر﴾ الآية يعنى سودا

فتطلع الشرر إلى السماء ثم تنزل فتحرق (جلودهم) وأيديهم وأبدانهم فيبكون

الدمع حتى ينفد ، ثم يكون الدماء ثم يكون القيح حتى ينفد القيح حتى لو أن

السفن أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجت .

والباب الخامس : يقال له : الجحيم : وإنما سمي جحيماً؛ لأنه عظيم الجمرة ،

الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا .

والباب السادس : يقال له : السعير ، وإنما سمي السعير، لأنه يسعر بهم ولم

يطف منذ خلق فيه ثلاثمائة قصر ، فى كل قصر ثلاثمائة بيت ، وفى كل بيت

ثلاثمائة لون من العذاب ، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال ،

وفيه جب الحزن ، ليس فى النار عذاب أشد منه، إذا فتح باب الجب حزن أهل النار

حزناً شديداً .

والباب السابع : يقال له: الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً ، وفيه بشر الهبهاب، وذلك قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ خَبْرَتُ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ إذا فتح الهبهاب يخرج منه نار تستعبد منه النار، وفيه الذين قال الله تعالى: ﴿سَأْرَهُنَّ صَعُودًا﴾ أو هو جبل من نار يوضع أعداء الله على وجوههم على ذلك الجبل مغلوطة أيديهم إلى أعناقهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم ، والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد إذا ضرب أحدهم بالمقعدة ضربة سمع صوتها الثقلان .
وأبواب النار : حديد . فرشها الشوك غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورسا ص وزجاج . النار من فوقهم والنار من تحتهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل . أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة مدلهمة مظلمة قد مزجت بغضب الله ، وذكره القتيبي في (عيون الأخبار).

وذكر ابن عباس أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب ، وهي كما قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ على كل باب سبعون ألف جبل ، في كل جبل سبعون ألف شعب من النار ، في كل شعب سبعون ألف شق من النار ، في كل شق سبعون ألف واد، في كل واد سبعون ألف قصر من نار ، في كل قصر سبعون ألف بيت من نار، في كل بيت سبعون ألف (حية ، وسبعون ألف عقرب ، لكل عقرب سبعون ألف ذنب ، لكل ذنب سبعون ألف منقار، في كل منقار سبعون ألف) قلة من سم ، فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين (الثقلين) وآخر عن شمالهم ، وسرادق أما مهم وسرادق (من) فوقهم وآخر من ورائهم ، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادى : رب ، سلم ، رب ، سلم .

**باب ما جاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها
وفي عظم خلقهم وتفلتها من [بين] أيديهم وفي قمع
النبي ﷺ إياها وردتها عن أهل الموقف**

١٢٣٩- مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى
بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»
[حديث صحيح]

١٢٤٢- فصل : هذا يبين لك ما قلناه: أن جهنم اسم علم لجميع النار ،
ومعنى : يؤتى بها: يجاء بها من المحل الذي خلقها الله تعالى فيه ، فتدار بأرض المحشر
حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم ، والزمم ما يزم به الشيء أى: يشد
ويربط به ، وهذه الأزمة التي تساق بها جهنم تمنع من خروجهما على أرض المحشر فلا
يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله بأخذه على ما تقدم ويأتي
ملائكتها كما وصفهم الله غلاظ شداد .

١٢٤٤- وقال ابن عباس: « ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة
الواحد منهم أن يضرب بالمقمعة فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر
جهنم» .

وأما قوله تعالى ﴿عليها تسعة عشر﴾ فالمراد: رؤساؤهم على ما يأتي ، وأما
جملتهم فالعبارة عنهم كما قال الله تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ .

١٢٤٥- فصل : قال العلماء : إنما خص النبي ﷺ بردها وقمعها وكفها عن
أهل المحشر دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم (وسلامه) ، لأنه رآها في مسراه
وعرضت عليه في صلواته حسب ما ثبت في الصحيح قال وفي ذلك فوائد ثمان .
الأولى : أن الكفار لما كانوا يستهزئون به ويكذبونه في قوله ، ويؤذونه أشد
الأذى ، أراه الله تعالى النار التي أعدها للمستخفين به وبأمره تطيباً لقلبه وتسكيناً
لفؤاده (واجبتائه) .

الثانية : الإشارة في ذلك إلى أن من طيب قلبه في شأن أعدائه بالإهانة
والانتقام ، فالأولى أن يطيب قلبه في شأن أوليائه بالتحية والشفاعة والإكرام .

الفائدة الثالثة : ويحتمل أن عرضها عليه ليعلم منة الله تعالى عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته .

الفائدة الرابعة : ويحتمل أنه عرضها عليه ليكون في القيامة إذا قال سائر الأنبياء: نفسى نفسى ، يقول نبينا (وشفيعنا) محمد ﷺ : أمتى أمتى، وذلك حين تسجر جهنم ، ولذلك أمر الله عز وجل محمداً ﷺ فقال جل من قائل : ﴿ يوم لا يخزى الله النبي ﴾ الآية .

قال الحافظ أبو الخطاب : والحكمة في ذلك : أن يفرغ إلى شفاعته، ولو لم يؤمنه لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء .

الفائدة الخامسة : أن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئاً منها ، فإذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطيئة والشفاعة من هولها وشغلهم أنفسهم عن أمهم ، وأما نبينا محمد ﷺ فقد رأى جميع ذلك فلا يفزع منه مثل ما فزعوا ليقدر على الخطبة ، وهو المقام المحمود الذى وعده به ربه تبارك وتعالى فى القرآن المجيد وثبت فى صحيح السنة .

الفائدة السادسة : فيه دليل فقهى على أن الجنة والنار قد خلقتا خلافاً للمعتزلة المنكرين لخلقها ، وهو يجرى على ظاهر القرآن في قوله تعالى : ﴿ أعدت للمتقين ﴾ ﴿ أعدت للكافرين ﴾ والإعداد دليل الخلق والإيجاد .

الفائدة السابعة : ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خسة الدنيا فى جنب ما أراه، فيكون في الدنيا أزهى وعلى شدائدها أصبر ، حتى يؤديه إلى الجنة فقد قيل : حبذا محنة تؤدي بصاحبها إلى الرخاء ، وبؤسا لنعمة تردى بصاحبها إلى البلاء .

الفائدة الثامنة : ويحتمل أن الله (سبحانه و)تعالى أراد ألا يكون لأحد كرامة إلا يكون لمحمد ﷺ مثلها، ولما كان لإدريس عليه(الصلاة و)السلام الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة أراد الله (سبحانه و)تعالى أن يكون ذلك لصفيه ونجيه وحببيه وأمينه على وحيه محمد ﷺ (وشرف) وكرم وعظم وبجل ووقر ، وقال ذلك جميعه الحافظ ابن دحية رضى الله عنه في كتاب(الابتهاج فى أحاديث المعراج).

باب ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

قال الله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ .

١٢٤٩- وخرج الترمذى ، عن جابر بن عبد الله قال : قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي ﷺ : هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا : لا ندرى حتى نسأله ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، غلب أصحابك اليوم . فقال : « وماذا غلبوا » ؟ قال : سألهم اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قال : « فماذا قالوا ؟ » قال : قالوا : لا ندرى حتى نسأل نبينا قال : « (أ) يغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون » فقالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم سألوا نبيهم فقالوا : أرنا الله جهرة ، على بأعداء الله إني سألتهم عن تربة الجنة وهى الدرملك فلما جاءوا قالوا : يا أبا القاسم ، كم عدد خزنة جهنم ؟ قال : « هكذا وهكذا فى مرة عشرة وفى مرة تسعة » قالوا : نعم ، قال لهم النبي ﷺ : « ما تربة الجنة » ؟ قال : فسكتوا ، ثم قالوا : خبزة يا أبا القاسم ، فقال النبي ﷺ « الخبز من الدرملك » . قال أبو عيسى : هذا حديث إنما عرفه من هذا الوجه من حديث خالد عن الشعبي (عن) جابر .

[حديث صحيح]

باب ما جاء في سعة جهنم وعظم سراطقها وبيان قوله

تعالى

﴿ وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين ﴾

قال الله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ .

١٢٥٠- ابن المبارك قال : أخبرنا عنبة بن سعيد ، عن حبيب بن أبى عمرة عن مجاهد قال : قال ابن عباس : أتدرى ما سعة جهنم ؟ قال : قلت : لا ، قال : أجل ، والله ما تدرى أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجرى (فيها) أودية القيح والدم ، قلت : لها أنهار ؟ قال : لا ، بل أودية ، ثم قال : أتدرى ما سعة جسر جهنم ؟ قلت : لا . قال : قلت : أجل (والله ما تدرى) ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿والأرض جميعا قبضته

يوم القيامة ﴿﴾ قلت : فأين الناس يومئذ ؟ قال : «على جسر جهنم» أخرجه

الترمذى وصححه وقد تقدم . [حديث صحيح]

باب ما جاء في قوله تعالى ﴿﴾ وإذا البحار سجرت ﴿﴾

وما جاء أن الشمس والقمر يقذفان في النار

١٢٥٥- قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿﴾ وإذا البحار سجرت ﴿﴾ قال :

أوقدت فصارت ناراً وذكر ابن وهب عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية ﴿﴾ وجمع

الشمس والقمر ﴿﴾ قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار ، فتكون نار الله

الكبرى .

١٢٥٦- وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس

يرفعه إلى النبي ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «إن الشمس والقمر ثوران عقيران في

النار» . [حديث صحيح لغيره]

فصل : قلت : كذا الرواية : «ثوران» بالثاء المثناة ، وإنما يجمعان في جهنم

لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما جماد ، وإنما يفعل ذلك

بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم ، هكذا قال بعض أهل العلم .

وقال ابن قسي صاحب (خلع النعلين) : اعلم أن الشمس والقمر ثوران

مكوران في نار جهنم على شبه هذا التكوير ، فنهار سعير وليل زمهرير ، والدار دار

قائمة لا فرق بينهما وبين هذين في حركة التسيار والتدوار ، ومدار فلكى الليل

والنهار إلا أن تلك خالية من رحمة الله ، ومع هذه رحمة واحدة من رحمة الله ،

وعن الشمس والقمر يكون سواد الدار ولهيب ظاهر النار ، وهما من أشد الغضب لله

تعالى بما عايناه من عصيان العاصين وفسق الفاسقين إذ لا يكاد يغيب عنهما أين ولا

تحفى عنها خائنة عين ، فإنه لا يبصر أحد إلا بنورهما ولا يدرك إلا بضوءيهما ، ولو

كانا خلف حجاب من الغيب الليلي أو وراء ستر من الغيم اليومي ، فإن الضوء الباقي

على البسيطة في ظل الأرض ضوءهما والنور نورهما ومع ما هما عليه من الغضب

لله ، فإنه لم يشتد غضبهما إلا من حيث نزع لجام الرحمة عنهما وقبض ضياء الدين

والرافة منهما وكذلك عن كل ظاهر من الحياة الدنيا في قبض الرحمة المستردة من هذه الدار إلى دار الحيوان والأنوار .

١٢٥٨- قال عليه السلام: « إن لله مائة رحمة نزل منها واحدة إلى الأرض فيها تتعاطف البهائم ويتراحم الخلق وتتواصل الأرحام ، فإذا كان يوم القيامة قبض الله (عز وجل) هذه الرحمة وردها إلى التسعة والتسعين وأكملها مائة كما كانت ، ثم جعل المائة كلها رحمة للمؤمنين وخلت دار العذاب ومن فيها من الفاسقين من رحمة رب العالمين ، فبزوال هذه الرحمة زال ما كان فيه القمر من رطوبة وأنوار ولم يبق إلا ظلمة وزمهرير ، وبزوالها زال ما كان بالشمس من وضوح وإشراق ولم يبق إلا فرط سواد واحتراق ، وبما كانا به قبل من هذه الصفة الرحمانية كان إمهالهما للعاصين وإبقاؤهما على القوم الفاسقين، وهى زمام الإمساك، ولجام المنع عن التدمير والإهلاك، وهى سنة الله تعالى فى الإبقاء إلى الأوقات، والإمهال إلى الآجال إلا أن يشاء غير ذلك فلا راد لأمره، ولا معقب لحكمه لا إله إلا هو سبحانه » . [حديث صحيح]

باب ما جاء فى صفة جهنم وحورها وشدة عذابها

١٢٦٠- الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة » قال أبو عيسى وحديث أبى هريرة فى هذا الباب موقوف أصح ، ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبى بكير عن أبى شريك . [صحيح موقوف شاذ مرفوع]

١٢٦١- ابن المبارك ، عن أبى هريرة قال : « إن النار أوقدت ألف سنة فابيضت ، ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت ، ثم أوقدت ألف سنة فاسودت فهى مظلمة كسواد الليل » .

١٢٦٢- مالك، عن عمه أبى سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبى هريرة أنه قال : « ترونها كنار كم ١٩ لهى أشد سواداً من القار » والقار : هو الزفت .

١٢٦٣- ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان ، عن سليمان قال : « النار سوداء لا يضىء لها ولا جمرها ، ثم قرأ ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا

فيها ﴾ » . [خبر صحيح]

١٢٦٤- مالك وعن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قالوا: يا رسول الله ، وإن كانت لكافية . قال : « فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً » أخرجه مسلم وزاد : « كلها مثل حرها » . [حديث صحيح]

١٢٦٥- ابن ماجه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « (إن) ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » . [حديث صحيح]

١٢٦٦- وفي خبر آخر ، عن ابن عباس ، « وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ، ولولا ذلك ما انتفع بها » ذكره أبو عمر رحمه الله ، وقال عبد الله بن مسعود : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، ولولا أنه ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعت منها بشيء » . [خبر صحيح]

١٢٦٧- وسئل ابن عباس عن نار الدنيا م خلقت ؟ قال : من نار جهنم غير أنها أطفئت بالماء سبعين مرة ، ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم .

١٢٦٨- مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال : (يا ابن آدم) ، هل رأيت خيراً قط ، هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة في الجنة ، فيقال له : (يا ابن آدم) هل رأيت بؤساً قط ، هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ما مر بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط » . [حديث صحيح]

١٢٦٩- أخرجه ابن ماجه أيضاً من حديث محمد بن إسحاق ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقول : اغمسوه في النار غمسة فيغمس فيها ثم يخرج فيقال له : أى فلان هل أصابك نعيم قط ؟ فيقول : لا ، ما أصابني نعيم قط ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضرراً وبلاء فيقال : اغمسوه في الجنة فيغمس غمسة ثم يخرج ، فيقال له : أى فلان ، هل أصابك ضرر قط أو بلاء؟ فيقول : ما أصابني ضرر قط ولا بلاء » .

[حديث صحيح]

١٢٧١- وقال كعب الأحبار : والذي نفس كعب بيده ، لو كنت بالمشرق
والنار بالمغرب ، ثم كشف عنها لخرج دماغك من منخريك من شدة حرها ، يا قوم ،
هل لكم بهذا قرار ؟ أم لكم على هذا صبر ؟ يا قوم ، طاعة الله أهون عليكم من هذا
العذاب فأطيعوه . [الخبر من الإسرائيليات]

١٢٧٣- فصل : قوله : « ناركم هذه التي يوحد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً
من نار جهنم » يعنى أنه لو جمع كل ما فى الوجود من النار التي يوحد بها ابن آدم
لكانت جزءاً من جزء من أجزاء جهنم المذكور بيانه ، وأنه لو جمع حطب الدنيا
فأوقد كله حتى صار ناراً لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذي هو من سبعين
جزءاً أشد من حر نار الدنيا ، كما بينه فى آخر الحديث وقوله : « وإن كانت لكافية »
إن هنا مخففة من الثقيلة عند البصريين نظيره ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين
هدى الله ﴾ أي إنها كانت كافية ، فأجابهم النبي ﷺ : « بأنها كما فضلت عليها
فى المقدار والعدد بتسعة وستين ، فضلت عليها أيضاً فى شدة الحر بتسعة وستين
ضعفاً » .

**باب منه وما جاء فى شكوك النار وكلامها
وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذى يومه
به فيما [أجارنا الله منها ومن أهوالها]**

١٢٧٤- روى الأئمة ، عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله
ﷺ : «اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضى بعضاً ، فجعل لها
نفسين : نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف بأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها
وأشد ما تجدون من الحر من سمومها» أخرجه البخارى ومسلم . [حديث صحيح]
١٢٧٥- وعن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ
سمع وجبة ، فقال رسول الله ﷺ : «أتدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال
هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى فى النار إلى الآن حتى
انتهى إلى قعرها » أخرجه مسلم .

الوجبة : الهدية وهي صوت وقع الشيء الثقيل . [حديث صحيح]

١٢٧٦- الترمذى عن الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا-يعنى منبر البصرة -عن النبي ﷺ قال : « إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاماً وما تفضى إلى قرارها» قال : فكان ابن عمر يقول : أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد ، وإن مقامها حديد . قال أبو عيسى : لا نعرف للحسن سماعاً من عتبة بن غزوان، وإنما قدم عتبة بن غزوان البصرة فى زمن عمر(رضى الله عنه) وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

١٢٧٧- ابن المبارك قال : أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري قال : بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفس محمد بيده، إن ما بين شفة النار وقعرها لصخرة زنة سبع خلقات بشحومهن ولحومهن وأولادهن تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفاً » . [إسناده منقطع والحديث حسن]

١٢٧٩- مسلم عن خالد بن عمير العدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان، وكان أميراً على البصرة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباة كصباة الإناء يتصلبها صاحبها ، وإنكم (للتنقلون) منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما يحضر تكم فإنه ذكر لنا أن الحجر ليلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ، والله لتملأن . الحديث وسيأتى بتمامه فى (أبواب الجنة) إن شاء الله تعالى .

١٢٨٠- وقال كعب : « لو فتح من نار جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ، ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، وإن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول : نفسى نفسى » .

١٢٨١- فصل : قوله : « اشتكت النار شكواها إلى ربها بأن أكل بعضها بعضاً » ، محمول على الحقيقة لا على المجاز، إذ لا إحالة فى ذلك، وليس من شرط الكلام عند أهل السنة فى القيام بالجسم إلا الحياة وأما البنية واللسان والبلية ، فليس من شرطه وليس يحتاج فى الشكوى إلى أكثر من وجود الكلام . وأما الاحتجاج فى قوله عليه(الصلاة و)السلام : « احتجت النار والجنة » فلا بد فيه من العلم والتفطن للحجة ، وقيل : إن ذلك مجاز عبر عنه بلسان الحال ، كما قال عنترة :
فازور من وقع القنا بلسبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم

وقال آخر :

شكنا إلى جملى طول السرى صبراً جميلاً فكلانا مبتلى
والأول أصح إذ لا استحالة فى ذلك ، وقد قال تعالى ، وهو أصدق القائلين :
﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق (وهو خير الفاصلين) ﴾ الآية وقد تقدم من
كلامها : « لا إله إلا الله وعزتك وجلالك » وقال (تعالى) ﴿ كلا إنها لظى * نزاعة
للشوى ﴾ الآية (تدعو من أدبر ، أى) : عن الإيمان ، وتولى : أى أعرض عن اتباع
الحق ، وجمع : يعنى المال ، فأوعى أى جعله فى الرعاء أى كثره ولم ينفقه فى طاعة
الله تعالى . قال ابن عباس : تدعو المنافق والكافر بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما
يلتقط الطائر الحب .

قلت : قول ابن عباس هذا قد جاء معناه مرفوعاً ، وهو يدل على أن المراد
بالشكوى والحجة الحقيقة .

١٢٨٣ - وخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج
عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : لاني
وكلت بثلاث : بكل جبار عنيد ، وبكل ما دعا مع الله إليها آخر ، وبالمصورين » وفى
الباب عن أبي سعيد ، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب صحيح . [حديث صحيح]

باب ما جاء فى مقام أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم

وأنكالهم

قال الله تعالى : ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ وقال ﴿ إذ الأغلال فى أعناقهم
والسلاسل يسحبون فى الحمير ﴾ الآية ، وقال : ﴿ فى سلسلة ذرعتها سبعون
ذراعاً ﴾ وقال : ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحيماً ﴾ الآية . وروى عن الحسن أنه قال : « ما
فى جهنم واد ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبها مكتوب عليه »
و روى عن ابن مسعود وسياى .

١٢٨٥ - الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله

ﷺ: « لو أن رضاضة مثل هذه - وأشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً ، الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها » قال : هذا حديث إسناده صحيح .

١٢٨٧- وقال محمد بن المنكدر: لو جمع حديد الدنيا كله ما خلى منها، وما بقي ما عدل حلقة من حلق السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه فقال (تعالى): ﴿ في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً ﴾ الآية . ذكره أبو نعيم .

[إسناده حسن]

١٢٨٨- وقال ابن المبارك: أخبرنا سفيان ، عن نسير بن ذعلوق أنه سمع نوباً يقول في قوله تعالى: ﴿ في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوها ﴾ قال : كل ذراع سبعون باعاً ، كل باع أبعد ما بينك وبين مكة وهو يومئذ في مسجد الكوفة .

[خبر حسن]

١٢٨٩- أخبرنا بكار بن عبد الله أنه سمع ابن أبي مليكة يحدث عن أبي بن كعب قال : إن حلقة من السلسلة التي قال الله : ﴿ ذرعتها سبعون ذراعاً ﴾ إن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا . [خبر حسن]

١٢٩٠- سمعت سفيان يقول في قوله : ﴿ فاسلكوها ﴾ قال : بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه . وقال ابن زيد: ويقال : ما يأتي يوم القيامة على أهل النار إلا ورحمة من الله تطلع طائفة منهم فيخرجون . ويقال: إن الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل في الدنيا لهدته . [خبر صحيح]

بأب منه

وما جاء في كيفية دخول أهل النار النار

١٢٩٣- قال ابن زيد : ولهم مقامع من حديد يجمعون بها هؤلاء ، فإذا قال: خذوه فيأخذوه ، كذا وكذا ألف ملك ، فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صار تحت أيديهم رفاتاً، العظام واللحم يصير رفاتاً . قال : فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الأغلال قال : فيلقون في النار مصفودين فليس لهم شيء يتقون به إلا

الوجوه ، فهم عمى قد ذهبت أبصارهم ، ثم قرأ ﴿أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ الآية. فإذا ألقوا فيها يكادون يبلغون قعرها ، يلقاهم لهبها فيردهم إلى أعلاها ، حتى إذا كادوا يخرجون تلقتهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربونهم بها ، فبجاء أمر غلب اللهب فهروا كما هم أسفل السافلين، هكذا دأبهم وقرأ (رسول الله ﷺ قول الله عز وجل): ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها﴾ فهم كما قال الله تعالى ﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾ .

والأنكال : القيود. عن الحسن ومجاهد واحدها: نكل ، وسميت القيود أنكالا لأنه ينكل بها أى : يمنع . قال الهروي : الأصفاد : هى الأغلال . ويقال : القيود. أعاذنا الله منها بمنه وكرمه .

باب منه

فجى رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

١٢٩٤- يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر ، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين)﴾ الآية : وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم ﴿أن أفيضوا علينا من الماء (أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين)﴾ الآية ، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار.

قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله تعالى : ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون)﴾ ذكره أبو محمد عبد الحق فى كتاب (العاقبة) له . قال : ولعلك تقول : كيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة ؟ وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم

ما بينهم من (بعد) المسافة وغلظ الحجاب ؟ فيقال لك : لا تقل هذا ، فإن الله تعالى يقوى أسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضاً ، ويسمع بعضهم كلام بعض . وهذا قريب في القدرة (جداً).

باب ما جاء أن فك جهنم جبلاً وخنائق
وأودية وبحاراً وصهاريج [وحياطاً] وآباراً وجباباً وتنانير
وتنجونا وبيوتنا وجسورا وقصوراً وأرجاء ونواعير وعقارب
وحيات أجازنا الله منها . وفك وعيط من شرب
الخمير والمسكر وغيره

والصعود : جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك .
١٢٩٨ - قال : وأخبرنا سعيد بن أبي أيوب عن ابن عجلان ، عن زيد ابن
أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : الويل : واد في جهنم يهوى فيه الكافر ، لو سيرت
فيه الجبال لماعت من حره . [إسناده حسن]

١٢٩٩ - قال : وأخبرنا سفيان عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض أنه قال :
الويل : مسيل في أصل جهنم . [إسناده صحيح]

١٣٠٠ - وذكر ابن عطية في تفسيره عن أن الويل : صهريج في جهنم من
صديد أهل النار، قال : وحكى الزهراوى عن آخرين : أنه باب من أبواب جهنم .

١٣٠٣ - وقال ابن زيد في قوله تعالى ﴿ وظل من يحموم ﴾ اليحوموم :
جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار ﴿ لا بارد ﴾ بل حار ، لأنه من دخان شفير
جهنم ﴿ ولا كريم ﴾ أى : لا عذب . عن الضحاك . وقال سعيد بن المسيب : ولا
حسن منظره .

١٣٠٤ - وذكر ابن وهب ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ موبقاً ﴾ قال : واد
في جهنم يقال له موبق . وقال عكرمة : هو نهر في جهنم يسيل ، ناراً ، على حافته
حيات مثل البغال الدهم ، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاحتحام في النار .
وقال أنس بن مالك : هو واد في جهنم من قيح ودم . [إسناده حسن]

١٣٠٥ - وقال نوف البكالى في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم موبقاً ﴾ قال :

واد فى جهنم بين أهل الضلالة وبين أهل الإيمان .
١٣٠٦- وعن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أنها سئلت عن قول
الله عز وجل ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ قالت : نهر فى جهنم .

١٣٠٧- واختلفوا فى الفلق فى قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فروى
ابن عباس أنه : سجن فى جهنم ، وقال كعب : هو بيت فى جهنم ، إذا فتح صاح
جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعيم .

١٣٠٩- ابن المبارك ، أخبرنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا ثعلبة بن مسلم ، عن
أيوب بن بشير ، عن شفى الأصبهى قال : إن فى جهنم جبلاً يدعى : صعوداً ، يطلع
فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يرقاه ، قال الله تعالى : ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ وأن فى

جهنم قصراً يقال له : هواء ، يرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفاً قبل أن يبلغ
أصله ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى ﴾ . وأن فى جهنم

وادي يدعى : آثاماً ، فيه حيات وعقارب ، فى فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من
سم ، والعقرب منهن مثل البغلة المؤلفة ، تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر
جهنم حمة لدغتها ، فهو لما خلق له ، وأن فى جهنم سبعين داء لأهلها ، كل داء مثل
جزء من أجزاء جهنم ، وأن فى جهنم وادياً يدعى غياً ، يسيل قيحاً ودماً ، فهو لما
خلق له ، قال الله تعالى : ﴿ فسوف يلقون غياً ﴾ .

[إسناده حسن والخبر من الإسرائيليات]

١٣١٤- وذكر ابن وهب من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده
قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على صورة
الناس ، يعلوهم كل شىء من الصغار ، يساقون حتى يدخلوا سجناً فى جهنم يقال
له : بولس ، يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال » أخرجه ابن المبارك .

[حديث حسن]

١٣١٥- أخبرنا محمد بن عجلان ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده
عن النبى ﷺ قال : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس ، يغشاهم

الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلقهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»، أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن .

قلت : طينة الخبال عرق أهل النار أو عصارتهم شراب أيضاً لمن شرب المسكر، جاء ذلك في صحيح البخارى . [حديث حسن]

١٣١٦- وعن جابر : أن رجلاً قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن ، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة ، يقال له المز ، فقال رسول الله ﷺ : «أمسكر هو؟ قال : نعم . قال : إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار» . [حديث صحيح]

١٣٢١- وقال أبو هريرة (رضى الله عنه) : إن في جهنم أرجاء تدور بعلماء السوء ، فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا : فيقول : ما صيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم ؟ قالوا : إنا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم إلى غيره .

قلت : وهذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه ، وسيأتى في من أمر بالمعروف ولم يأت . [حديث أسامة حديث صحيح]

١٣٢٢- وقال أبو المثني الأملوكي : إن في النار أقواماً يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ، مالهم فيها راحة ولا فترة ، قال محمد بن كعب القرظي : إن لملك مجلساً في وسط جهنم ، وجسوراً تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أذناها . الحديث وسيأتي .

باب منه

وفد بيان قوله تعال : ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾

وفد ساحل جهنم ووعيد من يؤذي المؤمنين

١٣٢٥- قال ابن عمرو وابن عباس . هذه العقبة : جبل في جهنم . وقال محمد بن كعب ، وكعب الأحبار : هي سبعون درجة في جهنم ، وقال الحسن وقتادة : هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر ، فاقحموها بطاعة الله عز وجل .

وقال مجاهد والضحاك والكلبي : هي الصراط ، وقيل : النار نفسها .
وقال الكلبي أيضاً : هي جبل بين الجنة والنار يقول : فلأجاور هذه العقبة
بعمل صالح ، ثم بين اقتحامها بما يكون فقال : ﴿فك رقبة﴾ الآية .

وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام : الاستفهام ، تقديره :
أفلا اقتحم العقبة ، يقول : هلا أنفق ماله في فك الرقاب ، وإطعام السغبان ليجاوز به
العقبة ، فيكون خيراً له من إنفاقه في المعاصي ؟ .

وقيل : معنى الكلام التمثيل والتشبيه ، فشبّه عظم الذنوب وثقلها بعقبة ، فإذا
أعتق رقبة وعمل صالحاً كان مثله كمثل من اقتحم العقبة ، وهي الذنوب التي تضره
وتؤذيّه وتثقله ، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوبة الخالصة ، كان كمن اقتحم عقبة
يستوى عليها ويجوزها .

١٣٢٦ - قلت : هذا حديث حسن . قال الحسن : هي والله عقبة شديدة ،
مجاهدة الإنسان نفسه وهواه ، وعدوه الشيطان ، وأنشد بعضهم :

إني بليت بأربع يرميني
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
يا رب ساعدني بعفو إني
بالنبل قد نصبوا على شراكا
من أين أرجو بينهن فكাকা
أصبحت لا أرجو لهن سواكا

وأنشد غيره أيضاً في معنى ذلك :

إني بليت بأربع يرميني
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
وقال آخر :

إني بليت بأربع ما سلطوا
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
إلا لعظم بليتي وشقائي
كيف الخلاص وكلهم أعدائي

قلت : قال : فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه ، وخالف شيطانه ودنياه
كانت الجنة نزله ومأواه ، ومن تمادى في غيه وطغيانه وأرخبى في الدنيا زمام عصيانه ،
ووافق نفسه وهواه في مناه ولذاته ، وأطاع شيطانه في جمع شهواته ، كانت النار أولى
به ، قال الله تعالى : ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى

وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴿﴾ .
ومعنى فلا اقتحم العقبة : أى لم يقتحم العقبة ، وهذا خبر أى أنه لم يفعل ،
والعرب تقول : لا فعل بمعنى لم يقل . قال زهير :
وكان طوى كشحا على سكينه فلا هو أبداها ولم يتقدم
أى : فلم يبدها .

ثم قال : ﴿ وما أدراك ما العقبة فك رقبة ﴾ ، يقول للنبي ﷺ : أى لم تكن
تدريها حتى أعلمتك ما العقبة ، فك رقبة : أى عتق رقبة من الرق ، أو إطعام في يوم
ذى مسغبة : مجاعة ، يتيماً ذا مقربة : أى قرابة ، أو مسكيناً ذا متربة : يعنى به :
اللاصق بالتراب من الحاجة . فى تفسير الحسن .
وقال سفيان بن عيينة : كل شيء قال فيه وما أدراك ، فإنه أخبره به ، وكل
شيء قال فيه : وما يدريك ، فإنه لم يخبره به .

باب ما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾

الوقود بفتح الواو على وزن الفعول بفتح الفاء : الحطب ، وكذلك الطهور :
اسم للماء ، والسحور : اسم الطعام ، وبضم الفاء : اسم للفعل وهو المصدر ، والناس
عموم ومعناه : الخصوص ممن سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها ، أجارنا الله منها .
قال : حطب النار : شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات (قد) طال منهن العويل .

باب ما جاء فى تعذيب جسد الكافر وأعضائه

بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على الأعضاء

المؤمن بحسب أعمال الأعضاء

١٣٣٠ - مسلم عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ :
ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب
المسرع . [حديث صحيح]

١٣٣١ - الترمذى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن غلظ جلد الكافر اثنان
وأربعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة

والمدينة». قال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش ، وفي رواية: وفضله مثل البيضاء ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة ، أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث غريب ، وقال: مثل الربذة ، يعنى به كما بين مكة والمدينة . البيضاء: جبل . [حديث صحيح]

١٣٣٢- ابن المبارك ، أنبأنا يونس عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة(رضى الله عنه) قال : « ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد ، يعظمون لتمتلىء منهم وليدوقوا العذاب » . [إسناده صحيح]

١٣٣٣- أخبرنا الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : « ضرس الكافر مثل أحد ، وفضله مثل البيضاء ، وجبينه مثل الوركقان ، ومجلسه من النار كما بينى وبين الربذة ، وكثف بصره سبعون ذراعاً ، وبطنه مثل إضم » . لإضم بالكسر: جبل . قاله الجوهرى . [إسناده صحيح]

١٣٣٥- وذكر ابن المبارك قال : (أنبأنا) سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير قال : قال رسول الله ﷺ : « بصر الكافر - يعنى غلظ جلده - سبعون ذراعاً ، وضرسه مثل أحد فى سائر خلقه » وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر (ولحمه) وجسده دوى كدوى الوحش . [إسناده صحيح]

١٣٣٧- مسلم عن سمرة بن جندب أن نبى الله ﷺ قال : « منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته » . وفي رواية (أخرى): حقويه مكان حجزته .

[حديث صحيح]

١٣٣٨- فصل : هذا الباب يدللك على أن كفر من كفر فقط ، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى ، ولا شك فى أن الكفار فى عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين ، وفتك فيهم ، وأفسد فى الأرض وكفر ، مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين . ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبى ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه ، وذبه عنه وإحسانه إليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن

يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من
الموحدين ، إلا أن الله تعالى يميتهم إماتة حسب ما تقدم بيانه .

وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى:
﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾ قال : أرى -

والله أعلم - أن هؤلاء الموصوفين في هذه الآية والحديث أهل التوحيد ، فإن الكافر لا
تعاف النار منه شيئاً ، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر شملته النار في الآخرة ، قال
الله تعالى ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ ، أى أن ما فوقهم
ظلل لهم ، وما تحتهم ظلل لمن تحتهم .

باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذابتهم أهل النار بذلك

١٣٤٢- مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أشد
الناس عذاباً يوم القيامة المصورون» . [حديث صحيح]

١٣٤٣- وذكره قاسم بن أصبغ من حديث عبد الله بن مسعود أيضاً . قال :
قال رسول الله ﷺ : «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي ، أو
مصور يصور التماثيل» . [حديث صحيح]

١٣٤٧- قلت : وقد تقدم حديث البخارى الطويل عن سمرة بن جندب ،
وحديث ابن عباس وأبي هريرة وابن مسعود في باب (ما يكون منه في عذاب القبر)
وحديث أبي هريرة في الذين تسعر بهم جهنم ، وغير ذلك مما تقدم في معنى هذا
الباب فتأمل ذلك .

وقد تقدم أن من أذان أموال الناس في غير سفه ولا إسراف ، ولم يجد قضاء
ونيته الأداء ومات ، أن الله لا يحبس عن الجنة ولا يعذبه ، بل يرضى عنه خصماً وإن
شاء الله (تعالى) ويكون الجميع في رحمة بكرمه وفضله ، فأما من أذانها لينفقها في
المعاصي ثم لا يقدر على الأداء فلعله الذى يعذب . [حديث صحيح]

باب منه

وفج عذاب من عذاب الناس في الدنيا

١٣٤٨- أبو داود الطيالسي قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي نجيح عن خالد بن حكيم ، عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا » .

[حديث صحيح]

١٣٤٩- وخرجه البخارى فى التاريخ فقال: حدثنا على، حدثنا سفيان (ابن) عمرو بن دينار (عن ابن أبي نجيح) ، عن خالد بن حكيم بن حزام أن أبا عبيدة تناول رجلاً من أهل الأرمن فكلمه خالد بن الوليد ، فقالوا: أغضبت الأمير؟ فقال : لم أرد غضبه . سمعت النبي ﷺ يقول : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا » . [حديث صحيح]

١٣٥٠- وخرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموهم فى الشمس ، فقال : ما شأنهم ؟ قالوا : حبسوا على الجزية ، فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » . [حديث صحيح]

باب ما جاء فى شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه ، وذكر الخطباء ، وفيمن خالف قوله فعله وفج أعوان الظلمة كلاب النار

١٣٥١- البخارى عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه ، (فيطوف) به أهل النار فيقولون: أي فلان ! ألسنت كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : كنت أمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله» .

وخرجه مسلم أيضاً بمعناه عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فى النار، فيدور كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان ابن فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول: بلى ! كنت أمر

بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية» . [حديث صحيح]
١٣٥٢- وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار ، عن ثمامة عن
أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أتيت ليلة أسرى بي على قوم تقرض
شفاههم بمقاريض من نار ، كلما قرضت ردت ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال:
هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون .

[حديث صحيح]

١٣٥٣- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد
قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة
أسرى بي رجلا تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، قال : فقلت : من هؤلاء يا
جبريل ؟ (فقال) : خطباء ، أى من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم
يتلون الكتاب . [حديث صحيح]

١٣٥٤- قال : وأخبرنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن الشعبي قال : « يطلع قوم
من أهل الجنة إلى قوم فى النار ، فيقولون : ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل
تأديكم وتعليمكم ؟ قالوا : إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله» .

[إسناده صحيح والخبر مقطوع]

١٣٥٨- فصل : قال إبراهيم النخعي رضى الله عنه : إنى لأكره القصص
لثلاث آيات : قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ وقوله
تعالى : ﴿ لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾
وقوله تعالى ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ .

قلت : وألفاظ هذه الآيات تدل على مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن
عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر ، وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما
أشد ممن لم يعلمه ، وإنما كان كذلك ؛ لأنه كالمستهين بحرمة الله ، ومستحق
لأحكامه ، وهو كمن لم ينتفع بعلمه .

وقد قال رسول الله ﷺ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله
بعلمه » وقد تقدم .

وقوله : تندلق ، أى : تخرج ، والاندلاق : الخروج بسرعة ، ويقال : اندلق

السيف ، خرج من غمده . وروى: فتنفلق ، بدل: فتندلق ، والأقتاب : الأمعاء ، واحدها : قتب ، بكسر القاف ، وقال الأصمعي : واحدها قتبة ، ويقال لها أيضا : الأقصاب ، واحدها قصبة ، قاله أبو عبيد..

١٣٦٠- وقد قال ﷺ : « رأيت عمرو بن (يحيى) يجر قصبه فى النار، وهو

أول من سيب السوائب »

(فصل) قلت : إن قال قائل : قد تقدم من حديث أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها أحرقوا فيها وماتوا ، على ما ذكرتموه فى أصح القولين ، وهذه الأحاديث التى جاءت فى العصاة (بخلافه)، فكيف الجمع بينهما ؟ .

قيل له :الجمع ممكن . وذلك - والله أعلم - أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال الله تعالى ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ قال الحسن : تنضجهم النار فى اليوم سبعين ألف مرة، والعصاة بخلاف هؤلاء فيعذبون وبعد ذلك يموتون .

وقد تختلف أيضاً أحوالهم فى طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم . وقد قيل : إنه يجوز أن يكونوا متألين ، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء ، دليله قوله تعالى : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى . [حديث صحيح]

١٣٦١- ومثله ما جاء فى حديث البراء من قول الكافر : رب ، لا تقم الساعة، رب ، لا تقم الساعة ، رب ، لا تقم الساعة . يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه،(والله أعلم).وقد يكون ما جاء فى الخطاب هو عذابهم فى القبور ، فى أعضاء مخصوصة كغيرهم ، كما جاء فى حديث سمرة الطويل على ما تقدم(والله أعلم). إلا أن قوله:فى حديث أسامة بن زيد يوم القيامة يدل على غير ذلك ، والله أعلم. وقد يحتمل أن يجمع لهم الأمران لعظم ما ارتكبه من مخالفة

قولهم فعلهم . ونعوذ بالله من ذلك . [حديث صحيح]
باب ما جاء في طعام أهل النار
وشربهم ولباسهم

قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ وقال:
﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّ شَجْرَةَ الزَّقُومِ * طَعَامٌ الْأَثِيمِ *
كامله يغلَى في البطن﴾ وقال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي نوماً: ﴿وَلَا
شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا جَزَاءً وَفَاقًا﴾ وقال: ﴿وَأَنْ يَسْتَفِيثُوا يَفَاثُوا بِمَاءٍ
كامله يشوي الوجوه بثس الشراب وساءت مرتفقا﴾ وقال عز من قائل:
﴿تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ وقال: ﴿فَلَيْسَ لَهُ
اليوم ما هنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين﴾ . قال الهروي: معناه: من
صديد أهل النار ، وما ينغسل ويسيل من أبدانهم .
١٣٦٢- قلت : وهو الغساق أيضاً ، وذكر ابن المبارك : (أنبأنا) سفيان ، عن
منصور ، عن إبراهيم وأبي رزين في قوله تعالى : ﴿هَذَا فليذوقوه حميم
وغساق﴾ قالوا : ما يسيل من صديدهم ، وقيل الغساق : القيح الغليظ المتنن .

[خبر صحيح]

١٣٦٣- وذكر ابن وهب ، عن عبد الله بن عمر ، قال : الغساق : القيح
الغليظ ، لو أن قطرة منه تهراق في المغرب ، أنتنت أهل المشرق ، لو أنها تهراق في
المشرق ، أنتنت أهل المغرب ، وقيل : الغساق الذي لا يستطاع من شدة برده ، وهو:
الزمهرير .

١٣٦٤- وقال كعب : الغساق : عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات
حمة فتستنقع ، ويؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام ،

فيجر لحمه في كعبيه كما يجر الرجل ثوبه . وقوله ﴿ جزاء وفاقا ﴾ أى: وافق أعمالهم الخبيثة . [خبر حسن]

١٣٦٥- واختلف في الضريع، فقيل: هو النبات ينبت في الربيع، فإذا كان في الصيف يبس، واسمه إذا كان عليه ورقه: شبرق، وإذا تساقط ورقه فهو الضريع، فالإبل تأكله أخضر، فإذا يبس لم تذقه، وقيل: هو حجارة، وقيل: الزقوم: واد في جهنم. (والله أعلم)

وقال المفسرون: إن شجرة الزقوم أصلها في الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء، لا بد لأهل النار من أن يتحدر إليها من كان فوقها فيأكلوا منها .

١٣٦٦- وقال أبو عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿ إن شجرة الزقوم

طعام الأثيم كالمهل يغلى في البطون ﴾ قال: بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها . والمهل: ما كان ذائبا من الفضة والنحاس، وقيل: المهل: عكر الزيت الشديد السواد، وقوله تعالى: ﴿ يغلى في البطون كغلي الحمير ﴾ يعنى: الماء الشديد الحر . [إسناده لا بأس به]

باب منه وما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون

وفجد دعواتهم وإجاباتهم

قال الله تعالى: ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من

الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ﴾ الآية .

١٣٦٨- وخرجه ابن المبارك بأطول من هذا فقال: أخبرنا الحكم بن عمر بن

ليلي، حدثني عامر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: بلغني - أو ذكر لي - أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، فقال الله تعالى: ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴾ ، فسألوا يوماً واحداً يخفف عنهم فيه العذاب، فردت عليهم الخزنة: ﴿ أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ .

فيقولون : بلى ، فردت عليهم الخزنة : ﴿ فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في

ضلال ﴾ .

قال : فلما يسوسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا - وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أذناها - فقالوا : ﴿ يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ .

قال : اسألوا الموت ، فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة .
قال : والسنة : ستون وثلاثمائة يوم ، والشهر ثلاثون يوماً ، واليوم : ﴿ كآلف سنة مما تعدون ﴾ .

ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال : ﴿ إنكم ما كاثون ﴾ .

فلما سمعوا منه ما سمعوا وأيسوا مما قبله ، قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون ، فهلم فلنصبر ، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ أي : من منجى .

قال : فقام إبليس عند ذلك فقال : ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ﴾ إلى قوله : ﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ يقول : بمغن عنكم شيئاً ﴿ وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴾ .

قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال : فنودوا ﴿ طقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم ﴾ إلى قوله : ﴿ فهل إلى خروج من سبيل ﴾ .

قال : فرد عليهم ﴿ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به

تؤمنوا فالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ .

قال : فهذه واحدة : فنادوا الثانية : ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ .

قال : فيرد عليهم ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ .
يقول : لو شئت لهديت الناس جميعاً فلم يختلف منهم أحد ﴿ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين * فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ .

قال : فهذه اثنتان ، فنادوا الثالثة : ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ فيرد عليهم : ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ إلى قوله تعالى : ﴿الجبال﴾ .

قال : فهذه الثلاثة قال : ثم نادوا الرابعة : ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ .

قال : فيجيبهم ﴿أولم نعمركم ما يتذكرفيه من تذكرو وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ .

ثم مكث عنهم ما شاء الله . ثم ناداهم ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ .

قال : فلما سمعوا صوته قالوا : الآن يرضى ربنا ، فقالوا عند ذلك : ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ أى : الكتاب الذى كتب علينا ﴿وكننا قوماً ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ فقال عند ذلك : ﴿اخسؤوا

فيها ولا تكلمون ﴿ فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض ﴾ ينبح بعضهم في وجه بعض وأطبقت عليهم .

قال : فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه لما ذكر له أن ذلك قوله تعالى :

﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ .

١٣٦٩- قال ابن المبارك : وحدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : فذكره

عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يرد عليهم : ﴿ إنكم ما كثون ﴾ .

قال : هانت والله دعوتهم على مالك ، ورب مالك . قال : ثم يدعون ربهم .

قال : فيقولون : ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ قال : فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين . قال : ثم يرد عليهم :

﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ .

قال : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار

جهنم ، فثبته أصواتهم بصوت الحمير ، أولها زفير وآخرها شهيق ، ومعنى ما نبس : ما تكلم .

قال الجوهري : يقال ما نبس بكلمة : أى ما تكلم . وما نبس بالتشديد أيضاً ،

وقال الراجز :

إن كنت غير هالك فنبس

[خبر حسن]

١٣٧٢- وعن أبي حنيفة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه ، فليست ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان » ، قال : هذا حديث

حسن صحيح غريب . [حديث حسن]

١٣٧٤- وعن ابن عباس (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية :

﴿ اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لأفسدت

على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه » قال أبو عيسى : هذا حديث

حسن صحيح . خرجه ابن ماجه أيضا . [حديث صحيح]

[٣٤٦ / صحيح التذكرة / صحابة]

باب ما جاء في بكاء أهل النار ومن أذناهم عذاباً فيها

١٣٧٥- ابن المبارك قال: أخبرنا عمران بن زيد الثعلبي، (قال): حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرح العيون، فلو أن سفناً أجزيت فيها لجزت». [ضعيف مرفوع صحيح موقوف]

١٣٧٦- خرجه ابن ماجه أيضاً من حديث الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضی الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يرسل البكاء على أهل النار فيسكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود، ولو أرسلت فيها السفن لجزت». [ضعيف مرفوع صحيح موقوف]

١٣٧٧- مسلم عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه».

[حديث صحيح]

١٣٧٨- وروى عن أبي موسى الأشعري موقوفاً أنه قال: «إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أجزيت فيها السفن لجزت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع. ولثل ما هم فيه فليبك».

قال المؤلف رحمه الله- وهو يستند من معنى ما تقدم - : وفي التنزيل:
﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون﴾. [خبر صحيح]

١٣٧٩- وفي الترمذي من حديث أبي ذر رضی الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. فمن كثر بكاءه خوفاً من الله تعالى وخشية منه، ضحك كثيراً في الآخرة. قال الله تعالى مخبراً عن أهل الجنة: ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ ووصف أهل النار فقال: ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ قال: «وكنتم منهم تضحكون» وسيأتي بيانه.

[حديث صحيح]

باب ما جاء أن لكل مسلم فداء من النار من الكفار

١٣٨٢- وعن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً ، فيقول : هذا فكاكك من النار » .
[حديث صحيح]

١٣٨٣- وفي رواية أخرى : « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً » قال : فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات : أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ ، قال : فحلف له .

١٣٨٤- فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك ، وإنما هي في ناس مذنبين تفضل الله تعالى عليهم برحمته ومغفرته ، فأعطى كل إنسان منهم فكاكاً من النار من الكفار ، واستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » .

وخرجه مسلم عن محمد بن عمرو بن عباد بن جبلة بن أبي رواد ، قال : حدثنا حرمي بن عمارة ، قال : حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي ، عن عباس ، عن غيلان بن جرير ، عن أبي بردة عن النبي ﷺ .
قالوا : وما معنى فيغفرها لهم؟ أي : يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا .

ومعنى قوله : ويضعها على اليهود والنصارى ، أنه يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم ، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين ، لو أخذوا بذلك ، لأنه تعالى لا يأخذ أحداً بذنب أحد ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر

أخرى ﴾ وله سبحانه أن يضاعف لمن يشاء العذاب ، ويخفف عن من يشاء بحكم

إرادته ومشيئته . إذ لا نسأل عن فعله . [حديث صحيح]

١٣٨٥- قالوا : وقوله في الرواية الأخرى : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل (الله) مكانه يهودياً أو نصرانياً ، فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكاناً من النار بسبب ذنوبه ، وعفا الله عنه ، وبقي مكانه خالياً منه ، أضاف الله تعالى ذلك

المكان إلى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه، زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره، ويشهد لهذا قوله عليه (الصلاة و)السلام فى حديث أنس للمؤمن الذى يثبث عند السؤال فى القبر فيقال له: « انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة » .

قلت : قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنباً كان أو غير مذنب منزلين : منزلاً من الجنة ، ومنزلاً من النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى: ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾

أى يرث المؤمنون منازل الكفار ، ويجعل الكفار فى منازلهم فى النار على ما يأتى بيانه (إن شاء الله تعالى) ، وهو مقتضى حديث أنس عن النبى ﷺ: «إن العبد إذا وضع فى قبره» الحديث وقد تقدم ، إلا أن هذه الوراثة تختلف ، فمنهم من يرث ولا حساب ، ومنهم من يرث بحسابه ، وبمناقشته ، وبعد الخروج من النار ، حسب ما تقدم من أحوال الناس . (والله أعلم).

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم . وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعداه وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء ﴾ . (والله أعلم). [حديث صحيح]

باب قوله تعالى ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾

١٣٨٦- مسلم عن أنس ، عن النبى ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط . وعزتك وكرمك . ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً . فيسكنهم فضل الجنة » . [حديث صحيح]

١٣٨٧- وفى رواية أخرى من حديث أبي هريرة (رضى الله عنه) : «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله فتقول : قط قط . فهناك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ، فلا يظلم الله (تعالى) من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً» . [حديث صحيح]

١٣٨٨- فصل : للعلماء في قول النار : ﴿هل من مزيد؟﴾ تأويلان.

أحدهما : وعدّها ليملأنها فقال : أوفيتك؟ فقالت : وهل من مسلك؟ أى : قد امتلأت كما قال :

امتلاً الحوض وقال : قطنى مهلاً رويدا قد ملأت بطنى
وهذا تفسير مجاهد وغيره وهو ظاهر الحديث الثانى : زدنى ، تقول ذلك
غيظاً على أهلها وحقاً عليهم ، كما قال (تعالى) : ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ أى :
تنشق ، ويبين بعضها من بعض .

١٣٨٩- وقوله : « حتى يضع فيها قدمه » - وفى رواية أخرى : « حتى يضع
عليها (قدمه) » ، وفى أخرى « رجله » ولم يذكر « فيها » ولا « عليها » - فمعناه عبارة
عمن تأخر دخوله في النار من أهلها ، وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها
فوجاً فوجاً ، كما قال الله تعالى : ﴿كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم
يأتكم نذير﴾ .

ويؤيده أيضاً قوله في الحديث : لا يزال يلقى فيها ، فالخزنة تنظر أولئك
المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال :
ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه ، فكل واحد
من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته ، فإذا استوفى كل واحد ما أمر
به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة : قط قط ، أى حسبنا حسبنا ، اكتفينا
اكتفينا ، وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها وتنطبق ، إذ لم يبق أحد ينتظر ، فعبر عن
ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ، لا أن الله جسم من الأجسام ، تعالى الله عما
يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل ، فنقول : جاءنا رجل من
جراد ورجل من الناس ، أى جماعة منهم ، والجمع : أرجل .

ويشهد لهذا التأويل قوله فى نفس الحديث : ولا يزال فى الجنة فضل حتى
ينشئ الله خلقاً فيسكنهم فضل الجنة ، وفى الحديث تأويلات أتينا عليها فى الأسماء
والصفات أشبهها ما ذكرناه. وفى التنزيل ﴿ أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ قال

ابن عباس : المعنى منزل صدق ، وقال الطبري : معنى ﴿ قدم صدق عند ربهم ﴾ : عمل صالح . قيل : هو السابقة الحسنة ، فدل على أن القدم ليس حقيقة في الجارحة ، والله الموفق .

١٣٩٠- قال ابن فورك وقال بعضهم : القدم خلق من خلق الله (تعالى) يخلقه يوم القيامة فيسميه قدما ، ويضيفه إليه من طريق الفعل يضعه في النار، فتمتلي النار منه ، والله أعلم .

قلت : وهذا نحو مما قلناه في الرجل ، قال الشاعر :

فمر بنا رجل من الناس وانزوى إليهم من الحى اليمانى أرجل
قبائل من لحم وعك وحمير على ابنى نزار بالعداوة أحفل
وقال آخر :

يرى الناس أفواجاً إلى باب داره كأنهم رجلا دبا وجراد
فيوم لإلحاق الفقير بذي الغنى ويوم رقاب بوركت بحصاد
الدبا : الجراد قبل أن يطير . والله أعلم .

**باب ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة
وفج تهيئته وتهيئ قبيلته واسمه**

١٣٩١- مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل النار دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تعالى : اذهب فادخل الجنة، فيأتيها ، فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ، فيقول (الله) : اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو أن لك عشرة أمثال الدنيا، قال : فيقول : أتسخر بي ؟ أو أتضحك بي وأنت الملك؟ قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، قال : فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة . [حديث صحيح]

١٣٩٢- وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ويكبو مرة ، وتسفحه النار مرة ، فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذى نجاني منك ، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترفع

له شجرة فيقول : أي رب أدنى من هذه الشجرة فلاستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تعالى : يا ابن آدم ، لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول : لا يا رب ! ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها . ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : أي رب أدنى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ، لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربّه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه ، فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة أحسن من الأوليين ، فيقول مثله ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أي رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ما يصرينى منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول : أي رب ، أتستهزئ بي ، وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألونى مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : من هكذا ضحك رسول الله ﷺ . فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين ، فيقول : إنى لا أستهزئ منك ، ولكنى على ما أشاء قدير .

[حديث صحيح]

١٣٩٥- فصل: (فى) قوله: أتستهزئ منى ؟ - وفي رواية: أتسخر؟-

والهزوء ، والسخرية بمعنى واحد ، وفيه تأويلان .

أحدهما : أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستخفافه إياه ،

كما غلط الذي قال : « اللهم أنت عبدى وأنا ربك » خرجه مسلم .

الثانى : أن يكون معناه : أتجازينى على ما كان منى فى الدنيا من قلة احتفالى

بأعمالى ، وعدم مبالأتى بها ؟ فيكون هذا على وجه المقابلة ، كما قال الله تعالى

مخبراً عن المنافقين ﴿ إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ﴾ أى ينتقم منهم

ويجازيهم على استهزائهم ، والاستهزاء فى اللغة: الانتقام . قال الشاعر :

قد استهزءوا منهم بألفى مدجج سراتهم وسط الضحاح جشم

ومثله : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ الآية . وهو كثير ، وسيأتى لبيان الاستهزاء

من الله (تعالى) مزيد بيان ، والضحك من الله تعالى راجع إلى معنى الرضى عن

العبد ، فاعلم ذلك .

باب منه وما جاء في خروج الموحدين من النار
وذكر الرجل الذي ينادي : يا حنان يا منان ، وبيان
قوله تعالى : ﴿إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة﴾

وفي أحوال أهل النار

١٣٩٩- وروى ليث عن مجاهد ، عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي» ، الحديث وقد تقدم ، وفيه بعده .

وقوله : وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة .

ثم إن الله (تعالى) إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم : كنا وأنتم وآباؤنا جميعاً في الدنيا، فأمنتم وكفرنا وصدقتم وكذبنا ، وأقررتم وجحدنا ، فما أغنى ذلك عنكم ، نحن وأنتم اليوم فيها سواء ، تعذبون كما نعذب ، وتخلدون فيها كما نخلد ، فيغضب الله (تعالى) عند ذلك غضباً شديداً لم يغضب مثله من شيء فيما مضى ، ولا يغضب من شيء فيما بقى ، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والنار والصراط يقال لها : نهر الحياة ، فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، فما يلي الظل منها (أخضر) ، وما يلي الشمس منها (أصفر) ، ثم يدخلون الجنة فيكتب على جباههم : هؤلاء عتقاء الله من النار ، إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة ، ثم ينادى : يا حنان يا منان ، فيبعث الله إليه ملكاً فيخوض في النار في طلبه سبعين عاماً لا يقدر عليه ، ثم يرجع فيقول : إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانا من النار (وإني طلبته في النار) منذ سبعين عاماً فلم أقدر عليه ، فيقول الله تعالى : انطلق فهو في وادي كذا تحت صخرة فأخرجه ، فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة .

ثم إن الجهنميين يطلبون من الله تعالى أن يحو عنهم ذلك الاسم ، فيبعث الله ملكاً فيمحوه عن جباههم .

ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين : اطلعوا إلى أهل النار ، فيطلعون إليهم ، فيرى الرجل أباه ويرى جاره وصديقه ، ويرى العبد مولاه ، ثم إن

الله تعالى يبعث إليهم الملائكة بأطباق من نار ، ومسامير من نار ، وعمد من نار : فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتشد بتلك المسامير ، وتمد بتلك العمدة ، فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينسأهم الرحمن على عرشه ، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ، ولا يستغيثون بعدها أبداً وينقطع ، فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً ، فذلك قوله تعالى : ﴿إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة﴾ . وقال ابن

مسعود: في عمد أي بعمد ، وكذا في مصحفه إنها عليهم مؤصدة بعمد .

[حديث صحيح]

١٤٠١- وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ، أمر الله بكل جبار ، وكل شيطان ، وكل من يخاف الناس شره في الدنيا ، فيوثقون بالحديد ، ثم أمر بهم إلى النار ، ثم أوصدها عليهم ، أي أطبقها ، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً ، لا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبداً ، ولا والله لا تلتقي جفونهم على غمض نوم ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً . قال : ثم يقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة افتحوا الأبواب ، فلا تخافوا شيطانا ، ولا جباراً ، وكلوا اليوم واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية ، قال أبو عمران : إذا هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه . [إسناده حسن]

١٤٠٢- فصل : قوله : فيرش عليهم من الماء ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل . وجاء في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم ، ثم يقال : «يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء ، والمعنى واحد . والنبات معروف وهو خروج الشيء ، والحبة بكسر الحاء بذور البقول ، وحميل السيل : ما احتمله من طين وغشاء ، فإذا انفق أن يكون فيه حبة فإنها تنبت في يوم وليلة ، وهي أسرع نابتة نباتاً ، فشبه النبي ﷺ سرعة نبات أجسادهم بسرعة نبات تلك الحبة ، وفي التنزيل : ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ وتقدم الكلام في نحو ذلك الاسم .

وقوله : وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة .

واختلف (العلماء) في انقضاء هذا العالم ، وفي مدة الدنيا ، وأكثر المنجمون

فى ذلك ، فقال بعضهم : عمر الدنيا سبعة آلاف بعدد النجوم السيارة ، لكل واحد ألف سنة ، وقال بعضهم : بأنها اثنتا عشر ألفاً بعدد البروج ، لكل برج ألف سنة . وقال بعضهم : ثلاثمائة وستون ألف سنة بعدد درجات الفلك ، لكل درجة ألف سنة .

وقوله : إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة ثم ينادى : يا حنان يا منان . الحنان الذى يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو . روى ذلك عن على رضى الله عنه ، وقد ذكرنا فى ذلك فى كتاب « الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا » مستوفى والحمد لله ، وقد تقدم الكلام فى نحو ذلك الاسم عنهم ، فلا معنى لإعادته . ١٤٠٢م- وقوله : وينساهم (الرحمن) على عرشه ، أى يتركهم فى العذاب ، كما قال (تعالى) : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ أى تركوا عبادته وتوحيده فتركهم ، والعرش فى كلام العرب له محامل كثيرة قد أتينا عليها فى كتاب « الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » منها الملك كما قال زهير :

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل
وقال آخر :

بعد ابن جفنة ، وابن هاتك عرشه والحرثين يؤملون فلاحا
وتقول العرب : ثل عرش فلان ، إذا ذهب عزه وسلطانه وملكه ، فالمعنى : وينساهم الرحمن على عرشه أى : بما هو عليه من الملك والسلطان والعظمة والجلال ، لا يعبأ بهم ولا يلتفت إليهم لما حكم به فى الأزل عليهم من نخلودهم فى النار ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط .

وأجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها : كإبليس وفرعون ، وهامان ، وقارون ، وكل من كفر وتكبر وطغى فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا . وقد وعدهم الله عذاباً أليماً ، فقال عز وجل ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ . وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد ، فاعلم .

١٤٠٣- قلت : وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء فقال: إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة ، فإنه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه، فيقال : وكذلك جائز في العقل أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعد الحق، وقوله الصدق ، قال الله تعالى في حق أهل الجنان : ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ أى : غير مقطوع ، وقال ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ وقال : ﴿ لهم أجر غير ممنون ﴾ وقال : ﴿ لهم فيها نعيم مقيم * خالدون فيها أبداً ﴾ ، وقال فى حق الكافرين ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ وقال : ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ﴾ وهذا واضح ، وبالجملة فلا مدخل للمعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرسول ، ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ .

(باب فتح الاستمراء بأهل النار)

بيان قوله تعالى ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون

على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾

١٤٠٦- أخبرنا معمر عن قتادة قال : قال بعض العلماء : لولا أن الله عز وجل عرفه إياه ما عرفه ، ولقد تغير خبره وسيره ، فعند ذلك يقول : ﴿ تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين ﴾ فى النار .

والخبر والسبر : اللون والهيئة . من قولهم : جاءت الإبل حسنة الأحبار والأسبار ، قاله الفراء . وقال الأصمعى : وهو البهاء والجمال وأثر النعمة ويقال : فلان حسن الخبر والسبر ، إذا كان جميلاً حسن الهيئة . قال ابن أحمد : لبسنا حبرة حتى اقتضينا لآجال وأعمار قضينا ويقال أيضاً : فلان حسن الخبر والسبر بالفتح ، وهذا كله مصدر قولك حبرته

تجبيراً والأول اسم ، وتجبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وتزيينه .

[إسناده لا بأس به]

باب ما جاء في هيوأه أهل الجنة منازل أهل النار

١٤٠٩- جاء في الخبر عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ، ويجعل الكفار في منازلهم من النار . »

[لم أقف عليه]

١٤١٠- وخبره ابن ماجه بمعناه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله » ، فذلك قوله تعالى ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ إسناده صحيح .

قلت : وهذا بين في أن لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار كما تقدم ، وقد قال ها هنا : ما منكم ، فخاطب أصحابه الكرام المنزهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران رضى الله عنهم ، وسيأتى لهذا مزيد بيان في أبواب الجنان إن شاء الله تعالى . [حديث صحيح]

باب ما جاء في خلوط أهل الطارين

ويذبح الموت على الصراط ومن يذبحه

١٤١١- البخارى ، عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » . [حديث صحيح]

١٤١٢- مسلم عن أبي سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ، فيقولون : نعم ا هذا الموت . قال : ثم يقال : يا أهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ، فيقولون : نعم ا هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، قال ثم

يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأشار بيده إلى الدنيا». [حديث صحيح]

١٤١٣- وأخرجه أبو عيسى الترمذي، عن أبي سعيد الخدري يرفعه قال: «إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون، فلو أن أحداً مات فرحاً مات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً مات أهل النار». قال: هذا حديث حسن صحيح. [حديث صحيح]

١٤١٤- وذكر ابن ماجه في حديث فيه طول عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم! هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبداً» (وقال بعضهم بين يدي النبي ﷺ كما ذكره المؤلف في شرح...). [حديث صحيح]

١٤١٥- (أخرجه) الترمذي بمعناه مطولاً عن أبي هريرة أيضاً، وفيه: «فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذي بين الجنة (وأهل) النار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار: فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: عرفناه، هو الموت الذي وكل بنا فيضجع (فيذبح) ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود لا موت، ويا أهل النار، خلود لا موت»، قال: هذا حديث حسن صحيح. [حديث صحيح]

١٤١٦- فصل: قلت: هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال (تعالى) في كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك بنحزى كل كفور، وهم يصطرخون فيها﴾ إلى قوله

﴿من نصير﴾ وقال (تعالى): ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها﴾
وقال (تعالى): ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم
الحميم * يصهر به ما فى بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما
أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها﴾ وقد تقدمت هذه المعانى كلها .

فمن قال : إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية ، بجملتها خاوية على
عروشها ، وأنها تبنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به
الرسول ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول .

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ وإنما نخلى جهنم وهى
الطبقة العليا التى فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهى التى يثبت على شفيرها فيما
يقال الجرجير ، قال فضل بن صالح الماعزى : كنا عند مالك ابن أنس ذات يوم ،
فقال لنا : انصرفوا : فلما كان العشيّة رجعنا إليه ، فقال : إنما قلت لكم انصرفوا لأنه
جاءنى (رسول) (ليستأذن) على رغم أنه قدم من الشام فى مسألة ، فقال : يا أبا عبد
الله ، ما تقول فى أكل الجرجير فإنه يتحدث عنه أنه يثبت على شفير جهنم ؟ فقلت
له : لا بأس به ، فقال : أستودعك الله وأقرأ عليك السلام. ذكره الخطيب أبو بكر
أحمد رحمه الله .

١٤١٧- وذكر أبو بكر البزار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ابن
عمرو بن العاص قال : « يأتى على النار زمان (تخفق) الرياح أبوابها . ليس فيها أحد ،
يعنى من الموحدين » ، هكذا رواه (مرفوعاً) من قول عبد الله بن عمرو وليس فيه
ذكر النبى ﷺ ومثله لا يقال من جهة الرأى ، فهو مرفوع ، (والله أعلم).

١٤١٨- فصل : قد تقدم أن الموت معنى ، والكلام فى ذلك وفى الأعمال ،
وأنها لا تنقلب جوهرًا ، بل يخلق الله (تعالى) أشخاصاً من ثواب الأعمال وكذلك
الموت يخلق الله كبشاً يسميه الموت ، ويلقى فى قلوب الفريقين أن هذا هو الموت ،
ويكون ذبحه دليلاً على الخلود فى الدارين .

قال الترمذى : والمذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة رضى الله عنهم مثل سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع وغيرهم أنهم رروا هذه الأشياء وقالوا : ونروى هذه الأحاديث ، ولا يقال : كيف ؟ وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ؟ ولا يقال : كيف ؟ وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا إليه .

قال المؤلف رحمه الله : وإنما يؤتى بالموت كالكبش ، والله أعلم . لما جاء أن ملك الموت (عليه الصلاة والسلام) أتى آدم عليه (الصلاة والسلام) في صورة كبش أملح ، قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح على ما تقدم أول الكتاب في باب : (ما جاء فى صفة ذلك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر) .

١٤١٩- وفى التفسير من سورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبي فى قوله (تعالى): ﴿الذى خلق الموت والحياة﴾ أن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء ، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم (الصلاة والسلام) يركبونها ، (خطوتها) مد البصر ، فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء يجد ريحها إلا حى ، ولا تطأ على شيء إلا حى ، وهى التى أخذ السامرى من أثرها فألقاه على العجل فحى ، حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي عن مقاتل والكلبي .

ومعنى يشربون : يرفعون رؤوسهم ، والأملح : من الكباش : الذى يكون فيه بياض وسواد ، والبياض أكثر . قاله الكسائي . وقال ابن الأعرابي : وهو النقي البياض .

[ذابح الموت جبريل عليه الصلاة والسلام]

وذكر صاحب (خلع النعلين) : أن هذا الكبش المدبوح بين الجنة والنار ، أن الذى يتولى ذبحه يحيى بن زكريا عليهما السلام ، بين يدي النبي ﷺ وبأمره الأكرم ، وذكر فى ذبحه كلاما مناسبا لحياة أهل الجنة وحياة أهل النار ، وذكر صاحب كتاب (العروس) : أن الذى يذبحه جبريل عليه (الصلاة والسلام) ، فالله أعلم .

تم كتاب النار بحمد الله العزيز الغفار ، أجازنا الله منها بمنه وبفضله وكرمه لا رب غيره .

بسم الله الرحمن الرحيم
(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً)

أبواب الجنة وما جاء فيها وفي صفتها ونعيمها

وصف الله تعالى الجنات في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان في غير ماسورة من القرآن ، وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمن ، وهل أتاك حديث الغاشية وسورة الإنسان ، وبين ذلك أيضاً نبينا محمد ﷺ بأوضح بيان ، فنذكر من ذلك ما بلغنا في الأخبار الصحاح والحسان ، وعن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان رضى الله عنهم وحشرنا معهم آمين .

باب صفة أهل الجنة في الدنيا

١٤٢١- قال ابن وهب : سمعت ابن زيد يقول : وصف الله (تعالى) أهل الجنة بالخفاة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا ، فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة ، وقرأ قول الله تعالى عز وجل ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ قال :
ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال : ﴿ إنه كان في أهله مسروراً إنه ظن أن لن يحور بلى ﴾ وقد تقدم من صفة أهلها ما فيه كفاية والحمد لله وحده . [خبر صحيح]

باب منه

وهل تفضل جنة جنة ؟

١٤٢٢- قال الله تعالى : ﴿ ومن خاف مقام ربه جنتان ﴾ ثم وصفهما ، ثم قال بعد ذلك ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ وعن ابن عباس في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن خاف مقام ربه جنتان ﴾ أى : بعد أداء الفرائض جنتان ، قيل : على حدة ، فلكل خائف جنتان . وقيل : جنتان لجميع الخائفين ، والأول أظهر . قال الترمذى محمد بن على : جنة لخوفه من ربه ، وجنة لتركه لشهوته ، والمقام : الموضع ، أى : خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية ، وقيل : خاف قيام ربه عليه ،

أى : إشرافه واطلاعه عليه ، بيانه : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ .

وقال مجاهد والنخعي : هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه .

١٤٢٤ - وقوله : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ قال ابن عباس : أى وله من دون

الجتين الأوليين جنتان أخریان ، قال ابن عباس : ومن دونهما ، أى في الدرج ،
والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الأوليين ، والنخل والشجر ، وفي الآخرين :
الزرع والنبات وما انبسط .

قال الماوردي : ويحتمل أن يكون ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ لأتباعه ، لقصور

منزلتهم عن منزلته ، إحداهما : للحوار العين ، والأخرى : للولدان المخلدين ليطمئن فيها
الذكور من الإناث .

وقال ابن جريج : هى أربع جنان : جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل
فاكهة زوجان وعينان تجريان ، وجنتان لأصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان
وفيهما عينان نضاختان ، وقال ابن زيد : الأوليان من ذهب للمقربين ، والأخريان من
ورق لأصحاب اليمين .

١٤٢٥ - قال المؤلف رحمه الله : وإلى هذا ذهب الحلیمی أبو عبد الله الحسن

ابن الحسين في كتاب (منهاج الدين) له واحتج لما (رواه) سعيد بن جبیر عن ابن
عباس : ﴿ وطن خاف مقام ربه جنتان ﴾ إلى قوله ﴿ مدهامتان ﴾ قال : هاتان

للمقربين ، وهاتان لأصحاب اليمين ، وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك .

ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما : فقال فى الأوليين :

﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ وفى الآخرين : ﴿ فيهما عينان نضاختان ﴾ أى : فوارتان

بالماء لكنهما ليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجرى ، وقال ﴿ فيهما من كل

فاكهة زوجان ﴾ معروف وغريب أو رطب ويابس ، فعم ولم يخص ، وفى

الآخرين ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ ولم يقل : من كل فاكهة ، وقال فى

الأولين : ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ هو الديباج ، وفى

الأخريين: ﴿متكئين على رفرف خضر وعبرى حسان﴾ .

والعبرى : الوشى . ولا شك أن الديباج أعلى من الوشى ، والرفرف كسر الخباء ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء ، وقال فى الأوليين فى صفة الحور العين: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ ، وفى الأخريين : ﴿فيهن خيرات حسان﴾ وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان . وقال فى الأوليين ﴿ذواتا أفنان﴾ وفى الأخريين : ﴿مدهامتان﴾ أى حضروان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان . ووصف الأوليين بكثرة الأغصان ، والأخريين بالخضرة وحدها ، وفى هذا كله تحقيق للمعنى الذى قصدناه ، (بقوله): ﴿ومن دونهما جنتان﴾ ولعل ما لم يذكره من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر .

١٤٢٦- فإن قيل كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأوليين ؟ قيل : الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه ، إلا أن الخائفين لهم مراتب ، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة فى الخوف من الله تعالى ، والجنتان الأخريان لمن قصر حاله فى الخوف من الله تعالى .

قال المؤلف رحمه الله : فهذا قول ، والقول الثانى أن الجنتين فى قوله تعالى : ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أعلى وأفضل من الأوليين ، ذهب إلى هذا الضحاك ، وأن الجنتين الأوليين من ذهب وفضة والأخريين من ياقوت وزمرد .

وقوله : ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أى : من أمامهما ومن قبلهما ، وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله محمد الترمذى الحكيم فى : (نوادر الأصول) وقال : ومعنى : ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أى دون هاتين إلى العرش ، أى : أقرب وأدنى إلى العرش ، وقال مقاتل : الجنتان الأوليان : جنة عدن وجنة النعيم ، والأخريان : جنة الفردوس وجنة المأوى .

قال المؤلف رحمه الله : ويدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » ، الحديث ، وسيأتى . قال الترمذى : وقوله : ﴿فيهما

عينان نضاختان ﴿﴾ أى بألوان الفواكه والنعيم والجوارى المزيّنات ، والدواب المسرجات ، والثياب الملونات ، وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجرى .

قال المؤلف رحمه الله : على هذا تدل أقوال المفسرين : روى عن ابن عباس نضاختان : أى فورتان بالماء ، والنضخ بالخاء أكثر من النضج بالخاء ، وعنه أيضا أن المعنى : نضاختان بالخير والبركة ، قاله الحسن ومجاهد ، وعن ابن عباس أيضا وابن مسعود : تنضخ على أولياء الله بالمسك والكافور والعنبر فى دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر ، وقال سعيد بن جبير : بأنواع الفواكه والماء .

وقوله (تعالى): ﴿﴾ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴿﴾ قال بعض العلماء : ليس الرمان والنخل من الفاكهة لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، وهذا ظاهر الكلام ، وقال الجمهور: هما من الفواكه، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفواكه ، كقوله تعالى : ﴿﴾ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ﴿﴾ وقوله (تعالى): ﴿﴾ من

كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال ﴿﴾ وقيل: إنما كررهما لأن النخل والرمان كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البرعدنا ، لأن النخل عامة قوتهم ، والرمان كالثمرات، فكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم إليها . وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التى يعجبون بها ، وإنما ذكر الفواكه ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من (أرض) اليمن ، فأخرجهما فى الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها.

وقوله: ﴿﴾ فيهن خيرات حسان ﴿﴾ يعنى النساء ، والواحدة: خيرة، قال

الترمذى : الخيرة: ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره ، واختيار الله لا يشبه اختيار آدميين ، ثم قال : « حسان » فوصفهن بالحسن ، فإذا وصف خالق الشيء شيئاً بالحسن فمن ذا الذى يقدر أن يصف حسنهن ؟ فانظر ما هنالك ، وفى الأولين ذكر بأنهن قاصرات الطرف وكأنهن الياقوت والمرجان فانظر كم بين الخيرة وهى مختارة الله وبين قاصرات الطرف ؟

ثم قال: ﴿﴾ حور مقصورات فى الخيام ﴿﴾ وقال فى الأولين : ﴿﴾ فيهن

قاصرات الطرف ﴿ قصرن طرفهن على الأزواج ، ولم يذكر أنهن مقصورات، فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل .

وقد بلغنا في الرواية : أن سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الأنهار ، سعتها أربعون ميلاً وليس لها باب ، حتى إذا حل ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المؤمنين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين ، والله أعلم .

ثم قال : ﴿ متكئين على رفرف خضر ﴾ اختلف في الرفرف، ما هو؟ فقيل: كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، والواحدة ررفة . وقيل : الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً يتلذذ به مع أنيسته واشتقاقه على هذا من : رف يرف : إذا ارتفع ، ومنه : رفة الطائر لتحريكه جناحيه في الهواء ، وربما سمي الظليم رفرفاً بذلك ، لأنه يرف بجناحيه ثم يعدو . ورفرف الطائر أيضاً إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه .

قال الترمذى الحكيم : فالرفرف أعظم خطراً من العرش ، وذكر في الأوليين : ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ وقال هنا : ﴿ متكئين على رفرف خضر ﴾ فالرفرف هو مستقر الولي على شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به ، أى طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح .

وروى لنا (من) حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدره المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى سند العرش ، فذكر أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضاً ورفعاً يهوى به حتى أدله إلى جبريل صلوات الله عليهما ، وجبريل يبكي ، ويرفع صوته بالتحميد ، والرفرف خدام من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقربة ، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء صلوات الله عليهم مخصوصة بذلك في أرضه . فهذا الرفرف الذى سخره الله لأجل الجنتين الدانيتين

هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولى على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان .

ثم قال : ﴿وعبقرى حسان﴾ والعبقرى : ثياب منقوشة تبسط ، فإذا قال ، خالق النقوش : إنها حسان ، فما ظنك بتلك العبقر ، (والعبقر) : قرية من ناحية اليمن فيما بلغنا ينسج فيها بسط منقوشة ، فذكر الله ما خلق فى تلك الجنتين من البسط المنقوشة الحسان والرفرف الخضر ، وإنما ذكر لهم من الجنان ما يعرفون أسماءها هنا ، فبان تفاوت هاتين الجنتين .

وقد روى عن بعض (المفسرين) : فإذا هو يشير إلى أن هاتين الجنتين من دونهما، أى أسفل منهما وأدون. فكيف يكون مع هذه الصفة أدون فحسبته لم يفهم الصفة (ذكر هذا كله فى) الأصل التاسع والثمانين من كتاب (نوادير الأصول) .

فصل : لما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ومن خاف مقام ربه جنتان﴾ ثم قال : ﴿ومن دونهما جنتان﴾ دل على أن الجنان أربع لا سبع على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

باب صفة الجنة ونعيمها وما أعط الله لأهلها فيما

١٤٢٧- مسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ذخرأ بله ما أطلعكم عليه ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ بله : بمعنى : غير . وقيل : اسم من

أسماء الأفعال بمعنى : د ع . [حديث صحيح]

١٤٢٩- الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قلت : يا رسول الله ، مم خلق الخلق ؟ قال : « من الماء » قلت : الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : « لبننة من فضة ولبننة من ذهب (وملاطها) المسك الأذفر ، وحبصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران . من دخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » . وذكر الحديث . وقال : ليس إسناده ذلك بالقوى ، وليس هو عندى بمتصل ، وقد روى هذا

الحديث بإسناد آخر عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ . [حديث حسن] ١٤٣٠- قال المؤلف رحمه الله : أخرجه أبو داود الطيالسى في (مسنده) قال: حدثنا إبراهيم بن معاوية ، عن سعيد الطائى ، قال : حدثنى أبو المدله ، مولى أم المؤمنين ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قلنا: يا رسول الله ، (إننا) إذا كنا عندك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقتناك وشممنا النساء والأولاد أعجبتنا الدنيا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لو أنكم تكونون إذا فارقتموني كما تكونون عندي ، لصافحتكم الملائكة بكفها ، ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو كنتم لا تذبون ، لجاء الله بقوم يذبون كى يستغفروا فيغفر لهم». قلنا : يا رسول الله ، أخبرنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر وحصاؤها الدر والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها يبقى لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » . [حديث حسن]

١٤٣١- مسلم عن أبي سعيد الخدرى: قال : قال رسول الله ﷺ لابن صياد: « ما تربة الجنة ؟ » قال : درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم ، قال: « صدقت » .
وعنه أن ابن صياد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص » . [حديث صحيح]

١٤٣٢- ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، عن العلاء بن (زياد)، عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : « حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ودرجها اللؤلؤ والياقوت ، قال : وكنا نحدث أن رضاختها اللؤلؤ ، وترابها الزعفران »
قلت : كل هذا مرفوع حسب ما تقدم فى هذا الباب ويأتى . [خبر صحيح]

باب ما جاء فى أنهار الجنة وجبالها وما جاء فى الدنيا منها

قال الله تعالى : ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ . وروى أنها تجرى فى غير أخطود . منضبطة بالقدرة .

١٤٣٣- ويروى عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « أنهار فى الجنة تخرج

من تحت تلال أو جبال مسك» ، ذكره العقيلي . [حديث حسن لغيره]
١٤٣٦- الترمذي عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة بحر الماء ، وبحر اللبن ، وبحر العسل ، وبحر الخمر ، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وحكيم ابن معاوية هو والد بهز بن حكيم . [حديث صحيح]

١٤٣٧- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة ، وقال كعب : نهر دجلة نهر (ماء الجنة) ، ونهر الفرات نهر لبنهم ، ونهر مصر نهر خمرهم ، ونهر سيحان نهر غسلهم ، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر . [حديث صحيح]

١٤٣٨- وذكر البخاري من طريق شريك عن أنس في حديث الإسراء ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان ، فقال : ما هذان يا جبريل؟ قال : النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى في السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد ، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر الذي نحبا لك ربك . [حديث صحيح]

باب من أين تفجر أنهار الجنة ؟

١٤٤١- البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، (جاهد) في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، قالوا: يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » خروجه ابن ماجه أيضاً وغيره .
وقال أبو حاتم البستي : معنى قوله : فإنه أوسط الجنة: يريد (أن الفردوس في وسط الجنات في العرض ، وهو أعلى الجنة، يريد) في الارتفاع، وقال قتادة : الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها .

وقد قيل : إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة، كما أن جهنم اسم لجميع النيران كلها لأن الله تعالى مدح في أول سورة «المؤمنون» أقواماً وصفهم، ثم قال :

﴿هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ ثم أعاد ذكرهم في سورة المعارج فقال: ﴿أولئك في جنات مكرمون﴾ فعلمنا أن الفردوس جنات لا

جنة واحدة ، قاله وهب بن منبه . [حديث صحيح]

باب ما جاء أن الخمر شراب أهل الجنة ومن شربه فك الدنيا لم يشربه فك الآخرة وفك لباس أهل الجنة وآيتهم

١٤٤٢- النسائي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة، ومن شرب في آية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة»، ثم قال رسول الله ﷺ: «لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآية أهل الجنة». [حديث حسن]

١٤٤٣- قلت: إن قال قائل: قد سوى النبي ﷺ بين الأشياء الثلاثة وأنه يحرمها في الآخرة، فهل يحرمها إذا دخل الجنة؟ قلنا: نعم! إذا لم يتب منها، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة»، خرجته مالك، عن نافع عن ابن عمر، عن النبي ﷺ. وكذلك لا بس الحرير، ومن أكل في آية الذهب والفضة، أو شرب فيها لاستعماله ما أحر الله له في الآخرة، وارتكاب ما حرم الله عليه في الدنيا. [حديث صحيح]

باب ما جاء فك أشجار الجنة

وفك ثمارها وما يشبه ثمر الجنة فك الدنيا

١٤٤٥- الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وقرؤوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾ وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وقرؤوا إن شئتم ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع

الغرور». قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . [حديث صحيح]

١٤٤٦- ابن المبارك ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو قال: مائة سنة، وهي شجرة الخلد». [حديث صحيح]
١٤٤٧- قال : وأخبرنا ابن أبي خالد عن زياد مولى بنى مخزوم ، سمع أبا هريرة يقول : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة . واقروا إن شئتم ﴿وظل محدود﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى بن عمران ، والفرقان على محمد ﷺ ، ولو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار في أصل تلك الشجرة وما يبلغها حتى يسقط هرمأ . إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا ويخرج من أصل تلك الشجرة . [خبر صحيح]

١٤٤٨- الترمذى عن أسماء بنت أبي بكر قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول - وذكر لها سدرة المنتهى - قال : « يسير الراكب في ظل الفن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب - شك يحيى - فيها فراش الذهب - كأن ثمرها القلال ». قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.

[الحديث حسن وإسناده ضعيف]

١٤٤٩- وذكر عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال : « لما رفعت لى سدرة المنتهى فى السماء السابعة : نبقتها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، قلت : يا جبريل ما هذه ؟ قال : أما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران : فالليل والفرات » . قلت : كله لفظ مسلم إلا قوله : « نبقتها مثل قلال هجر . أخرجه الدارقطنى فى سننه ، قال : حدثنا أبو بكر النيسابورى ، حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا عبد الرزاق فذكره . [حديث صحيح]

١٤٥٠- وخرج البخارى أيضاً من حديث قتادة : حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ، قال : قال رسول الله ﷺ : الحديث حديث الإسراء ، وفيه : «ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقتها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيلة . وفى أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان » وذكر الحديث .

وفى حديث ابن مسعود سدرة المنتهى : صبر الجنة ، قال أبو عبيدة : صبرها أعلاها . وكذلك صبر كل شيء أعلاه ، والجمع : أصبار .
قال النمر بن تولب يصف روضة :

غرست وباكرها الربيع نديمة وطفاء تملؤها إلى أصبارها
يعنى : إلى أعاليها وهى جماعة للصبر ، وقال الأحمر : الصبر : جانب الشيء ، لغتان: صبر وبصر ، كما قالوا: جذب وجذب ، وقال أبو عبيد- وقول أبى عبيدة أعجب- إلى أن يكون فى أعلاها من أن يكون فى جانبها . [حديث صحيح]

١٤٥١- ابن المبارك قال : حدثنا صفوان عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب النبى ﷺ يقولون : إنه لتنفعا الأعراب ومساائلهم قال : أقبل أعرابى يوماً ، فقال: يا رسول الله ، لقد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية ، وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها؟ قال رسول الله ﷺ: « وما هى »؟ قال : السدر فإن له شوكة مؤذياً فقال رسول الله ﷺ : « أو ليس يقول الله تعالى ﴿ فى سدر مخضود ﴾ نخضد (الله) شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها تنبت ثمراً ، تفتق الثمر منها على اثنين وسبعين لونا طعاماً ما فيه لون يشبه الآخر ويروى الثمر بالتاء باثنين فيها كلها » قاله أبو محمد عبد الحق . [إسناده مرسل وصح بنحوه]

١٤٥٣- وذكر مسلم من حديث ابن عباس فى صلاة الكسوف ، قالوا: يا رسول الله ، رأيناك تناولت فى مقامك شيئاً ، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال : « إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ، ولو أخذته لأكلتم منها ما بقيت الدنيا » ، تكعكعت . معناه: تأخرت ، يقال منه : كع يكع كعوعاً : تأخر ، والكع : الضعيف العاجز ، قال الشاعر : [حديث صحيح]

ولكننى أمضى على ذلك مقدماً إذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا
١٤٥٤- وذكر ابن المبارك : حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة قال : نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، (وثمره) كأمثال القلال ، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى ، وإن ماءها ليجرى فى غير أخدود ، والعنقود اثنا عشر ذراعاً ثم أتى على الشيخ ، فقلت: من حدثك بهذا؟ قال : مسروق .

[خبر صحيح]

١٤٥٥- وذكر ابن وهب من حديث شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة الباهلي قال : طوبى : شجرة في الجنة ليس منها دار إلا فيها غصن منها، ولا طير حسن إلا وهو فيها ، ولا ثمرة إلا وهى فيها .

باب فك كسوة الجنة وكسوة أهلها

قال الله تعالى : ﴿ولبسوا ثياباً خضراً من سندس واستبرق﴾ وقال

﴿ولباسهم فيها حرير﴾ .

١٤٥٩- وذكر ابن هناد السرى قال : حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال : أهدى لرسول الله ﷺ سرقة من حرير فجعلوا يتداولونها بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون منها ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : «والذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها» . [حديث صحيح]

١٤٦٠- قال هناد بن السرى : وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ أن عطارد بن حاجب أهدى لرسول الله ﷺ ثوباً من ديباج كساه إياه كسرى فاجتمع ، إليه الناس فجعلوا يلمسونه ويعجبون ؟ ويقولون : يا رسول الله ، أنزل عليك هذا من السماء فقال : «ما تعجبون ! فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير من هذا . يا غلام، اذهب بهذا إلى أبى جهم وجئنا بأنبجائته» . [حديث صحيح]

باب ما جاء أن شجر الجنة وثمارها تنفتق عن ثياب الجنة

وخيلها ونجبها

١٤٦٢- النسائى ، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل فقال : يا رسول الله ، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أخلقاً تخلق أو نسجاً تنسج ؟ فضحك بعض القوم فقال : « (لم) تضحكون ؟ إن جاهلاً يسأل عالماً ، فجلس يسيراً أو قليلاً » ، فقال رسول الله ﷺ : « أين السائل عن ثياب الجنة ؟ » فقالوا : ها هو ذا يا رسول الله ، قال : « لا . بل تنفتق عنها ثمر الجنة » قالها ثلاثاً . والله أعلم . [حديث حسن]

باب ما جاء في نخيل الجنة وثمرها وخيرها

١٤٦٤- ابن المبارك ، قال : أخبرنا سفيان عن حماد بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (« نخيل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال . والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيها عجم » . [خبر صحيح]

١٤٦٦- وذكر أبو الفرج بن الجوزي ، عن جرير بن عبد الله البجلي عن النبي ﷺ أنه أخذ عوداً بيده فقال : « يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده » قال : فقلت : فأين النخل والشجر ؟ قال : « أصولها اللؤلؤ والذهب ، وأعلىها الثمر » . [صحيح موقوف منكر مرفوع]

باب الزروع في الجنة

١٤٦٧- البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يوماً يحدث - وعنده رجل من أهل البادية - أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له : أو لست فيما شئت ؟ قال : بلى ! ولكني أحب أن أزرع ، فأسرع وبدر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال ، فيقول الله : دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابي يا رسول الله ، لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصاريأ ، فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله ﷺ . [حديث صحيح]

باب ما جاء في أبواب الجنة وكرمها ؟ ولهن هج ؟ وفي تسميتهما وسعتها

١٤٦٨- قال الله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ قال جماعة من أهل العلم : هذه واو الثمانية فلجنة ثمانية أبواب . واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » رواه عمر بن الخطاب ، أخرجه مسلم . [حديث صحيح]

١٤٦٩- وجاء في تعيين هذه الأبواب لبعض العلماء كما جاء في حديث الموطأ وصحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ

قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله نودى في الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ، فقال أبو بكر: يا رسول الله ، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب ؟ قال : نعم ! وأرجو أن تكون منهم » . [حديث صحيح]

١٤٧٠- قال القاضي عياض : ذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة وزاد غيره بقية الثمانية فذكر منها : باب التوبة ، وباب الكاظمين الغيظ ، وباب الراضين ، والباب الأيمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه .

قلت : فذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله أبواب الجنة فى «نوادير الأصول» فذكر باب محمد ﷺ وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة ، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر . فباب منها للصلاة ، وباب للصوم ، وباب للزكاة والصدقة ، وباب للحج ، وباب للجهاد ، وباب للصلة ، وباب للعمرة ، فزاد باب الحج ، وباب العمرة ، وباب الصلة ، فعلى هذا أبواب الجنة أحد عشر باباً .

١٤٧٣- قلت : فقوله: « باب أمتى » يدل على أنه لسائر أمته ، فمن لم يغلب عليه عمل يدعى به، وعلى هذا يكون ثالث عشر ، ولهذا يدخلون مزدحمين ، وقد تقدم أن أكثر أهل الجنة البله فالله أعلم .

ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من توفياً فأسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صادقاً من نفسه أو قلبه ، - شك أيهما قال - فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة ، يدخل من أيها شاء » .

خرجه الترمذى وغيره، قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب (التمهيد) هكذا قال: فتح له من أبواب الجنة ، وذكر أبو داود والنسائى وابن سنجر: فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ليس فيها ذكر من ، فعلى هذا أبواب الجنة ثمانية كما قالوا .

[حديث صحيح]

١٤٧٤- قلت : قد ذكرنا أنها أكثر من ثمانية وبالله توفيقنا ، وأما كون الواو في « وفتحت أبوابها » واو الثمانية ، وأن أبواب الجنة كذلك ثمانية أبواب ، فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك في قوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك

القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ ، فخلو المتكبر

وهو ثامن اسم من الواو يدل على بطلان ذلك القول وتضعيفه . وقد بيناه في سورة براءة ، والكهف من كتاب : (جامع أحكام القرآن) والحمد لله .

وقد خرج مسلم ، عن خالد بن عمير ، قال : خطبنا عتبة بن غزوان ، وكان أميراً على البصرة فحمد الله (تعالى) وأثنى عليه ، وذكر الحديث على ما تقدم ، وفيه : ولقد ذكر لنا أن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظليظ من الزحام ، الحديث . [حديث صحيح]

١٤٧٥- وخرج عن أنس في حديث الشفاعة ، « والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى »

[حديث صحيح]

١٤٧٦- وخرج عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف ، - لا يدرى أبو حازم أيهما قال متماسكون آخذ بعضهم بعضاً ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، ووجههم على صورة القمر ليلة البدر » فهذه الأحاديث مع صحتها تدل على أنها أكثر من الثمانية إذ هي غير ما تقدم ، فيحصل منها والحمد لله على هذا ستة عشر باباً . [حديث صحيح]

١٤٧٩- فصل : قوله : « من أنفق زوجين في سبيل الله » ، قال الحسن

البصرى : يعنى اثنين من كل شيء : دينارين ، درهمين ، ثوبين ، خفين ، وقيل : يريد شيتين ديناراً ودرهماً ، درهماً وثوباً ، خفاً ولجاماً ونحو هذا . وقال الباجى : ، ويحتمل أن يريد بذلك : العمل من صلاتين أو صيام يومين .

قلت : والأول من التفسير أولى ، لأنه مروى عن النبي المصطفى ﷺ وذكر الآجرى عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته حجة الجنة » ، ثم قال ﷺ : « بعيرين ، درهمين ، قوسين ، نعلين » وأما ما جاء من

سعة أبواب الجنة ، فيحتمل أن يكون بعضها سعته كذا، وبعضها سعته كذا كما ورد في الأخبار فلا تعارض والحمد لله . [حديث صحيح]

باب منه

١٤٨٠- روى البخارى ومسلم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

قلت : وهكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال .

وجاء فى حديث أبى هريرة : إن من الناس من يدعى من جميع الأبواب ، فقيل : ذلك الدعاء دعاء تنويه وإكرام وإعظام ثواب العاملين تلك الأعمال إذ قد جمعها ونيله ذلك ، ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل . (والله أعلم) .

[حديث صحيح]

١٤٨١- وفى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال : أبو بكر : أنا ، (قال:) فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال رسول الله ﷺ : ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة » . [حديث صحيح]

باب ما جاء فى درجة الجنة وما يحصلها للمؤمن

١٤٨٤- الترمذى رحمه الله ، عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الجنة مائة درجة ، كل درجة منها ما بين السماء والأرض وإن أعلاها الفردوس وأوسطها الفردوس وإن العرش على الفردوس ، منها تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس » قال الترمذى : عطاء هذا لم يدرك معاذ بن جبل .

قلت : قد خرج البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه كما تقدم ،

فهو صحيح متصل . [حديث صحيح]

١٤٨٧- ابن ماجه ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية

درجة حتى يقرأ آخر شيء معه . [حديث صحيح]

١٤٨٨- وخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ
« يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند
آخر آية تقرؤها » .

١٤٩٠- وقالت عائشة رضی الله عنها : « إن عدد آي القرآن على عدد درج
الجنة فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن » ذكره مكى رحمه الله .

[حسن موقف]

١٤٩١- فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : حملة القرآن وقراءه هم
العالمون بأحكامه وبحلاله وحرامه والعاملون بما فيه . قال مالك : قد يقرأ القرآن من
لاخير فيه ، وقد تقدم حديث العباس بن عبد المطلب في أبواب النار ، وحديث أبي
هريرة فيمن تعلم العلم وقرأ القرآن عجباً ورياء ، ما فيه كفاية لمن تدبر .

١٤٩٣- وفي البخارى : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ،
طعمها طيب وريحها طيب والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ،
طيب ولا يريح لها » ، وذكر الحديث . وقد أشبعنا القول فيه في (قارئ القرآن
وأحكامه) فى كتاب : (التذكار فى فضل الأذكار) وفى مقدمة : (جامع أحكام
القرآن) ما فيه كفاية والحمد لله . وقد تقدم : أن فى الجنة مائة درجة أعددها
الله (تعالى) للمجاهدين فى سبيله فالجهاد يحصل مائة درجة ، وقراءة القرآن تحصل
جميع الدرجات ، والله المستعان على ذلك والإخلاص فيه بمنه وفضله .

[حديث صحيح]

باب ما جاء فى موقف الجنة ولمن هـجـه ؟

قال الله تعالى : ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف
مبنية ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء
الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ وقال ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما
صبروا ﴾ .

١٤٩٤- وروى مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم ، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

[حديث صحيح]

١٤٩٨- وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إن أهل الغرف ليتراءون عليين كما تتراءون الكوكب الدرى فى أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء» ذكره الثعلبى . [حديث حسن]

١٤٩٩- الترمذى عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها» فقام إليه أعرابى فقال : لمن هى يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام وأدام الصيام ، وصلى لله بالليل والناس نيام » . [حديث حسن لغيره]

١٥٠٠- وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن واسع ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « ألا أخبركم بغرف الجنة ؟ غرفا من ألوان الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم والثواب والكرامات ما لا أذن سمعت ، ولا عين رأت ، فقلنا : بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ، لمن تلك ؟ فقال : لمن أفشى السلام، وأدام الصيام ، وأطعم الطعام ، وصلى والناس نيام ، فقلنا : بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ، ومن يطيق ذلك ؟ فقال : أمتى تطيق ذلك ، وسأخبركم من يطيق ذلك ، من لقى أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان، ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة فى جماعة فقد صلى والناس نيام : اليهود والنصارى والمجوس» . [حديث حسن وإسناده ضعيف]

١٥٠١- فصل : اعلم أن هذه الغرف مختلفة فى العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها فى الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع ، وقوله: الغائر من المشرق أو المغرب يروى بالياء اسم فاعل ، من غار ، وقد روى مسلم فى غير الغارب

بتقديم الرءاء، والمعنى واحد، وروى الغابر بالبء بواحدة، ومعناه الذهاب أو الباقى، فإن غبر من الأضداد، يقال غبر إذا ذهب، وغبر إذا بقى، ويعنى به أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الأبصار فيظهر صغيراً لبعده، وقد بينه بقوله: «من المشرق أو المغرب»، وقد روى «العازب» بالعين المهملة والزى، أى: البعيد، ومعانيها كلها متقاربة المعنى.

وقوله: «والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» ولم يذكر عملاً ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، وذلك ليعلم أنه غنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذى للامة، ولو كان كذلك، كان جميع الموحدين فى أعالى الغرفات وأرفع الدرجات، وهذا محال، وقد قال الله تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ والصبر: بذل النفس (و) الثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبودية، وهذه صفة المقربين. وقال (تعالى) فى آية أخرى ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون﴾ فذكر شأن الغرفة، وأنها لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب به، مطمئناً به، فى كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، فإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخلطه بضده وهو الفاسد، فلا يكون العمل الصالح الذى لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا. فلهذا كانت منزلته دون غيره.

الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب به، مطمئناً به، فى كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، فإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخلطه بضده وهو الفاسد، فلا يكون العمل الصالح الذى لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا. فلهذا كانت منزلته دون غيره.

١٥٠٢ - قلت: ذكره الترمذي الحكيم رحمة الله عليه، وهذا واضح بين ،
وقد قال تعالى: ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ﴾ وقال
(تعالى): ﴿ ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ﴾ فلما باين بين الأبرار
والمقربين في الشراب على ما يأتي بيانه، باين بينهم في المنازل والدرجات وأعلى
الغرفات ، حسب ما باين بينهم في الأعمال الصالحات بالاجتهاد في الطاعات . قال
الله تعالى : ﴿ كلاّ إن كتاب الأبرار لفي عليين ﴾ فيجتهد الإنسان أن يكون من
الأبرار المقربين ليكون في عليين، وأصحاب عليين جلساء الرحمن ، وهم أصحاب
المنابر من النور في المقعد الصدق، وقال تعالى: ﴿ فأما من أوتى كتابه يمينه ﴾ إلى
قوله ﴿ فهو في عيشة راضية في جنة عالية ﴾ وأصحاب اليمين في علو الجنان
أيضاً وجميعها عوالى، وجنات المقربين جميعها علالي وإحداهن علىة كقول الشاعر:
ألا يا عين ويحك أسعديني بغزر الدمع فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى بخير الدار فى تلك العلالى

باب ما جاء فى قصور الجنة وطورها وبيوتها وبما ينال

ذلك المؤمن

١٥٠٧ - الترمذي عن بريد بن الحصيب قال : أصبح رسول الله ﷺ فدعا
بلالاً، فقال: « يا بلال بما سبقتنى إلى الجنة ؟ فما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك
أمامى ، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا:
لرجل عربي ، فقلت : أنا عربي ، لمن هذا القصر؟ قالوا : لرجل من قريش . قلت: أنا
قرشى ، لمن هذا القصر ، قالوا : لرجل من أمة محمد، قلت : أنا محمد، لمن هذا
القصر ؟ قالوا: لعمر بن الخطاب » فقال بلال: يا رسول الله، ما أذنت قط إلا صليت
ركعتين وما أصابنى حدث إلا توضأت عنده، ورأيت أن لله تعالى على ركعتين ،
فقال رسول الله ﷺ : « بهما » قال : حديث حسن صحيح .

[حديث صحيح وإسناده حسن]

١٥٠٨ - وخرج الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد مختصراً من حديث
أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت : لمن

هذا ؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب . [حديث صحيح]

١٥١٠- وخرج أبو داود الطيالسي قال : حدثنا حماد بن زيد عن أبي سنان قال : دفنت ابني سناناً، وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر، فقال : حدثني الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قبض الله عز وجل ابن العبد، قال للملائكة : ماذا قال عبدي ؟ قالوا : حمدك واسترجع . قال : ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه : بيت الحمد » . [حديث حسن لغيره]

باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وفرش مرفوعة ﴾

١٥١٢- قلت : وقد قيل : إن الفرش كناية عن النساء اللواتي في الجنة، والمعنى نساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكمالهن ، والعرب تسمى المرأة فرائساً ولباساً وإزاراً ونعجة على الاستعارة ، لأن الفرش محل النساء وفي الحديث « الولد للفراس وللعاهر الحجر » وقال الله تعالى : ﴿ هن لباس لكم ﴾ الآية (و) قال : ﴿ إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ﴾ . [حديث صحيح]

باب ما جاء في خيام الجنة وأسواقها وتحارف أهل الجنة في الدنيا وعبادتهم فيها

١٥١٣- مسلم عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمن » في رواية . قال : الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخريين . [حديث صحيح]

١٥١٤- وخرج مسلم أيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم المسك فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » . (ويقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً) . [حديث صحيح]

باب أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء

١٥٢٣- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، نصف يوم » قال : هذا حديث حسن

صحيح . وفي طريق أخرى : « يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام » قال : حديث حسن صحيح . [حديث صحيح]

١٥٢٦- وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً » . [حديث صحيح]

١٥٢٧- فصل : قال المؤلف رحمه الله : اختلاف هذه الأحاديث يدل على أن الفقراء مختلفو الحال وكذلك الأغنياء ، وقد تقدم حديث أبي بكر بن أبي شيبة «أول ثلاثة يدخلون الجنة» ولا تعارض والحمد لله ، فإن الحديثين مختلفا (المعنى) ، وقد اختلف في أى الفقراء هم السابقون ، وفي مقدار المدة التى بها يسبقون، ويرتفع الخلاف عن الموضوع الأول بأن يرد مطلق حديث أبى هريرة إلى (مطلق) روايته الأخرى ، وكذلك حديث جابر يرد أيضاً إلى حديث عبد الله بن عمرو ، ويكون المعنى فقراء المسلمين المهاجرين إذ المدة (فيهما) أربعين خريفاً ، ويقتضى حديث أبى سعيد الخدرى فى المدة بخمسمائة عام فى فقراء المهاجرين ، وكذلك حديث أبى الدرداء فى فقراء المسلمين بنصف يوم خمسمائة سنة .

ووجه الجمع بينهما أن يقال إن سباق الفقراء من المهاجرين يسبقون سباق الأغنياء منهم بأربعين خريفاً ، وغير سباق الأغنياء بخمسمائة عام، وقد قيل : إن حديث أبى هريرة وأبى الدرداء وجابر يعم جميع فقراء قرون فيدخل الجنة سباق فقراء كل قرن قبل غير السباق من أغنيائهم بخمسمائة عام على حديث أبى هريرة وأبى الدرداء، وقيل:السباق بأربعين خريفاً على ما تقدم من حديث جابر،والله أعلم .

١٥٢٨- فصل : قلت : وقد احتج بأحاديث هذا الباب من فضل الفقير على الغنى ، وقد اختلف الناس فى هذا المعنى ، وطال فيه الكلام بينهم حتى صنّفوا فيه كتباً وأبواباً ، واحتج كل فريق لمذهبه فى ذلك والأمر قريب (إن شاء الله تعالى) .

وقد سئل أبو علي الدقاق : أى الوصفين أفضل : الغنى أو الفقر ، فقال : الغنى ، لأنه وصف الحق ، والفقر وصف الخلق ، ووصف الحق أفضل من وصف الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد ﴾ وبالجمل : فالفقير بالحقيقة العبد وإن كان له مال وإنما يكون غنياً إذا عول

على مولاه ولم ينظر إلى أحد سواه ، فإن تعلق باله بشيء من الدنيا ، ورأى نفسه أنه فقير إليه فهو عبده . قال رسول الله ﷺ : «تعس عبد الدينار» الحديث خرجته البخارى وغيره ، (وقد كتبناه فى كتاب «قمع الحرص بالزهد والقناعة» ورد ذل السؤال بالكسب والشفاعة ، وتكلمنا عليه وبيناه والحمد لله . وإنما شرف العبد افتقاره إلى مولاه وعزه وخضوعه له .
ولقد أحسن من قال :

وإذا تذلل الرقاب تواضعاً منا إليك فعزها في ذلها

[حديث صحيح]

١٥٢٩- (فالمعنى المتعلق بالمال الحريص عليه الراغب فيه هو الفقير حقيقة (وعاديه) الذى يقول: ما أبالى به ولا لى رغبة فيه ، وإنما هي ضرورة العيش ، فإذا وجدتھا فغيرها زيادة تشغل عن الإرادة فهو الغنى حقيقة . قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس» خرجته مسلم وأخذ عثمان بن سعدان الموصلى هذا المعنى فقال :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى فإنك لا تدري أتصبح أم تمسى

فليس الغنى عن كثرة المال ، إنما يكون الغنى والفقير من قبل النفس ، وقد

أشبعنا القول في هذا في كتاب : (قمع الحرص) . [حديث صحيح]

١٥٣٠- قلت : هنا درجة ثالثة رفيعة وهى الكفاف التي سألها رسول الله

ﷺ فقال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » وفى رواية «كفافاً» خرجته مسلم .

ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لا يسأل إلا أفضل الأحوال وأسنى المقامات

والأعمال ، وقد اتفق الجميع على أن ما أحوج من الفقر مكروه ، وما أبطر من الغنى

مذموم . [حديث صحيح]

باب منه

١٥٣٣- الترمذى ، عن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال : « يا أيها

الناس إنى قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال : أوصيكم بأصحابى ثم الذين

يلونهم ، ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد

الشاهد ، ولا يستشهد ، ولا يخلون رجل بامرأة لا تحل له إلا كان ثالثهما الشيطان

عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة، ومن سرته حسنته وساءته سيئته، فذلكم المؤمن».

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . [حديث صحيح]

باب منه

ما جاء في صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنهم وطولهم وشبابهم
وغرفهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم ، وفك
لسانهم ، وليس فك الجنة مزب .

١٥٣٤ - مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول زمرة يدخلون الجنة ، - وفي رواية : من أمتي - على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء أضاء ، وفي رواية : ثم هم بعد ذلك منازل . لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخضون ، أمشاطهم الذهب . وفي رواية : الفضة ، ورشحهم المسك ومجامرهم وأزواجهم الحور العين ، وفي رواية : لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقبها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيًا » .

قال أبو علي : الألو : هو العود . وفي رواية : أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم . وفي رواية : على صورة أبيهم ستون ذراعاً في السماء .

وقال أبو كريب : على خلق رجل واحد . وقال أبو هريرة حين تذاكروا : الرجال في الجنة أكثر أم النساء ؟ فقال : لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقبها من وراء اللحم ، وما في الجنة عزب . [حديث صحيح]

١٥٣٦ - عن البخاري عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال : « لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض (الدنيا) لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » . [حديث صحيح]

١٥٣٧ - الترمذي عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم » قال : حديث غريب [حديث صحيح وإسناده حسن من الشواهد]

١٥٣٨ - وخرج عنه أيضاً ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ بن جبل

(رضى الله عنه) أن النبي ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداء مرداء مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة » قال : حديث غريب ، وروى عن قتادة مرسلًا .

[حديث حسن لغيره]

١٥٤٠- الترمذى ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي ﷺ قال : « لو أن ما يقله ظفر مما في الجنة بدا إلى الدنيا لتزخرف له ما بين خوافق السماوات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره ، لطمس ضوء الشمس كما تطمس

الشمس ضوء النجوم » قال : حديث حسن غريب . [حديث صحيح]

١٥٤٢- فصل : فى حديث أبي هريرة : « لكل واحد منهم زوجتان » وقد

تقدم من حديث عمران بن حصين : « أن أقل ساكنى الجنة النساء . »

قال : علماؤنا : لم يختلفوا فى جنس النساء، وإنما اختلفوا فى نوع من الجنس وهو نساء الدنيا ورجالها أيهما أكثر فى الجنة، فإن كانوا اختلفوا فى المعنى الأول وهو جنس النساء مطلقاً ، فحديث أبي هريرة حجة ، وإن كانوا اختلفوا فى نوع من الجنس وهم أهل الدنيا، فالنساء فى الجنة أقل .

قلت : يحتتمل أن يكون هذا فى وقت كون النساء فى النار ، وأما بعد خروجهن فى الشفاعة ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد من قال : لا إله إلا الله ، فالنساء فى الجنة أكثر ، (والله أعلم) ، وحينئذ يكون لكل واحد منهم زوجتان من نساء الدنيا ، وأما الحور العين فقد تكون لكل واحد منهم الكثير منهن .

[حديث صحيح]

١٥٤٤- وقوله : « وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة » . قد يقال

هنا : أى حاجة فى الجنة للامتشاط ولا تنلبد شعورهم ولا تنسخ ؟ وأى حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك؟ ويجاب عن ذلك : بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن رفع ألم اعتراهم فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم عن نتن، وإنما هى لذات متوالية ونعم متتابعة، ألا ترى قوله تعالى لآدم : ﴿ إن

لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تنظماً فيها ولا تضحى ﴾ وحكمة ذلك أن الله تعالى نعمهم فى الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به فى الدنيا ، وزادهم على ذلك ما لا

يعلمه إلا الله عز وجل .

١٥٤٥- قلت : وقله جاء مثل هذا في أهل النار حيث قال : ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي
أَعْنَاقِهِمُ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ وقال : ﴿إِنْ
لَدِينَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمٌ﴾ فعذبهم في النار بنوع ما كانوا يعذبون به في الدنيا ، قال
الشعبي : أترون أن الله جعل الأنكال في الرجل خشية أن يهربوا؟ لا والله ، ولكنهم
إذا أرادوا أن يرتفعوا استثقلت بهم .

١٥٤٦- ابن المبارك قال : أخبرنا سعيد بن أبي أيوب قال : حدثني عقيل عن
ابن شهاب قال : لسان أهل الجنة عربي ، وإذا خرجوا من قبورهم سرياني وقد
تقدم ، وقال سفيان : بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة
بالسريانية ، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية . [إسناده صحيح والخبر مقطوع]

باب منه فتح الحور العين وكلامهن وجواب نساء

الآدميات وحسنهن

ذكر أن الآدميات في الجنة على سن واحد ، وأما الحور العين فأصناف مصنفة
صغار وكبار على ما اشتهدت أنفس أهل الجنة .

١٥٤٩- وقال أبو هريرة : إن في الجنة حوراء يقال لها (العيناء) إذا مشت
مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك وهي تقول : أين
الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟ .

١٥٥٠- وقال ابن عباس : إن في الجنة حوراء يقال لها (لعبة) لو بزقت في
البحر لعذب ماء البحر كله . مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي ،
فليعمل بطاعة ربي عز وجل .

١٥٥٢- وذكر الختلي أبو القاسم قال : حدثنا إبراهيم بن أبي بكر ، حدثنا
أبو إسحاق ، حدثني محمد بن صالح (الضبي) قال : قال عطاء السلمى لمالك بن
دينار : يا أبا يحيى شوقنا . قال يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى بها أهل الجنة من
حسنها ، لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا عن آخرهم من حسننها ،
قال : فلم يزل عطاء كمدأ من قول مالك أربعين يوماً .

١٥٥٣- ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأودي ، عن ابن مسعود قال : « إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم ، ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء » [خبر صحيح موقوف]

بَاب مَا جَاءَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ مَهْوَرُ الْحُورِ الْعَيْنِ
قال الله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ إلى قوله : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ .

١٥٥٧- وخرج أبو عيسى الترمذى من حديث المقدم بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال » ، الحديث وفيه « ويزوج بائنتين وسبعين زوجة من الحور العين » ، وقد تقدم فى باب ما ينجى من أهوال القبر وفتنته . [حديث صحيح]

١٥٦١- وقال أبو هريرة : « يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرمة والكسوة » .

١٥٦٢- وقال محمد بن النعمان المقرئ : كنت قاعداً عند الجلا المقرئ بمكة فى المسجد الحرام إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار خلقة ، فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا ، فقال : هل تعرفون من هذا الشيخ ؟ فقلنا : لا ، فقال : ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة ، فلما أكملها رآها فى المنام فى حليها وحللها ، فقال : لمن أنت ؟ فقالت : أنا الحور التى ابتعتنى من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة ، هذا الثمن ، فما نحتلى أنا منك ؟ قال : ألف ختمة ، قال الجلا : فهو يعمل فيها بعد .

١٥٦٣- وروى عن سحنون أنه قال : كان بمصر رجل يقال له : سعيد ، وكانت له أم من المتعبدات ، وكانت إذا قام من الليل يصلى تقوم والدته خلفه ، فإذا غلب عليه النوم ونعس ، تناديه والدته : يا سعيد ، إنه لا ينام من يخاف النار ، ويخطب الحور الحسان ، فيقوم مرعوباً .

١٥٦٤- ويروى عن ثابت أنه قال : كان أبى من القوامين لله فى سواد الليل ،

قال : رأيت ذات ليلة في منامى امرأة لا تشبه النساء، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت :
حوراء ، أمة الله ، فقلت لها : زوجيني نفسك ، فقالت : اخطبني من عند ربي
وأمهري ، فقلت : وما مهرك ؟ فقالت : طول التهجد، وأنشدوا :

يا (طالب الحوراء) في خدرها	وطالبها ذاك علي قدرها
انهض بجهد لا تكن وانيا	وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم	وخالف الوحدة في ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه	وصم نهراً فهو من مهرها
فلو رأيت عيناك لإقبالها	قد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشى بين أترابها	وعقدتها (يشرق) في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي	تراه في دنياك من زهرها

١٥٦٥- وقال مضر القارئ : غلبني النوم ليلة فمنت عن حزبي ، فرأيت في
منامى فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت : أتقرأ أيها
الشيخ ؟ قلت : نعم ، فقالت : اقرأ هذا الكتاب، ففتحته فإذا فيه مكتوب ، فوالله ما
ذكرته قط إلا ذهب عني النوم .

ألهمتك اللذائذ والأمانى	عن الفردوس والظلل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيش	مع الخيرات فى غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً	من النوم التهجد بالقران

١٥٦٦- وقال مالك بن دينار : كان لي (أجزاء) أقرؤها كل ليلة ، فمنت
ذات ليلة فإذا أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال ويدها رقعة ، فقالت : أتحسن
أن تقرأ ؟ فقلت : نعم فدفعت إلي الرقعة ، فإذا فيها هذه الأبيات :

لهالك النوم عن طلب الأمانى	وعن تلك الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها	وتلهو فى الخيام مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً	من النوم التهجد بالقران

١٥٦٧- وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدى ، وكان قد بكى شوقاً إلى الله ستين عاماً قال : رأيت كأن ضفة نهر يجرى بالمسك الأذفر حافته شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب ، فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل لسان . سبحان الموجود بكل مكان . سبحان الدائم فى كل زمان ، سبحانه سبحانه ، قال : فقلت : من أنتن؟ قلن : خلق من خلق الله سبحانه ، قلت : وما تصنعن ها هنا ؟ فقلن :

يناجون رب العالمين لحقهم وتسرى هموم القوم والناس نوم
ذراناً إله الناس رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قوم
فقلت : بخ ، بخ ، لهو من هؤلاء ، قد أقر الله أعينهم ، فقلن : أما تعرفهم ؟
فقلت : والله ما أعرفهم ، قلن : هؤلاء المتهددون بالليل أصحاب السهر .

باب إذا ابتكر الرجل امرأة فك الدنيا كانت زوجته فك الآخرة

١٥٧٣- وخطب معاوية بن أبى سفيان أم الدرداء فأبت وقالت: سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المرأة لآخر أزواجها فى الجنة ، وقال لى: إن أردت أن تكونى زوجتى فى الجنة، فلا تتزوجى من بعدى » .

[حديث صحيح]

باب ما جاء أن فى الجنة أكلاً وشراباً ونكاحاً حقيقة ولا قدر فيما ولا نقص ولا نوم

١٥٧٥- مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام ؟ قال : جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد » ، وفى رواية : « والتكبير كما يلهمون النفس » . [حديث صحيح]
١٥٧٦- الترمذى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى الجماع ، قيل : يا رسول الله ، أو يطيق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة » . وفى الباب عن زيد بن أرقم ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

[حديث صحيح]

١٥٧٧- وذكر الدارمى فى مسنده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة ، فقال رجل من اليهود : إن الذى يأكل ويشرب يكون منه الحاجة ، قال : ثم يفيض من جلده عرق ، فإذا بطنه قد ضمّر » . [حديث صحيح]

باب المؤمن إذا اشتهد الولد فى الجنة كان حمله ووضع وسنه فى ساعة واحدة

١٥٨٥- الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ: « المؤمن إذا اشتهد الولد فى الجنة، كان حمله ووضع وسنه فى ساعة كما يشتهى » ، قال: حديث حسن غريب، أخرجه ابن ماجه وقال : فى ساعة واحدة فى الجنة .
قال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم فى هذا ، فقال بعضهم : فى الجنة جماع ولا يكون ولد . وهكذا يروى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعى ، وقال محمد : قال إسحاق بن إبراهيم ، فى حديث النبى ﷺ : « إذا اشتهد المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ، ولكن لا يشتهى هذا أبداً » .

[حديث صحيح لغيره]

باب ما جاء أن كل ما فى الجنة دائر لا يبلى ولا يفنى ولا يبب

١٥٨٧- مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، وذلك قوله عز وجل ﴿ ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ » .

[حديث صحيح]

١٥٨٨- وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا (تبلى) ثيابه ولا يفنى شبابه » ، وقد تقدم قول الحور العين : نحن الخالدات فلا نبید . [حديث صحيح]

باب ما جاء أن المرأة من أهل الجنة تترك زوجها من أهل الدنيا فحج الدنيا

١٥٩٠- أخرجه الترمذى بمعناه عن معاذ بن جبل (رضى الله عنه) قال: « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه فأتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا » ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب خرج ابن ماجه أيضاً . [حديث حسن]

باب ما جاء في طير الجنة وخيلها وأبلها

١٥٩١- الترمذى ، عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ ، قال : « ذلك نهر أعطانيه الله ، يعنى : فى الجنة ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » ، فقال عمر : إن هذه لناعمة ، (قال) : قال رسول الله ﷺ : « أكلتها أنعم منها » قال : هذا حديث حسن .

[حديث صحيح]

١٥٩٤- وخرج مسلم عن أبى مسعود الأنصارى ، قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : « هذه فى سبيل الله (تعالى) ، فقال رسول الله ﷺ : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » . [حديث صحيح]

باب ما جاء أن الحناء سبيط ريحان الجنة

وأن الجنة حفت بالريحان

١٥٩٩- ابن المبارك : (أخبرنا) همام ، عن قتادة ، عن أبى أيوب ، عن عبد الله بن عمرو قال : « الحناء سيد ريحان الجنة ، وأن فيها من عناق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها » . [إسناده صحيح]

باب ما جاء أن الشاة والمهزك من دواب الجنة

١٦٠٣- ابن ماجه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الشاة من دواب الجنة » . [حديث حسن]

١٦٠٤- وفى كتاب البزار ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « أحسنوا إلى المعزى وأميطوا عنها الأذى ، فإنها من دواب الجنة » . [حديث حسن]

١٦٠٥- وفى التنزيل : ﴿ وفدينا بذبيح عظيم ﴾ وإنما سمي عظيماً لأنه

رعى فى الجنة أربعين عاماً ، (و) روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه .

[خبر صحيح]

باب ما جاء أن للجنة ربضاً وريحاً وكلاماً

١٦٠٦- البيهقى عن أنس عن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله الجنة عدن وخرس أشجارها بيده قال لها : تكلمى ، فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . خرجه

الزار من حديث أبى سعيد الخدرى . [حديث حسن]

١٦٠٧- عن النبى ﷺ قال : « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وقال لها : تكلمى ، فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فقال :

طوبى لك (من) منزل الملوك » وهذا يروى موقوفاً عن أبى سعيد الخدرى قال : « لما خلق الله (تعالى) الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وخرسها . قال لها : تكلمى ، فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فدخلتها الملائكة . فقالت : طوبى لك منزل الملوك » .

١٦٠٨- وروى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الجنة ، قال لها : تزينى فزينت ، ثم قال لها : تكلمى فتكلمت ، ثم قالت : طوبى لمن رضيت عنه » . [حديث حسن]

١٦٠٩- النسائى عن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا زعيم - والزعيم : الحميل - لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت له فى ربض الجنة ، وبيت فى وسط الجنة ، وبيت فى أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً ، يموت حيث شاء أن يموت » .

[حديث صحيح]

١٦١٠- وقال عمر بن عبد العزيز (والزهري) والكلبي ومجاهد : مؤمنوا الجن فى ربض ورحاب حول الجنة وليسوا فيها .

١٦١١- وروى مالك عن مسلم بن أبى مريم عن أبى صالح ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه قال : « نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدنجن الجنة ولا يجدن ريحها ، وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة » هذا موقوف ، قال

أبو عمر بن عبد البر : وقد رواه عبد الله بن نافع الصائغ عن مالك بهذا الإسناد عن النبي ﷺ . [حديث صحيح]

١٦١٣- وخرج البخارى عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

[حديث صحيح]

باب ما جاء فك أن الجنة قيعان وأن غراسها

سبحان الله والحمد لله

١٦١٤- الترمذى ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم عليه (الصلاة و)السلام ليلة أسرى بى فقال : يا محمد أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » .

قال : وفى الباب ، عن أبى أيوب . وهذا حديث حسن غريب .

[حديث حسن]

١٦١٥- ابن ماجه ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً فقال : « يا أبا هريرة ، ما الذى تغرس ؟ قال : غرساً ، قال : ألا أدلك على غراس خير من هذا ؟ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة » . [حديث حسن]

١٦١٦- الترمذى ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : « من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . [حديث صحيح]

باب ما لأذنك أهل الجنة [منزلة] وما لأعلاهم

١٦٢٠- مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال : «سأل موسى عليه(الصلاة و)السلام ربه ، فقال : يا رب ، ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يأتى بعدما يدخل أهل الجنة الجنة فيقول : أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت رب، فيقول : لك ذلك ومثله معه ، ومثله ، ومثله ، ومثله) فقال فى

الخامسة: رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتتهت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رضيت (رب) ، قال : يا رب ، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصدقه من كتاب الله (تعالى) ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ وقد روى موقوفاً عن المغيرة قوله .

[حديث صحيح]

١٦٢١- البخارى ، عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر (أهل النار) خروجاً من النار ، رجل يخرج حبواً ، فيقول له ربه : ادخل الجنة فيقول : رب ، الجنة ملأى ، فيقول له ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يعيد عليه . الجنة ملأى ، فيقول : إن لك مثل الدنيا عشر مرات » وقد تقدم هذا . [حديث صحيح]

باب رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

١٦٢٦- البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا ربنا، أى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى، فلا أسخط عليكم بعده أبداً » أخرج مسلم ، بمعناه فى حديث فيه طول . [حديث صحيح]

باب رؤية أهل الجنة لله تعالى

أحب إليهم مما هم فيه وأقر لأعينهم

١٦٢٧- مسلم عن صهيب ، عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله تبارك وتعالى لهم : أتريدون شيئاً أزيدكم ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال : فيكشف لهم الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، وفى رواية : ثم تلا هذه الآية : ﴿ للذين أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، وفى رواية : ثم تلا هذه الآية : ﴿ للذين

أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ . [حديث صحيح]

١٦٢٨- وخرج النسائي عن صهيب قال : قيل لرسول الله هذه الآية:

﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار

النار ، (نادى) مناد : يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فقالوا: ألم (يبيض) وجوهنا (ويثقل) موازيننا (ويجرنا) من النار؟ قال : فيكشف الحجاب فينظروا إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ، ولا أقر لأعينهم » . [حديث صحيح]

١٦٢٩- وخرجه أبو داود الطيالسي أيضاً . قال : حدثنا حماد بن سلمة عن

ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:

﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد :

يا أهل الجنة إن لكم عند الله تعالى موعداً فيقولون : ما هو؟ أليس قد بيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة ؟ فيقال لهم ثلاثاً، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه، فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا » . [حديث صحيح]

١٦٣٠- أخبرنا الشيخ الراوية : أبو محمد عبد الوهاب قرأ عليه بشعر

الإسكندرية حماه الله، قرئ على الحافظ السلفي وأنا أسمع قال : أخبرنا الحاجب أبو

الحسن بن العلاف ، حدثنا أبو القاسم بن بشران ، حدثنا أبو بكر الآجري ، حدثنا أبو

بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، حدثنا عبد الوهاب بن عبد الحكم

الوراق النيسابوري ، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة بن ثابت البناني ،

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل

الجنة إذا دخلوا الجنة ، نودوا أن يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً لم تروه ، قالوا :

وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف

الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه ، ثم تلا

رسول الله ﷺ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ . [حديث صحيح]

١٦٣٣- فصل : ما رواه النسائي مرفوعاً ، وكذلك أبو داود الطيالسي،

وإسناده عن الآجري ، وذكره ابن المبارك موقوفاً يبين حديث مسلم ، وأن المعنى

بقوله : قال الله تعالى : قال ملك الله : تريدون شيئاً أزيدكم أن يزيدكم . وقوله :

فيكشف الحجاب : معناه أنه يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والكمال والرفعة والجمال ، لا إله إلا هو سبحانه عما يقول الزائفون والمبطلون ، فذكر الحجاب إنما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والبارى جل اسمه وتقدست أسماؤه (منزه) عما يحجبه ، إذ الحجب إنما (تحيط) بمقدر محسوس وذلك من نعوتنا ، ولكن حجبه عن أبصار خلقه وبصائرهم ، وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء .

باب منه فك الروئية

١٦٣٥- مسلم . عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم ، وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل ، إلا رداء الكبرياء على (وجهه) في جنة عدن » . [حديث صحيح]

١٦٣٦- وعن جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها . فافعلوا ، ثم قرأ : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ » أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

[حديث صحيح]

١٦٣٨- فصل : قوله : إلا رداء الكبرياء على وجهه . الرداء هنا مستعار كني به عن كبريائه وعظمته ، يبينه الحديث الآخر : «الكبرياء ردائي ، والعظمة إزارى» يريد بذلك صفتي فقوله : رداء الكبرياء يريد : صفة الكبرياء فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه بعد رؤية القيامة حتى يأذن لهم بدخول جنة عدن ، والله أعلم ، فإذا دخلوها أراد أن يروه فيروه وهم في جنة عدن (والله أعلم) قال معناه : البيهقي وغيره . ليست العظمة والكبرياء من جنس الثياب المحسوسة ، إنما هي توسعات ، ووجه المناسبة أن الرداء والإزار ، لما كانا ملازمين للإنسان مخصوصين به ، ولا يشاركه فيهما غيره ، عبر عن عظمته وكبريائه بهما ، لأنهما مما لا يجوز مشاركة الله تعالى فيهما ، ألا ترى آخر الحديث فمن نازعني واحداً منهما قصمته ثم قذفته في النار .

[حديث صحيح]

باب منه

وفى سلام الله تعالى عليهم

١٦٤٠- (فصل) قوله: قد أشرف عليهم أى : اطلع ، كما يقال : فلان مشرف عليك، أى مطلع عليك من مكان عال ، والله تعالى لا يوصف بالمكان من جهة الحلول والتمكن ، وإنما يوصف من جهة العلو والرفعة، فعبر عن اطلاعه عليهم ونظره إليهم بالإشراف ، ولما كان سبحانه قائلاً متكلماً وكان الكلام له صفة فى ذاته، لم يزل ولا يزال فهو يسلم عليهم سلاماً هو قول منه ، كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ وقوله: «فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة» أى : لهوا عنه بلذة النظر إلى وجهه الكريم . وذلك أن ما دون الله تعالى لا يقاوم تجليه ، ولولا أن الله تعالى يثبتهم ويقيهم حل بهم ما حل بالجل حين تجلى به ، وقوله «حتى يحتجب عنهم» يجوز أن يكون معناه : حتى يردهم إلى نعيم الجنة الذى نسوه وإلى حظوظ أنفسهم وشهواتها التى سهوا عنها فانتفعوا بنعيم الجنة الذى وعده لهم ، وتنعموا بشهوات النفوس التى أعدت لهم ، وليس ذلك إن شاء الله تعالى على معنى الاحتجاب عنهم الذى هو بمعنى الغيبة والاستتار ، فيكونوا له ناسين وعن شهوده محجوبين ، وإلى نعيم الجنة ساكنين ، ولكنه يردهم إلى ما نسوه ولا تحجبهم عما شاهده حجة غيبة واستتار ، يدل على ذلك قوله : بقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وكيف يحجبهم عنه وهو ينعت المزيد عليهم وما وعدهم به من النعيم والنظر إذا صح ، والحجة إذا ارتفعت لم يكن بين نظر البصر وشهود السر فرق ، ولا بين حال الشهود والغيبة فرق، فيكون محجوباً فى حال الغيبة، بل تتفق الأوقات وتتساوى الأحوال فيكون فى كل حال شاهداً ، وبكل جارحة ناظراً ، ولا يكون فى حال محجوباً ، ولا بالغيب موصوفاً .

حكاية

١٦٤١- حكى عن قيس المجنون أنه قيل له : ندعو لك ليلى ؟ فقال : وهل غابت عنى فتدعى ؟ فقيل له : أتحب ليلى ؟ فقال : المحبة ذريعة الوصلة (وقد وقعت الوصلة) ، فأنا ليلى وليلى أنا . والله أعلم .

باب منه

وبيان قوله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾

وقال يحيى بن سلام : كمسارعتهم إلى الجمعة في الدنيا وزاد فيحدث لهم شيئاً من الكرامة لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، قال يحيى : وسمعت غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله تعالى ﴿ولدينا مزيد﴾

١٦٤٥- وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال : الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل ، وليس شيء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد ، لأنهم يرون فيه الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه .

فصل

١٦٤٦- قلت : قوله « في كتيب » . يريد أهل الجنة أى: هم على كتيب كما فى مرسل الحسن أول الباب ، وقيل : المزيد ما يزوجون به من الحور العين ، رواه أبو سعيد الخدرى مرفوعاً . وذكر أبو نعيم عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ما تريدون أن أمطركم ، فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا ، قال خالد : يقول كثير: لعن أشهدنى الله ذلك لأقولن لها: أمطرينا جوارى مزيّنات ، وقد تقدم من حديث ابن عمر « أكرمهم على الله من ينظر إلى الله غدوة وعشية » ، وهذا يدل على أن أهل الجنة في الرؤية مختلفو الحال .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

١٦٤٧- وقد روى عن أبي يزيد البسطامى أنه قال : إن لله تعالى عبداً لو حجبه في الجنة ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها ، كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها .

باب

نبذ من أقوال العلماء فك تفسير كلمات وآيات من القرآن وردت فك ذكر الجنة وأهلها

١٦٤٨- من ذلك قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ قال ابن

عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها، فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجرى عليهم نضرة النعيم.

١٦٤٩- وقال على رضى الله عنه في قوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شرابا

طهورا﴾ قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداها، فتجرى عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير ألسنتهم ولا (تثعبث) أشعارهم أبداً، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فتقول لهم: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾.

١٦٥٢- وقوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ قال ابن عباس:

(الجنان) سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم.

وقيل: إن الجنان أربع لأن الله تعالى قال: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾

. وقال بعد ذلك ﴿ومن دونهما جنتان﴾ ولم يذكر سوى هذه الأربع جنة خامسة،

فإن قيل فقد قال: عتبه الجنة المأوى، قيل: جنة المأوى اسم لجميع الجنان يدل عليه أنه تعالى قال: ﴿فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون﴾ والجنة اسم الجنس،

فمرة يقال جنة، ومرة يقال جنات، وكذلك جنة عدن، وجنات عدن، لأن العدن: الإقامة وكلها دار الإقامة، كما أن كلها مأوى المؤمنين، وكذلك دار الخلد ودار السلام، لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وكذلك جنات النعيم وجنة النعيم، لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم، ذكره الحلبي في كتاب:

(منهاج الدين) له وقال: (والمعنى) أن يجعل كل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى، لأن الله تعالى إن كان سمي شيئاً من هذه الأسماء جنة في موضع، فقد سمي الجنات كلها (بذكر) الاسم في موضع آخر. فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتميز جنة من جنة، ولكنها للجنان أجمع. لاسيما وقد أتى الله (تعالى) بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعاً، وقد أثبت لهذه الجنان أبواباً فقال: ﴿وفتحت أبوابها﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿إن أبواب الجنة ثمانية﴾ فيحتمل أن يكون ذلك، لأن لكل جنة من الجنان الأربع باين، ووصف أهل الجنة فصنفهم صنفين: أحدهما: السابقون المقربون، والآخرون: أصحاب اليمين، فعلمنا أن السابقين أهل الجنتين العليتين في قوله ﴿وطن خاف مقام ربه جنتان﴾ وأهل اليمين أهل الجنتين الدنيتين ﴿ومن دونهما جنتان﴾ وبهذا جاءت الروايات.

١٦٥٣- وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وطن خاف مقام ربه جنتان﴾ إلى قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ قال: فتلك للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين، وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك.
قوله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً﴾ قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وقال هنا: ﴿من ذهب ولؤلؤاً﴾ وقال في آية أخرى: ﴿وحلوا أساور من فضة﴾.

١٦٥٤- وفي الصحيح: «تبلغ حلية المؤمن حيث تبلغ الوضوء»، وقرئ ﴿لؤلؤاً﴾ بالنصب على معنى ويحلون لؤلؤاً، وأساور: جمع أسورة، وأسورة واحدها سوار فيها ثلاث لغات: ضم السين وكسرها وأسوار، قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأسوار والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك قوله تعالى: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾. [حديث صحيح]

١٦٥٩- وقوله تعالى ﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق﴾
وقال ﴿عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ الإستبرق: الديداج الصفيق
الكثيف ، والسندس : الرقيق الخفيف، وخص الأخضر لأنه الموافق للبصر ، لأن
البياض يبدد النظر ويؤلم ، والسواد يورم والخضرة لون بين السواد والبياض وتلك
تجمع الشعاع .

قوله تعالى : ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الأرائك : جمع أريكة وهى
السمر في الحجل ، وقال ﴿متكئين على سرر مصنوفة﴾ .

١٦٦٤- وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿إن أصحاب الجنة اليوم فى
شغل فاكهون﴾ يعنى فى الآخرة فى شغل فاكهون . قال : يعنى اقتضاض العذارى
فاكهون ، قال الحسن : مسرورون ﴿هم وأزواجهم فى ظلال الأرائك
متكئون﴾ قوله تعالى : ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ فيه قولان : أحدهما : حين
يشتهونه ، قاله مقاتل . الثانى : بمقدار الغداة والعشى قاله ابن السائب . قال الله تعالى :
﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ قال العلماء : ليس فى الجنة ليل ولا نهار وإنما
هم فى نور أبدا ، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ،
ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب ، ذكره أبو الفرج بن الجوزى .
١٦٦٦- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا شريك عن أبى إسحاق عن
البراء : ﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذيلاً﴾ قال : أهل الجنة يأكلون
الثمار من الشجر كيف شاءوا جلوساً ومضطجعين وكيف شاءوا . واحد القطوف :
قطف بكسر القاف . [خير صحيح]

١٦٦٧- وذكر ابن وهب قال : أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن
رسول الله ﷺ قال : « إن خلق أهل الجنة إذا دخلوا الجنة ستون ذراعاً كالنخلة
السحوق يأكلون من ثمار الجنة قياماً » .

وقال المفسرون : يطوف على أذانهم منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحيفة من ذهب يغدى عليه بها، في كل واحدة منها لون ليس في صاحبته، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً ويراح عليه بمثلها ، ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمئة ألف غلام مع كل غلام صحيفة من ذهب فيها ألوان الطعام ليس في صاحبته يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً ، وأكواب ، أى : ويطاف عليهم بأكواب كما قال تعالى ﴿ ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكواب ﴾ قال قتادة : الكوب : المدور القصير العنق القصير العروة ، والإبريق :

المستطيل الطويل العنق الطويل العروة . [إسناده مرسل وصح بنحوه مختصراً] ٢٦٧٠- وقال ابن عزيزة : أكواب : أباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها : كوب ، قاله الأحنف وقطرب ، وقال الجوهري في الصحاح : الكوب : كوز لا عروة له ، ونحوه قول مجاهد والسدي ، وهو مذهب أهل اللغة : التي لا آذان لها ولا عرى ﴿ كانت قواريرا * قواريرا من فضة ﴾ أى : اجتمع فيها صفاء القوارير في بياض الفضة وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير ، قال : وإن تراب الجنة فضة فهى قوارير من فضة ، قاله ابن عباس ، وقال : هى فى صفاء الفضة ، وفي ذلك دليل على أن أرض الجنة من فضة ، إذ المعهود (فى) الدنيا اتخاذ الآنية من الأرض يرى باطنها من ظاهرها ، وظاهرها من باطنها كالقوارير يرى الشراب من جدر القوارير ، وهذا لا يكون فى فضة الدنيا ﴿ قدروها تقديراً ﴾ أى فى أنفسهم فأتتهم على نحو ما قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط ، هذا تفسير قتادة .

١٦٧١- وقال ابن عباس ومجاهد : أتوا بها على قدر رتبهم بغير زيادة ولا نقصان ، والمعنى قدرتها الملائكة التى تطوف عليهم ويسقون فيها كأساً : أى من كأس ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس ﴾ يعنى : الخمر ، قال : ﴿ ويطاف عليهم بكأس من معين ﴾ أى من خمر ، والمعين : الماء الجارى الظاهر ، لافيهما غول ، أى : لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها صداع ﴿ ولا

هم عنها ينزفون ﴿ أي لا تذهب عقولهم بشربها. يقال : الخمر غول للحليم ،
والحرب غول للنفوس . أي : تذهب بها . وقرأ حمزة ، والكسائي : ينزفون بكسر
الزاي من أنزف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر ، كما يقال : أحصد الزرع
إذا حان حصاده، وأقطف (الكرم) إذا حان قطافه ، وأركب المهر إذا حان ركوبه ،
وقيل : المعنى لا ينفدون شرابهم لأنه دأبهم ، والكأس عند أهل اللغة اسم شامل لكل
إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس ﴿ كان مزاجها كافوراً ﴾ قال الكلبي :
كافورا عينا في الجنة يشرب بها أي منها وقيل : الباء زائدة، والمعنى : يشربها ومنه
تثبت بالدهن أي تثبت الدهن وقال : ﴿ كان مزاجها زنجبيلاً ﴾ وكانت العرب
تستطيب الزنجبيل وتضرب به المثل وبالخمر مزوجين ، فعاطبهم الله بما كانوا عارفين
ويستحبون كأنه يقول : لكم في الآخرة مثل ما تستحبون في الدنيا إن آمنتكم ﴿ عينا ﴾
فيها تسمى سلسبيلا ﴿ السلسيل اسم العين، والسلسيل في اللغة صفة لما كان غاية
في السلاسة، وقال تعالى : ﴿ يستقون من رحيق ﴾ يعنى الشراب، وهى الخمر
﴿ مختوم * ختامه مسك ﴾ قال مجاهد : يختم به آخر جرعة ، وقيل : المعنى إذا
شربوا هذا الرحيق ففنى ما فى الكأس وانقطع الختم ذلك بطعم المسك .

١٦٧٢- وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ ختامه مسك ﴾ خلطه
ليس بخاتم يختم . ألم تر إلى قول المرأة من نساءكم : خلطه من الطيب كذا وكذا إنما
خلطه مسك ليس بخاتم يختم . ذكره ابن المبارك وابن وهب، واللفظ لابن وهب .
[خبر صحيح]

١٦٧٥- والأبرار هم الصادقون. والمقربون هم الصديقون، قال الحسن : خمر
الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل . وفى التنزيل : ﴿ بكأس من معين *
بيضاء لذة للشاربين ﴾ أي : لذيذة يقال : شراب لذيذ : إذا كان طيباً . قوله تعالى :
﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي : نساء قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا

ينظرون إلى غيرهم . قال ابن زيد : إن المرأة منهن لتقول لزوجها : وعزة ربي ما أرى
فى الجنة شيئاً أحسن منك . وعين : عظام العيون الواحدة منهن : عيناء ﴿ كأنهن
بيض مكنون ﴾ أي : مصون .

١٦٧٦- وقال الحسن وابن زيد : شبههن ببيض تكنه النعامة بالريش من
الريح والغبار حين خروجها فلونه أبيض فى صفرة، وهو أحسن ألوان النساء . وقيل
المراد بالبيض: اللؤلؤ كقوله : ﴿ وحوور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ أي : فى
أصدافه . وقال ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ يعنى : النساء . الواحدة : خيرة وأصله
خيرات، فخفف كهين ولين .

١٦٧٨- وقال ابن عباس: الخيمة : درة مجوفة فرسخ فى مثله لها أربعة آلاف
مصراع من ذهب، ذكره ابن المبارك: أنبأنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس .
وذكر عن أبى الدرداء قال : الخيمة . لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها در .
وعن أبى الأحوص : ﴿ حور مقصورات فى الخيام ﴾ قال : الدر المجوف .

[إسناده صحيح]

١٦٨١- وعن يحيى بن أبى كثير فى قوله تعالى ﴿ فهم فى روضة
يحبرون ﴾ قال : الروضة: اللذات والسماع ، وقوله تعالى : ﴿ وعبقرى حسان ﴾
العبقرى : الفرش له . قال ابن عباس : الواحدة : عبقرة وهى: النمارق أيضا فى
قوله تعالى : ﴿ وفارق مصفوفة ﴾ والزرايى: البسط، ماثوثة ، معناه : مبسوطة، وقيل :
منسوجة بالدر والياقوت ، وقوله تعالى : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾
السابقين، وأهل الجنة كلهم أصحاب (اليمين) ﴿ فى سدر منضود ﴾ وهو الذى نزع
شوكه وقد تقدم ﴿ وطلح منضود ﴾ أى بعضه على بعض . وقال المفسرون:
الطلح : شجر الموز ها هنا، وهو عند العرب شجر حسن اللون لخضرته ، وإنما خص
بالذكر لأن قریشاً كانوا يتعجبون من خضرته وكثرة ظلاله من طلح وسدر ،

فخو طبوا ووعدوا لما يحبون مثله ، قاله مجاهد وغيره .

١٦٨٢- قوله تعالى ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ قال مجاهد : مطهرة من

البول والغائط والحيض والنخام والبصاق والمني والولد ، ذكره ابن المبارك .

[خبر صحيح]

١٦٨٣- أنبأنا ابن جريج ، عن مجاهد فذكره ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ أى :

باقون لا خروج لهم منها ، وقد تقدم . [خبر صحيح]

١٦٨٤- وقال مجاهد أيضا في قوله تعالى : ﴿ على سرر متقابلين ﴾ قال : لا

ينظر بعضهم إلى قفا بعض تاصلا وتحايياً وقيل الأسرة تدر كيف شأوا فلا يرى أحد

قفا أحد . [خبر صحيح]

١٦٨٥- وقال ابن عباس : على سرر مكلفة بالدر والياقوت والزبرجد ، السرير

منها ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة . وقيل : تدور بأهل المنزل الواحد ،
والله أعلم .

باب ما جاء في أطفال المسلمين والمشركين

١٦٨٦- وذكر أبو عمر في كتاب (التمهيد والاستذكار) ، وأبو عبد الله

الترمذى فى (نوادر الأصول) والمفسرون عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى

تفسير قوله تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ قال : هم

أطفال المسلمين ، وزاد الترمذى : لم يكتسبوا فىرتهنوا بكسبهم .

١٦٨٧- وقال أبو عمرو : الجمهور من العلماء على أن أطفال المسلمين فى

الجنة . وقد ذهب طائفة من العلماء إلى الوقف فى أطفال المسلمين وأولاد المشركين

أن يكونوا فى جنة أوفى نار ، منهم حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ،

وإسحاق بن راهويه لحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن

الأطفال ، فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » ، وهكذا قال الأطفال ولم يخص طفلاً

عن طفل .

١٦٨٧م- وقال الحلیمى فى كتاب (منهاج الدين) : وقد توقف فى ولدان

المسلمين من توقف فى ولدان المشركين وقال : إذا كان كل منهم يعامل بما علم الله

تعالى منه أنه فاعله لو بلغ، فكذلك ولدان المسلمين . واحتج بأن صبيًا صغيراً مات لرجل من المسلمين ، فقالت إحدى نساء النبي ﷺ: طوبى له عصفور من عصافير الجنة . فقال النبي ﷺ: « وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً ، وخلق النار وخلق لها أهلاً » ، قال : فهذا يدل على أنه لا يمكن أن يقطع في أطفال المسلمين بشيء . [حديث صحيح]

١٦٨٨ - قال الحلبي : وهذا الحديث يحتمل أن يكون إنكار النبي ﷺ على التي قطعت بأن الصبي في الجنة، لأن القطع بذلك قطع بإيمان أبويه، وقد يحتمل أن يكونا منافقين فيكون الصبي ابن كافرين فيخرج هذا على قول من يقول : قد يجوز أن يكون ولدان المشركين في النار ، وقد يحتمل أن يكون أنكر ذلك، لأنه لم يكن أنزل عليه في ولدان المسلمين شيء ثم أنزل عليه قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ وقد قرئ : ﴿ أتبعناهم ذريتهم ﴾ فأخبر تعالى أن الذين آمنوا في الحياة جعل ذرياتهم أتباعهم في الإيمان وأنه يلحق بهم ذرياتهم في الآخرة ، فثبت بذلك أن ذراري المسلمين في الجنة ، وقال النبي ﷺ: « سألت ربي أن يريني أهل الجنة وأهل النار، فجاءني جبريل وميكائيل عليهما (الصلاة و) السلام في النوم فقالا : انطلق يا أبا القاسم... إلى أن قال وأنا أسمع لغط الصبيان ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هم ذرية أهل الإسلام الذين يموتون ، قبل آبائهم (يتكفل) بهم إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام حتى يلحق آبائهم » فدل أنهم في الجنة . [حديث صحيح]

١٦٨٩ - قال المؤلف رحمه الله : الحديث الذي احتجوا به خرجه أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا قيس بن الربيع عن يحيى بن إسحاق . وعن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أتى بصبي من الأنصار ليصلي عليه فقلت : يا رسول الله، طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءاً قط ولم يدره ، فقال : « يا عائشة أو لا تدريين أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة وخلق لها أهلاً (خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم) وخلق النار وخلق لها أهلاً ، وهم في أصلاب آبائهم » . [حديث صحيح]

١٦٩٠- وقالت طائفة : أولاد المسلمين في الجنة، وأولاد المشركين في النار ، واحتجوا بما ذكرناه من الآية والحديث بحديث سلمة بن يزيد الجعفي، قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي، فقلنا: يا رسول الله، إن أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم وتصوم وتفعل وتفعل ، فهل ينفعها من عملها ذلك شيء ؟ قال: لا « قال : فقلنا: إن أمنا وأدت أختنا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فهل ذلك نافع أختنا ، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيتم الوائدة والمؤودة ، فإنهما في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيغفر لها » .

قال أبو عمر : هذا الحديث صحيح (من جهة الإسناد) إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على جواب السائل في (غير) مقصوده فكانت الإشارة لها . (والله أعلم) .

[حديث صحيح]

١٦٩٣- وروى بقية بن الوليد عن محمد بن يزيد الألهاني قال : سمعت عبد الله بن أبي قيس يقول : سمعت عائشة سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المسلمين فقال : « هم مع آبائهم » قلت : بلا عمل ؟ قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . وسألته عن ذراري المشركين فقال : « مع آبائهم فقالوا : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » قال أبو عمر عبد الله بن أبي قيس : هذا شامي تابعي ثقة ، وأما بقية بن الوليد فضعيف، وأكثر حديثه مناكير ، ولكن هذا الحديث قد روى مرفوعاً عن عائشة من غير هذا الوجه ، قالت عائشة : سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المسلمين : أين هم يوم القيامة؟ قال : « في الجنة » قالت : وسألته عن ولدان المشركين أين هم يوم القيامة؟ قال : « في النار » فقلت مجيبة له : يا رسول الله ، لم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقالم ، قال : « ربك أعلم بما كانوا عاملين ، والذي نفسي بيده، لو شئت أسمعك تضاغيهم في النار » قال أبو عمر في طريقه أبو عقيل (يحيى بن المتوكل) صاحب (بهية): لا يحتج بمثله عند أهل العلم (والنقل).

قال المؤلف رحمه الله : كذا ذكر أبو عمر هذا الحديث بهذا اللفظ ، وكذلك

ذكره أبو أحمد بن علي فيما ذكر أبو محمد عبد الحق . [حديث صحيح]

١٦٩٤- وذكره أبو داود الطيالسي قال : حدثنا أبو عقيل عن بهية عن عائشة قالت : سألت النبي ﷺ عن أطفال المشركين قال : « هم في النار يا عائشة » قالت :

فقلت : فما تقول فى (أطفال) المسلمين ؟ قال : «هم فى الجنة يا عائشة» ، قالت : قلت : وكيف ولم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقدام ؟ قال رسول الله ﷺ : «ربك أعلم بما كانوا عاملين» قال أبو محمد عبد الحق ويحيى بن المتوكل ضعيف عندهم وبهية لم يرو عنها إلا أبو عقيل .

١٦٩٥- وقالت طائفة : إن الأطفال يمتحنون فى الآخرة واحتجوا بحديث أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله ﷺ فى الهالك فى الفترة والمعته والمولود قال : يقول الهالك فى الفترة : لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم تلا : ﴿ولو أنا أهلكتناهم بعدذاب من قبله لقاتلوا ربنا لولا أرسلنا رسولا﴾ الآية ، ويقول المعته : رب لم تجعل لى عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ويقول المولود : رب لم أدرك العمل فترفع لهم نار فيقول لهم : ردوها وادخلوها قال : فيردها أو يدخلها من كان فى علم الله سعيداً لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيماً لو أدرك العمل ، قال : فيقول الله : إياى عصيتم فكيف رسلى لو أتتكم .

قال أبو عمر : من الناس من يوقف هذا الحديث على أبى سعيد ولا يرفعه منهم أبو نعيم الملاي .

قلت : ويضعفه من جهة المعنى : أن الآخرة ليست بدار تكليف ، وإنما دار جزاء وثواب وعقاب .

قال الحلیمی : وهذا الحديث ليس بثابت ، وهو مخالف لأصول المسلمين ، لأن الآخرة ليست بدار الامتحان ، فإن المعرفة بالله تعالى فيها تكون ضرورة ولا محنة مع الضرورة ، ولأن الأطفال هناك لا يخلو من أن يكونوا عقلاء أو غير عقلاء فإن كانوا مضطرين إلى المعرفة فلا يليق بأحوالهم المحنة ، وإن كانوا غير عقلاء فهم من المحنة أبعد .

وقال أبو عمر رحمه الله : هذه الأحاديث من أحاديث الشيوخ وفيها علل ، وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء ، وهو أصل عظيم والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعيف فى العلم والنظر مع أنه قد عارضها ما هو أقوى مجيباً منها .

[حديث صحيح]

١٦٩٦- ذكر البخارى حديث أبى رجاء العطاردى ، عن سمرة بن جندب

عن النبي ﷺ الحديث الطويل حديث الرؤيا، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، وإبراهيم عليه (الصلاة و) السلام، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة» (قال): فقيل: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين» .

وخرج البخارى أيضاً في رواية أخرى عن أبي رجاء العطاردي: والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام والصبيان حوله أولاد الناس، وهذا يقتضى عمومه جميع الناس . [حديث صحيح]

١٦٩٩- وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي عن اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم» قال أبو عمر: إنما قيل للأطفال: اللاهين لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم من قولهم: لهيت (عن) الشيء أي لم أعتدده كقوله (تعالى): ﴿لاهية قلوبهم﴾ .

١٧٠٠- وقالت طائفة: أولاد المشركين خدم أهل الجنة، وحجتهم ما رواه الحجاج بن نصير عن مبارك بن فضالة (عن) علي بن زيد، عن أنس، عن النبي ﷺ أنه قال: «أولاد المشركين خدم أهل الجنة» ذكره أبو عمر .

قلت: وإسناد هذا الحديث ليس بالقوى، لكن يدل على صحة هذا القول، أعنى: أنهم في الجنة أو أنهم خدم أهل الجنة، ما ذكر جماعة من العلماء بالتأويل أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صور الذر أقروا له بالربوبية وهو قوله (تعالى): ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ ثم أعادهم في صلب آدم بعد أن أقروا له بأنه (الله الذي) لا إله إلا هو ثم يكتب العبد في بطن أمه شقيماً أو سعيداً على الكتاب الأول فمن كان في الكتاب الأول شقيماً عمر حتى يجرى عليه القلم فينقض الميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم بالشرك، ومن كان في الكتاب الأول سعيداً عمر حتى يجرى عليه القلم فيؤمن فيصير سعيداً، ومن مات صغيراً من أولاد المسلمين قبل أن يجرى (عليهم) القلم فهم مع آبائهم في الجنة، ومن كان من أولاد المشركين فمات قبل أن يجرى عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم في النار لأنهم ماتوا على الميثاق الأول الذي أخذ عليهم في صلب آدم ولم ينقضوا الميثاق .

قلت: وغفر له وهذا أيضاً حسن، فإنه جمع بين الأحاديث ويكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أولاد المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» يعني: لو بلغوا، بدليل حديث البخاري وغيره مما ذكرناه [حديث صحيح].

١٧٠١- وقد روى أبان عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «لم يكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك الجنة ولم يكن لهم سيئات فيعاقبوا عليها فيكونوا من أهل النار فهم خدم لأهل الجنة».

[حديث صحيح]

١٧٠٢- ذكره يحيى بن سلام في تفسيره، وأبو داود الطيالسي في مسنده، وأبو نعيم الحافظ أيضاً عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين لم تكن لهم ذنوب يعاقبون عليها فيدخلون النار، ولم تكن لهم حسنات يجازون بها فيكونوا من ملوك الجنة، فقال النبي ﷺ: «من خدم أهل الجنة». [حديث صحيح]

١٧٠٤- وخرج من حديث عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبته: «إن الله أمرني أن أعلمكم، وقال: إنني خلقت عبادة كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي وحرمت عليهم ما أحللت لهم».

قال أبو عبد الله الترمذي: وهذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا، وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة من خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والبر والبحر، واختلاف الليل والنهار، فلما غلبت أهواؤهم عليهم أتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية (فذهبت) بأهوائهم يميناً وشمالاً.

قلت: وهذا أيضاً يقوي ما اخترناه من (أن) أطفال المشركين في الجنة، وحديث عياض بن حمار نرجه مسلم في صحيحه وحسبك حسبك. وللعلماء في الفطرة أقوال قد ذكرناها في كتاب (جامع أحكام القرآن) من سورة الروم. والحمد لله. [حديث صحيح]

باب منه

وفك ثواب من قدير ولدا

١٧٠٥- مسلم عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة رضى الله عنه إنه مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله ﷺ (بحديث) تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : « نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه (يأخذ) بثوبه أو قال بيده كما أخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال : فلا ينتهى حتى يدخله الله وأبويه الجنة » . [حديث صحيح]

١٧٠٦- وخرج أبو داود الطيالسى قال : حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه أن النبى ﷺ كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه ابن له ، فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم : « أتجبه يا فلان » ؟ فقال : نعم (يا رسول الله) قال : أحبك الله كما أحبه . ففقدته النبى ﷺ (فسأل) عنه فقالوا : يا رسول الله ، مات ابنه فقال : رسول الله ﷺ : « أما ترضى أولا ترضى أن لا تأتى (يوم القيامة) باباً من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك » فقالوا : يا رسول الله ، أله وحده أم لنا كلنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بل لكلكم » . ذكره أبو عمرو في (التمهيد) أيضاً ، وقال : هذا حديث ثابت صحيح . [حديث صحيح]

١٧٠٧- وخرج أبو داود الطيالسى (أيضاً) فى مسنده قال : حدثنا هشام عن قتادة عن راشد عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله ﷺ قال : « والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنة » . [حديث صحيح]

فصل

١٧٠٨-- هذا (الباب) يدل على أن صغار أولاد المؤمنين فى الجنة ، وهو قول أكثر أهل العلم كما بينا فى الباب قبل هذا وهو مقتضى ظاهر قول الله عز وجل : ﴿والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ كما تقدم .

وقد أنكر بعض العلماء الخلاف فيهم ، وهذا فيما عدا أولاد الأنبياء عليهم السلام ، فإنه قد تقرر الإجماع على أنهم فى الجنة ، حكاها أبو عبد الله المازرى ، ودعاميص : جمع دعموص وهو دويبة تغوص فى الماء والجمع دعاميص ، قال الأعشى :

فما ذنبنا أن جاش لى بحر علمكم
وقد قيل : إن الدعموص يراد به: الآذن على الملوك المتصرف بين أيديهم ، قال
أمية بن الصلت :

دعموص أبواب الملوك وجانب للخرق فاتح .
وهذا هو المراد بالحديث . (والله أعلم)

١٧٠٩- وفى صحيح البخارى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « من مات له
ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجاً من النار وأدخل الجنة » .
قال المؤلف رحمه الله : قوله عليه الصلاة والسلام : « لم يبلغوا الحنث » معناه

عند أهل العلم : لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث . [حديث صحيح]
١٧١١- إلا ما روى عن النبي ﷺ من أخبار الأحاديث الثقات العدول وأن
قوله ﷺ : « الشقى من شقى فى بطن أمه وأن الملك ينزل فيكتب أجله ورزقه »
الحديث مخصوص ، وأن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممن سعد
وهو فى بطن أمه ولم يشق بدليل الأحاديث والإجماع . وكذلك قوله ﷺ لعائشة :
« إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً ، وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق النار ، وخلق لها
أهلاً وهم فى أصلاب آبائهم » ساقط ضعيف مردود بالإجماع والآثار ، وطلحة بن
يحيى الذي يرويه ضعيف لا يحتج به . وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه .

[حديث صحيح]

باب

ما جاء فى نزل أهل الجنة وتحفهم إذا دخلوها

١٧١٢- روى البخارى ومسلم عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال:
« تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفى أحدكم
خبزته فى السفر ، نزلاً لأهل الجنة . قال : فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن
عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون
الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله ﷺ قال : فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم
ضحك حتى بدت نواجذه . قال ألا أخبرك بإدامهم ؟ قال : بلى . قال : (إدامهم)
بالام ونون . قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفاً » .

[حديث صحيح]

١٧١٣- وخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قاعدا عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أبحار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول : يا رسول الله ؟ فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ : « إن اسمى محمد الذى سماني به أهلى » فقال اليهودى : جئت أسألك . فقال له رسول الله ﷺ : « أينفعك شيء إن حدثتك ؟ » قال : أسمع بأذنى ، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه . فقال : « سل » فقال اليهودى : أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم فى الظلمة دون الجسر » ، قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : « فقراء المهاجرين » . قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد النون » . قال : فما غذاؤهم ؟ قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال : فما شرابهم على إثرها ؟ قال : « من عين فيها تسمى : سلسبيلاً » فقال : صدقت . وذكر الحديث . [حديث صحيح]

فصل

قلت : هذا الحديث انفرد به مسلم وهو أبين من الحديث الآخر الذى قبله ، لأنه من قول النبي ﷺ جواباً لليهودى ، والحديث الذى قبله آخره من قول اليهودى وهو يدخل فى المسند ، لإقرار النبي ﷺ . والجبار اسم من أسماء الله تعالى ، قد أتينا على ذكره فى (الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) ، ويكفئها ويقلبها ويميلها من قولك : كفأت الإناء إذا كببته ، وقد تقدم أن أرض المحشر كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد . والنزل ما يعد للضيف من الطعام والشراب ، ويقال : نزل أو نزل بتخفيف الزاى وثقلها ، وقرئ بذلك قوله ﴿ نزلًا من عند الله ﴾ قال أهل اللغة :

النزل ما يهيا للنزىل والنزىل :الضيف . قال الشاعر :

نزىل القوم أعظمهم حقوقاً
وحق الله فى حق النزىل

١٧١٥- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا ابن لهيعة قال : حدثنى يزيد ابن أبى حبيب أن أبا الخير أخبره أن أبا العوام مؤذن إيلياء أول رجل أذن بإيلياء أخبره أنه سمع كعباً يقول : إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها : إن لكل ضيف جزوراً ، وإنى أجزركم اليوم حوتاً وثوراً فيجزر لأهل الجنة [إسناده حسن والخبر من الإسرائيليات]

باب ما جاء أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله والصلوة
١٧١٨- وفي البخارى : وقيل لو هب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال :
بلى . ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم
يفتح لك .

فصل

١٧١٩- قلت : الأسنان عبارة عن توحيد الله (تعالى) وعبادته جميعاً وعن
توحيده أيضاً فقط .

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ
جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ وهو فى القرآن كثير الإيمان مع العمل ، وهو مقتضى
الحديث الأول حديث جابر رضى الله عنه وعن توحيد الله فقط .

(كما) فى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه وغيره عن النبى ﷺ أنه قال :
« من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » (قلت) : وإن زنى وإن سرق ؟ قال :
« وإن زنى وإن سرق » . [حديث صحيح]

(كامل كتاب الجنة ولله الحمد والفضل والمنة)
(جعلنا الله تعالى ممن يستلذ فيها بالنظر إلى وجهه الكريم
يتلوه كتاب الفتن والأشراط بعون الله تعالى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

كتاب الفتن والملاحم وأشرط الساعة وأول أبواب الفتن)

باب الكف عن من قال : لا إله إلا الله

١٧٢١- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » . [حديث صحيح]

باب ما جاء أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفكه

تعظيم حرمة عند الله تعالى

١٧٢٢- ابن ماجه ، عن أبي سعيد الخدري (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا ، وإن أحرم الشهور شهركم هذا ، وإن أحرم البلد بلدكم هذا ، ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، ألا هل بلغت ؟ قالوا: نعم . قال : اللهم اشهد » . خرجه مسلم من حديث أبي بكره وجابر بمعناه .

[حديث صحيح]

١٧٢٤- مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كل المسلم على

المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » . [حديث صحيح]

١٧٢٥- النسائي عن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : « قتل المؤمن عند الله

أعظم من زوال الدنيا » . [حديث صحيح]

١٧٢٦- الترمذى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من أثار على أخيه

بحديدة لعنته الملائكة » . قال : حديث حسن صحيح غريب . [حديث صحيح]

باب ما جاء فك قتل المؤمن والإيمان على ذلك

قال الله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها

وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ وقال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون

مع الله إلهاً آخراً ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن

يفعل ذلك يلقى أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾ .

١٧٢٩- أبو داود عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً، أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً ». [حديث صحيح]

١٧٣٠- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا يزال المؤمن معنقاً صالحاً ما لم يصب دمًا حراماً، فإذا أصاب دمًا حراماً بلح » قال الهروي: بلح: أى أعيا وانقطع به. ويقال: بلح الفرس إذا انقطع جريه، وبلحت الركبة إذا انقطع ماؤها. [حديث صحيح]

باب إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلل، ومن أين تجيء والتحذير منها، وفضل العبادة عندها

قال الله تعالى: ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ وقال

تبارك وتعالى: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ففى هذا تنبيه بالغ على التحذير

من الفتن. [حديث صحيح]

١٧٣٣- مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً. يبيع دينه بعرض من الدنيا ». [حديث صحيح]

١٧٣٤- وعن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: « خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول: « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق ياصبعين الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « نعم إذا كثرت الخبث ». [حديث صحيح]

١٧٣٥- وعن أسامة رضى الله عنه أن النبي ﷺ أشرف على أطم من أطام المدينة، ثم قال: « هل ترون ما أرى؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » أخرجهما البخارى. [حديث صحيح]

١٧٣٦- البيهقى، عن كرز بن علقمة الخزاعى قال: سأل رجل النبي ﷺ: هل للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ: « أيما أهل بيت من العرب أو العجم

أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام» فقال: ثم ماذا؟ قال: «ثم تقع الفتن كالظلل»، فقال الرجل: كلا والله إن شاء الله. قال: «بلى والذي نفسى بيده، لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض» قال الزهري: أساود صبا: الحية السوداء إذا أراد أن ينهش ارتفع هكذا ثم انصب» .

خرجه أبو داود الطيالسي أيضاً . [حديث صحيح]

١٧٣٧- قال ابن دحية أبو الخطاب الحافظ: هذا الحديث لا مطعن في صحة إسناده . رواه سفيان بن عيينة، عن الزهري عن عروة بن الزبير عن كرز . قرأته بجامع قرطبة وبمسجد الغدير وبمسجد أبي علاقة على المحدث المؤرخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري . قال: سمعت جميع هذا الكتاب ، وهو جامع الخير للإمام سفيان بن عيينة عن الشيخين الجليلين الثقة المفتى أبي محمد عبد الرحمن ابن محمد بن عتاب ، والوزير الكاتب الثقة أبي الوليد (رحيم بن عبد الله) أحمد بن عبد الله بن طريف فلا قرأناه على العدل أبي القاسم حاتم بن محمد التميمي بحق سماعه على الثقة الفاضل أبي الحسن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن فراس - رحمه الله - بمكة - حرسها الله تعالى - بالمسجد الحرام بحق سماعه على الثقة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الديلي ، بحق سماعه على الثقة الصالح أبي عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن الخزومي ، بحق سماعه من الإمام الفقيه أبي محمد سفيان بن عيينة . قال المؤلف رحمه الله : وقد حدثني بهذا السند المذكور الفقيه القاضي أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن إجازة عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال والحمد لله ، وكرز بن علقمة بن هلال الخزاعي أسلم يوم الفتح وعمر طويلاً ، وهو الذي نصب أعلام الحرم في خلافة معاوية وإمارة مروان بن الحكم وفيه ، ثم مه، قال ، ثم تعود الفتن، بدل قال : ثم ماذا، قال : ثم تقع الفتن، ولم يذكر قول الزهري إلى آخره .

١٧٣٨- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : قول الرجل : ثم مه هي هنا على الاستفهام . أى (ثم ما) يكون . ومه . فى غير هذا الموضع زجر وإسكات، كقوله عليه الصلاة والسلام: «مه إنكن صواحب يوسف» وقوله: «كلمة الظلل»، الظلل : السحاب ، والظلة السحابة، ومنه قوله تعالى

﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ وقول الرجل: بجهله كلا والله معناها الجحد بمعنى لا والله .

وقيل: هي بمعنى الزجر فقال رسول الله ﷺ: «بلى والذي نفسى بيده» ، وبلى للنفي استفهاماً كان أو خبراً أو نهياً ، فالاستفهام ﴿أست بريكم﴾ ﴿أليس

ذلك بقادر﴾ جوابه: بلى هو قادر، ومثال الخبر ﴿لن قسمنا النار﴾ جوابه قالوا: بلى تمسكم . ومثال النهي لا تلتق زيدا ، جوابه: بلى لألقيه .

١٧٣٩- قال أبو الخطاب بن دحية: وقوله « صبا » هكذا قيدناه بضم الصاد وتشديد الباء على مثال غر . والأساود: نوع من الحيات عظام فيها سوداء وهو أحبثها ، والصب منها التي تنهش ثم ترتفع ، ثم تنصب . شبههم فيما يتولونه من الفتن والقتل والأذى بالصب من الحيات .

قال المؤلف رحمه الله : الأساود جمع أسود وهو الحية وصبا جمع صاب كغزاز وغز ، وهو الذى يميل ويلتوى وقت النهش ليكون أنكى فى اللدغ وأشد صبا للسم ، ويجوز أن يكون جمع أصب وهو الذى كأنه ينصب عند النهش انصبابا ، والأول من صبا إذا مال ، والثانى من صب إذا سكب (والله أعلم) .

١٧٤٠- مسلم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ ليلة فزعا مرعوبا يقول: « سبحان الله، ماذا فتح الليلة من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ، من يوقظ صواحب الحجر- يريد أزواجه - لكى يصلين ، رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة » . [حديث صحيح]

١٧٤٢- مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبا (عبيد) الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الفتنة تجيء من ها هنا، وأوماً بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وإنما قتل موسى الذى قتل من آل فرعون خطأ . فقال الله تعالى له : ﴿وقتل نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا﴾ .

١٧٤٣- وعن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال : « العبادة في الهرج كهجرة إلى »

فصل

١٧٤٤- قوله : « ويل للعرب من شر قد اقترب » قد تقدم معنى الويل ، والمراد به هنا الحزن . قاله ابن عرفة ، فأخبر عليه (الصلاة و)السلام بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب ، وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك والدولة والأموال والإمارة ، فصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم ، وتشتتوا في البرارى بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه الصلاة والسلام ، وما جاءهم به من الدين والإسلام ، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضاً ، وسلب بعضهم أموال بعض ، سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ ولهذا كما قالت زينب في سياق الحديث : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثرت الخبث » .

فصل

١٧٤٥- قال علماؤنا : رحمة الله عليهم : قولها أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثرت الخبث » . دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثرت الصالحون .

فأما إذا كثرت المفسدون وقل الصالحون ، هلك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمروا بالمعروف ، ويكرهوا ما صنع المفسدون ، وهو معنى قوله ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها ، هذا بفساده ، وهذا برضاه وإقراره ، على ما نبينه .

فإن قيل فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ - ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ - ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ . وهذا يوجب أن لا يؤخذ أحد بذنوب أحد ، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب .

وقرى ﴿واتقوا فتنة (لتصيبين) الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة ، وهى قراءة زيد بن ثابت وعلي وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

والجواب : أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر ، فمن الفرض على من رآه أن يغيره إما بيده ، فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فبقلمه ليس عليه أكثر من ذلك ، وإذا أنكر بقلبه ، فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك .

١٧٤٦- روى الأئمة عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، ليس عليه غيره ، وذلك أضعف الإيمان » . [حديث صحيح]

١٧٤٧- روى عن بعض الصحابة أنه قال : إن الرجل إذا رأى منكراً لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات : اللهم إن هذا منكراً لا أرضاه ، فإذا قال ذلك فقد أدى ما عليه ، فأما إذا سكت عليه فكلهم عاص ، وهذا بفعله وهذا برضاه كما ذكرنا . وقد جعل الله فى حكمه وحكمته الراضى بمنزلة الفاعل فانتظم فى العقوبة . دليله قوله تعالى ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ فأما إذا كره الصالحون ما صنع المفسدون ، وأخلصوا كراهيتهم لله تعالى وتبرؤوا من ذلك حسب ما يلزمهم ، ويجب لله (تعالى) عليهم غير معتدين سلموا . قال الله تعالى ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ وقال (تعالى) : ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفتقون﴾ .

١٧٤٨- وقال ابن عباس : قد أخبرنا الله عز وجل عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا : ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ .

١٧٤٩- وروى سفيان بن عيينة قال : حدثنا سفيان بن سعيد عن مسعر قال : بلغنى أن ملكاً أمر أن يخسف بقرية ، فقال : يارب ، إن فيها فلاناً العابد ، فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ ، فإنه لم يتغير وجهه فى ساعة قط .

[إسناده صحيح لمسعر والخبر من الإسرائيليات]

١٧٥١- وروى أبو داود عن العرس بن عميرة الكندي ، عن النبي ﷺ قال :
« إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها- وقال مرة : فأنكرها
-كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » وهذا نص في
الفرض ، وحسن رجل عند الشعبي قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه، فقال
الشعبي: قد شركت في دمه . [حديث صحيح]

١٧٥٢- وفي صحيح الترمذى : « أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على
يديه أو شك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » فالفتنة إذا عمت هلك الكل ، وذلك
عند ظهور المعاصى وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين
المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها ، وهكذا كان الحكم فيمن
كان قبلنا من الأمم كما فى قصة السبت حين هجروا العاصين ، وقالوا : لانساكنكم ،
وبهذا قال السلف رضى الله عنهم . [حديث صحيح]

١٧٥٣- روى ابن وهب ، عن مالك قال : تهجر الأرض التى يصنع فيها
المنكر جهاراً ولا يستقر فيها ، واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه عن أرض
معاوية حين أعلن بالرباء فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها خرجه أهل
الصحيح .

وقال مالك في موضع آخر : إذا ظهر الباطل على الحق ، كان الفساد فى آخر
الأرض وقال : إن لزوم الجماعة نجاة، وأن قليل الباطل وكثيره هلكة وقال : ينبغى
للناس أن يغضبوا لأمر الله تعالى فى أن تنتهك فرائضه وحرمه والذى أتت به كتبه
وأنبيأؤه ، أو قال : يخالف كتابه .

١٧٥٤- قال أبو الحسن القاسمى : الذى يلزم الحق ويغضب لأمر الله تعالى
على بينة من النجاة، وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى
يأتى أمر الله». [حديث صحيح]

١٧٥٥- قال أبو عمرو وروى أشهب بن عبد العزيز قال : قال مالك لا ينبغى
الإقامة فى أرض يكون العمل فيها بغير حق والسب للسلف . قال أبو عمر : أما قول
مالك هذا . فمعناه إذا وجد بلدًا يعمل فيه الحق فى الأغلب، وقد قال عمر بن عبد
العزيز: فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن وفلان بالعراق وفلان بالشام امتلأت

الأرض -والله- جوراً وظلماً . قال أبو عمر : فأين (المهرب) إلا إلى السكوت ولزوم البيوت والرضى بأقل قوت . وقال منصور الفقيه فأحسن :

الخير أجمع فى السكوت وفى ملازمة البيوت
فإذا استوى لك ذا وذا فاقنع له بأقل قوت

١٧٥٦- وكان سفيان الثوري يقول : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين ، فكيف بالمشهورين ، وهذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن .

ويحكى عنه أن قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ، فقليل له : خراسان ؟ فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ، فقليل : الشام ؟ فقال : يشار إليكم بالأصابع أراد الشهرة فقليل له : العراق ؟ قال بلد الجبابرة ، فقليل له فمكة ؟ قال : مكة تذيب الكيس والبدن .

١٧٥٧- وقال القاضي أبو بكر بن العربي : قال (لى) شيخى فى (العادة) : لا يذهب بك الزمان فى مصافاة الأقران ومواصلة الأحزان ، ولم أر للخلاص طريقاً أقرب من طريقين : إما أن يغلق المرء على نفسه بابه ، وإما أن يخرج إلى موضع لا يعرف فيه ، إن اضطر إلى مخالطة فليكن معهم بيدنه وليفارقهم بقلبه ولسانه ، فإن لم يستطع فقلبه ، ولا يفارق السكوت ، أنشدنى محمد بن عبد الملك الصوفى قال أنشدنى أبو الفضل الجوهري : « الخير أجمع فى السكوت » البيتان : قال القاضي : ولى فى هذا المعنى :

حاز (السلام مسلم) يأوى إلى سكن وقوت
ماذا يؤمل بعد ما يأوى إلى بيت (وقويت)

١٧٥٨- قال المؤلف رحمه الله : ولأبى سليمان الخطابي فى هذا المعنى شعر:

أنست بوحديتى ولزمت بيتى فدام الأنس لي ونما السرور
وأدبنى الزمان فلا أبالى هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حيا أسار (الجيش) أم ركب الأمير

والشعر فى هذا المعنى كثير ، وسأتى للعزلة له زيادات بيان من السنة إن شاء الله تعالى ، وكثرة الخبث ظهور الزنا وأولاد الزنا .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فيكون إهلاك جميع الناس عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصى ، فيكون طهرة للمؤمنين ونقمة للفاستقين لقوله عليه الصلاة والسلام : « ثم بعثوا على نياتهم » وفى رواية أعمالهم . وقد تقدم هذا المعنى : فمن كانت نيته صالحة أثيب عليها ، ومن كانت نيته سيئة جوزى عليها ، وفى التنزيل ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ فاعلمه .

باب

ما جاء فى رحى الإسلام ومنتج تطور

١٧٦٠- أبو داود عن البراء بن ناجية عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « تدور رحى الإسلام لخمسة وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن لم يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً » قال : قلت : أما بقى ؟ قال : مما مضى . [حديث صحيح]

فصل

١٧٦١- قال الهروى فى تفسير هذا الحديث : قال الحربى : ويروى تزول وكأن تزول أقرب لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها ، وتدور يكون بما يحبون ويكرهون ، فإن كان الصحيح سنة خمس ، فإن فيها قام أهل مصر وحصرها عثمان رضى الله عنه ، وإن كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير إلى الجمل ، وإن كانت سنة سبع ، ففيها كانت صفين ، غفر الله لهم أجمعين .

١٧٦٢- وقال الخطابي : يريد عليه الصلاة والسلام أن هذه المدة إذا انقضت ، حدث فى الإسلام أمر عظيم يخاف على أهله لذلك الهلاك ، يقال : الأمر إذا تغير واستحال دارت رحاه ، وهذا - والله أعلم - إشارة إلى انقضاء (هذه) الخلافة ، وقوله ليقيم لهم دينهم أى ملكهم وسلطانهم ، وذلك من لدن بايع الحسن عليه السلام معاوية إلى انقضاء بنى أمية من المشرق نحو من سبعين سنة ، وانتقاله إلى بنى العباس والدين الملة والسلطان ومنه قوله تعالى ﴿ ليأخذ أخاه فى دين الملك ﴾ أى فى سلطانه . وقوله « تدور رحى الإسلام » دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال ،

شبهها بالرحى الدائرة التي تطحن لما يكون فيها من قبض الأرواح وهلاك الأنفس .
(والله أعلم).

باب

ما جاء أن عثمان رضي الله عنه لما قتل بسيف الفتنة

١٧٦٣-الترمذى عن ابن أخى عبد الله بن سلام قال : لما أريد عثمان رضى
الله عنه جاء عبد الله بن سلام، فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه: ما جاء بك ؟
قال : جئت في نصرتك . قال : اخرج إلى الناس فاطردهم عني، فإنك خارجاً خير
لي من داخل . قال : فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال : أيها الناس إنه كان
في الجاهلية اسمى فلان ابن فلان فسماني رسول الله ﷺ عبد الله ، ونزلت في آيات
من كتاب الله تعالى نزلت : ﴿ وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن
واستكبر قرآن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ ونزلت في : ﴿ قل كفى بالله
شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ إن لله سيفاً مغموداً عنكم ، وإن
الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم ، فالله الله في هذا الرجل
أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسكن سيف الله المغمود
عنكم ولا يغمد إلى يوم القيامة . قال : فقالوا: اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان . قال أبو
عيسى : هذا حديث حسن غريب .

قلت : ومثل هذا من عبد الله لا يكون إلا عن علم من الكتاب - أعنى التوراة
- على ما يأتي ، أو سمعه من النبي ﷺ وسيأتى قول حذيفة لعمران: إن بينك وبينها
باباً مغلقاً يوشك أن يكسر .

فصل

١٧٦٤- قال العلماء بالسير والأخبار : إنه دخل على أمير المؤمنين عثمان بن
عفان رضى الله عنه في الدار جماعة من الفجار، منهم : كنانة بن بشر التجيبى
فأشعره مشقصاً أى قتله به فافتضح الدم على المصحف، ووقع على قوله تعالى
﴿ فسيفكفيهم الله وهو السميع العليم ﴾ وقيل: ذبحه رجل من أهل مصر
يقال له حمار ، وقيل رومان، وقيل قتله الموت الأسود يقال له أيضاً الدم الأسود من

طغاة مصر ، فقطع يده ، فقال عثمان : أما والله إنها لأول كف خطت في المصحف .
١٧٦٥- وهذه البلوى التي ثبتت في الصحيح عن أبي موسى أن النبي ﷺ
دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن فقال : ائذن له وبشره
بالجنة ، فإذا أبو بكر ، ثم جاء آخر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر ، ثم
جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ، ثم قال : ائذن له وبشره بالجنة ، على بلوى تصيبه ، فإذا
عثمان بن عفان . لفظ البخارى ذكره فى مناقب عثمان . [حديث صحيح]

١٧٦٦- وقد قيل : إن الصحيح في مقتله رضى الله عنه أنه لم يتعين له قاتل
معين بل أخلاط الناس وهم رعا ع جاءوا من مصر ومن غير قطر ، وجاء الناس إلى
عثمان فيهم عبد الله بن (عمرو) متقلداً سيفه وزيد بن ثابت ، فقال له زيد بن ثابت :
إن الأنصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصار الله مرتين ، قال : لا حاجة لى فى
ذلك كفوا ، وكان معه فى الدار الحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو
هريرة وعبد الله بن عامر بن ربيع ومروان بن الحكم كلهم (شاك فى) السلاح ، فعزم
عليهم فى وضع أسلحتهم وخروجهم ولزوم بيوتهم ، فقال له (ابن) الزبير ومروان :
نحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح ، فضاق عثمان رضى الله عنه من الحصار ، ومنع
من الماء حتى أفطر على ماء البحر الملح ، وقال الزبير بن بكار : حاصروه شهرين
وعشرين يوماً ، وقال الواقدي : حاصروه تسعة وأربعين يوماً ففتح الباب فخرج
الناس ، وسلموا له راية فى إسلام نفسه ، قال سليط بن أبى سليط : فنهانا الإمام
عثمان عن قتالهم ، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها ، ودخلوا عليه
فى أصح الأقوال ، وقتله من شاء الله من سفلة الرجال .

١٧٦٧- وروى أبو عمر بن عبد البر عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال
رسول الله ﷺ : ادعوا لى بعض أصحابى فقلت : أبو بكر ؟ قال : لا . فقلت : عمر ؟
فقال : لا . فقلت : ابن عمك ؟ قال : لا فقلت : عثمان ، قال : نعم . فلما جاءه ، قال
لى بيده ، فتنحيت ، فجعل رسول الله ﷺ يساره ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار
وحصر عثمان قيل له ألا نقاتل عنك قال : لا . إن رسول الله عهد إلىّ عهداً وأنا صابر
عليه . [حديث صحيح]

١٧٦٨- وفى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « يا

عثمان لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم» قال : هذا حديث حسن غريب . [حديث صحيح]

١٧٧٠- واختلف في سنة رضي الله عنه حين قتله من قتله من الفجار- أدخلهم الله بحبوحه النار-فقيل: قتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وقيل ابن تسعين سنة، وقال قتادة: قتل عثمان وهو ابن ست وثمانين وقيل غير هذا، وقتل مظلوماً كما شهد له بذلك رسول الله ﷺ وجماعة أهل السنة وألقى على مزبلة، فأقام فيها ثلاثة أيام لم يقدر أحد على دفنه، حتى جاء جماعة بالليل خفية فحملوه على لوح وصلوا عليه، ودفن في موضع من البقيع، يسمى حش كوكب، وكان مما حبسه عثمان رضي الله عنه وزاره في البقيع، وكان إذا مر به يقول: يدفن فيك رجل صالح . وكان هو المدفون فيه، وعمى قبره لثلاثين يوماً، وقتل يوم الجمعة لثمانين ليال خلون من ذي الحجة، يوم التروية سنة خمس وثلاثين، قاله الواقدي، وقيل: ليلتين بقيتا من ذي الحجة، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة إلا أياماً اختلف فيها رضي الله عنه، وقيل إن المتعصبين على عثمان رضي الله عنه من المصريين ومن تابعهم من البلدان كانوا أربعة آلاف، وبالمدينة يومئذ أربعون ألفاً .

١٧٧١- وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثل نازلة عثمان ألقه الله جناح المغفرة والرضوان، هل يلقى بيده أو يستنصر، فأجاز جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين أن يستسلم وهو أحد قولى الشافعى، وقال بعض العلماء لا يسلم بيده، بل يستنصر ويقاتل، ولكل من القولين وجه ودليل وسيأتى بيانه إن شاء الله تعالى، وقال بعض العلماء: ولو اجتمع أهل المشرق والمغرب على نصرة عثمان لن يقدروا على نصرته، لأن رسول الله ﷺ أنذره في حياته، فأعلمه بالبلوى التي تصيبه، فكان ذلك من المعجزات التي أخبر بوقوعها بعد موته ﷺ وما قال رسول الله ﷺ شيئاً قط إلا كان .

وقال حسان بن ثابت :

قتلتم ولي الله في جوف داره وجئتم بأمر جائر غير مهتد
فلا ظفرت إيمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد
١٧٧٢- وخرج مسلم في صحيحه قال : وحدثننا محمد بن المثنى ومحمد

بن حاتم قالوا : حدثنا معاذ بن معاذ قال : وحدثنا ابن عوف عن محمد قال : قال جندب : جئت يوم (الجرعة) ، فإذا رجل جالس فقلت له ليهرأقن اليوم ههنا دم ، فقال ذلك الرجل : كلا والله . قلت : بلى والله . قال : كلا والله . قلت : بلى والله . قال ثلاثاً كلا ، إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثني ، قلت : بئس الجليس لي أنت منذ اليوم تسمعي أخالفك ، وقد سمعته من رسول الله فلا تنهني ، ثم قلت : ما هذا الغضب ، فأقبلت عليه أسأله فإذا الرجل حذيفة .

والجرعة: موضع بجهة الكوفة على طريق الحيرة قيده الحفاظ بفتح الجيم والراء، وقيده بعض رواة الحفاظ أيضاً بإسكان الراء، وهو يوم خرج فيه أهل الكوفة متألبين متعصبين ليردوا إلى عثمان بن عفان (رضى الله عنه)، وهو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكتبوا إلى عثمان لا حاجة لنا في سعيدك ولا وليدك ، وكان رده سنة أربع وثلاثين ، وكتبوا إلى عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري ، فلم يزل والياً عليهم إلى أن قتل عثمان ولما سمع بقتله يعلى بن أمية التميمي الحنظلي أبو صفوان ، ويقال (أبو) خالد أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً والطائف وتبوك، وكان صاحب الجند بصنعاء أقبل لينصره ، فسقط عن بعيره في الطريق فانكسرت فخذة، فقدم مكة بعد انقضاء الحج، فخرج إلى المسجد وهو كسير على سرير ، واستشرف إليه الناس واجتمعوا فقال : من (يخرج) يطلب بدم عثمان ، فعلى جهازه أعان الزبير بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلاً من قريش ، وحمل عاتثة رضى الله عنها على جمل أذب، ويقال أذب لكثرة وبره اشتراه ابن أمية الحنظلي بمائتي دينار . قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ، وقال ابن ثبة في كتاب الجمل له : اشتراه بثمانين ديناراً، والأول أصح واسمه عسكر . [خبر صحيح]

١٧٧٥- وكانت عاتثة رضى الله عنها حاجة في السنة التي قتل فيها عثمان وكانت مهاجرة له ، فاجتمع طلحة والزبير ويعلي وقالوا لها بمكة : عسى أن تخرجي رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم، ويرعوا نبيهم، وهى تمتنع عليهم ، فاحتجوا عليها بقوله تعالى ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ وقالوا لها : إن المتألبين على عثمان بالبصرة كثير، فبلغت الأفضية مقاديرها، فاصطف الناس للقتال ورموا علياً وأصحابه بالنبال، فقال على : لا

ترموا بسهم ولا تضربوا بسيف ولا تطعنوا برمح ، فرمى رجل من عسكر القوم
 بسهم فقتل رجلاً من أصحاب علي ، فأتى به إلى علي فقال : اللهم اشهد ، ثم رمى
 آخر ، فقتل رجلاً من أصحاب علي ، فقال علي : اللهم اشهد ، ثم رمى آخر ، فقال
 علي : اللهم اشهد ، وقد كان علي (رضي الله عنه) نادى الزبير (رضي الله عنه) يا أبا
 عبد الله : ادن إلي أذكرك كلاماً سمعته أنا وأنت من رسول الله ﷺ فقال : علي
 الأمان ؟ فقال : عليك الأمان ، فبرز فذكره أن رسول الله ﷺ قال له وقد وجدهما
 يضحكان بعضهما إلى بعض : « أما إنك ستقتل علياً وأنت له ظالم » فقال الزبير :
 اللهم إنى ما ذكرت هذا إلا فى هذه الساعة ، وثنى عنان فرسه لينصرف ، فقال له ابنه
 عبد الله : إلى أين ؟ قال : أذكرنى علي كلاماً قاله له رسول الله ﷺ ، قال : كلا
 ولكنك رأيت سيوف بنى هاشم حداداً ويحملها رجال شداد . قال : ويلك ، ومثلى يعير
 بالجن هلم الرمح ، فأخذ الرمح وحمل فى أصحاب علي ، فقال علي : افرجوا للشيخ
 فإنه محرج ، فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع وقال لابنه : لا أم لك ، أيفعل هذا
 جبان وانصرف ، وقامت الحرب على ساق ، وبلغت النفوس إلى التراق ، فأفرجت
 عن ثلاث وثلاثين ألف قتيل ، وقيل عن سبعة عشرة ألفاً وفيه اختلاف فيهم ، من
 الأزدي أربعة آلاف ومن بنى ضبة ألف ومائة ، وباقيهم من سائر الناس كلهم من
 أصحاب عائشة ، وقتل فيها من أصحاب علي نحو من ألف رجل ، وقيل أقل ، وقطع
 على خطام الجمل سبعون يداً من بنى ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الزمام آخر ،
 وهم ينشدون :

نحن بنوضبة أصحاب الجمل
 ننازل الموت إذا الموت نزل
 والموت أشهى عندنا من العسل

وكان الجمل للراية إلى أن عقر الجمل ، وكانوا قد ألبسوه الأدرع ، وقال
 جملة من أهل العلم : إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على
 الحرب ، بل فجأة وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق
 الآخر قد غدر به ، لأن الأمر كان انتظم بينهم على الصلح والتفريق على الرضا ،
 فخاف قتلة عثمان من التمكّن منهم والإحاطة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ، ثم
 اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين ويبدوا فى الحرب شجرة فى العسكرين

وتختلف السهام بينهم ويصبح الفريق الذي فى عسكر على غدر طلحة والزبير والذي فى عسكر طلحة والزبير غدر على ، فتم لهم (بذلك) ما أرادوا ودبروه ونشبت الحرب ، فكان كل فريق دافعاً لمكرته عند نفسه ومانعا من الإشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة الله إذ وقع القتال والامتناع منهما على هذا السبيل ، وهذا هو الصحيح المشهور ، وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين .

١٧٧٦- وفى صحيح مسلم من كتاب الفتن عن ابن عمر قال : خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال : « رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرنا الشيطان » يعنى المشرق وقيل : هذا بنصف ورقة بأسانيد منها عن عبد الله بن عمر القواريرى ومحمد بن المننى باضطراب ، فى بيت حفصة ، ثم قال : وقال (عبيد) الله بن سعيد فى روايته : قام رسول الله ﷺ عند باب عائشة فقال بيده نحو المشرق : « الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرنا الشيطان » قالها مرتين أو ثلاثاً . [حديث صحيح]

١٧٧٧- وذكر الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده فى الخامس عشر من مسند عائشة رضى الله عنها قال : حدثنى محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم أن عائشة رضى الله عنها لما أتت الحوبة سمعت نباح الكلاب ، فقالت : ما أظننى إلا راجعة ، إن رسول الله ﷺ قال لنا : « أيتكن تنبح كلاب الحوآب » فقال لها الزبير : ترجعين عسى الله أن يصلح لك بين الناس . [حديث صحيح]

١٧٧٨- وروى أبو بكر بن أبى شيبه قال : حدثنا وكيع بن الجراح ، عن عصام بن قدامة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أيتكن صاحبة الجمل الأذيب يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت » وهذا حديث ثابت صحيح ، رواه الإمام المجمع على عدالته وقبول روايته (الإمام) أبو بكر عبد الله بن أبى شيبه ، وكذلك وكيع مجمع على عدالته وحفظه وفقهه عن عصام وهو ثقة عدل فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب له ، عن عكرمة وهو عند أكثر العلماء ثقة عالم وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ وهو إخباره بالشيء قبل كونه .

وقوله «الأذيب» أراد الأذب، فأظهر التضعيف، والعجب من القاضى الإمام أبي بكر بن العربي كيف أنكر هذا الحديث في كتبه . منها فى كتاب العواصم من القواصم ، وذكر أنه لا يوجد أصلاً وأظهر العلماء المحدثين بإنكاره غباوة وجهلاً ، وشهرة هذا الحديث أوضح من فلق الصبح وأجلى ، وقد رواه أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فقال : حدثنا سعيد بن نصر قال : حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا محمد بن وضاح قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبه ، فذكره بسنده المتقدم .

[حديث صحيح]

١٧٧٩- وروى أبو جعفر الطبرى قال : لما خرجت عائشة رضى الله عنها من البصرة طالبة المدينة بعد انقضاء الحرب جهزها علي رضى الله عنه جهازاً حسناً ، وأخرج معها من أراد الخروج واختار عليها أربعين امرأة معروفات من نساء البصرة ، وجهاز معها أخاها محمداً وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين ، وشيعها على رضى الله عنه على أميال وسرح معها بنيه يوماً .

فصل

١٧٨٠- فإن قيل : فلم ترك على القصاص من قتلة عثمان ؟ فالجواب أنه لم يكن ولى دم ، وإنما كان أولياء الدم أولاد عثمان وهم جماعة : عمرو وكان أسن ولد عثمان ، وأبان وكان محدثاً فقيهاً وشهد الجمل مع عائشة والوليد بن عثمان ، وكان عنده مصحف عثمان الذى كان فى حجره حين قتل ، ومنهم الوليد بن عثمان ، ذكر ابن قتيبة فى المعارف أنه كان صاحب شارب وفتوة ، ومنهم سعيد بن عثمان وكان والياً لمعاوية على خراسان ، فهؤلاء بنو عثمان الحاضرون فى ذلك الوقت ، وهم أولياء الدم دون غيرهم ولم يتحاكم إلى على أحد منهم ولا نقل ذلك عنهم ، فلو تحاكموا إليه لحكم بينهم إذ كان أفضى الصحابة للحديث المروى فيه عن رسول الله ﷺ .

وجواب ثان : أنه لم يكن فى الدار عدلان يشهدان على قاتل عثمان بعينه ، فلم يكن له أن يقتل بمجرد دعوى فى قاتل بعينه ، ولا إلى الحكم فى سبيل ذلك مع سكوت أولياء الدم عن طلب حقهم ، ففى تركهم له أوضح دليل ، وكذلك فعل معاوية حين تمت له الخلافة وملك مصر وغيرها بعد أن قتل على رضى الله عنه لم يحكم على واحد من المتهمين بقتل عثمان بإقامة قصاص ، وأكثر المتهمين من أهل

مصر والكوفة والبصرة ، وكلهم تحت حكمه وأمره ونهيه وغلبته وقهره ، وكان يدعى المطالبة بذلك قبل ملكه ، ويقول : لا نبايع من يؤوى قتلة عثمان ولا يقتص منهم ، والذي كان يجب عليه شرعاً أن يدخل في طاعة علي - رضى الله عنه - حين انعقدت خلافته في مسجد رسول الله ﷺ ومهبط (الوحى) ومقر النبوة وموضع الخلافة بجميع من كان فيها من المهاجرين والأنصار بطوع منهم وارتضاء واختيار ، وهم أم لا يحرصون (وهم) أهل عقد وحل ، والبيعة تنعقد بطائفة من أهل الحل والعقد ، فلما بويح له - رضى الله عنه - طلب أهل الشام في شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان ، وأخذ القود منهم ، فقال لهم علي (رضى الله عنه) : ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه ، فقالوا : لا تستحق بيعة ، وقتلة عثمان معك نراهم صباحاً ومساءً ، وكان علي في ذلك أسد رأياً وأصوب قِيلاً ، لأن علياً لو تعاطى القود معهم (لتعصبت) لهم قبائل وصارت حرباً ثالثة ، فانتظر بهم إلى أن يستوثق الأمر وتنعقد عليه البيعة ، ويقع الطلب من الأولياء في مجلس الحكم فيجري القضاء بالحق .

قال (القاضي) أبو بكر (بن العربي) : ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى إلى إثارة فتنة أو تشتيت الكلمة ، وكذلك جرى لطلحة والزبير فإنهما ما خلعا علياً من ولاية ، ولا اعترضوا عليه في ديانة ، وإنما رأوا أن البداية بقتل (قتلة) عثمان أولى .

١٧٨٢ - أخبرنا شيخنا القاضي لسان المتكلمين أبو عامر ابن الشيخ الفقيه الإمام أبي الحسين بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري إجازة عن شيخه المحدث الثقة المؤرخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال قال : حدثنا جماعة من شيوخنا - رحمهم الله - منهم الفقيه المفتي أبو محمد بن عنان قال : أنبأنا الإمام أبو عمر بن عبد البر فيما أجازته لنا بخطه قال : حدثنا خلف ابن القاسم (الحافظ) قال : حدثنا عبد الله بن عمر قال : حدثنا (أحمد) بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال : حدثني خالد أبو الربيع وأحمد بن صالح وأحمد بن عمر ابن السرح ويحيى بن سليمان قال : حدثني ابن وهب فذكره . وأحمد بن محمد بن الحجاج هو ابن رشدين بن سعد أبو جعفر مصرى قال أبو أحمد بن عدى : كذبوه وأنكرت عليه أشياء ومحمد بن يزيد بن أبي زياد مجهول . قاله الدار قطنى ، وباقي السند ثقات

معروفون .

١٧٨٣- وأما وقعة صفين ، فإن معاوية (رحمه الله) لما بلغه مسير أمير المؤمنين على كرم الله وجهه إليه من العراق خرج من دمشق حتى ورد صفين في النصف من المحرم ، فسبق إلى سهولة المنزل وسعة المناخ وقرب الماء من الفرات وبنى قصرًا لبيت ماله. وصفين صحراء ذات كدى وأكمام، وكان أهل الشام قد سبقوا إلى المشرعة من سائر الجهات ولم يكن ثم مشرعة سواها للواردين والواردات ، فمنعت علياً رضي الله عنه إياها (وحمته عنه) تلك الكمأة ، فذكرهم بالمواعظ الحسنة والآيات ، وحذرهم بقول النبي ﷺ فيمن منع فضل الماء بالفلاة ، فردوا قوله وأجابوه بألسنة الطغاة إلى أن قاتلهم بالقواضب والسمهريات ، فلما غلبهم عليها رضي الله عنه أباحها للشاريين والشاربات ، ثم بنى مسجداً على تل بأعلى الفرات ليقيم فيه مدة مقامه فرائض الصلوات لفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين من الدرجات على ما ثبت في (الصحيحين) من رواية ابن عمر وغيره من الصحابة العدول الثقات ، وحضرها مع علي (رضي الله عنه) جماعة من البدرين ، ومن بايع تحت الشجرة من الصحابة المرضيين ، وكان مع علي رضي الله عنه رايات كانت مع رسول الله في قتل المشركين ، وكان مقام علي رضي الله عنه ومعاوية بصفين سبعة أشهر ، وقيل تسعة ، وقيل ثلاثة أشهر ، وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين زحفاً وقتل في ثلاثة أيام من أيام البيض وهي ثلاث عشرة وأربعة عشرة وخمسة عشرة ثلاثة وسبعون ألفاً من الفريقين .

١٧٨٤- وذكره الثقة العدل أبو إسحاق وإبراهيم بن الحسين الكسائي الهمداني المعروف بابن ديزيل وهو الملقب بسفينة ، وسفينة طائر إذا وقع على الشجرة لم يرق عنها ويترك فيها شيئاً ، وهو في تلك الليالي هي ليلة الهرير جعل يهر بعضهم على بعض . والهرير : الصوت يشبه النباح ، لأنهم تراموا بالنبل حتى فنيت ، وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضت ، ثم نزل القوم يمشى بعضهم إلى بعض قد كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد ، فلا تسمع إلا غمغمة القوم والحديد في الهام ، ولما صارت السيوف كالمناجل تراموا بالحجارة ، ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ، ثم تكادموا

بالأفواه وكسفت الشمس وثار القتام وارتفع الغبار وضلت الألوية والرايات، ومرت أوقات أربع صلوات ، لأن القتال كان بعد صلاة الصبح واقتتلوا إلى نصف الليل ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين . قال الإمام أحمد بن حنبل فى تاريخه، وقال غيره فى شهر ربيع الأول .

١٧٨٥- وكان أهل الشام يوم صفين خمسة وثلاثين ومائة وألفاً ، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ومائة وألفاً ، ذكره الزبير بن بكار أبو عبد الله القاضى العدل قال : حدثنى عمر بن أبى بكر (الموصلى) ، عن زكريا بن عيسى ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عمرو بن العاص وكان ممن شهد صفين وأبلى فيه ، وفيه يقول :

فلو شهدت جمل مقامى ومشهدى بصفين يوماً شاب منها الذوائب
غداة أتى أهل العراق كأنهم من البحر ليج موجه متراكب
وجئناهم نمشى كأن صفوفنا سحائب غيث رفعتها الجنائب
ويروى : شهاب حريق رفعته الجنائب .

وقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا علينا فقلنا بل نرى أن نضارب
وطارت إلينا بالرماح كماتهم وطرنا إليهم بالأكف قواضب
إذا نحن قلنا استهزموا عرضت لنا كتائب منهم واشمأزت كتائب
فلاهم يولون الظهور فيدبروا فراراً كفعل الخادرات الدرائب

قال ابن شهاب : فأنشدت عائشة رضى الله عنها أبياته هذه ، وقالت : ما سمعت بشاعر أصدق شعراً منه .

١٧٨٦- قال الحافظ بن دحية (أبو الخطاب) : قوله : بل نرى أن نضارب «أن» هنا مخففة من الثقيلة محذوفة الاسم تقديره أننا نضارب ، وقوله «كفعل الخادرات الدرائب» .

الخادرات : الأسود، يقال أسد خادر ، كأن الأجمة له خدر، فمعناه أنهم لا يدبرون كالأسود التى لا تدبر عن فرائسها ، لأنها قد ضربت بها ودريت عليها، والدربة الضراوة . يقال : درب يدرب ، ورفع الدرائب لأنها بدل من الضمير فى يدبروا .

قال : والإجماع منعقد على أن طائفة الإمام طائفة عدل ، والأخرى طائفة
بغى ، ومعلوم أن علياً رضى الله عنه كان الإمام .

١٧٨٧- وروى مسلم فى صحيحه قال : حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار ،
اللفظ لابن مثنى قال : حدثنا محمد بن جعفر (قال) : حدثنا شعبة عن أبي سلمة قال :
سمعت أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد الخدرى قال : أخبرنى من هو خير منى أن
رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول :
«بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية» .

وخرجه أيضاً من حديث إسحاق بن إبراهيم ، وإسحاق بن منصور ، ومحمد
ابن غيلان ومحمد بن قدامة : قالوا: أخبرنا النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن أبي
سلمة بهذا الإسناد نحوه، غير أن فى حديث النضر قال : أخبرنى من هو خير منى أبو
قتادة وله طريق غير هذا فى صحيح مسلم . [حديث صحيح]

١٧٨٨- وقال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب له فى ترجمة عمار،
وتواترت الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال : « يقتل عمار الفئة الباغية » وهو من أصح
الأحاديث . [حديث صحيح]

١٧٨٩- وقال فقهاء الإسلام فيما حكاه الإمام عبد القاهر فى كتاب الإمامة
من تأليفه ، وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقى الحديث والرأى منهم مالك
والشافعى وأبو حنيفة والأوزاعى ، والجمهور الأعظم من المتكلمين إلى أن علياً
مصيب فى قتاله لأهل صفين كما قالوا بإصابته فى(قتال) أصحاب الجمل ، وقالوا
أيضاً بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيتهم .

١٧٩٠- وقال الإمام أبو منصور التيمى البغدادى فى كتاب « الفرق » من
تأليفه فى شأن القصة عقيدة أهل السنة، وأجمعوا أن علياً كان مصيباً فى قتاله لأهل
صفين كما قالوا بإصابته فى(قتال) أصحاب الجمل ، وقالوا أيضاً بأن الذين قاتلوه
بغاة ظالمون له ، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيتهم .

١٧٩١- وقال الإمام أبو منصور التيمى البغدادى فى كتاب الفرق فى بيان
عقيدة أهل السنة : وأجمعوا أن علياً كان مصيباً فى قتال أهل الجمل : أعنى طلحة
والزبير وعائشة بالبصرة ، وأهل صفين : أعنى معاوية وعسكره .

١٧٩٢- وقال الإمام أبو المعالي فى كتاب الإرشاد فصل : على رضى الله عنه كان إماماً حقاً فى توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضى أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه ، فهو آخر فصل ختم به كتابه ، وحسبك بقول سيد المرسلين وإمام المتقين لعمار رضى الله عنه: « تقتلك الفئة الباغية » . وهو من أثبت الأحاديث كما تقدم، ولما لم يقدر معاوية على إنكاره لثبوته عنده قال : إنما قتله من أخرجه ، ولو كان حديثنا فيه شك لرده معاوية وأنكره وأكذب ناقله وزوره .

وقد أجاب على رضى الله عنه عن قول معاوية بأن قال : فرسول الله ﷺ اذن قتل حمزة حين أخرجه ، وهذا من على رضى الله عنه إلزام لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها . قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب ابن دحية (رضى الله عنه) .

باب

لا يأتك زمان إلا والذي بعده شر منه وقد ظهر

الفتن

١٧٩٣- البخارى عن الزبير بن عدى قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : « اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ ، وخرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح . [حديث صحيح]

١٧٩٤- وعن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال : « يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج » قالوا : يا رسول الله ، أيم هو ؟ قال : « القتل القتل » أخرجه البخارى ، ومسلم . [حديث صحيح]

فصل

١٧٩٥- قوله : « يتقارب الزمان » قيل معناه قصر الأعمار وقلة البركة فيها ، وقيل هو دنو زمان الساعة ، وقيل هو قصر مدة الأيام على ما روى : « أن الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كاحتراق السعفة » أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقيل فى تأويله غير هذا .

وقال حماد بن سلمة : سألت أبا سنان عن قوله : « يتقارب الزمان حتى تكون

السنة كالشهر» وقال : ذلك من استلذاذ العيش . قال الخطابي : يريد- والله أعلم - زمان خروج المهدي ووقوع الأمانة في الأرض فيما يبسطه من العدل فيها على ما يأتي ، ويستلذ به العيش عند ذلك ، وتستقصر مدته ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت ، وامتدت ويستطيّلون أيام المكروه وإن قصرت وقلت ، والعرب تقول في مثل هذا : مر بنا يوم كعرقوب القطا قصراً . ويلقى الشح بمعنى يتلقى ويتعلم ويتواصى عليه ويدعى إليه، ومنه قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ أي تقبلها وتعلمها، ويجوز يلقي بتخفيف اللام والقاف على معنى يترك لإفاضة المال وكثرته ، حتى يهمل رب المال من يقبل صدقته فلا يجد من يقبلها على ما يأتي ، ولا يجوز أن يكون يلقي بمعنى يوجد، لأن الشح ما زال موجوداً قبل تقارب الزمان . [حديث صحيح]

باب ما جاء في الفرار من الفتن وكسر السلاح [فيها] وحكم المكروه عليها

١٧٩٦- مالك عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن».

[حديث صحيح]

١٧٩٧- مسلم أن أبي بكره قال : قال رسول الله ﷺ : «إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتن ألا ثم تكون فتن القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي إليها ألا فإذا نزلت ، ووقعت ، فمن كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه ، قال: فقال له رجل: يا رسول الله، أ رأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض . قال : يعمد إلى سيفه فيدق عليه بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة . اللهم هل بلغت . اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت . قال: فقال رجل: يا رسول الله، أ رأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفيين أو إحدى الطائفتين فيضربني رجل بسيفه أو يعجىء سهم فيقتلني ، قال: ييؤء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار» . [حديث صحيح]

١٧٩٨- وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي . من يشرف

لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأً فليعد به » قال : حديث حسن صحيح .

[حديث صحيح]

باب منه

وفد الأهر بلزوم البيوت عند الفتن

١٧٩٩- ابن ماجه عن أبي بردة قال : دخلت على محمد بن مسلمة، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة وخلاف وفرقة واختلاف فإذا كان ذلك فائت بسيفك أحداً فاضرب به حتى ينقطع، ثم اجلس في بيتك حتى تأتئك يد خاطئة أو منية قاضية» فقد وقعت وفعلت ما قال النبي ﷺ . [حديث صحيح]

١٨٠٠- (أخبرنا) أبو داود عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً . القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم» . [حديث صحيح]

فصل

١٨٠١- قال علماؤنا رحمة الله (تعالى) عليهم : كان محمد بن مسلمة رضى الله عنه ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وأن النبي ﷺ أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفاً من خشب ففعل وأقام بالربذة، وممن اعتزل الفتنة أبو بكر، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو ذر، وحذيفة، وعمران بن حصين، وأبو موسى، وأهبان بن صيفى، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، ومن التابعين شريح والنخعي وغيرهما، رضى الله عنهم.

١٨٠٢- قلت : هذا وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم، فكان المصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر، ولم يكن قتال على الدنيا، فكيف اليوم الذى تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلباً للملك والاستكثار من الدنيا، فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن، نسأل الله السلامة، والفوز بدار الكرامة بحق نبيه وآله وأتباعه وصحبه . وقوله: «كونوا أحلاس بيوتكم» حض على ملازمة البيوت والعودة فيها حتى يسلم من الناس ويسلموا منه . [حديث صحيح]

١٨٠٤- ودخل سلمة بن الأكوع على الحجاج ، وكان قد خرج إلى الربذة حين قتل عثمان ، وتزوج امرأة هناك وولدت له أولاداً ، فلم يزل بها حتى كان قبل أن يموت بليال ، فدخل المدينة، فقال له الحجاج : ارتددت على عقبك؟ قال : لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لنا في البدو .

وخرجه مسلم وغيره، وقد تقدم قوله ﷺ « يأتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنماً يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ، وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد منهم على ما يعلم من نفسه ، ويأتي له من أمره وقد كان العمري بالمدينة معتزلاً، وكان مالك مخالطاً للناس ، ثم اعتزل مالك آخر عمره رضى الله عنه، فيروى عنه، أنه أقام ثمانى عشرة سنة لم يخرج إلى المسجد ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ليس كل واحد يمكنه أن يخبر بعذره ، واختلف الناس فى عذره على ثلاثة أقوال ، فقيل : لئلا يرى (المنكر) ، وقيل : لئلا يمشى إلى السلطان ، وقيل : كانت به أبردة، فكان يرى تنزيه المسجد عنها » ذكره القاضى أبو بكر بن العربي فى كتاب سراج المريدين له . [حديث صحيح]

باب منه

وكيف التثبت فجى الفتنة والاعتزال عنها وفجى ذهاب

الصالحين

١٨٠٥- ابن ماجه عن عديسة بنت أهبان قالت : لما جاء على بن أبى طالب ها هنا بالبصرة دخل على أبى ، فقال: يا أبا مسلم ، ألا تعيننى على هؤلاء القوم ؟ قال : بلى فدعى جاريتته، فقال: يا جارية، أخرجى سيفى . قالت: فأخرجته، فسل منه قدر شبر ، فإذا هو خشب ، فقال: إن (حبيبى) وابن عمك ﷺ عهد إلى إذا كانت فتنة بين المسلمين ، فأتخذ سيفاً من خشب ، فإن شئت خرجت معك . قال : لا حاجة لى فيك ولا فى سيفك . [حديث صحيح]

١٨٠٦- وعن زيد بن شريحيل عن أبى موسى الأشعري ، قال : قال رسول

الله ﷺ: « إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويصبح كافراً ، ويمسى مؤمناً ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم الحجارة ، فإن دخل على أحد منكم فليكن كخير ابنى آدم » أخرجه أبو داود أيضاً . [حديث صحيح]

١٨٠٧- وخرج من حديث سعد بن أبي وقاص (قال): قلت: يا رسول الله، إن دخل على بيتي وبسط يده إلي ليقتلني، قال: فقال رسول الله ﷺ: « كن كخير ابنى آدم، وتلا هذه الآية ﴿ لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ﴾ » . [حديث صحيح]

١٨٠٨- ابن ماجه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي فيغربل الناس فيه غربلة يبقى حثالة من الناس قد مزجت عهودهم ، وخفت أمانتهم ، واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه ، قالوا: كيف بنا يا رسول الله ؟ إذا كان ذلك الزمان ؟ قال : تأخذون بما تعرفون ، وتدعون (ما) تنكرون ، وتقبلون على خاصتكم ، وتذرون أمر عامتكم » أخرجه أبو داود أيضاً . [حديث صحيح]

١٨١٠- النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ: إذا رأيت الناس مرجت عهودهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه فممت إليه، فقلت له : كيف أصنع عند ذلك يا رسول الله جعلني الله فداك ؟ قال : الزم بيتك واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة » أخرجه أبو داود أيضاً . [حديث صحيح]

فصل

قوله : ويوشك . معناه يقرب ، وقوله : فيغربل الناس فيها غربلة . عبارة عن موت الأخيار وبقاء الأشرار ، كما يبقى الغربال من حثالة ما يغربله ، والحثالة ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذى قشر إذا بقي ، وحثالة الدهن تفلته، وكأنه الردىء من كل شيء ، ويقال : حثالة وحثالة بالثاء والفاء معاً .
١٨١٣- وخرج البخارى عن مرداس الأسلمى قال : قال رسول الله

عليه السلام: « يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليه الله بالة » وفي رواية « لا يعبأ الله بهم » يقال: ما أباليه بالة وبال وبلى مقصور ومكسور الأول مصدر، وقيل: اسم أى ما أكثرث به والبال الاكترث والاهتمام بالشيء ، والصالحون هم الذين أطاعوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم به ، وانتهوا عما نهاهم عنه .

قال (الحافظ) أبو الخطاب بن دحية ومرداس ، وهذا هو مرداس بن مالك الأسلمى من أسلم بفتح اللام سكن الكوفة ، وهو معدود فى أهلها ولم يحفظ له من طريق صحيح سوى هذا الحديث .

قال المؤلف رحمه الله : انفرد به البخارى رحمه الله ، وروى عن قيس بن أبى حازم فى الرقاق ومزجت : معناه: اختلطت واختلفت، والمزج: الاختلاط والاختلاف . [حديث صحيح]

باب

الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه ولزوم جماعة المسلمين عند غلبة الفتن وظهورها وصفة دعامة آخر الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهور وأخذ المال ١٨١٤ - أبو داود ، عن نصر بن عاصم الليثى قال : أتينا اليشكرى فى رهط من بنى ليث فقال : من القوم ؟ (فقلنا) : بنو الليث أتيناك نسألك حديث حذيفة ، فقال : أقبلنا مع أبى موسى قافلين وغلت الدواب بالكوفة . قال : فسألت أبا موسى الأشعري أنا وصاحب لى ، فأذن لنا فقدمنا الكوفة، فقلت لصاحبي : أنا داخل المسجد فإذا قامت السوق خرجت إليك (قال) : قال : فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل واحد، قال : فقمتم عليهم ، فجاء رجل فقام إلى جنبى قال : فقلت : من هذا ؟ قال : أبصرى أنت ؟ قال : قلت : نعم . قال : قد عرفت ولو كنت كوفياً لم تسأل عن هذا ، هذا حذيفة ، فدنوت منه فسمعت حذيفة رضى الله عنه يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر ، وعرفت أن الخير لن يسبقنى، قال : فقلت : يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ قال : (يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات، قلت :

يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: فتنة وشر: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الشر خير؟ فقال: يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه، قال: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الشر خير؟ قال: هدنة على دخن وجماعة على أقذاء فيهم أو فيها. قلت: يا رسول الله، الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذى كانت عليه. قال: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: (يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات، قال: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ فتنة) عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار، فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم». [حديث صحيح]

١٨١٦- وخرج البخارى ومسلم وأبو داود، عن إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا فى جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم» فقلت: هل بعد ذلك من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتى ويهتدون بغير هدى، تعرف منهم وتنكر» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» فقلت: يا رسول الله، فما تأمرنى إن أدركت ذلك؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل (تلك) الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك».

وفى رواية قال: «يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ولا يستنون بسنتى، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس» قال: (قلت: فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع» لفظ مسلم. [حديث صحيح]

١٨١٧- وفى كتاب أبى داود بعد قوله هدنة على دخن قال: قلت: يا رسول الله، ثم ماذا؟ قال: «إن كان لله خليفة فى الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عاض فى جذل شجرة» قلت: ثم ماذا؟ قال: «ثم

يخرج الدجال ومعه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ، ومن وقع في نهره ، وجب وزره وحط أجره « قال: ثم ماذا؟ قال : « هي قيام الساعة » .
[حديث صحيح]

فصل

١٨١٨- قوله : على أقداء ، والأقداء ، جمع القذى، والقذى: جمع قذاه وهو ما يقع في العين من الأذى، وفي الطعام والشراب من تراب أو نتن أو غير ذلك ، فالمراد به في الحديث الفساد الذي يكون في القلوب، أي أنهم (ينغصون) بعضهم بعضاً ويظهرون الصلح والاتفاق ، ولكنهم في باطنهم خلاف ذلك ، والجدل : الأصل كما هو مبين في كتاب مسلم على أصل شجرة .

باب منه

إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
١٨١٩- مسلم عن الأحنف بن قيس قال : خرجت وأنا أريد هذا الرجل، فلقيني أبو بكره فقال : أين تريد يا أحنف ؟ قال : فقلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ يعني علياً، قال: فقال لي : يا أحنف ارجع ، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار » قال : فقلت: (أو قيل): يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه قد أراد قتل صاحبه » أخرجه البخاري، وفي بعض طرقه (قال): « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .
[حديث صحيح]

فصل

١٨٢٠- قال علماؤنا (رحمة الله عليهم) : ليس هذا الحديث في أصحاب النبي ﷺ بدليل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتَلَا الَّتِي تَبْغَى حَتَّى تَفْء إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ فأمر الله تعالى بقتال الفسقة الباغية ، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي، لتعطلت فريضة من فرائض الله، وهذا يدل على أن قوله:القاتل والمقتول في النار، ليس في أصحاب محمد ﷺ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبري : لو كان

الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف لما أقيم حد ، ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبى نسائهم ، وسفك دمائهم ، بأن يتحزبوا عليهم ، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها ، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها، وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام « خذوا على أيدي سفهائكم » .

قلت : فحديث أبي بكرة محمول على ما إذا كان القتال على الدنيا ، قد جاء هكذا منصوصاً فيما سمعناه من بعض مشايخنا : إذا اقتتلتم على الدنيا، فالقاتل والمقتول في النار . خرجه البزار .

١٨٢١- ومما يدل على صحة هذا ما خرج مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل ، ولا المقتول فيما قتل » فقيل : كيف يكون ذلك؟ قال : « الهرج القاتل والمقتول في النار » فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهالة من طلب الدنيا، أو اتباع هوى كان المقتول في النار ، فأما قتال يكون على تأويل ديني فلا ، وأما أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم ، فيجب على المسلمين توقييرهم، والإمساك عن ذكر زللتهم، ونشر محاسنهم لثناء الله عز وجل عليهم فى كتابه. فقال وقوله الحق: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يساعونك تحت الشجرة﴾ وقال (تعالى): ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ إلى آخر السورة. وقال (تعالى): ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل (أولئك أعظم درجة)﴾ (إلى قوله) ﴿وكللاً وعد الله الحسنى﴾ ، وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور، وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق، وقيل: إن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف عن عمومها، فاجتنبوا جميع ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وربما ندم بعضهم على ترك ذلك كعبد الله بن عمر، فإنه ندم على تخلفه عن نصره على بن أبى طالب رضى الله عنهما، فقال عند موته : ما أسى على شىء ما أسى على تركى

قتال الفئة الباغية- يعنى فئة معاوية- وهذا هو الصحيح . إن الفئة الباغية إذا علم منها البغى قوتلت . قال عبد الرحمن بن أبزى : شهدنا صفين مع على فى ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر . [حديث صحيح]

باب

جعل الله بأس هذه الأمة بينهما قال الله تعالى ﴿أويلبسكم﴾

شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض ﴿﴾

١٨٢٤- مسلم عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، قال ابن ماجه فى سننه : يعنى الذهب والفضة ، وإنى سألت ربي لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبى بعضهم بعضاً » زاد أبو داود : « وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، وإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى (با) لمشركين ، وحين يعبد قبائل من أمتى الأوثان ، وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون يزعم كلهم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي ، بعدى ، ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » . [حديث صحيح]

١٨٢٥- ابن ماجه عن معاذ بن جبل قال : صلى رسول الله ﷺ يوماً صلاة فأطال فيها ، فلما انصرف قلنا أو قالوا : يا رسول الله : أطلت اليوم الصلاة ! قال : « إنى صليت صلاة رغبة ورهبة ، سألت الله لأمتى ثلاثاً فأعطاني اثنتين ورد على واحدة . سألته ألا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته ألا يهلكهم غرقاً فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فرداً على » . [حديث صحيح لغيره]

١٨٢٦- وأخرجه مسلم ، عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية . وفى رواية فى طائفة من أصحابه حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية

دخل فرقع ركعتين ، فصلينا معه ، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة؛ سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم ممنعياً» ، وأخرجه الترمذى والنسائى وصححه، واللفظ للنسائى [حديث صحيح] ١٨٢٧- وعن خباب بن الأرت ، وكان شهد بدرأ مع رسول الله ﷺ أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان الفجر ، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاء خباب فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها ، فقال رسول الله ﷺ: «أجل إنها صلاة رغب ورهب ، سألت الله (عز وجل) فيها لأمتي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألت ربي ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل ألا يظهر عليها عدواً من غيرنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل ألا يلبسنا شيعاً فممنعياً» .

[حديث صحيح]

١٨٢٨- ابن ماجه عن أبي موسى قال : حدثنا رسول الله ﷺ : « إن بين يدي الساعة لهرجاً» قال: قلت: يا رسول الله، ما الهرج؟ قال: «القتل القتل» فقال بعض المسلمين: يا رسول الله ، إنا نقتل الآن فى العام الواحد من المشركين كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ: «ليس يقتل المشركين، ولكن يقتل بعضكم بعضاً حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته» وذكر الحديث ، والله أعلم .

[حديث صحيح]

باب

ما يكون من الفتن وإخبار النبي ﷺ بها

١٨٢٩- مسلم عن حذيفة قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به . حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه. [حديث صحيح]

١٨٣٠- وخرج أبو داود أيضاً عنه قال : والله ما أدري أنسى أصحابى أم تناسوه ، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه

ثلاث مائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته .

[إسناده لا بأس به]

١٨٣١- مسلم عن حذيفة بن اليمان قال : حدثنا رسول الله ﷺ مجلساً أنبأنا فيه عن الفتنة، فقال وهو يعد الفتن : منها ثلاثة لا يكدن يذرن شيئاً ، ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار ، قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى . [حديث صحيح]

١٨٣٢- أبو داود عن عبد الله بن عمر قال : : كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر فيها ، حتى ذكر فتنة الأحلاس ، فقال قائل : يا رسول الله ، وما فتنة الأحلاس ؟ قال : « هي هرب وخرب ثم فتنة السوء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني ، وإنما أوليائي المتقون ، ثم يصطليح الناس على رجل كودك على ضلع ، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لكمة ، فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، حتى يصير الناس فسطاطين : فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذلكم ، فانتظروا الدجال من يومه أو من غده » .

[حديث صحيح]

فصل

١٨٣٣- قول حذيفة : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً . وفي الرواية الأخرى مجلساً . قد جاء مبيناً في حديث أبي زيد قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، فصعد المنبر ، فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا ، أخرجهم مسلم . [حديث صحيح]

وقوله : حتى ذكر فتنة الأحلاس ، قال الخطابي : إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس ، لدوامها وطول لبثها ، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه : هو جلس بيته ، ويحتمل أن تسمى هذه الفتنة بالأحلاس ، لسوادها وظلمتها ، والحرب ذهاب الأهل والمال . ويقال حرب الرجل فهو حريب إذا سلب أهله وماله ، ومن هذا المعنى أخذ لفظ الحرب ، لأن فيها ذهاب النفوس والأموال ، والله أعلم . والدخن :

الدخان يريد أنها تثور كالدخان من تحت قدميه . وقوله : «كودك على ضلع» مثل ، ومعناه الأمر الذى لا يثبت ولا يستقيم ، يريد أن هذا الرجل غير خليق بالملك ، والدهيماء : تصغير الدهماء على معنى المذمة لها والتعظيم لأمرها كما قال : «دويهية تصفر منها الأنامل» أى هذه الفتنة سوداء مظلمة ، ودلت أحاديث هذا الباب على أن الصحابة رضى الله عنهم كان عندهم من علم الكوائن إلى يوم القيامة العلم الكثير، لكن لم يشيعوها، إذ ليست من أحاديث الأحكام، وما كان فيه شيء من ذلك حدثوا به وتقصروا عنه .

١٨٣٥- وقد روى البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين (من علم) أما أحدهما: فبثثته، وأما الآخر: فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم . قال أبو عبد الله : البلعوم : مجرى الطعام، والفسطاط: الخيمة الكبيرة، وتسمى مدينة مصر الفسطاط ، والمراد به فى هذا الحديث الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخرى تشبيهاً بانفراد الخيمة عن الأخرى ، وتشبيهاً بانفراد المدينة عن الأخرى حملاً على تسمية مصر بالفسطاط ، والله أعلم . [خبر صحيح]

باب

ذكر الفتنة التامة موج البحر ، وقول النبي ﷺ « هلاك أمتك على يد أغيلة من سفهاء قريش »

١٨٣٦- ابن ماجه عن شقيق عن حذيفة قال : كنا جلوسا عند عمر ابن الخطاب فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة؟ قال حذيفة: فقلت أنا ، فقال: إنك لجرىء ، قال : كيف سمعته يقول ؟ قلت سمعته يقول : « فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره، يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال عمر : ليس هذا أريد، إنما أريد التى تموج موج البحر ، قال: مالك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال (يفتح) الباب أو يكسر؟ قال : بل يكسر. قال: ذلك أجدر أن لا يغلّق، فقلت لحذيفة : أكان عمر يعلم من الباب؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غد الليلة إنى حدثته حديثاً ليس بالأغاليط ، قال : فهبنا أن نسأله من الباب، فقلنا لمسروق: سلّه، فسأله ، فقال : هو عمر « أخرجه البخارى ومسلم أيضاً. [حديث صحيح]

١٨٣٧- وخرج الخطيب أبو بكر أحمد بن علي من حديث مالك ابن أنس أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) دخل على بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فوجدها تبكي، فقال: ما يبكيك ؟ قالت: هذا اليهودي- لكعب الأحبار- يقول: إنك باب من أبواب جهنم ، فقال عمر: ما شاء الله إنني لأرجو (الله) أن يكون خلقتني سعيداً ، قال: ثم خرج ، فأرسل إلى كعب فدعاه، فلما جاءه كعب قال : يا أمير المؤمنين : والذي نفسى بيده لا تنسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة ، فقال عمر : أى شيء هذا ؟ مرة فى الجنة ومرة فى النار ، قال : والذي نفسى بيده، إنا نجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مت لم يزالوا يتقحمون فيها إلى يوم القيامة . [حديث صحيح]

١٨٣٨- البخارى عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال : أخبرني جدي قال: كنت جالساً مع أبي هريرة فى مسجد النبي ﷺ بالمدينة، ومعنا مروان ، فقال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق يقول: « هلكت أمتى على يد أغيلمة من قريش » قال مروان لعنة الله عليهم من أغيلمة . قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت ، فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حتى تملكوا بالشام ، فإذا رأهم أحدائاً وغلماًناً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا : أنت أعلم .

١٨٣٩- الغلام الطار الشارب، والجمع الغلطة والغلمان ، ونص مسلم فى صحيحه فى كتاب الفتن عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي ﷺ قال: « يهلك أمتى هذا الحي من قريش » قال : فما تأمرنا ؟ قال: «لو أن الناس اعتزلوهم »

[حديث صحيح]

فصل

١٨٤٠- قال علماؤنا- رحمة الله عليهم-: هذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان عنده من علم الفتن العلم الكثير ، والتعيين على من يحدث عنه الشر الغزير ، ألا تراه يقول لو شئت قلت لكم هم بنو فلان وبنو فلان ، لكنه سكت عن تعيينهم مخافة ما يطرأ من ذلك من المفسد ، وكأنهم والله أعلم يزيد بن معاوية ، وعبيد الله بن زياد ، ومن تنزل منزلتهم من أحداث ملوك بنى أمية ، فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت رسول الله ﷺ وسببهم ، وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة

وبمكة ، وغيرها ، وغير خاف ما صدر عن الحجاج ، وسليمان بن عبد الملك ، وولده من سفك الدماء ، وإتلاف الأموال، وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك ، وبالجملة فبنو أمية قابلوا وصية النبي ﷺ في أهل بيته وأمته بالخالفه والعقوق ، فسفكوا دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم، وخربوا ديارهم، وجحدوا فضلهم وشرفهم واستباحوا لعنهم وشتمهم ، فخالفوا رسول الله ﷺ في وصيته، وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته (فواخجلهم) إذا وقفوا بين يديه، (ويا) فضيحتهم يوم يعرضون عليه ، والله أعلم .

باب

ما جاء في بيان مقتل الحسين رضي الله عنه ولا رضي عن قاتله

١٨٤٢- وخرج الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا مؤمل قال : حدثنا عمارة بن زاذان ، حدثنا ثابت عن أنس أن ملك المطر استأذن أن يأتي النبي ﷺ فأذن له ، فقال لأم سلمة : « أملكى علينا الباب لا يدخل علينا أحد قال : وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل ، فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبيه وعلى عاتقه، قال : فقال الملك للنبي ﷺ: أتجبه ؟ قال: نعم. قال : أما وإن أمتك ستقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه ، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء ، فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها » قال ثابت : بلغنا أنها كربلاء . [حديث صحيح]

١٨٤٣- وقال مصعب بن الزبير: حج الحسين خمسة وعشرين حجة ماشياً، وقد قال النبي ﷺ فيه وفي الحسن: «إنهما سيذا شباب أهل الجنة». [حديث صحيح]

١٨٤٤- وقال : «هما ريحائتاى من الدنيا» . [حديث صحيح]

١٨٤٥- وكان النبي ﷺ إذا رآهما هش لهما وربما أخذهما. كما روى أبو داود أنهما دخلا المسجد وهو يخطب ، فقطع خطبته ونزل فأخذهما وصعد بهما .

قال : « رأيت هذين فلم أصبر » . [حديث صحيح]

١٨٤٦- وكان يقول فيهما : « اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما » وقتل -رحمه الله، ولا رحم قاتله- يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين بكر بلاء بقرب موقع يقال له «الطف» بقرب من الكوفة . [حديث صحيح]

١٨٤٧- قال أهل التواريخ: لما مات معاوية وأفضيت الخلافة إلى يزيد، وذلك سنة ستين، ووردت البيعة على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ بالبيعة إلى أهلها، أرسل إلى الحسين بن علي، وإلى عبد الله بن الزبير ليلاً فأتى بهما فقال: بايعا . فقالا: مثلنا لا يبايع سراً، ولكن نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا، فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من لياتهما إلى مكة، وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب، فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة، وخرج يوم الثروية يريد الكوفة، فبعث (عبيد) الله بن زياد خيلاً لمقتل الحسين، وأمر عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فأدركه بكر بلاء، وقيل: إن عبيد الله ابن زياد كتب إلى الحر بن يزيد الرياحي أن جمع بالحسين . قال أهل اللغة: أراد احبسه وضيق عليه، والجمع (و)الجمعاع: الموضع الضيق من الأرض، ثم أمده (بعمر) بن سعد في أربعة آلاف، ثم ما زال عبيد الله يزيد في العساكر، ويستفز الجماهير إلى أن بلغوا اثنين وعشرين ألفاً، وأميرهم (عمر) بن سعد ووعدته أن يملكه مدينة الرى فباع الفاسق الرشيد بالغى، وفي ذلك يقول:

أترك ملك الرى والرى منيتى وأرجع (مأزوراً) بقتل حسين
فضيق عليه اللعين أشد تضيق، وسد بين يديه وضح الطريق إلى أن قتله يوم الجمعة . وقيل، يوم السبت العاشر من المحرم، وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب: قتل يوم الأحد لعشر مضين من المحرم بموضع من أرض الكوفة يقال له كربلاء، ويعرف بالطف أيضاً وعليه جبة خز كفاء، وهو ابن ست وخمسين سنة . قاله نسابه قريش الزبير بن بكار، ومولده لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وفيها كانت غزوة ذات الرقاع، وفيها قصرت الصلاة، وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة، واتفقوا على أنه قتل يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين، ويسمى عام الحزن، وقتل معه اثنان وثمانون رجلاً من أصحابه مبارزة، منهم: الحر بن يزيد، لأنه تاب ورجع مع الحسين، ثم قتل جميع بنيه إلا علياً المسمى بعد ذلك بزین العابدين كان مريضاً (فأخذ) أسيراً بعد قتل أبيه، وقتل أكثر إخوة الحسين وبنى أعمامه رضى الله عنهم ثم أنشأ يقول:

يا عين ابكى بعبرة وعويل واندهى - إن ندبت - آل الرسول

سبعة كلهم لصلب على قد أصيبوا وتسعة لعقيل
 ١٨٤٨- قال جعفر الصادق : وجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة بالسيف ،
 وأربع وثلاثون ضربة ، واختلفوا فيمن قتله . فقال يحيى بن معين : أهل الكوفة
 يقولون: إن الذى قتل الحسين (عمر) بن سعد. (بن أبى وقاص). (قال يحيى : كان
 إبراهيم بن سعد يروى فيه حديثاً أنه لم يقتله عمر بن سعد) قال ابن عبد البر : إنما
 نسب قتل الحسين إلى (عمر) بن سعد ، لأنه كان الأمير علي الخليل التى أخرجها
 عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين . وأمر عليهم (عمر) بن سعد ووعد أنه يوليه
 الرى إن ظفر بالحسين وقتله ، وكان فى تلك الخيل -والله أعلم- قوم من مصر ومن
 اليمن وفى شعر سليمان بن فتننة الخزاعى وقيل : إنها لأبى الرميح الخزاعى ما يدل على
 الاشتراك فى دم الحسين بن علي وقيل : قتله سنان بن (أنس) النخعى وقال مصعب
 النسابة الثقة: قتل الحسين بن علي سنان أبى سنان النخعى ، وهو جد شريك القاضى
 ويصدق ذلك قول الشاعر:

وأى رزية عدلت حسيناً غداة تبيده كفاً سنان
 ١٨٤٩- وقال خليفة بن خياط : الذى ولى قتل الحسين شمر بن ذى الجوشن
 وأمير الجيش (عمر) بن سعد ، وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولة بن يزيد
 الأصمى من حمير حز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وقال :
 أوقر ركابى فضة أو ذهباً إنى قتلت الملك المحجبا
 قتلت خير الناس أمماً وأباً وخيرهم - إذ ينسبون - نسبا
 هذه رواية أبى عمر بن عبد البر فى الاستيعاب وقال غيره : تولى حمل الرأس
 بشر بن مالك الكندى ودخل به على ابن زياد وهو يقول :

أوقر ركابى فضة وذهباً إنى قتلت الملك المحجبا
 وخيرهم إذ يذكرون النسبا قتلت خير الناس أمماً وأباً
 فى أرض نجد وحرا ويشربا

فغضب ابن زياد من قوله وقال : إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته ؟ والله لا نلت
 منى خيراً أبداً، ولألحقنك به، ثم قدمه فضرب عنقه .
 وفى هذه الرواية اختلاف ، وقد قيل إن يزيد بن معاوية هو الذى قتل القاتل .

١٨٥٠- (وذكر) الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي (قال) : حدثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتبعه فيها . قال : قلت: يا رسول الله ما هذا ؟ قال : «دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم» قال عمار : فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم وهذا سند صحيح لا مطعن فيه، وساق القوم حرم رسول الله ﷺ كما تساق (الأسارى) حتى إذا بلغوا بهم (إلى) الكوفة خرج الناس فجعلوا ينظرون إليهم، وفي الأسارى على بن حسين، وكان شديد المرض قد جمعت يده إلى عنقه، وزينب بنت على وبنت فاطمة الزهراء ، وأختها أم كلثوم، وفاطمة وسكينة بنت الحسين ، وساق الظلمة والفسقة معهم رؤوس القتلة .

١٨٥١- روى فطر عن منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية قال : قتل مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من ولد فاطمة عليها الصلاة والسلام. [إسناده حسن] ١٨٥٢- وذكر أبو عمر عبد البر عن الحسن البصرى قال : أصيب مع الحسين ابن علي ستة عشر رجلاً من أهل بيته ما على وجه الأرض لهم يومئذ شبيهه . وقيل : إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً . [خبر صحيح] ١٨٥٣- وفي صحيح البخارى فى المناقب عن أنس بن مالك : أتى عبيد الله ابن زياد برأس الحسين ، فجعل فى طست ، فجعل ينكت وقال فى حسنه شيئاً ، فقال أنس : كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوباً بالوسمة . يقال : نكت فى الأرض إذا أثر فيها ، ونكت بالحصباء إذا ضرب بها ، وكان الفاسق يؤثر فى رأسه المكرم بالقضيب ، وأمر عبيد الله بن زياد من قور الرأس حتى ينصب فى الرمح ، فتحاماه أكثر الناس ، فقام رجل يقال له طارق بن المبارك بل هو ابن المشؤوم الملعون المذموم فقوره ونصبه بباب دارعبيد الله ، ونادى فى الناس وجمعهم فى المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل ذكرها ، ثم دعا بزياد بن حمر بن قيس الجعفى فسلم إليه رأس الحسين ورؤوس إخوته وبنيه وأهل بيته وأصحابه ، ودعى بعلى بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء ، والناس يخرجون إلى لقاءهم فى كل بلد ومنزل ، حتى قدموا دمشق ودخلوا من باب توما وأقيموا على

درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبى ، ثم وضع الرأس المكرم بين يدي يزيد فأمر أن يجعل في طست من ذهب، وجعل ينظر إليه ويقول هذه الأبيات :

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما
نعلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعتق وأظلما

ثم تكلم بكلام قبيح وأمر بالرأس أن تصلب بالشام ، ولما صلبت أخفى خالد ابن عفران شخصه من أصحابه ، وهو من أفاضل التابعين فطلبوه شهراً حتى وجدوه فسألوه عن عزلته فقال : ألا ترون ما نزل بنا: (ثم أنشأ يقول) :

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متزماً بدمائه تزميلاً
وكأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاً ولم يترقبوا في قتلك التنزيل والتأويلاً
ويكبرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلاً
[خبر صحيح]

١٨٥٤- واختلف الناس في موضع الرأس المكرم ؟ وأين حمل من البلاد ؟ فذكر الحافظ أبو العلاء الهمداني أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة، فأقدم عليه عدة من موالى بنى هاشم، وضم إليهم عدة من موالى أبى سفيان ، ثم بعث بثقل الحسين ومن بقى من أهله معهم ، وجهزهم بكل شيء، ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمر لهم بها ، وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن (سعد) ابن العاص ، وهو إذ ذاك عامله على المدينة فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إلى . ثم أمر عمرو بن سعد بن العاص برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها الصلاة والسلام . وهذا أصح ما قيل فى ذلك ، ولذلك قال الزبير ابن بكار : إن الرأس حمل إلى المدينة والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب، قال : حدثنى بذلك محمد بن حسن الخزومى النسابة .

والإمامية تقول إن الرأس أعيد إلى الجثة بكر بلاء بعد أربعين يوماً من المقتل ، وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين ، وما ذكر أنه فى عسقلان فى مشهد هناك أو بالقاهرة فشيء باطل لا يصح ولا يثبت ، وقد قتل الله

قاتله صبراً، ولقى حزناً طويلاً وذعراً وجعل رأسه الذى اجتمع فيه العيب والدم فى
الموضع الذى جعل فيه رأس الحسين ، وذلك بعد قتل الحسين بستة أعوام وبعث
المختار به إلى المدينة ، فوضع بين يدي بنى الحسين الكرام ، وكذلك عمرو بن سعد
وأصحابه اللثام ضربت أعناقهم بالسيف وسقوا كأس الحمام وبقي الوقوف بين يدي
الملك العلام فى يوم ﴿يعرف المهرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي
والأقدام﴾ .

١٨٥٥- وفى الترمذى: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا أبو معاوية، عن
الأعمش ، عن عمارة بن عميرة قال : لما (جىء) برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه
نصبت فى المسجد فى الرحبة ، فانتهيت إليهم وهم يقولون قد جاءت (قد جاءت)
فإذا هي حية قد جاءت (تتخلل) الرؤوس حتى دخلت فى منخرى عبيد الله ،
فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ، ثم قالوا: (قد) جاءت قد
جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً . [خبر صحيح]

١٨٥٦- قال علماؤنا : وذلك مكافأة لفعله برأس الحسين ، وهي من آيات
العذاب الظاهرة عليه ، ثم سلط الله عليهم المختار فقتلهم حتى أوردتهم النار، وذلك
أن الأمير (سيد) مدحج بن إبراهيم بن مالك لقي عبيد الله بن زياد على خمسة فراسخ
من الموصل ، وعبيد الله فى ثلاثة وثلاثين ألفاً، وإبراهيم فى أقل من عشرين ألفاً
فتطاعنوا بالرمح وتراموا بالسهم، واصطفقوا بالسيوف إلى أن اختلط الظلام ، فنظر
إبراهيم إلى رجل عليه بزة حسنة ودرع سابعة وعمامة خز دكناء وديباجة خضراء ،
من فوق الدرع ، وقد أخرج يده من الديباجة ورائحة المسك تشم عليه ، وفى يده
صحيفة له مذهبة ، فقصدته الأمير إبراهيم لا لشيء إلا لتلك الصحيفة والفرس الذى
تحتة، حتى إذا لحقه لم يلبث أن ضربه ضربة كانت فيها نفسه ، فتناول الصحيفة وغار
الفرس فلم يقدر عليه، ولم يبصر الناس بعضهم بعضاً من شدة الظلمة ، فتراجع أهل
العراق إلى عسكرهم والخيول لا تطأ إلا على القتلى ، فأصبح الناس وقد فقد من أهل
العراق ثلاثة وسبعون رجلاً ، وقتل من أهل الشام سبعون ألفاً . (وقد قال الشاعر
فيهم) :

فيتعشوا منهم بسبعين ألفاً أو يزيدون قبل وقت العشاء

فلما أصبح وجد الأمير الفرس رده عليه رجل كان أخذه ، ولما علم أن الذى قتل هو عبيد الله بن زياد كبير وخر ساجداً، وقال : الحمد لله الذى أجرى قتله على يدي ، فبعث به إلى المختار زيادة على سبعين ألف رأس في أولها أشد رؤوس أهل الفساد عبيد الله المنسوب إلى زياد .

قال المؤلف رحمه الله: (نقلت) هذا من كتاب مرج البحرين في (فوائد) المشركين والمغربين للحافظ (الإمام) أبي الخطاب بن دحية رضى الله عنه .

فصل

١٨٥٧- ومثل صنيع عبيد الله بن زياد صنع قبله (بسر) بن أرطاة العامري الذى هتك الإسلام، وسفك الدم الحرام ، وأذاق الناس الموت الزؤام ، ولم (يرع) لرسول الله الذمام ، فقتل أهل بيته الكرام وحكم في مفارقهم الحسام ، وعجل لهم الحمام (و) ذبح (ولدى) عبيد الله بن (العباس) بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدي أمهما يمرحان ، وهما قثم وعبد الرحمن، فوسست أمهما وأصابها ضرب من الجان لما أشعله الثكل فى قلبها من (لهيب) النيران .

١٨٦٠- وذكر أبو عمرو الشيباني قال : لما وجه معاوية بسر بن أرطاة لقتل شيعة علي رضى الله عنه سار إلى أن أتى المدينة ، فقتل ابني عبيد الله بن العباس وفر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بنى سليم ، (وفى) هذه الخرجة التى ذكر أبو عمرو الشيباني أغار بسر على همدان فقتل وسبى نساءهم ، فكن أول نساء سبى فى الإسلام وقتل أحياء من بنى سعد ، وقد اختلفوا كما ترى فى أى موضع قتل الصغيرين من أهل البيت، هل فى المدينة أو فى مكة أو فى اليمن؟ لأنه دخل هذه البلاد وأكثر فيها الفساد وأظهر لعلى رضى الله عنه العناد وأفرط فى بغضه وزاد وسلط على أهل البيت الكريم الأجناد، فقتل وسبى وأباد ولم يبق (فى بغضه) إلا أن يخذد الأخاديد (ويتد) الأوتاد ، وكان معاوية قد بعثه فى سنة أربعين إلى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس أخو عبد الله بن العباس ، ففر عبيد الله وأقام بسر باليمن وباع دينه ببخس من الثمن فأخاف السبيل، ورعى المرعى الوييل، وباع المسلمات وهتك الحرمات فبعث على رضى الله عنه فى طلبه حارثة بن قدامة السعدى، فهرب بسر إلى الشام، وقد ألبس بذيهم أفعاله ثياب العار والذمام، وبقي الوقوف بين يدي

الملك العلام ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ ورجع الشريف (أبو محمد عبد الله) إلى بلاد اليمن ، فلم يزل والياً عليها حتى قتل علي رضي الله عنه . ويقال : إن بسر بن أرطأة لم يسمع من النبي ﷺ حرفاً لأن رسول الله ﷺ قبض وهو صغير، فلا تصح له صحبه . قاله الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ، وقال آخرون : خرف في آخر عمره . قال يحيى بن معين : وكان رجل سوء . قال المؤلف رحمه الله : كذا ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله .

١٨٦١ - وقد ذكر أبو داود ، عن جنادة عن ابن أبي أمية قال : كنا مع بسر ابن أرطأة في البحر، فأتى بسارق يقال له منصور وقد سرق بختية ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقطع الأيدي في الغزو، ولولا ذلك لقطعته » .

[حديث صحيح]

١٨٦٢ - قال أبو محمد عبد الحق : بسر هذا يقال ولد في زمن رسول الله ﷺ، وكانت له أخبار سوء في جانب علي وأصحابه ، وهو الذي ذبح طفلين لعبيد الله بن العباس ، ففقدت أمهما عقلها ، وهامت على وجهها ، فدعا عليه على رضي الله عنه أن يطيل الله عمره ويذهب عقله، فكان كذلك، قال ابن دحية: ولما ذبح الصغيرين وفقدت أمهما عقلها كانت تقف في الموسم تنشد شعراً يبكي العيون، ويهيج بلابل الأحزان والعيون، وهو هذا :

ها من أحسن إبني اللذين هما كالدريتين تشظي عنهما الصدف
يقال تشظت العصاة إذا صارت فلقاً ، قاله في الجمل وغيره .

ها من أحسن إبني اللذين هما سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
حدثت بشراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي اقترف
أحنى علي ودجى ابني مرهفة مشحودة وكذلك الإثم يقترف

فصل

قلت : قوله « تستنطف » أى ترمى ، مأخوذ من نطف الماء أي قطر ، والنطفة الماء الصافي قل أو كثر، والجمع النطاف . أى إن هذه الفتنة تقتل قتلاها في النار، أى ترميهم فيها لاقتالهم على الدنيا واتباع الشيطان والهوى وقتلاها بدل من قوله العرب

هذا المعنى الذى ظهر لى فى هذا ولم أقف فيه على شيء لغيرى، والله أعلم . قوله : « اللسان فيها أشد من وقع السيف » أى بالكذب عند أئمة الجور ونقل الأخبار إليهم، فرمما ينشأ عن ذلك من النهب والقتل والجلد والمفاسد العظيمة أكثر ما ينشأ من وقوع الفتنة نفسها (والله أعلم).

١٨٦٥- وفى الصحيحين ، عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » وفى رواية عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » لفظ مسلم . [حديث صحيح]
١٨٦٦- وقد روى « أن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً يهوى بها فى النار سبعين خريفاً » فقوله : من سخط الله، أى مما يسخط الله ، وذلك بأن يكون (نميمته) كذبة أو بهتاناً أو بخساً أو باطلاً يضحك به الناس .

[حديث صحيح]

١٨٦٧- كما جاء عن النبى ﷺ أنه قال : « ويل للذي تكلم بالكلمة من الكذب ليضحك الناس ، ويل له، ويل له » . [حديث حسن]
١٨٦٨- وفى حديث ابن مسعود : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الرفاهية من سخط الله ترديه (أبعد) ما بين السماء والأرض » قال أبو زياد الكلابى : الرفاهية، السعة فى المعاش والخصب ، وهذا أصل الرفاهية ، فأراد عبد الله أن يتكلم بالكلمة فى تلك الرفاهية والأتراف فى دنياه مستهيناً بها لما هو فيه من النعمة ، فيسخط الله عز وجل عليه . قال أبو عبيدة: وفى الرفاهية لغة أخرى الرفاعية ، وليس فى هذا الحديث . يقال : وهو فى رفاهية ورفاعية من العيش . وقوله : «صماء بكماء عمياء » يريد أن هذه الفتنة لا تسمع ولا تبصر فلا تقلع ولا ترتفع ، لأنها لا حواس لها فترعوى إلى الحق ، وأنه شبهها - لاختلاطها وقتل البرىء فيها والسقيم - بالأعمى (و) الأصم الأخرس الذى لا يهتدى إلى شيء فهو يخبط عشواء ، والبكم: الأخرس فى أصل الحلقة ، والصمم : الطرش . [خبر صحيح]

باب الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للقتل عندها

والسعيك من جنبها

١٨٦٩- أبو داود عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر » قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، وذكر الحديث قال : « كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت بالوصيف » يعني القبر ، قلت : الله ورسوله أعلم ، أو قال : ما خار الله لي ورسوله ، قال : « عليك بالصبر » أو قال تصبر ، ثم قال : « يا أبا ذر » قلت : لبيك وسعديك ؟ قال : « كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم » قلت : ما خار الله لي ورسوله . قال : « عليك بمن أنت منه » قال : قلت : يا رسول الله ، أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي ؟ قال : « شاركت القوم إذا » قال : قلت : فما تأمرني ؟ قال : « تلزم بيتك » ، قال : قلت : فلما دخل على بيتي ؟ قال : « فإن خشيت أن يهرك شعاع السيف ، فألق ثوبك على وجهك ييوء بإثمه وإثمك » (أ) خرجه ابن ماجه وقال : تصبر من غير شك ، وزاد بعده قال : كيف أنت وجوع يصيب الناس حتى تأتي مسجدا فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك ، أو لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدا » ، قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، أو ما خار الله لي ورسوله ، قال : « عليك بالعفة » ، ثم قال : « كيف أنت وقتل يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم » الحديث .

وقال : « فألق طرف رداك على وجهك فييوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار » . [حديث صحيح بطرقه]
١٨٧١- أبو داود قال عن المقداد بن الأسود قال : وإيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر فواها » .

[حديث حسن]

١٨٧٢- الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر » قال : حديث غريب .

[حديث حسن]

فصل

قوله : بالوصيف . الوصيف الخادم يريد أن الناس يشتغلون عن دفن موتاهم ، حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبر الميت ويدفنه إلا أن يعطى وصيفا أو قيمته ، وقد يكون معناه أن مواضع القبور تضيق عليهم فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر

بوصيف، وقوله : غرقت بالدم أى لزمت والغروق اللزوم فيه، ويروى غرقت، وأحجار الزيت : موضع بالمدينة .

١٨٧٣- روى الترمذى عن عمير مولى أبى اللحم عن أبى اللحم أنه رأى رسول الله ﷺ «يستسقى وهو مقنع بكفيه يدعو» . [حديث صحيح]

فصل

١٨٧٥- وأما حديث ابن مسعود : «كن مثل الجمل الأورق» ، فقال الأصمعى الأورق وهو الذى في لونه بياض إلى سواد . ومنه قيل للرماد أورق والحمامة ورقاء ذكره الأصمعى قال : وهو أطيب الإبل لحما وليس بمحمود عند العرب فى عمله وسيره ، وأما الثقال فهو البطيء قال (أبو) عبيد : إنما خص عبد الله الأورق من الإبل لما ذكر من ضعفه عن العمل ، ثم اشترط الثقال أيضاً فزاده إبطاء وثقلاً فقال : كن فى الفتنة مثل ذلك ، وهذا إذا دخل عليك وإنما أراد عبد الله بهذا التشبث عن الفتنة والحركة فيها .

فصل

١٨٧٦- وأما أمره ﷺ أبا ذر بلزوم البيت وتسليم النفس للقتل، فقالت طائفة : ذلك عند جميع الفتن وغير جائز لمسلم النهوض فى شيء منها . قالوا: وعليه أن يستسلم للقتل إذا أريدت نفسه ولا يدفع عنها ، وحملوا الأحاديث على ظاهرها ، وربما احتجوا من جهة النظر بأن قالوا : إن كل فريق من المقتتلين فى الفتنة فإنه يقاتل على تأويل ، وإن كان فى الحقيقة خطأ فهو عند نفسه محق وغير جائز لأحد قتله وسبيله سبيل حاكم من المسلمين يقضى بقضاء مما اختلف فيه العلماء على ما يراه صواباً، فغير جائز لغيره من الحكام نقضه إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتاباً ولا سنة ولا جماعة . وكذلك المقتتلون فى الفتنة كل حزب منهم عند نفسه محق دون غيره مما يدعون من التأويل فغير جائز لأحد قتالهم ، وإن هم قصدوا (الفتنة) فغير جائز دفعهم ، وقد ذكرنا من تخلف عن الفتنة وقعد منهم عمران بن الحصين وابن عمر ، وقد روى عنهما ، وعن غيرهما منهم عبيدة السلماني أن من اعتزل الفريقين فدخل (فى) بيته فأتى من يريد نفسه فعليه دفعه عن نفسه، وإن أبى الدفع عن نفسه فغير مصيب كقوله عليه الصلاة والسلام « من أريدت نفسه وماله فقتل فهو شهيد »

قالوا: فالواجب على كل من أرادت نفسه وماله فقتل ظلماً دفع ذلك ما وجد إليه السبيل متأولاً كان المريد أو متعمداً للظلم . [حديث صحيح]

١٨٧٧- قلت : هذا هو الصحيح فى القولين إن شاء الله تعالى . وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ، قال : « فلا تعطه مالك » ، قال : أرأيت إن قاتلتنى ، قال : « قاتله » قال : أرأيت إن قتلنى ، قال : « فأنت شهيد » قال : أرأيت إن قتلته قال : هو فى النار . [حديث صحيح]

١٨٧٨- وقال ابن المنذر: ثبت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من قتل دون ماله فهو شهيد » وقد روينا عن جماعة من أهل العلم أنهم رأوا قتال اللصوص ودفعهم عن أنفسهم وأموالهم ، وهذا مذهب ابن عمر ، والحسن البصرى ، وقاتدة ومالك ، والشافعى ، وأحمد وإسحاق ، والنعمان ، قال أبو بكر : وبهذا يقول عوام أهل العلم ، أن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله إذا أريد ظلماً ، للأخبار التى جاءت عن رسول الله ﷺ لم يخص وقتاً من وقت ولا حالاً دون حال إلا السلطان ، فإن جماعة أهل العلم كالمجتمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربه أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه للأخبار الواردة الدالة عن رسول الله ﷺ بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم ، وقد تقدم ذلك فى باب ، والحمد لله . [حديث صحيح]

باب جعل الله فكاك أول هذه الأمة عافيتها وفكاك آخرها
بلاءها

١٨٧٩- مسلم عن عبد الله بن عمر قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خبائه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو فى جشوره إذ نادى منادى يا رسول الله، الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيدق بعضها بعضاً ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتى ثم تنكشف ، وتجيء

الفتنة فيقول هذه(هذه)، فمن أراد أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلي الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » قال ابن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة : فدنوت منه فقلت له : (أنشدك) الله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذنأى ووعاه قلبى فقلت له : هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله عز وجل يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (الآية) فسكت ساعة ثم قال : أطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله . [حديث صحيح]

فصل

١٨٨٠- قوله « ينتضل » الانتضال الرمى بالسهم « والجشر » المال من المواشى التى ترعى أمام البيوت والديار ، يقال : مال جشر يرعى فى مكانه لأنه يرجع إلى أهله . يقال : جششنا دوابنا أى أخرجناها إلى المرعى وأصله البعد ، ومنه يقال للأعزب : جشر وجشير لبعده عن النساء ، وقوله : « يدفق بعضها بعضاً » أى يتلو بعضها بعضاً وينصب بعضها على بعض . والتدفق التصبب ، وهذا المعنى مبين فى نفس الحديث لقوله وتجيء الفتنة ثم تنكشف وتجيء الفتنة وتزحزح أى تبعد ، ومنه قوله تعالى ﴿ وما هو بمزحزحه من العذاب ﴾ أى بمبعده ، و صفقة اليد أصلها ضرب الكف على الكف زيادة فى الاستيثاق مع النطق باللسان والالتزام بالقلب ، وفى التنزيل ﴿ إن الذين يبائعونك إفا يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ﴾ الآية . وقوله : فاضربوا عنق الآخر، قيل : المراد(عزله) وخلعه وذلك قتله وموته ، وقيل : قطع رأسه وإذهاب نفسه يدل عليه قوله فى الحديث الآخر : فاضربوه بالسيف كائناً ما كان، وهو ظاهر الحديث، هذا إذا كان الأول عدلاً ، والله أعلم. [خبر موقوف]

باب

جواز الدعاء بالموت عند الفتن وما جاء أن بطن الأرض

خير من ظهرها

١٨٨١- مالك ، عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول : « اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون » وقد تقدم هذا في أول الكتاب . قال ابن وهب : وحدثنى مالك قال : كان أبو هريرة يلقي الرجل فيقول له : مت إن استطعت فيقول له لم ؟ قال تموت وأنت تدرى على ما تموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدرى على ما تموت عليه . قال مالك : ولا أرى عمر دعا ما دعا به من الشهادة إلا خاف التحول من الفتن . [حديث صحيح]

١٨٨٢- قلت : وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً عن أبي هريرة . روى النضر بن شميل عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ويل للعرب من شر قد اقترب موتوا إن استطعتم » وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموت خيراً من مباشرتها .

[حديث صحيح]

١٨٨٤- البخارى عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه » أخرجه مسلم ، وابن ماجه بمعناه ، وزاد مثنى : وليس به الدين إلا البلاء . [حديث صحيح]

١٨٨٥- وروى شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الزعراء يحدث عن عبد الله قال « ليأتين على الناس زمان يأتى الرجل القبر فيقول يا ليتنى مكان هذا . ليس به حب الله ولكن من شدة ما يرى من البلاء »

١٨٨٦- قلت : وكان هذا إشارة إلى أن كثرة الفتن وشدة الحزن والمشقات والأنكاد اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده قد أذهبت الدين منه ، ومن أكثر الناس أو قللت الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن ، وكذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن حتى قال النبي ﷺ « العبادة فى الهرج كهجرة إلى » وقد مضى الكلام في هذا المعنى فى أول الكتاب ، ونزيده وضوحاً إن شاء الله تعالى والله أعلم . [حديث صحيح]

باب

أسباب الفتن والمحن والبلاء

١٨٨٨- البزار عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « لم تظهر الفاحشة فى قوم إلا ظهر فىهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» أخرجه ابن ماجه أيضاً فى سننه .

[حديث صحيح]

١٨٨٩- وذكره أبو عمر بن عبد البر ، وأبو بكر الخطيب من حديث سعيد ابن كثير بن عفير بن مسلم بن يزيد قال : حدثنا مالك عن عمه أبي سهيل ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عمر أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أي المؤمنين أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقاً » قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً أولئك الأكياس » ثم قال : يا معشر المهاجرين : « لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا ظهر فىهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم » وذكر الحديث . [حديث حسن]

١٨٩١- الترمذى عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : « إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمها أبناء الملوك فارس والروم سلط شرارها على خيارها » قال : هذا حديث غريب . [حديث صحيح]

١٨٩٢- ابن ماجه ، عن قيس بن أبى حازم قال : قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول « إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أو شك أن يعمهم الله بعقابه » أخرجه أبو داود فى سننه ، والترمذى فى جامعه . [حديث صحيح]

١٨٩٣- مسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا فتحت عليكم فارس والروم أى قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف :

نكون كما أمر الله ، فقال رسول الله ﷺ أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض . [حديث صحيح]

١٨٩٤- وأخرج أيضاً عن عمرو بن عوف ، وهو حليف بنى عامر بن لؤى ، وكان شهد بدرأ مع رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما ، وكان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال : « أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ، قالوا: أجل يا رسول الله: فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط (لكم الدنيا) كما بسطت على من كان من قبلكم (فتنافسوا فيها) كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

وفى رواية : فتلهيكم كما ألهتهم بدل فتهلككم . [حديث صحيح]
١٨٩٥- وأخرج ابن ماجه عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « ما أدع بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » أخرجه البخارى ومسلم أيضاً .

[حديث صحيح]
١٨٩٧- وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قام خطيباً وكان فيما قال : « إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الله واتقوا النساء » أخرجه مسلم أيضاً وقال : بدل قوله: فاتقوا الله واتقوا النار واتقوا النساء وزاد « فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء » .

[حديث صحيح]
١٨٩٨- الترمذي ، عن كعب بن عياض قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . [حديث صحيح]

١٨٩٩- وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن » قال : وفى الباب عن أبي هريرة .

وهذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثورى . [حديث صحيح]

فصل

١٩٠٠ - حذر الله سبحانه وتعالى عباده فتنة المال والنساء فى كتابه وعلى لسان نبيه فقال عز من قائل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ﴾ فنبه الله على ما يعتصم به من فتنة حب المال والولد فى آى ذكر الله (ذلك) فيها فتنة، وما كان عاصماً من فتنة المال والولد فهو عاصم من كل الفتن والأهواء . قال تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ قل أونبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات ﴾ فوصف تعالى ما للمتقين عند ربهم، ثم وصف أحوالهم بنعتهم إلى قوله ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ وهذا تنبيه لهم على تزهيدهم فيما زين لهم وترغيبهم فيما هو خير منه، ومثل هذا فى القرآن كثير .

والمطيطاء : بضم الميم والمد : المشى بتبختر وهي مشية المتكبرين (المتبخترين) المفتخرين ، وهو مأخوذ من مط يمت إذا مد ، قال الجوهري : والمطيطاء بضم الميم ممدوداً : التبختر ومد اليدين فى المشى ، وفى الحديث : « إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم » وقوله : ثم ينطلقون فى (مساكين) المهاجرين . قيل فى الكلام حذف أى فى (زى المساكين) المهاجرين ، والمعنى أنه إذا وقع التنافس والتحاسد والتباغض حملهم ذلك على أن يأخذ القوى على ما أفاء الله على المسكين الذي لا يقدر على مدافعتة ، فيمنعه عنه ظملاً وقهراً بمقتضى التنافس

والتحاسد .

١٩٠١- وقيل : ليس في الكلام حذف وأن المعنى المراد أن (المساكين) المهاجرين وضعفاءهم سيفتح عليهم إذ ذاك من الدنيا حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض ، وهذا اختيار القاضي عياض ، والأول اختيار شيخنا أبي العباس القرطبي قال : وهو الذى يشهد له مساق الحديث ومعناه ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أخبرهم أنه يتغير بهم الحال وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مرضية تخالف أحوالهم التى كانوا عليها من التنافس والتباغض وانطلاقهم فى مساكين المهاجرين ، فلا بد أن يكون هذا الوصف غير مرضى كالأوصاف التى قبله ، وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجيهاً ، وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره والله أعلم ، ويعضده رواية السمرقندى فيحملون بعضهم على رقاب بعض أى بالقهر والغلبة .

أبواب الملاحم

باب

أمارات الملاحم

١٩٠٣- أبو داود عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ «عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال» . [حديث صحيح]

١٩٠٤- البخارى عن عوف بن مالك قال : أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من آدم فقال : «أعددت ستاً بين يدي الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم (كقصاص) الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً» .

[حديث صحيح]

١٩٠٥- وخرجه أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير بمعناه وزاد بعد قوله اثنا عشر ألفاً « ففسطاط المسلمين يومئذ فى أرض يقال لها الغوطة فى مدينة يقال لها دمشق » ذكره بإسناده أبو الخطاب بن دحية فى كتاب «مرج البحرين فى فوائد

المشركين والمغربين» . [حديث صحيح]

١٩٠٦- وقال : عوف بن مالك الأشجعي : شهد موت النبي ﷺ (قال) :
وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتحه صلحا لخمس خلون
من ذى القعدة سنة(ستة) عشر من الهجرة ، ثم حضر قسمة كنوز كسرى على يد
أمير المؤمنين عمر ، ثم شاهد قتال الجمل وصفين، وشاهد عوف رضى الله عنه أيضاً
الموتان الذي كان بالشام قبل ذلك، وهو المسمى بطاعون عمواس مات يومئذ ستة
وعشرون ألفاً» وقال المدني خمسة وعشرين ألفاً . وعمواس : بفتح العين والميم، لأنه
« عم وأسى» أى جعل بعض الناس أسوة بعض ، وعمواس قرية بين الرملة وبيت
المقدس مات فيه أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، والأمير الفقيه أبو عبد الرحمن
معاذ بن جبل . قال الإمام أحمد بن حنبل في تاريخه : كان الطاعون عمواس سنة
ثمانية عشر . رواه عن أحمد أبو زرعة الرازى قال : كان الطاعون سنة سبع عشرة
أو ثمان عشرة وفى سنة سبع عشرة رجع عمر من سرخ ، وموتان بضم الميم هى لغة،
وغيرهم يفتحونها وهو اسم الطاعون والموت .

وقوله : (كقعاص) الغنم هو داء يأخذها لا يلبثها قاله أبو عبيدة، لأن (القعاص)
الموت (المعجل) ويقال بالسین، وقيل هو داء يأخذ فى (الصدر) كأنه يكسر
العنق، وقد انقضت هذه الخمس، وعاش عوف بن مالك إلى زمن عبد الملك بن
مروان سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، وقد أربى بصفين على المائة ، وقال الواقدي :
مات عوف بن مالك بالشام سنة ثلاث وتسعين ، فإن صح ما قال فقد مات فى أيام
الوليد بن عبد الملك بن مروان إن لم يكن تصحيفاً منه ، والله أعلم .

[حديث صحيح]

باب ما ذكره ملاحم الروم وتواترها وتداعك الأمم

ملك أهل الإسلام

١٩٠٧- ابن ماجه ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : قال رسول الله ﷺ
« يكون بينكم وبين بنى الأصفر هدنة، فيغدرون بكم فيسيرون إليكم فى ثمانين راية
تحت كل (راية) اثنا عشر ألفاً » . [حديث صحيح]

١٩٠٨- وعن ذى مخمر ، وكان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال :

سمعت النبي ﷺ يقول : « ستصالحكم الروم صلحاً آمناً ، ثم تغزون أئتم وهم عدواً فتنتصرون وتغنمون وتقتسمون وتسلمون ، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذى تلؤل فيرفع رجل من (أصحاب) أهل الصليب صليبه ، فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه ، فعند ذلك تغدر الروم ويجمعون الملحمة ، فيأتون تحت ثمانين راية كل راية اثنا عشر ألفاً » . [حديث صحيح]

١٩٠٩- وأخرجه أبو داود وزاد « ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصاة بالشهادة » .

وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وإسناده صحيح ثابت ، وذو مخمر بالميم لا غير ، وهو ابن أخي النجاشي ، قاله الأوزاعي ، وقد عدّه أبو عمر في موالى رسول الله ﷺ قاله ابن دحية . [حديث صحيح]

١٩١٢- مسلم عن بشير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هجيري ألياً عبد الله بن مسعود جاءت الساعة . قال : فقعد وكان متكماً فقال : « إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام ، فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام (ويجمع) لهم أهل الإسلام . قلت : الروم تعني؟ قال : نعم، ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتتلون حتى يمسا، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، وإذا كان يوم الرابع (يهل) إليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتتلون مقتلة إما قال : لم ير مثلها ، وإما قال : لا يرى مثلها ، حتى إن الطائر ليمر بجثمانهم فما يخلفهم حتى يخرم ميتاً، فيتعادى بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأى غنيمة يفرح وبأى ميراث يقسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك ، فجاءهم الصريخ ، فقال : إن الدجال قد خرج في ذراريهم فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض أو من خير فوارس يومئذ » .

[حديث صحيح]

١٩١٣- أبو داود عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ: « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل من القوم : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » . [حديث حسن]

فصل

١٩١٤- قوله: بني الأصفر . يعنى الروم ، وفي تسميتهم بذلك قولان: أحدهما : أن جيشاً من الحبشة غلبوا على ناحيتهم فى بعض الدهر ، فوطئوا نساءهم فولدوا أولاداً صفرأ . قاله ابن الأنبارى .
الثانى : أنهم نسبوا إلى (بنى) الأصفر ابن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه (الصلاة و)السلام قاله ابن إسحاق ، وهذا أشبه من القول الأول . والهدنة : الصلح . والغاية : الراية ، كما جاء مفسراً فى الحديث بعده . سميت بذلك لأنها تشبه السحابة لمسيرها فى الجو ، والغاية والصبابة السحابة ، وقد رواها بعض رواة البخارى تحت ثمانين غابة بياء مفردة النقطة ، وهى الأجمة شبه اجتماع رماحهم وكثرتها بالأجمة التى هى الغابة ، والصحيح الأول لأنها تظل الأجناد لكثرة راياتهم واتصال أوليتهم وعلاماتهم كالسحاب الذى يظل الإنسان .
١٩١٥- وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن تحت كل غاية اثنى عشر ألفاً ، فجملة العدو تسعمائة ألف وستون ألفاً » ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية . وقد روى مرفوعاً فى حديث فيه طول عن حذيفة : أن الله تعالى يرسل ملك الروم وهو الخامس من (آل هرقل) يقال له « ضمارة » وهو صاحب الملاحم ، فرغب إلى المهدي فى الصلح ، وذلك لظهور المسلمين على المشركين فيصالحه إلى سبعة أعوام فيضع عليهم الجزية عن يد وهم صاغرون ، فلا تبقى لرومى حرمة ، ويكسرون لهم الصليب ، ثم يرجع المسلمون إلى دمشق ، فبينما الناس كذلك إذا برجل من الروم قد التفت فرأى أبناء الروم وبناتهم فى القيود والأغلال فتغيرت نفسه فيرفع الصليب ويرفع صوته فيقول : ألا من كان يعبد الصليب فلينصره ، فيقوم رجل من المسلمين فيكسر الصليب ويقول : الله أغلب وأنصر ، فحينئذ يغدرون وهم أولى

بالغدر ، فيجمعون عند ذلك ملوك الروم في بلادهم خفية، فيأتون إلى بلاد المسلمين حيث لا يشعر بهم المسلمون، والمسلمون قد أخذوا منهم الأمن وهم على غفلة أنهم مقيمون على الصلح ، (فيأتون) أنطاكية في اثني عشر ألف راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً ، فلا يبقى بالجزيرة ولا بالشام ولا بأنطاكية نصراني إلا ويرفع الصليب ، فعند ذلك يبعث المهدي إلى أهل الشام والحجاز واليمن والكوفة والبصرة والعراق يعرفهم بخروج الروم وجمعهم ، ويقول لهم أعينوني على جهاد عدو الله وعدوكم، فيبعث إليه أهل المشرق أنه قد جاءنا عدو من خراسان على ساحل الفرات، وحل بنا ما شغلنا عنك ، فيأتي إليه بعض أهل الكوفة والبصرة ، ويخرج إليهم المهدي ، ويخرج معهم المسلمون إلى لقائهم فيلتقى بهم المهدي ومن معه من المسلمين ، فيأتون إلى دمشق فيدخلون فيها فتأتي الروم إلى دمشق فيكونون عليها أربعين يوماً ، فيفسدون البلاد ويقتلون العباد ويهدمون الديار ويقطعون الأشجار ، ثم إن الله تعالى ينزل صبره ونصره على المؤمنين فيخرجون إليه ، فتشتد الحرب بينهم ويستشهد من المسلمين خلق كثير ، فيا لها من وقعة ومقتلة ما أعظمها، وما أعظم هولها ، ويرتد من العرب يومئذ أربع قبائل سليم ونهد وغسان وطبيع ، يلحقون بالروم ويتنصرون مما يعاينون من الهول العظيم والأمر الجسيم ، ثم إن الله تعالى ينزل النصر والصبر والظفر على المسلمين ، فيقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى يخوض الخيل في دمائهم وتشتعل الحرب بينهم ، حتى إن الحديد يقطع بعضه بعضاً ، وإن الرجل من المسلمين ليطعن العالج بالسفود فينفذه وعليه الدرع من الحديد ، فيقتل المسلمون من المشركين خلقاً كثيراً حتى تخوض الخيل في الدماء ، وينصر الله تعالى المسلمين ويغضب على الكافرين ، وذلك رحمة من الله تعالى لهم، فعصاة من المسلمين يومئذ خير خلق الله والمخلصين من عباد الله ليس فيهم. مارد ولا مارق ولا شارذ ولا مراتب ولا منافق ، ثم إن المسلمين يدخلون إلى بلاد الروم ويكبرون على المدائن والحصون، فتقع أسوارها بقدره الله (تعالى) ، فيدخلون المدائن والحصون ويغنمون الأموال ويسبون النساء والأطفال ، ويكون أيام المهدي أربعين سنة: عشر سنين في المغرب ، واثنتا عشرة بالكوفة، واثنتا عشرة بالمدينة ، وستة بمكة ، وتكون منيته فجأة بينما الناس كذلك إذ تكلم الناس بخروج الدجال اللعين ، وسيأتي من أخبار المهدي ما فيه كفاية إن شاء

الله تعالى .

١٩١٦- وقوله : ليس له هجير . الهجير : الدأب و العادة . يقال : ما زال ذلك هجيراً وإهجيراً أى دأبه وعادته ، وهاجت : أى تحركت ريح حمراء أى شديدة احمرت لها الشجر وانكشفت الأرض ، فظهرت حمرتها ، ولما رأى ذلك الرجل جاء معجياً الخائف من قرب الساعة والشرطة هنا بضم الشين أول طائفة من الجيش تقاتل . سموا بذلك لعلامة تميزوا بها ، والأشراط العلامات ، وتفني الشرطة أى تقتل ، وتفنيء : ترجع . ومنه ﴿حتى تفنىء إلى أمر الله﴾ ونهد: تقدم ، ومنه سمي النهدي نهدياً لتقدمه الصدر ، والدايرة ويروي والدائرة والمعنى متقارب . قال الأزهرى : الدائرة الدولة تدور على الأعداء ، والدائرة: النصر والظفر، يقال : لمن الدائرة ، أى لمن الدولة ، وعلى من الدائرة؟ أى الهزيمة . قاله أبو عبيد الهروى . والجنبات جمع جنبة وهى الجانب ، ويروي بجثمانهم أى بأشخاصهم ، وقوله : إذ سمعوا بناس بنون وسين . هم أكثر بالباء المثلثة ، ويروي بباس بياء واحدة أكبر بياء واحدة أيضاً ، وهو الأمر الشديد وهو الصواب (كرواية) أبى داود وإذ سمعوا بأمر هو أكبر من ذلك ، والصريخ: الصارخ أى المصوت عند الأمر الهائل ، ويرفضون أى يرمون ويتركون ، والطليلة الذى يتطلع الأمر ويستكشفه ، وتداعى الأمم : اجتماعها ودعا بعضها بعضاً حتى تصير العرب بين الأمم كالقصعة (بين الأكلة ، وغشاء السيل ما يقذف به على جانب الوادى من الحشيش والنبات والقماش ، كذلك الغشاء بالتشديد . والجمع : الأغشاء . والله أعلم .

باب

ما جاء فى قتال الترك وصفتهم

١٩١٨- البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «لا تقوم

الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم ، حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين ، وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر» . [حديث صحيح]

١٩١٩- وخرج مسلم عن أبى هريرة أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ

«يقاتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة، حمر الوجوه صغار الأعين ذلف الأنوف ، وفى رواية يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر»

أخرجه البخارى ، وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى وغيرهم .

[حديث صحيح]

١٩٢٠- وخرجه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين عراض الوجوه ، كأن أعينهم حدق الجراد ، وكأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعور ، ويتخذون الدرق يربطون خيولهم بالنخيل » . [حديث صحيح]

١٩٢١- أبو داود ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه عن النبي ﷺ فى حديث « يقاتلونكم قوم صغار الأعين يعنى الترك قال تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقونهم بجزيرة العرب فأما فى السياقة الأولى فينجو منهم من هرب ، وأما فى الثانية فينجو بعضهم ويهلك بعض ، وأما فى الثالثة فيصطلمون » . [حديث حسن]

فصل

١٩٢٢- قوله : المجان المطرقة . المجان جمع معجن وهو الترس والمطرقة هى التى قد عوليت بطراق وهو الجلد الذى يغشاه ، شبه وجوههم فى عرضها ونتوء وجناتها بالترس والمطرقة ، قال معناه الخطابى وغيره وقيده القاضى عياض رحمه الله فى كتاب مشارق الأنوار له ، فقال : الصواب فيه المطرقة بفتح الطاء وتشديد الراء .
قاله الحافظ أبو الخطاب بن دحية ، قال لى شيخنا المحدث الكبير اللغوى النحوى أبو إسحاق الحمزى بل الصواب فيه المطرقة بسكون الطاء وفتح الراء أى التى أطرقت بالعقب أى ألبست حتى غلظت وكأنها ترس على ترس ، ومنه طارقت النعل إذا ركبت جلدأ على جلد وخرزته عليه . حديث « يقاتلونكم قوم صغار الأعين يعنى الترك قال تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقونهم بجزيرة العرب ، فأما فى السياقة الأولى فينجو منهم من هرب ، وأما فى الثانية فينجو بعضهم ويهلك بعض ، وأما فى الثالثة فيصطلمون » .

١٩٢٣- قال المؤلف رحمه الله تعالى : هذا معنى ما نقلناه عن الخطابى ، وقال أهل اللغة : وفى الصحاح والمجان المطرقة التى يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوفة ، يقال : أطرقت الجلد والعصب أى ألبسته وترس مطرق ، وقولهم : نعالمهم الشعر أى يصنعون من الشعر حبلاً ويصنعون منها نعلاً كما يصنعون منه

ثياباً ويشهد بهذا قوله يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر هذا ظاهره ، ويحتمل أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة طويلة فهى إذا أسدلوها كاللباس وذواتها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال ، والأول أظهر .

١٩٢٤- قال ابن دحية : إنما كان نعالهم من ضفائر الشعر أو من جلود مشعرة لما فى بلادهم من الثلج العظيم الذى لا يكون فى بلد كبلادهم ، ويكون من جلد الذئب وغيره . وقوله : يلبسون الشعر فهو إشارة إلى الشرايش التى يدار عليها بالقندس ، والقندس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز ، وذوات الصوف كالضأن ، وذوات الوبر كالإبل ، وقوله : ذلف الأنف أى غلاظها ، ويقال : أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح ، والذلف فى اللغة تأخر الأرنبة ، وقيل تطامن فيها ، وقيل فطس الأنوف كما فى حديث البخارى عن أبى هريرة ، فالحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، ويروى دلف الأنوف بالدال المهملة والمعجمة أكثر .

١٩٢٥- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رضى الله عنه : وخوزا قيدناه فى صحيح البخارى ومسلم بالزاي ، وقيده الجرجاني فى خور كورمان بالراء المهملة مضافاً إلى كرمان ، وكذا صوبه الدارقطنى بالراء المهملة مع الإضافة ، وحكاه عن الإمام أحمد بن حنبل ، وقال : إن غيره صحف فيه ، وقال غير الدارقطنى إذا أضيف فبالراء المهملة لا غير ، وإذا عطفته فبالزاي لا غير ، ويقال : إنهما جنسان .

باب

فحد سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم

١٩٢٦- روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده قال: حدثنا أبو نعيم ، حدثنا بشير بن المهاجر قال : حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعت النبي ﷺ يقول : « إن أمتى يسوقها قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأن وجوههم الحجف ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب ، أما السياقة الأولى فينجو من هرب منهم ، وأما السياقة الثانية فيهلك بعض وينجو بعض ، وأما السياقة الثالثة فيصطلمون كلهم من بقى منهم ، قالوا يا نبي الله من هم ؟ قال : هم الترك ، قال : أما الذى نفسى بيده ليربطون خيولهم إلى سوارى مساجد المسلمين » ، قال : وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب

ما سمع من رسول الله ﷺ من البلاء من الترك .
قال الإمام أبو الخطاب عمر بن دحية: وهذا سند صحيح أسنده إمام السنة
والصابر على المحنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، عن الإمام العدل المجمع على
ثقتة أبي نعيم الفضل بن دكين ، وبشير بن المهاجر ثقة، رأى أنس بن مالك وروى
عنه جماعة من الأئمة فوثقوه . [حديث حسن]

١٩٢٧- قال المؤلف رحمه الله: وخرج أبو داود قال: حدثنا جعفر بن مسافر
قال : حدثنا خلاد بن يحيى ، حدثنا بشير بن مهاجر قال : حدثنا عبد الله بن بريدة ،
عن أبيه ، عن النبي ﷺ في حديث «يقاتلونكم صغار الأعين يعنى الترك»
قال: تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقونهم بجزيرة العرب، فأما فى السياقة الأولى
فينجو منهم من هرب ، وأما الثانية فينجو بعض ويهلك بعض ، وأما فى الثالثة
فيصطلمون . [حديث حسن]

فصل

الاصطلام : الاستئصال وأصله من الصلم وهو القطع . اصطلمت أذنه إذا
استوفيت بالقطع ، وأنشد الفراء :

« ثمت اصطلمت إلى الصماخ فلا قرن ولا أذن »

والحديث الأول يدل على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم ، وقد وقع ذلك
على نحو ما أخبر ﷺ ، فخرج منهم فى هذا الوقت أنهم لا يحميهم إلا الله ولا
يردهم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم .

١٩٢٨- قال الحافظ السيد بن دحية رضى الله عنه : يخرج فى جمادى
الأولى سنة سبع عشرة وستمئة جيش من الترك يقال له (التر)، عظم فى قتله الخطب
والخطر، وقضى له من قتل النفوس المؤمنة الوطر، ولم تهتد إلى دفعه بالحيل
الفطر، يقتلون من وراء النهر وما دونه من جميع البلاد بلاد خراسان ومحور رسوم
ملك بنى ساسان، وهذا الجيش ممن يكفر بالرحمن ويرى أن الخالق المصور هما
النيران ، وملكهم يعرف بخان خاقان ، وخرّبوا بيوت مدينة نساور ، وأطلقوا فيها
النيران ، وخنار عنهم من أهل خوارزم كل إنسان ولم يبق منهم إلا من اختبأ فى
المغارات والكهفان ، حتى وصلوا إليها ، وقتلوا وسبوا (وخرّبوا) البنيان ، وأطلقوا

الماء على المدينة من نهر جيحان ، فغرق فيها مباني الذرا والأركان ثم صيروا المشهد الرضوى بطوس أرضاً بعد أن كانوا ، وقطعوا ما أمر الله عز وجل به أن يوصل من الدين بأخسر الأديان إلى أن وصلوا بلا قهستان ، فخرّبوا مدينة الري وقزوين وأبهر وزنجان ، ومدينة أردبيل ومدينة مراغة كرسى بلاد أذربيجان، واستأصلوا شأفة من في هذه البلاد من العلماء والأعيان ، واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان ، ثم وصلوا إلى العراق الثاني وأعظم مدنه مدينة أصبهان ، ودور سورها أربعون ألف ذراع في غاية الارتفاع والإتقان، وأهلها مشتغلون بعلم الحديث فحفضهم الله بهذا الشأن، وكف كف الكفر عنهم بأيمان الإيمان ، وأنزل عليهم مواد التأييد والإحسان ، فتلقوهم بصدور هي في الحقيقة صدور الشجعان ، وحققوا الخبر بأنها بلد الفرسان ، واجتمع فيها مائة ألف إنسان ، وخرجوا إليهم كأسد ولكن غاباتها عوامل الخرصان ، وقد لبسوا البيض كثغور الأفحوان ، وعليهم دروع فضفاضة في صفاء الغدران، وهيئات للمجاهدين درجات الجنان ، وأعدت للكافرين دركات النيران، وبرز إلى الططر القتل في مضاجعهم ، وساقهم القدر المحتوم إلى مصارعهم ، فمرقوا عن أصبهان مروق السهم من الرمي وأنشدوا :

* إلى الوادى فطم على القرى *

ففروا منهم فرار الشيطان يوم بدر له خصاص ، ورأوا أنهم إن وقفوا لم يكن لهم من الهلاك محاص ، وواصلوا السير بالسرى وهدوا من همدان الوهاد والذرى، بعد أن قامت الحرب على ساق ، والأرواح في مساق من ذبح مثله وضرب الأعناق ، وصعدوا جبل أوزند فقتلوا من فيه من جموع صلحاء المسلمين ، وخرّبوا ما فيه من الجنات والبساتين ، ووانتهكوا منهم نسائهم حرمت الدين ، وكانت استطالتهم على مقدار ثلثي بلاد المشرق الأعلى ، وقتلوا فيها من الخلائق ما لا يحصى ، وقتلوا في العراق الثاني عدة تقرب أن يستقصى، وربطوا خيولهم فى سوارى المساجد والجوامع، كما جاء فى الحديث المنذر لخروجهم الشارح الجامع ، وأوغلوا فى بلاد المشرق أي إيغال ، وقادوا الجيوش إليها مقادة أبى رغال فى كلام له إلى أن قال : وقطعوا السبل وأخافوها ، وجاسوا خلال الديار وطافوها، وملأوا قلوب المؤمنين رعباً وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحباً، وحكموا سيوفهم فى رقاب أهلها

وأطلقوا يد التخريب فى وعرها وسهلها ، ولاشك أنهم هم المنذر بهم فى الحديث، وأن لهم ثلاث خرجات يصطلمون فى الآخرة منها.

١٩٢٩- قال المؤلف رحمه الله : فقد كملت بحمد الله خرجاتهم ، ولم يبق إلا قتلهم وقتلهم ، فخرجوا على العراق الأول والثانى كما ذكرناه، وخرجوا فى هذا الوقت على العراق الثالث بغداد وما اتصل بها من البلاد وقتلوا جميع من كان فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد ، وحصروا ميا فارقين واستباحوا جميع من فيها من الملوك والمسلمين ، وعبروا الفرات إلى أن وصلوا إلى مدينة حلب فخربوها، وقتلوا من فيها إلى أن تركوها خالية يباباً ، ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام فى مدة يسيرة من الأيام، وقلقوا بسيوفهم الرؤوس والهام ، ودخل رعبهم الديار المصرية ولم يبق إلا اللحق بالدار الأخروية ، فخرج إليهم من مصر الملك المظفر الملقب بقطز رضى الله عنه بجميع من معه من العسكر ، وقد بلغت الحناجر القلوب والأنفس بعزيمة صادقة ، ونية خالصة ، إلى أن التقى بعين جالوت فكان له عليهم من النصر والظفر ، كما كان لطالوت فقتل منهم جمع كثير وعدد غزير، وانجلوا عن الشام من ساعتهم ورجع جميعه كما كان إلى الإسلام ، وعبروا الفرات منهزمين ، ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمان ولا حين ، وراحوا خائبين خاسرين مدحورين أذلاء صاغرين .

باب منه

وما جاء فى ذكر البصرة والأيلة وبغداد والإسكندرية

١٩٣٠- أبو داود الطيالسى قال : حدثنا الحشرج بن نباتة الكوفى ، حدثنا سعيد بن جمهان عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لتنزلن طائفة من أمتى أرضاً يقال لها البصرة ويكثر بها عددهم ونحلهم ، ثم يجيء قوم من بنى قنطورا عراض الوجوه صغار الأعين، حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له: دجلة ، فيتفرق المسلمون ثلاث فرق : أما فرقة فتأخذ بأذنان الأبل فتلحق البادية فهلكت ، وأما فرقة فتأخذ على أنفسها وكفرت، وهذه وتلك سواء ، وأما فرقة فيجعلون عيالاتهم خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلاهم شهداء ، ويفتح الله علي بقيتهم » . [حديث حسن]

١٩٣١- وخرجه أبو داود السخيتاني في سننه بمعناه. فقال : حدثنا محمد ابن يحيى بن فارس ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا سعيد بن جمهان حدثنا مسلم بن أبي بكره قال : سمعت أبي يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة ، عند نهر يقال له : دجلة ، يكون عليه جسر ، يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين . قال ابن يحيى وهو محمد : قال معمر : ويكون من أمصار المسلمين فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطورا ، عراض الوجوه ، صغار الأعين ، حتى ينزلوا على شط النهر ، فيتفرق أهلها ثلاث فرق : فرقة تأخذ أذناب البقر، والبرية ، وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذريتهم خلف ظهورهم ، ويقاتلون وهم الشهداء. » [حديث حسن]

فصل

١٩٤٠- قوله : الجمان بفتح الجيم جمع مجن بكسر الميم وهو الترس ، والمطرقة هى التى قد عدلت بطراق ، وهو الجلد الذى يغشاه شبه وجوههم فى عرضها ، وتوء وجناتها بالترسة والمطرقة. وفى الصحاح : والجمان المطرقة التى يطرق بعضها على بعض : كالنعل المطرقة المخصوفة ، ويقال : أطرقت بالجلد والعصب ، أى لبست ، وترس مطرق ، وقوله : نعالهم الشعر ، أى يصنعون من الشعر حبلاً ويصنعون منها نعالاً كما يصنعون منه ثيابهم ، ويشهد لهذا قوله يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر هذا ظاهره ، ويحتمل أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة طويلة فهى إذا أسدلوها كاللباس وذوائبها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال ، والأول أظهر والله أعلم . وقوله : ذلف الأنف أى غلاظها يقال : أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح وأنوف ذلف ، والاصطلام : الاستئصال وأصله من الصلم وهو القطع .

قوله : بغائط الغائط : المطمئن من الأرض ، والبصرة الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة ، وبنو قنطورا ، هم الترك يقال إن قنطورا جارية كانت لإبراهيم عليه (الصلاة و)السلام ولدت له أولاداً من نسلهم الترك . وقيل : هم من ولد يافث وهم أجناس كثيرة ، فمنهم أصحاب مدن وحصون ، ومنهم قوم فى رؤوس الجبال والبرارى والشعاب ليس لهم عمل غير الصيد، ومن لم يصد منهم ودج دابته فتسوى الدم فى مصران فأكله ، وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرهما وليس لهم دين ،

ومنهم من كان على دين المجوسية ، ومنهم من تهود وملكهم الذى يقال له خاقان يلبس الحرير وتاج الذهب ، ويحتجب كثيراً ، وفيهم بأس شديد ، وفيهم سحر وأكثرهم مجوس .

وقال وهب بن منبه : الترك بنوعم يأجوج ومأجوج يعنى أنهم كلهم من ولد يافث .

وقيل : إن أصل الترك أو بعضهم من اليمن من حمير ، وقيل فيهم : لأنهم من بقايا قوم تبع ، والله أعلم . ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإبانة .

باب

ما جاء فى فضل الشام وأنه معقل من الملاحم

١٩٤٢- البزار ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسى ، فظننت أنه مذهب به فأتبعته بصرى ، فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام » خرج به أبو بكر أحمد بن (سليمان) النجار ، وقال عمود الإسلام . قال أبو محمد عبد الحق : هذا حديث صحيح ، ولعل هذه الفتن هى التى تكون عند خروج الدجال ، والله ورسوله أعلم .

١٩٤٥- أبو داود ، عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : « قسطا المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب دينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام »

[حديث صحيح]

باب

ما جاء فى المدينة ومكة وخوابهما

١٩٤٨- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تبلغ المساكن أهاب أو يهاب » قال زهير : قلت لسهيل فكم ذاك من المدينة ؟ قال : كذا وكذا ميلاً . [حديث صحيح]

١٩٤٩- أبو داود عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح » قال الزهرى : وسلاح قريب من خيبر . [حديث صحيح]

١٩٥٠- قلت : المسالح : المطالع ويقال القوم مستعد بهم فى المراصد ويرتبون لذلك ، وسموا بذلك لحمهم السلاح ، وقال الجوهري : والمسليحة كالشفر والمرقب . وفى الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب قال بشر :

بكل قياد مسنفة عنود أضرب بها المسالحو (والعوار)
القياد : حبل تقاد به الدابة . والمسنف : المتقدم : يقال : أسنف الفرس أى تقدم الخيل ، فإذا سمعت في الشعر مسنفة بكسر النون ، فهى من هذا وهى الفرس التى تتقدم الخيل فى سيرها ، والعنود : من عند عن الطريق يعند بالضم عنوداً أى عدل فهو عنود ، والعنود أيضاً من النوق التى ترعى ناحية ، والجمع عند . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَآيَاتِنَا عَنِيداً ﴾ أى مجانباً للحق معانداً له معرضاً عنه . يقال عند الرجل إذا عتا وجاوز قدره .

١٩٥١- مسلم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى ، يريد عوافى السباع والطيور ، ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعمقان بغنمهما فيجدانها وحشاً حتى إذا (بلغا) ثانية الوداع خرا على وجهيهما » . [حديث صحيح]

١٩٥٢- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ للمدينة : « ليركنها أهلها على خير ما كانت مذلة للعوافى يعنى السباع والطيور » وعن حذيفة قال : أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة فما منه شيء إلا قد سألته إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة . [حديث صحيح]

١٩٥٣- وذكر أبو زيد عمر بن شبة فى كتاب المدينة على ساكنها الصلاة والسلام عن أبى هريرة قال : « ليخرجن أهل المدينة خير ما كانت . نصفها زهو ونصفها رطب » قيل : ومن يخرجهم منها يا أبا هريرة ؟ قال : « أمراء السوء » . [خبر موقوف]

١٩٥٤- قال أبو زيد ، وحدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، (قال :) حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير ، عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلئ ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً » .

١٩٥٥- وخرج عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « ليخرجن أهل المدينة ثم ليعودون إليها ، ثم ليخرجن منها ثم لا يعودون إليها أبداً ، وليدعنها

وهى خير ما تكون موقنة. قيل فمن يأكله؟ قال: الطير والسباع». [حديث صحيح]
 ١٩٥٦- وخرج عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «والذى نفسى بيده
 لتكونن بالمدينة ملحمة يقال لها الخالقة، لا أقول خالقة الشعر، ولكن خالقة الدين
 فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد». [خبر موقوف]
 ١٩٥٧- وعن الشيبانى قال: «لتخربن المدينة والبند قائمة». البند جمع بند
 وهو العلم الكبير، قاله فى النهاية. قال مسلم، عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي
 ﷺ «يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة». [حديث صحيح]
 ١٩٥٨- البخارى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: «كأنى
 به أسود أفحج يقلعها حجرا حجراً، الفحج: تباعد ما بين الفخذين.

[حديث صحيح]

١٩٦١- أبو داود الطيالسى، عن أبي هريرة (رضى الله عنه)، عن النبي ﷺ:
 «يبايع لرجل بين الركن والمقام وأول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه
 فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم
 الذين يستخرجون كنزه». ذكر الخليمى فيما ذكر أنه يكون فى زمن عيسى عليه
 (الصلاة و) السلام وأن الصريخ يأتيه بأن ذا السويقتين الحبشى قد سار إلى البيت
 لهدمه، فيبعث إليه عيسى عليه (الصلاة و) السلام طائفة من الناس ما بين الثمان إلى
 التسع. [حديث صحيح]

١٩٦٢- وذكر أبو حامد فى كتاب مناسك الحج له وغيره، ويقال: لا تغرب
 الشمس يوماً إلا يطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا
 طاف به واحد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح
 الناس وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر، وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها
 أحد، ثم يرتفع القرآن من المصاحف فيتصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه
 حرف، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة، ثم ترجع الناس إلى
 الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية، ثم يخرج الدجال، وينزل عيسى ابن مريم عليه
 (الصلاة و) السلام فيقتل الدجال، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب (يتوقع)
 ولادتها.

١٩٦٣- وفى الخبر: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن (يرفع) فقد
هدم مرتين ويرفع فى الثالثة .

قال المؤلف رحمه الله: وقيل: إن خرابه يكون بعد رفع القرآن من صدور
الناس ومن المصاحف ، وذلك بعد موت عيسى عليه السلام وهو الصحيح فى ذلك
على ما يأتى بيانه . (والله أعلم) . [حديث صحيح]

فصل

١٩٦٤- ثبت فى الصحيح الدعاء للمدينة والحث على سكنائها . فقال رسول
الله ﷺ: « يأتى على الناس (زمان) يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء ،
هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذى نفسى بيده لا يخرج
أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه إلا أن المدينة كالكبير تخرج
الخبث. لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد » رواه
أبو هريرة وخرجه مسلم . [حديث صحيح]

١٩٦٥- خرج عن (سعد) بن أبى وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « من
أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » . [حديث صحيح]

١٩٦٦- ونحوه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ومثل هذا كثير ، وهو خلاف
ما تقدم ، وإذا كان هذا فظاهره التعارض وليس كذلك ، فإن الحض على سكنائها ربما
كان عند فتح الأمصار ووجود الخيرات بها ، كما جاء فى حديث سفيان بن أبى
زهير. قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن فيأتى قوم يعيشون فيتحملون
بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح الشام فيأتى قوم
يعيشون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح
العراق فيأتى قوم يعيشون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون » رواه الأئمة واللفظ لمسلم فحضر ﷺ على سكنائها حين أخبر بانتقال الناس
عنها عند فتح الأمصار ، لأنها مستقر الوحى وفيها مجاورته ، ففى حياته صحبته ،
ورؤية وجهه الكريم ، وبعد وفاته مجاورة جدته الشريف ، ومشاهدة آثاره العظيمة .

[حديث صحيح]

١٩٦٧- ولهذا قال : « لا يصبر أحد على لأوائها وشدتها إلا كنت شفيعاً أو

شهِيداً له يوم القيامة» . [حديث صحيح]
١٩٦٨- وقال : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإنى أشفع لمن مات بها، ثم إذا تغيرت الأحوال، واعتورتها الفتن والأهوال كان الخروج منها غير قادح والانتقال منها حسناً غير قادح » . [حديث صحيح]

فصل

١٩٦٩- وأما قوله : « من أراد أهل المدينة بسوء » فذلك محمول على زمانه وحياته ، كما فى الحديث الآخر : « لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه » وقد خرج منها بعد موته ﷺ من الصحابة من لم يعوضها الله خيراً منه ، فدل على أن ذلك محمول على حياته ، فإن الله تعالى كان يعوض أبدأ رسوله ﷺ خيراً ممن رغب عنه وهذا واضح ، ويحتمل أن يكون قوله : أذابه الله كناية عن إهلاكه فى الدنيا قبل موته ، وقد فعل الله (تعالى) ذلك بمن غزاها وقاتل أهلها كمسلم بن عقبة إذ أهلكه الله عند منصرفه عنها إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير . (ابتلاه) الله بالماء الأصفر فى بطنه، فمات بقديد بعد الوقعة بثلاث (ليال) .

١٩٧٠- وقال الطبرى : مات بهرشى وذلك بعد الوقعة بثلاث ليال ، وهرشى جبل من بلاد تهامة على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة، وكإهلاك يزيد بن معاوية إثر إغرائه أهل المدينة حرم النبى المختار وقتله بها بقايا المهاجرين والأنصار ، فمات بعد هذه الوقعة ، وإحراق الكعبة بأقل من ثلاثة أشهر، ولأنه توفى بالذبحة وذات الجنب فى نصف ربيع الأول بحوارين من قرى حمص ، وحمل إلى دمشق وصلى عليه ابنه خالد . وقال المسعودى : صلى عليه ابنه معاوية ودفن فى مقبرة باب الصغير ، وقد بلغ سبعا وثلاثين سنة فكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر واثني عشر يوماً.

فصل

١٩٧١- وأما قوله : « تتركون المدينة » حدثنا المخاطب فمراده غير المخاطبين ، لكن نوعهم من أهل المدينة، أو نسلهم ، وعلى خير ما كانت عليه فيما قبل ، وقد وجد هذا الذى قاله النبى ﷺ وذلك أنها صارت بعده ﷺ معدن الخلافة وموضعها، ومقصد الناس ، وملجأهم ، ومعقلهم ، حتى تنافس الناس فيها، وتوسعوا فى

خططها، وغرسوا ، وسكنوا منها ما لم يسكن قبل ، وبنوا فيها وشيدوا، حتى بلغت المساكن أهاب ، فلما انتهت حالها كمالاً وحسناً تناقص أمرها إلى أن أفقرت جهاتها بتغلب الأعراب عليها وتوالى الفتن فيها ، فخاف أهلها ، وارتحلوا عنها ، وصارت الخلافة بالشام ، ووجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المزى فى جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدينة فقاتل أهلها فهزمهم ، وقتلهم بحرة المدينة قتلاً ذريعاً ، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، وفيه يقول الشاعر :

فإن تقتلونا يوم حرة واقم
فإننا على الإسلام أول من قتل
وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا لذي الحجة سنة ثلاث (وستين) ،
ويقال لها حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من مسجد رسول الله ﷺ فقتل بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبع مائة .
وقتل من أخلط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل من قريش ، وسبعة وتسعون قتلوا جهراً ظلماً فى الحرب وصبراً .
١٩٧٢- وقال الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم فى المرتبة الرابعة: وجالت الخيل فى مسجد رسول الله ﷺ وبالت وراثت بين القبر والمنبر ، أدام الله تشریفها ، وأكره الناس على أن يسايعوا ليزيد ، على أنهم عبيد له إن شاء باع ، وإن شاء أعتق ، وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة ، البيعة على حكم القرآن والسنة ، فأمر بقتله ، فضربت عنقه صبراً .

وذكر الإخباريون أنها خلت من أهلها وبقيت ثمارها لعوافى الطير والسباع كما قال ﷺ ، ثم تراجع الناس إليها ، وفى حال خلوها غدت الكلاب على سوارى المسجد ، والله أعلم .

١٩٧٣- وذكر أبو زيد عمر بن شبة قال : حدثنا صفوان عن شريح ابن عبيد أنه قرأ كتاباً بالكعبة : ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهى مذللة حتى تبول السنانير على قطائف الخزما يروعها شيء ، وحتى تحرق الثعالب فى أسواقها ما يروعها شيء ، وأما قوله فى الراعيين حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجهيهما ، فقليل سقطا ميتين . [إسناده صحيح إلى شريح والخبر مقطوع]

١٩٧٤- قال علماؤنا : وهذا إنما يكون فى آخر الزمان ، وعند انقراض الدنيا ،

بدليل ما قال البخارى فى هذا الحديث : آخر من يحشر راعيان من مزينة . وقيل :
معناه آخر من يموت فيحشر ، لأن الحشر بعد الموت ، ويحتمل أن يتأخر حشرهما
لتأخر موتهما .

قال الداودى أبو جعفر أحمد بن نصر فى شرح البخارى له : وقوله فى
الراعيين ينعقان بغنمهما ، يعنى : يطلبان الكلاً .

وقوله : وحشاً يعنى خالية ، وقوله ثنية الوداع موضعاً قريباً من المدينة مما يلى مكة .
وقوله : خرا على وجهيهما ، يعنى : أخذتهما الصعقة حين النفخة الأولى وهو
الموت .

وقوله : آخر من يحشر ، يعنى : أنهما بأقصى المدينة فيكونان فى أثر من بيعث
منها ليس أن بعض الناس يخرج بعد بعض من الأحداث إلا بالشيء المتقارب يقول
الله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَّةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ .

١٩٧٥- وقول النبى ﷺ : « يصعق الناس فأكون أول من تنشق عنه الأرض ،
فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلى أو كان من الذين
استثنى الله »

وقال شيخنا أبو العباس القرطبى : ويحتمل أن يكون معناه : آخر من يحشر
إلى المدينة أى يساق إليها ، كما فى كتاب مسلم رحمه الله تعالى . [حديث صحيح]
١٩٧٦- قال المؤلف رحمه الله : وقد ذكر ابن شبة خلاف هذا كله ، فذكر
عن حذيفة بن أسيد قال : آخر الناس يحشر رجلاً من مزينة يفقدان الناس ، فيقول
أحدهما لصاحبه : قد فقدنا الناس منذ حين ، انطلق بنا شخص بنى فلان ،
فينطلقان ، فلا يجدان بها أحداً ، ثم يقول : انطلق بنا إلى المدينة ، فينطلقان ، فلا يجدان
بها أحداً ، ثم يقول : انطلق بنا إلى منازل قريش ببييع الغرقد ، فينطلقان ، فلا يريان
إلا السباع والثعالب ، فيوجهان نحو البيت الحرام .

١٩٧٧- وقد ذكر عن أبى هريرة قال : « آخر من يحشر رجلاً من رجل من
جهينة ، وآخر من مزينة ، فيقولان : أين الناس ؟ فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب ،
فينزل إليهما ملكان ، فيسحبانهما على وجهيهما حتى يلحقاهما بالناس » .

[حديث صحيح]

فصل

١٩٧٨- وأما قوله في حديث أبي هريرة : يبايع لرجل بين الركن والمقام ، فهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، على ما ذكره أيضاً ، يملك الدنيا كلها . والله أعلم .

فروى أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران . فالمؤمنان: سليمان بن داود، والإسكندر، والكافران: نمرود وبخت نصر ، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي .

باب فهد الخليفة الكائن فهد آخر الزمان المسمي بالمهدي وعلامة خروجه

١٩٧٩- مسلم عن أبي نضيرة قال: كنا جلوساً عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجيء قفير ولا درهم إليهم. قلنا: من أين؟ قال : من قبل العجم ينعون ذلك . ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مدى . قلنا من أين لك ذلك؟ قال : من قبل الروم ثم سكت هنيهة ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ: « يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثيا ولا يعده عدداً» قيل لأبي نضرة وأبي العلاء تريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ قال: لا . [خبر صحيح]

١٩٨٣- قال : وحدثنا أحمد بن عيسى قال : وحدثنا ابن عيسى قال : وحدثنا عبد الله بن وهب قال : وحدثني ابن لهيعة ، عن بشر بن محمد المعافري قال: سمعت أبا فراس يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إذا أخسف الجيش بالبيداء، فهو علامة ظهور المهدي .

قلت : ولخروجه علامتان (أخريان) يأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى .

فصل

١٩٨٤- قوله : ثم سكت (هنيهة) بضم الهاء وتشديد الياء أي مدة يسيرة بتصغير (هنيهة) ، ويروى بهاءين . ورواه الطبري هنيهة مهموز، وهو خطأ لا وجه له . فيه دلالة على صدق النبي ﷺ حيث أخبر عما سيكون بعد فكان . ومثله الحديث الآخر : «منعت العراق درهمها وقفيزها» الحديث . أي ستمنع، وأتى بلفظ الماضي في

الأخبار؛ لأنه ماض فى علم الله أنه سيكون كقوله عز من قائل ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ والمعنى أنه لا يجيء إليها كما جاء مفسراً فى هذا الحديث ، ومعناه - والله أعلم - سيرجعون عن الطاعة ويأبون من إذا ما (وظف) عليهم فى أحد الأمر ، وذلك أنهم يرتدون عن الإسلام، وعن أداء الجزية ، ولم يكن ذلك فى زمانه ، ولكن أخبر أنهم سيفعلون ذلك . وقوله « يحثى المال حثياً » قال ابن الأنبارى: أعلى اللغتين حثا يحثى ، وهو أصح وأفصح ، ويقال : حثا يحثو ويحثى وأحث بكسر التاء وضمها كلها المعنى اغرف بيدك . [حديث صحيح]

باب منه فك المهدي وخروج السفينان عليه وبهته الجيش لقتاله وأنه الجيش الذي يخسف به

١٩٨٦- قلت : حديث حذيفة هذا فيه طول ، وكذلك حديث ابن مسعود(و)فيه : أن عروة بن محمد السفينانى يبعث جيشاً إلى الكوفة (فيه) خمسة عشر ألف فارس ، ويبعث جيشاً آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه ، فأما الجيش الأول فإنه يصل إلى الكوفة، فيتغلب عليها، ويسبى من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال، ويأخذ ما يجد فيها من الأموال ، ثم يرجع، فتقوم صيحة بالمشرق ، فيتبعهم أمير من أمراء بنى تميم، يقال له شعيب بن صالح ، فيستنقذ ما فى أيديهم من السبى ويرد إلى الكوفة ، وأما الجيش الثانى فإنه يصل إلى مدينة الرسول ﷺ فيقاتلونها ثلاثة أيام ، ثم يدخلونها عنوة، ويسبون ما فيها من الأهل والولد ثم يسرون نحو مكة- أعزها الله - لمحاربة المهدي ومن معه ، فإذا وصلوا إلى البيداء، مسحهم الله أجمعين فذلك قول الله تعالى : ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ .

١٩٨٧- وقد ذكر خبر السفينانى مطولاً بتمامه أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادى فى كتاب الملاحم له ، وأنه الذى يخسف بحيشه . قال : واسمه عتبة بن هند، وهو الذى يقوم فى أهل دمشق، فيقول: يا أهل دمشق أنا رجل منكم، وأنتم خاصتنا ، جدى معاوية بن أبى سفيان وليكم من قبل فأحسن وأحسنتم ، وذكر كلاماً طويلاً إلى أن ذكر كتابه إلى الجرهمى وهو على ما يليه من أرض الشام ، وأتى

البرقى وهو على ما يليه من حد برقة وما وراء برقة من المغرب إلى أن قال : فيأتى الجرهمى فيبأيعه، واسم الجرهمى : عقيل بن عقال ، ثم يأتيه البرقى، واسم البرقى: همام بن الورد ، ثم ذكر مسيره إلى أرض مصر وقتاله للملكها (فيقتلون) على قنطرة الفرما أو دونها بسبعة أيام ، ثم ينصر أهل مصر وقد قتل منهم زهاء سبعين ألفا ونيفا ثم يصالحه أهل مصر، ويأيعونه فينصرف عنهم إلى الشام ، ثم ذكر تقديمه الأمراء من (المغرب) رجل من حضر موت ، ولرجل من خزاعة ، ولرجل من عيس ، ولرجل من ثعلبة ، وذكر عجائب، وأن جيشه الذى يخسف بهم تبتلعهم الأرض إلى أعناقهم وتبقى رؤوسهم خارجة ، ويبقى جميع خيلهم ، وأموالهم ، وأثقالهم ، وخزائهم ، وجميع مضاربهم ، والسبى على حاله إلى أن يبلغ الخبر الخارج بمكة ، واسمه محمد بن على من ولد السبط الأكبر الحسن بن على ، فيطوى الله تعالى له الأرض، فيبلغ البيداء من يومه ، فيجد القوم أبدانهم داخله فى الأرض، ورؤوسهم خارجة، وهم أحياء، فيحمد الله عز وجل هو وأصحابه، ويتحبون بالبكاء ، ويدعون الله عز وجل ، ويسبحونه، ويحمدونه على حسن صنيعه إليهم ، ويسألونه تمام النعمة والعافية ، فتبلعهم الأرض من ساعتهم يعنى أصحاب السفىانى ، ويجد الحسنى العسكر على حاله، والسبى على حاله ، وذكر أشياء كثيرة ، الله أعلم بصحتها أخذها من كتاب دانيال فيما زعم .

١٩٨٨- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : ودانيال نبى من أنبياء (بنى) إسرائيل ، كلامه عبرانى ، وهو على شريعة موسى بن عمران، وكان قبل عيسى ابن مريم بزمان ، ومن أسند مثل هذا إلى نبى عن غير ثقة، أو توقيف من نبينا ﷺ ، فقد سقطت عدالته، إلا أن يبين وضعه، لتصح أمانته، وقد ذكر فى هذا الكتاب من الملاحم ، وما كان من الحوادث، وسيكون ، وجمع فيه التنافي والتناقض بين الضب والنون، وأغرب فيما أغرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون ، وفيه من الموضوعات ما يكذب آخرها أولها، ويتعذر على المتأول لها تأويلها ، وما يتعلق به جماعة الزنادقة من تكذيب الصادق المصدوق محمد ﷺ أن فى سنة ثلاثمائة يظهر الدجال من يهودية أصبهان ، وقد طعنا فى أوائل سبعمائة فى هذا الزمان وذلك شيء ما وقع ولا كان ومن الموضوع فيه، المصنوع ، والتهافت الموضوع ، الحديث الطويل

الذى استفتح به كتابه ، فهلا اتقى الله وخاف عقابه ، وأن من أفضح فضيحة فى الدين نقل مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين ، فإنه لا طريق فيما ذكر عن دانيال إلا عنهم ، ولا رواية تؤخذ فى ذلك إلا منهم .

١٩٨٩- وقد روى البخارى فى تفسير سورة البقرة ، عن أبي هريرة (رضى الله عنه) ، قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا » . [حديث صحيح]

١٩٩٠- وقد ذكر فى كتاب (الاعتصام) أن ابن عباس قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزله الله على رسوله أحدث شيء تقرؤونه محضاً لم يشب !؟ وقد حدثكم: (أن) أهل الكتاب بدلوا كلام الله وغيروه ، وقد كتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا ، والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل عليكم . [خير صحيح]

١٩٩١- قال ابن دحية رضى الله عنه : وكيف يؤمن من خان الله ، وكذب عليه ، وكفر ، واستكبر ، وفجر ، وأما حديث الدابة فقد نطق بخروجها القرآن ، ووجب التصديق بها والإيمان . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) .

١٩٩٢- وقد روى الزوراء محمد بن زكريا الغلابي ، وأسند عن على رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ وقال : أما إن هلاكها على يد السفيناني كأنى والله بها قد صارت خاوية على عروشها ، ومحمد بن زكريا الغلابي قال أبو الحسن الدار قطنى : كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ ، وعظم هذه الدابة المذكورة ، وطول يأجوج ومأجوج على تلك الصورة يدل على وضع هذا الحديث بالتصريح ، ويقطع العاقل بأنه ليس بصحيح ، لأن مثل هذا القدر فى العظم والطول يشهد على كذب واضعه فى المنقول ، وأى مدينة تسع طرقاتها دابة عرضها ستون ميلاً ارتفاعاً ، وأى سبيل يضم يأجوج ومأجوج ، وأحدهم طولاً وعرضاً مائتان وأربعون ذراعاً .

ولقد اجترأ هذا الفاسق على الله العزيز الجبار بما اختلقه على نبيه المختار ، فقد صح عنه بإجماع من أئمة الآثار أنه قال : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ثم يطرق إلينا تكذيب اليهود لنا فيما نقلناه عن توراتهم (أنه سىء ولم يكن سر اتهم يحملون أقوالنا الصادقة عن المحال) ويكذبوننا بسبب ذلك فى كل حال .

١٩٩٣- عن أم سلمة سئلت عن الجيش الذى يخسف به، وكان ذلك فى أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ: « يعوذ بالبيت عائذ فيبعث (الله) إليه بعثاً ، فإذا كانوا بيضاء من الأرض خسف بهم ، فقل يا رسول الله وكيف (بمن) كان كارهاً ؟ قال : يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته » وقال: أبو جعفر : هى بيضاء المدينة . وقال : عبد العزيز ابن رفيع : إنما قال بيضاء من الأرض قال : كلا إنها والله لبيضاء المدينة . [حديث صحيح]

١٩٩٤- وعن عبد الله بن صفوان قال : أخبرتنى حفصة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا بيضاء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادى أولهم آخرهم ، ثم يخسف بهم ، فلا يبقى منهم إلا الشريد الذى يخبر عنهم » أخرجه ابن ماجه وزاد . فلما جاء جيش الحجاج ظننا أنهم هم، فقال رجل : أشهد أنك لم تكذب على حفصة، وإن حفصة لم تكذب على رسول الله ﷺ . [حديث صحيح]

١٩٩٥- وعنه عن أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال : « سيعوذ بهذا البيت، يعنى: الكعبة، قوم ليس لهم منعة، ولا عدد، ولا عدة، يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا بيضاء من الأرض، خسف بهم » قال يوسف بن ماهك: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة. قال عبد الله بن صفوان : أما والله ما هو بهذا الجيش .

[حديث صحيح]

فصل

١٩٩٦- قوله : ليس له منعة : بفتح الميم والنون أى جماعة يمنعونه، وهو مانع، وهو أكثر الضبط فيه ، ويقال : بسكون النون أيضاً أى : عزة وامتناع يمتنع بها اسم الفعل من منع أو الحال بتلك الصفة أو مكان بتلك الصفة ، وأنكر أبو حاتم السجستاني إسكان النون، وليس فى هذه الأحاديث أنه يخسف بأمتعتهم ، وإنما فيها

أنه يخسف بهم . (والله أعلم) .

باب منه آخر فك المهديك وذكر من يوطئ له ملكه

١٩٩٧- ابن ماجه ، عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلا واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ، فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي » . إسناده صحيح . [حديث صحيح]

**باب منه آخر فك المهديك وصفته واسمه وإعطائه ومكته
وأنه يخرج مع عيسى عليه [الصلاة] والسلام فيساعده على
قتال الدجال**

٢٠٠٠- أبو داود عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع ، تنعم فيه أمتي نعمة لم يسمعوا بمثلها قط ، (حتى) تؤتى أكلها ولا تترك منهم شيئاً والمال يومئذ كرؤوس ، يقوم الرجل فيقول : يا مهدي ، أعطني ، فيقول : خذ » . [حديث حسن]

٢٠٠١- وخرج عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « المهدي مني أجلي الجبهة أفنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً فيملك سبع سنين » . [حديث صحيح]

٢٠٠٢- وذكر عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أبي هارون العبدى ، عن معاوية بن قرة ، عن أبي الصديق الناجي ، عن أبي سعيد الخدري قال :
« ذكر رسول الله ﷺ بلايا تصيب هذه الأمة ، حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم ، فيبعث الله رجلاً من عترتي - أهل بيتي - فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء شيئاً من قطرها إلا صبته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجه ، حتى تتمنى الأحياء أن لاموات . يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمانى سنين أو تسع سنين » .

ويروى هذا من غير وجه عن أبي سعيد الخدري وأبو داود . [حديث حسن]
٢٠٠٣- وعن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، قال

زائدة فى حديثه لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلاً من أمتى أو من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى» خرجه الترمذى بمعناه وقال : حديث حسن صحيح . [حديث صحيح]

٢٠٠٥- وخرج الترمذى ، عن أبى سعيد الخدرى قال : خشينا أن يكون بعد نبينا ﷺ (حدث) فسألنا النبى ﷺ قال: «إن فى أمتى المهدي، يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً» - زيد للشك (قال): قلنا: وما ذلك؟ قال: «يجيء إليه الرجل فيقول : يا مهدي أعطني فيحشى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله» قال : هذا حديث حسن .

[حديث حسن]

٢٠٠٦- وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن الحنفية ، عن أبيه على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله عز وجل فى ليلة أو قال : فى يومين » . [حديث حسن]

باب

ما جاء أن المهدي يملك جبل الديلم والقسطنطينية
ويستفتح رومية وأنطاكية وكنيسة الذهب وبيان
قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ الآية .

٢٠١٥- ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله عز وجل، حتى يملك رجل من أهل بيتى جبل الديلم والقسطنطينية» إسناده صحيح . [حديث صحيح]

باب ما جاء فى فتح القسطنطينية ومن أين تفتح،
وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه
[الصلاة و] السلام وقتله إياه

٢٠١٧- مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا، والله لا نخلى بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقاتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون

أبدأً فيفتحون القسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهلكم، فيخرجون، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام، خرج، فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته .

[حديث صحيح]

٢٠١٩- وخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا : نعم يا رسول الله. قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها(سبعون)ألفاً من بنى إسحاق فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم . قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها ، قال ثور: لا أعلمه، قال: إلا الذي في البحر ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ، ثم تقول الثالثة : لا إله إلا الله و الله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون ، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال إن الدجال قد خرج ، فيتركون كل شئ ويرجعون » . [حديث صحيح]

٢٠٢٠- الترمذى عن أنس قال :«فتح القسطنطينية مع قيام الساعة» هكذا رواه موقوفاً وقال :حديث غريب . والقسطنطينية مدينة الروم ، وفتحت عند خروج الدجال، والقسطنطينية قد فتحت في زمن بعض أصحاب رسول الله ﷺ .

[إسناده صحيح موقوف]

٢٠٢١- قلت : هو عثمان بن عفان(رضى الله عنه)ذكر الطبرى فى التاريخ له ، ثم دخلت سنة سبع وعشرين ، ففيها كان فتح أفريقية على يد عبد الله بن أبى سرح ، وذلك أن عثمان رضى الله عنه لما ولى عمرو بن العاص على عمله بمصر كان لا يعزل أحداً إلا عن شكاية ، وكان عبد الله بن أبى سرح من جند(مصر) ، فأمره عثمان رضى الله عنه على الجند، ورماه بالرجال وسرحه إلى أفريقية ، وسرح معه عبد الله بن نافع بن (عبد القيس)، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهرينى ، فلما فتح عبد الله أفريقية خرج عبد الله وعبد الله إلى الأندلس ، فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان رضى الله عنه إلى من انتدب (من) الأندلس :

أما بعد : فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس ، وإنكم إن افتتحوها كنتم شركاء في الأجر فيقال إنها فتحت في تلك الأزمان ، وستفتح مرة أخرى كما في أحاديث هذا الباب ، والذي قبله ، وقد قال بعض علمائنا : إن حديث أبي هريرة أول الباب يدل على أنها تفتح بالقتال ، وحديث ابن ماجه يدل على خلاف ذلك مع حديث أبي هريرة ، والله أعلم .

باب

أشراط الساعة وعلاماتها

٢٠٢٤- فأما وقتها فلا يعلمه إلا الله . وفي حديث جبريل : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » الحديث خرجه مسلم . [حديث صحيح]
٢٠٢٥- وكذلك روى الشعبي قال : لقي جبريل عيسى عليه السلام فقال له عيسى: متى الساعة؟ فانتفض جبريل عليه(الصلاة و)السلام في أجنته وقال: « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ﴿ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾ . [الخبر من الإسرائيليات]

فصل

٢٠٢٧- قال العلماء رحمة الله تعالى (عليهم): والحكمة في تقديم الأشراف، ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يياغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم ، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراف الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا ، واستعدوا للساعة ، الموعود بها والله أعلم. وتلك الأشراف علامة لانتهاه الدنيا وانقضائها، فمنها: خروج الدجال، ونزول عيسى، وقتله الدجال ، ومنها خروج يأجوج ومأجوج، ودابة الأرض، ومنها طلوع الشمس من مغربها، هذه هي الآيات العظام على ما يأتي بيانه .

وأما ما تقدم من هذه (من) قبض العلم، وغلبة الجهل، واستيلاء أهله وبيع الحكم ، وظهور المعازف، واستفاضة شرب الخمر، واكتفاء النساء بالنساء، والرجال بالرجال، وإطالة البنيان، وزخرفة المساجد، وإمارة الصبيان، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وكثرة الهرج ، فإنها أسباب حادثة ، ورواية الأخبار المنذر بها بعدما صار

الخبر بها عيانا تكلف، لكن لا بد من ذكرها حتى يوقف عليها، ويتحقق بذلك معجزة النبي ﷺ وصدقه في كل ما أخبر به ﷺ .

باب

قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين»

٢٠٢٨- مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين ، وضم السبابة والوسطى » .

وروى من طرق أخرجه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وابن ماجه رضى الله عنهم ، ومعناها كلها على اختلاف ألفاظها تقريب من الساعة التى هى القيامة وسرعة مجيئها وهذا كما قال الله (تعالى) : ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ وقوله (تعالى) : ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ وقال (تعالى) : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ . [حديث صحيح]

فصل

٢٠٣١- إن قيل ثبت أن النبي ﷺ سأل جبريل عن الساعة فقال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» الحديث فهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم، ورويت عنه أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وهذا يدل على أنه كان عالما (بها) فكيف يتألف الخبران؟ قيل له قد نطق القرآن بقوله الحق ﴿ قل إذا علمها عند ربى ﴾ الآية فلم يكن يعلمها هو ولا غيره، وأما قوله «بعثت أنا والساعة كهاتين» فمعناه: أنا النبي الأخير، فلا يلينى نبي آخر، وإنما تلينى (الساعة) كما تلى السبابة الوسطى وليس بينهما أصبع أخرى، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها وهى ومع ذلك كائنة لأن أشراطها متتابعة، وقد ذكر الله الأشراط فى القرآن فقال (تعالى) : ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ أى دنت وأولها النبى، لأنه نبى آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبى، ثم بين ﷺ ما يليه من الأشراط فقال: أن تلد الأمة ربتها إلى غير ذلك مما سنذكره ونبينه بحول الله تعالى فى أبواب إن شاء الله تعالى [حديث صحيح]

باب

أهور تكون بين يده الساعة

٢٠٣٢- البخارى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، ويكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض ، وحتى يهجم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه، وحتى يتناول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين ﴿ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من

قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ﴾ ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتباعدانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » . [حديث صحيح]

فصل

٢٠٣٣- قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذه ثلاث عشرة علامة جمعها أبو هريرة فى حديث واحد ، ولم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والأشراط فى عموم إنذار النبى ﷺ فساد الزمان، وتغيير الدين، وذهاب الأمانة، ما يغنى عن ذكر التفاصيل الباطلة، والأحاديث الكاذبة فى أشراط الساعة ، من ذلك حديث ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أن فى سنة مائتين يكون كذا وكذا ، وفى العشر والمائتين يكون كذا وكذا ، وفى العشرين كذا وفى الثلاثين كذا ، وفى الأربعين كذا ، وفى الخمسين كذا ، وفى الستين والمائتين تعتكف الشمس ساعة فيموت نصف الجنة والإنس ، فهل كان هكذا وقد مضت هذه المدة ، وهذا شيء يعم سائر الأمور التى ذكرت، قد تكون فى بلدة وتخلو منه أخرى ، فهذا عكوف الشمس لا يخلو منه أحد فى شرق ولا غرب ، فإن كان المائتين من الهجرة فقد

مضت ، وإن كان من موت النبي ﷺ فقد مضت، وأيضاً دلالة أخرى على أنه مفتعل، لأن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، وإنما وضعوه على عهد عمر رضى الله عنه ، فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله ﷺ أن يقال في سنة مائتين أو سنة عشرين ومائتين ولم يكن وضع شيء من التاريخ؟.

٢٠٣٤- وكذلك ما روى عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: إذا كانت سنة تسع وتسعين وخمس مائة يخرج المهدي في أمتي على خلاف من الناس، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، ويفتح الله (تعالى) له كنوز الأرض ، وتنزل السماء قطرها ، وتخرج الأرض ثمرها ، ويزرع الزراع في الأرض صاعاً فيصيب مائة صاع، ويذهب الغلاء والقحط والجوع عن الناس ، ويجوز إلى الأندلس ويقيم فيها ويملكها تسع سنين ويستفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم، ويغنم رومية، وكنيسة الذهب فيجد فيها تابوت السكينة، وفيها غفارة عيسى وعصا موسى عليهما (الصلاة و)السلام ، فيكسرون العصا على أربعة أجزاء ، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم النصر والظفر ، ويخرج عليهم ذو العرف في مائة ألف مقاتل بعد أن يتحالف الروم أنهم لا يرجعون أو يموتون ، فينهزم المسلمون حتى يأتوا سرقسطة البيضاء ، فيدخلوها بإذن الله تعالى، ويكرم الله من فيها بالشهادة، ولا يكون للمسلمين بعد خراب سرقسطة سكنى ولا قرار بالأندلس ، وينتهون إلى قرطبة فلا يجدون فيها أحداً لما أصاب الناس من شدة الفرع من الروم، يهربون من الأندلس يريدون العدو ، فإذا اجتمعوا على ساحل البحر ازدحموا على المراكب، فموت منهم خلق كثير، فينزل الله إليهم ملكاً في صورة إبل فينجو من نجا وغرق من غرق .

قلت : كل ما جاء في هذا الحديث فمذكور في حديث حذيفة وغيره، وإنه المنكر فيملك الروم والأندلس إلى خروج الدجال .

٢٠٣٥- ومنه تعيين التاريخ وقد كان سنة تسع وتسعين وخمس مائة ولم يكن شيء من ذلك ، بل كان بالأندلس وقعة الأرك التي أهلك الله فيها الروم، ولم يزل المسلمون في نعمة وسرور إلى سنة تسع وستمائة فكانت فيها وقعة العقاب، هلك فيها كثير من المسلمين ، ولم يزل المسلمون في تلك الوقعة بالأندلس يرجعون

القهقري إلى أن استولى عليهم العدو وغلبهم بالفتن الواقعة بينهم والتفصيل يطول ، ولم يبق الآن من الأندلس إلا اليسير ، فنعوذ بالله من الفتن والخذلان والمخالفة والعصيان وكثرة الظلم والفساد والعدوان . والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب : أن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون ، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر ، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد أى سنة هى ولا أى شهر ، أما إنها (ستكون) فى يوم الجمعة ، فى آخر ساعة منه ، وهى الساعة التى خلق الله فيها آدم عليه (الصلاة و)السلام ، ولكن أى الجمعة لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له ، وكذلك ما يكون من الأشرط تعيين الزمان لها لا يعلم ، والله أعلم .

٢٠٣٦- وقد سمعت من بعض أصحابنا : أن ما وقع من التاريخ فى حديث أبى سعيد الخدرى إنما ذلك بعد المائة التى قال النبي ﷺ : « إن يعيش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » . وفى رواية : قال أنس ذلك الغلام من أترابى يومئذ . خرجه مسلم . [حديث صحيح]

٢٠٣٧- وفى حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما على الأرض نفس منفوسة يعنى اليوم يأتى عليها مائة سنة » .

قال أبو عيسى : هذا الحديث حسن صحيح .

ومعلوم أن أنس توفى فى عشر المائة بالبصرة ، فعلى هذا يكون سنة سبع

وتسعين وست مائة ، وهذا لم يجرى بعد ، فالله تعالى أعلم . [حديث صحيح]

٢٠٣٨- قال المؤلف رحمه الله : وبحديث أبى (موسى) سعيد الخدرى وابن

عمر وجابر استدلل من قال : إن الخضر ميت ليس بحي ، وقال الثعالبي فى كتاب

العرائس : والخضر على جميع الأقوال نبي معمر ، محجوب عن الأبصار .

٢٠٣٩- وذكر عن عمرو بن دينار قال : إن الخضر وإلياس لا يزالان يحييان

فى الأرض ، فإذا رفع القرآن ماتا ، وهذا هو الصحيح فى الباب على ما بيناه فى

سورة الكهف من كتاب جامع أحكام القرآن ، والحمد لله .

فصل

٢٠٤٠- وأما الثلاث عشرة خصلة ، فقد ظهر أكثرها من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: « لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة » يريد فيه معاوية وعلياً - كرم الله وجهه - بصفين ، وقد تقدم الإشارة إليهما ، قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا أول خطب طرق في الإسلام .

قلت : بل أول أمر دهم الإسلام موت النبي ﷺ ثم بعده موت عمر ، فموت النبي ﷺ انقطع الوحي ومات النبوءة ، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك ، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه ، قال أبو سعيد : ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا .

٢٠٤١- وقال أبو بكر الصديق في أبيات يرثى بها النبي ﷺ :

فلتحدثن حوادث من بعده تعنى بهن جوانح وصدور
وقالت صافية بنت عبد المطلب في أبيات ترثى بها النبي ﷺ :

لعمرك ما أبكى النبي لفقده ولكن ما أحشى من الهرج آتيا
وموت عمر سل سيف الفتنة وقتل عثمان ، وكان من قضاء الله وقدره ما يكون ، وكان على ما تقدم ، وقوله : حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين .
الدجال ينطلق في اللغة على أوجه كثيرة يأتي ذكرها . أحدها الكذاب كما جاء في هذا الحديث .

وصحيح مسلم : « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون » الحديث ، ولا يجمع ما كان على فعال جمع التكسير عند الجماهير من النحويين لئلا يذهب بناء المبالغة منه ، فلا يقال: إلا دجالون ، كما قال عليه الصلاة والسلام « وإن كان قد جاء مكسراً » وهو شاذ ، أنشد سيبويه لابن مقبل :

إلا الإفادة فاستولت ركائبنا عند الجباير بالبأساء (والنعم)

٢٠٤٢- وقال مالك بن أنس في محمد بن إسحاق إنما هو دجال من الدجاجة نحن أخرجناه من المدينة . قال عبد الله بن إدريس الأودي : وما عرفت أن دجالاً يجمع على دجاجة حتى سمعتهما من مالك بن أنس .

وقال القاضي عياض : هذا الحديث قد ظهر فلوعد من تنبأ من زمن النبي ﷺ

إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف ، واتبعه جماعة على ضلالتة لوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتاب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا .

٢٠٤٤- وقوله : حتى يقبض العلم ، فقد قبض العمل به ولم يبق إلا رسمه على ما يأتي بيانه . وقوله : وتكثر الزلازل فقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي: أنه وقع منها بعراق العجم كثير ، وقد شاهدنا بعضها بالأندلس وسيأتي .

وقوله : ويتقارب الزمان قيل : المعنى يتقارب أحوال أهله فى قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، كما هو اليوم لغلبة الفسق وظهور أهله .

٢٠٤٦- وقوله : حتى يكثر فيكم المال فيفيض، وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته(و) هذا مما يقع بل يكون على ما يأتي، ورب مفعول يهم ومن يقبل فاعل يهم. ويقال: أهمني ذلك الأمر أحزننى وأقلقنى ، وهمه يهمله إذا بالغ فى ذلك وقوله: حتى يتناول الناس فى البنيان ، هذا مشاهد فى الوجود مشاهدته تغنى عن الكلام فيه .

٢٠٤٧- وقوله : حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه . وذلك لما يرى من عظيم البلاء ، وريح الأعداء وغبن الأولياء ، ورئاسة الجهلاء، وخمول العلماء ، واستيلاء الباطل فى الأحكام ، وعموم الظلم ، والجهر بالمعاصى ، واستيلاء الحكام على أموال الخلق ، والتحكم فى الأبدان والأموال والأعراض بغير حق ، كما فى هذا الزمان ، وقد تقدم أول الكتاب حديث أبي عابس الغفارى ، عن النبى ﷺ «بادروا بالأعمال ستاً» الحديث.

٢٠٤٨- وروي الأعمش سليمان بن مهران ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي نضرة ، عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر رضى الله عنه : يوشك أن يأتي على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ كما يغبط اليوم أبو عشرة ، ويغبط الرجل باختفائه عن السلطان وجفائه عنه كما يغبط اليوم بمعرفته إياه وكرامته عليه . وحتى تمر الجنازة فى السوق على الجماعة، فينظر إليها الرجل تهتز بهذا رأسه ، فيقول يا ليتنى مكان هذا ، قال : قلت يا أبا ذر : وإن ذلك من أمر عظيم ؟ قال : (أجل) يا ابن أخي عظيم عظيم . [خبر صحيح]

٢٠٤٩- قلت : هذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق ،

وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق ، فباعوا الأحكام ، ورضى بذلك منهم الحكام، فصار الحكم مكسأً، والحق عكسأً، لا يوصل إليه، ولا يقدر عليه، بدلوا دين الله وغيروا حكم الله سماعون للكذب، أكالون للسحت ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ و﴿الظالمون﴾ و﴿الفاسقون﴾ في الكفار خاصة

كلها ، وقيل عامة . فيمن بدل حكم الله وغيره، قال رسول الله ﷺ: «للتبعن سنن من قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » .

ولقد أحسن ابن المبارك حيث يقول في أبيات له :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

[حديث صحيح]

٢٠٥٠- وقوله : حتى تطلع الشمس من مغربها إلى آخره، يأتي القول فيه إن شاء الله تعالى، واللحمة : الناقة الغزيرة اللبن ، ويليط: يصلح . ويقال : لاط حوضه يليطه ويلوطه ليطاً ولوطاً إذا لطخه بالطين وأصلحه ، والأكله بضم الهمزة: اللقمة، فإذا كانت بمعنى المرة الواحدة فهي بالفتح لأنها مصدر ، وهي المرة الواحدة من الأكل كالضربة من الضرب ، فأخبر رسول الله ﷺ أن يعالجه من أمر الساعة ما يمنع من تمام فعله ، واقترب من ذلك رفع الأكلة وهي اللقمة إلى فيه، وتقوم الساعة بدون بلوغها إليه، وكذلك القول في المتبايعين من نشر الثوب وطيه ، فاعلمه .

باب منه

٢٠٥٢- قلت : صحيح المعنى لما ظهر في الوجود من ذلك . وقال مكحول :

« يأتي على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة الحمار » . [إسناده حسن]

باب منه

٢٠٥٦- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات دوس حول ذي الخلصة، وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية» . [حديث صحيح]

٢٠٥٧- وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تذهب الليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه » في غير مسلم رجل من الموالي يقال له جهجاه ، فسقط من رواية الجلودى من الموالي وهو خطأ . [حديث صحيح]

[٥٠٠ / صحيح التذكرة / صحابة]

٢٠٥٨- وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » . [حديث صحيح]
٢٠٥٩- وخرج البخارى ومسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى » .

[حديث صحيح]
٢٠٦٠- الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ستخرج نار من حضر موت قبل القيامة ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالشام » قال : حديث حسن غريب صحيح من حديث ابن عمر . [حديث صحيح]
٢٠٦١- البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « أول أشراف الساعة نار

تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » . [حديث صحيح]
٢٠٦٣- وذكر عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن أشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه قال : قعد الذئب على تل فأعمى واستقر ، وقال : عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعتني منى ، فقال الرجل : بالله (رأيتك اليوم ، ذئب تتكلم) ! فقال الذئب : أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم . قال : فكان الرجل يهودياً ، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره وأسلم فصدقه النبي ﷺ ثم قال للنبي ﷺ : إنها أمارات بين يدي الساعة قد يوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعله وسوطه بما أحدث أهله بعده . [حديث حسن]

٢٠٦٤- ويروى هذا عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى ، وفيه قال رسول الله ﷺ : « صدق الراعى إلا أن من أشراف الساعة كلام السباع للإنس . والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » . [حديث صحيح]
٢٠٦٥- الترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » قال : هذا حديث حسن

غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل ، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : حكم أبو عيسى بصحته ونظرنا سنده دون أن يقلده ، فوجدنا له علة . قال أبو عيسى : حدثنا سفيان بن وكيع : حدثنا أبي ، عن القاسم بن الفضل قال : حدثنا أبو نصر العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى فذكره . قال ابن دحية : سفيان بن وكيع لم يخرج له البخارى ومسلم حرفاً واحداً فى صحيحهما ، وذلك بسبب وراق كان له يدخل عليه الحديث الموضوع يقال له قرطمة . قال البخارى : يتكلمون فى سفيان لأشياء لقنوه إياه .

وقال أبو محمد بن عدى : كان سفيان إذا لقن يتلقن ، فهذه علة الحديث التى جهلها أبو عيسى الترمذى . [حديث صحيح]

٢٠٦٦- مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، وحتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً » . [حديث صحيح]

فصل

حول ذلك الخلصة والخلصة

٢٠٦٧- ثبت حديث ذى الخلصة فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى هذا البيت ، قال جرير : فنفرت إليها مائة وخمسين من أخص فكسرنه قتلنا من وجدنا عنده . قال أبو الخطاب بن دحية : وذو الخلصة بضم الخاء واللام فى قول أهل اللغة والسير وبفتحها قيدناه فى الصحيحين ، وكذا قال ابن هشام وقيده الإمام أبو الوليد الكنانى الوقشى بفتح الخاء وسكون اللام ، وكذا قال ابن (دريد) واختلف فيه فقيل : هو بيت أصنام كان لدوس وخنثعم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب وقيل : هو صنم كان عمرو بن لحي نصبه بأسفل مكة حتى نصبت الأصنام فى مواضع ثنتى ، وكانوا يلبسونه القلائد ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون عنده ، وقيل : ذو الخلصة هى الكعبة اليمانية ، فكان معناهم فى تسميتها بذلك ، أن عبادة خالصة ، والمعنى المراد بالحديث أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم فى عبادة الأوثان ، فترسل نساء طائفات حوله فترتج أردافهن عند ذلك

فى آخر الزمان ، وذلك بعد موت جميع من فى قلبه مثقال حبة من إيمان وهو كما :
[حديث صحيح]

٢٠٦٨- جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: « لا تذهب الليالى والأيام حتى تعبد اللات والعزى » الحديث وسيأتى بكماله. (إن شاء الله تعالى) . [حديث صحيح]

٢٠٦٩- وقوله : يسوق الناس بعصاه . كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه ، ولم يرد نفس العصا ، وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له ، واستيلائه عليهم، إلا أن فى ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعسفه بهم وقد قيل : إنه يسوقهم بعصاه كما تساق الإبل والماشية ، وذلك لشدة عنفه وعداوته، ولعل هذا الرجل القحطانى هو الرجل الذى يقال له الجهجاه ، وأصل الجهججة:الصياح بالسبع. يقال : جهججت بالسبع أى زجرته بالصياح، ويقال : جهجه عنى . أى انته. وهذه الصفة توافق ذكر العصا ، والله أعلم .

٢٠٧٠- وثبت عن رسول الله ﷺ من رواية عائذ بن عمرو وكان ممن بايع تحت الشجرة، قال : سمعت رسول الله ﷺ « إن شر الرعاة الحطمة » والرعاة فى اللغة جمع راع ، وضرب رسول الله بهذا مثلاً لوالى السوء ، لأن الحطمة هو الذى يعنف بالإبل فى السوق والإيراد والإصدار ، فيحطمها أى يكسرها ولا يكاد يسلم من فساده شيء ، وسواق حطم كذلك يعنف فى سوقه . [حديث صحيح]

٢٠٧١- وقوله : حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، فقد خرجت نار عظيمة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة ، وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة، فسكنت وظهرت النار بقرطبة عند قاع التنعيم بطرف الحرة يحيط بها قرى فى صورة البلد العظيم كأعظم ما يكون(من) البلدان. عليها سور يحيط بها عليه شرافات كشرافات الحصون وأبراج ومآذن ، ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوى كدوى الرعد ، يأخذ الصخور والجبال بين يديه ، ينتهى إلى البحرة محط الركب العراقى ، فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة ، وكان يلى المدينة ببركة النبى ﷺ

نسليم بارد، ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر ، وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها . قال لي بعض أصحابنا : ولقد رأيتها صاعدة في الهواء من جحر مسيرة خمسة أيام من المدينة .

٢٠٧٢- قلت : وسمعت أنها رثبت من مكة ومن جبال بصرى (ثم نشأ) من بعد هذه النار أخرى أرضية بحرم المدينة أحرقت جميع الحرم حتى إنها أذابت الرصاص التي عليها العمدة ، فوقعت ولم يبق غير السور واقفاً ، ونشأ بعد ذلك أخذ بغداد يتغلب التتر عليها ، فقتل من كان فيها وسباه ، وذلك عمود الإسلام وماؤه ، فانتشر الخوف وعظم الكرب وعم الرعب وكثر الحزن ، فانتشر التتر في البلاد وبقي الناس حيارى سكارى بغير خليفة ، ولا إمام ولا قضاء ، فزادت المحنة ، وعظمت الفتنة، (لولا) تدارك الله سبحانه بالعفو والفضل والمنة.

أما قوله : ستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل القيامة فلعلها النار التي جاء ذكرها في حديث حذيفة .

٢٠٧٤- وقوله : عذبة سوطه . يريد السير المعلق في طرف السوط .

وفي هذا الحديث ما يرد على كفرة الأطباء والزنادقة الملحدتين ، وأن الكلام ليس مرتبطاً بالهبة والبله ، وإنما البارى جلت قدرته يخلقه متى يشاء في أى وقت شاء من جماد أو حيوان على ما قدره الخالق الرحمن ، فقد كان الحجر والشجر يسلمان عليه ﷺ من نطق وتكلم ، ثبت ذلك في غير ما حديث ، وهو قول أهل أصول الدين في القديم والحديث ، وثبت باتفاق في حديث البقرة والذئب ، وأنهما تكلمتا على ما أخبر عنهما ﷺ في الصحيحين . قاله ابن دحية .

وقوله : حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، إخبار عن خروج عادتهم من إنتاج الكلاً ومواقع العشب بحفر الأنهار وغرس الأشجار وبناء الديار . (والله أعلم) .

بَابُ مِنْهُ آخِرُ

٢٠٧٥- أبو عمر بن عبد البر ، عن أبي مسعود عن النبي ﷺ قال : «إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة وفشو التجارة ، حتى تعيب المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام ، وفشو القلم وظهور شهادة الزور وكتمان شهادة الحق ، قال

أبو عمر بن عبد البر: أما قوله: وفشو القلم ، فإنه أراد ظهور الكتاب وكثرة الكتاب .
 خرج أبو جعفر الطحاوى بلفظه ومعناه، إلا أنه قال : حتى تعين المرأة بدل تعيب ،
 ولم يذكر : وقطع الأرحام . ذكره أبو محمد عبد الحق . [حديث صحيح]
 ٢٠٧٦- وخرج أبو داود الطيالسي قال : حدثنا ابن فضالة عن الحسن قال :
 قال عمرو بن ثعلبة، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا
 قوماً نعالهم الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان
 المطرقة ، وإن من أشراط الساعة أن تكثر التجارة ويظهر القلم . » [حديث حسن]
 ٢٠٧٧- وذكر المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « لا
 تقوم الساعة حتى يرفع العلم ، ويفيض المال ويظهر القلم ، وتكثر التجارة » قال
 الحسن : لقد أتى علينا زمان إنما يقال تاجر بنى فلان ، وكاتب بنى فلان ، ما يكون
 فى الحى إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد .

٢٠٧٨- وذكره أبو داود الطيالسي ، عن عبد الله بن مسعود قال : كان
 يقال : إن من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقاتاً وأن يسلم الرجل على الرجل
 بالمعرفة ، وأن يتجر الرجل وامراته جميعاً ، وأن تغلو مهور النساء والخيل ، ثم
 ترخص فلا تغلو إلى يوم القيامة . [حديث صحيح]

باب منه

٢٠٧٩- البخارى عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من
 أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل
 الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » أخرجه مسلم من حديث أنس .

[حديث صحيح]

٢٠٨٠- مسلم عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « لياتين على الناس زمان
 يطوف الرجل بالصدقة من الذهب لا يجد أحداً يأخذها منه ، قال : ويرى الرجل
 الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء . » [حديث صحيح]

فصل

٢٠٨١- قوله : « ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة » يريد والله أعلم أن
 الرجال يقتلون فى الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل ، فيقبلن على الرجل الواحد فى

قضاء حوائجهم ومصالح أمورهم ، كما قال في الحديث الآخر قبله : حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد الذى يسوسهن ويقوم عليهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء، وقد كان هذا عندنا أو قريباً منه بالأندلس . وقيل : إن لقلّة الرجال وغلبة الشبق على النساء يتبع الرجل الواحد أربعون امرأة كل واحدة تقول : انكحنى انكحنى ، والأول أشبه . (والله أعلم). ويكون معنى يلذن: يستترن ويتحرزن من الملاذ الذي هو السترة لا من اللذة .

٢٠٨٢- ولقد أخبرنى صاحبنا أبو القاسم رحمه الله أخو شيخنا أبى العباس أحمد بن عمر رحمه الله : أنه ربط نحواً من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى فى جبل واحد مخافة سبى العدو حتى خرجوا من قرطبة أعادها الله ، وأما ظهور الزنا ، فذلك مشهور فى كثير من الديار المصرية . من ذلك مأثور ، ومن ذلك إظهار الخمر والمأخور نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . وأما قلة العلم ، وكثر الجهل ، فذلك شائع فى جميع البلاد ذائع أعنى برفع العلم وقلة ترك العمل به ، كما قال عبد الله بن مسعود : «ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه ، ولكن إقامة حدوده » ذكره ابن المبارك وسيأتى هذا المعنى مبيناً مرفوعاً إن شاء الله تعالى .

باب

كيف يقبض العلم

٢٠٨٣- البخارى ومسلم رحمهما الله عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ، ولكن (ينزعه) منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يستفتون (فيفتون) برأيهم فيضلون يضلون » .

وفى رواية : حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا . انتزاعاً مصدر من غير اللفظ ، كما قال الله عز وجل : ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ .

باب ما جاء أن الأرض تخرج ما فك جوفها من الكنوز والأموال

٢٠٨٥- روى الأئمة عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً» وفي رواية : « عن جبل من ذهب » لفظ البخارى ومسلم ، وقال مسلم فى رواية : «فيقتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل واحد منهم : لعلى أكون أنا الذي أنجو» وقال ابن ماجه: «فيقتل الناس عليه ، فيقتل من كل عشرة تسعة» . [حديث صحيح]

٢٠٨٦- وخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «تقوى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجىء القاتل فيقول: فى هذا قتلت، ويجىء القاطع فيقول: فى هذا قطعت رحمى ، ويجىء السارق فيقول : فى هذا قطعت يدى ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً» لم يذكر الترمذى السارق وقطع يده ، وقال : حديث حسن غريب .

[حديث صحيح]

فصل

٢٠٨٧- قال الحليمى رحمه الله فى كتاب منهاج الدين له ، وقال عليه الصلاة والسلام : « يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً » فيشبه أن يكون هذا فى آخر الزمان الذى أخبر النبى ﷺ أن المال فيفيض فيه فلا يقبله أحد ، وذلك زمن عيسى عليه (الصلاة و) السلام ، فلعل بسبب هذا الفيض العظيم ذلك الجبل مع ما يغنمه المسلمون من أموال المشركين ، ويحتمل أن يكون نهيهم عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراته ، فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار من ذلك جهل واغترار ، ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه تدافعوا وتقاتلوا، ويحتمل أن يكون لا يجرى به مجرى المعدن ، فإذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق الله إليه لم يوفق بالبركة من الله تعالى فيه ، فكان الانقباض عنه أولى .

قال المؤلف رحمه الله : التأويل الأوسط هو الذى يدل عليه الحديث ، والله

أعلم .

باب فك ولادة آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق فك أمر العامة

٢٠٨٨- البخاري عن أبي هريرة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم إذ جاء أعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه ، فقال بعض القوم : سمع ما قال ، فكره ما قال وقال بعضهم : بل لم يسمع ما قال ، حتى إذا قضى حديثه قال « أين السائل عن الساعة » ؟ قال : هاأنا ذا يا رسول الله قال : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » قال : وكيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » . [حديث صحيح]

٢٠٨٩- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله : الرواية الصحيحة عند جميع رواة البخارى « إذا وسد » ورواه الفقيه الإمام المحدث أبو الحسن القاسمى . أسد » قال : والذي أحفظ « وسد » وفي نسخة من البخارى إشكال بين وسد أو أسد على ما قيد له ، لأنه كان أعمى وهما بمعنى . قال أهل اللغة : ويقال إساد ووساد واشتقاقهما واحد ، يقال : إساد ووسادة ووساد ، فمعنى قوله ﷺ : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله ، أى أسند وجعل إليهم وقلدوه بمعنى الإمارة ، كما جاء فى زماننا اليوم لأن الله تعالى ائتمن الأئمة والولاء على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم لقوله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فينبغى لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر فى أمور الأمة ، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التى فرض الله عليهم » .

٢٠٩٠- وخرج مسلم من حديث جبريل الطويل وفيه قال : أخبرنى عن الساعة ، قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال : « أن تلد الأمة قربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان » . وفي رواية : « إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها ، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها » .

٢٠٩١- الترمذى عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدينيا لكع ابن لكع » قال : حديث حسن غريب .

إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو . [حديث صحيح]
 ٢٠٩٢- وخرج الغيلاني أبو طالب محمد : حدثنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا
 موسى بن سهل بن كثير ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن عبد الملك بن
 قدامة عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « سيأتى على الناس سنوات
 خداعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون
 فيها الأمين ، وينطق فيها الرويضة . قيل : يا رسول الله ، وما الرويضة ؟ قال : الرجل
 التافه ينطق في أمر العامة » وقال أبو عبيد : التافه الرجل الخسيس الخامل من الناس ،
 وكذلك كل شيء خسيس فهو تافه ، قال : ومما يثبت حديث الرويضة الحديث الآخر
 أنه قال : « من أشراط الساعة أن ترى رعاء الشاء رؤوس الناس ، وأن ترى العراة
 الحفاة يتبارون في البنيان ، وأن تلد الأمة ربتها » . [حديث صحيح]

فصل

٢٠٩٥- قال علماؤنا رحمة الله عليهم : ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الباب
 وغيره مما تقدم ، ويأتى قد ظهر أكثره وشاع في الناس معظمه ، فوسد الأمر إلى غير
 أهله وصار رعوس الناس أسافلهم عبيدهم وجهالهم (فيملكون) البلاد والحكم في
 العباد ، فيجمعون الأموال ويطيّلون البنيان كما هو مشاهد في هذه الأزمان ، فلا
 يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية ، فهم صم بكم عمى . قال قتادة : صم
 عن استماع الحق ، بكم عن التكلم به ، عمى عن الإبصار له ، وهذه صفة أهل
 البادية والجهالة .

والبهم : جمع بهيمة ، وأصلها صغار الضأن والمعز ، وقد فسره في الرواية
 الأخرى في قوله : رعاء الشاة . وقوله وأن تلد الأمة ربتها ، وفي رواية ربتها تأنيث
 رب أى سيدها ، وقال وكيع : هو أن تلد العجم العرب ، ذكره ابن ماجه في السنن .
 ٢٠٩٦- قال علماؤنا : وذلك بأن يستولي المسلمون على بلاد الكفر فيكثر
 التسرى ، فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزلته بأبيه ، وعلى هذا
 فالدى يكون من أشراط الساعة استيلاء المسلمين واتساع خطتهم ، وكثرة الفتوح
 وهذا قد كان ، وقيل : هو أن يبيع السادات أمهات الأولاد ويكثر ذلك . فيتداول
 الملاك المستولدة ، فربما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربتها ، وعلى هذا الذى

يكون من أشراط الساعة غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد وهم الجمهور .
وقيل : المراد أن يكثّر العقوق في الأولاد ، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته
من الإهانة والسب ، ويشهد لهذا ما جاء في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) المرأة
مكان الأمة . وقوله عليه الصلاة والسلام : حتى يكون الولد غيظاً . وسيأتي إن شاء
الله تعالى .

٢٠٩٨- قلت : وقول خامس سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوي المقرئ
أبا جعفر أحمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بابن حجة (رحمه الله) يقوله
غير مرة ، وهو الإخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما في هذه الأزمان
التي قد استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرهما من البلدان ،
فتسبى المرأة وهي حبلى أو ولدها صغير ، فيفرق بينهما ، فيكبر الولد فرما يجتمعان
ويتزوجها كما قد وقع من ذلك كثير ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . ويدل على هذا
قوله : إذا ولدت (الأمة) بعلها ، وهذا هو المطابق للأشراط مع قوله عليه الصلاة
والسلام : « لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض » والله أعلم .

بَابُ مِنْهُ

٢١٠١- أبو نعيم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يمسخ قوم من
أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير ، قيل : يا رسول الله ، ويشهدون أن لا إله إلا الله ،
وأنت رسول الله ، ويصومون ؟ قال : نعم . قيل : فما بالهم يا رسول الله ؟ قال :
« يتخذون المعازف والقينات والدفوف ويشربون الأشرطة ، فباتوا على شربهم
ولهوهم ، فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير » . [إسناده ضعيف والحديث صحيح]

٢١٠٢- ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :
« ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها (بغير) اسمها يضرب على رؤوسهم بالدفوف
والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير » . [حديث صحيح]

٢١٠٣- وخرجه أبو داود عن مالك بن أبي مريم قال : دخلنا على عبد
الرحمن بن غنم فتداكرنا الطلاب قال : حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع رسول
الله ﷺ يقول : « ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها » زاد ابن أبي
شيبه « يضرب على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض » .

قال أبو محمد عبد الحق : روياه جميعاً من حديث معاوية بن صالح الحمصي ، وقد ضعفه قوم منهم يحيى بن معين (بن) يحيى بن سعيد فيما ذكره ابن أبي حاتم وقال أبو حاتم فيه : حسن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به ، ووثقه أحمد بن حنبل وأبو زرعة . [حديث صحيح]

٢١٠٤- البخارى عن أبى مالك الأشعرى أو عن أبى عامر سمع النبى ﷺ قال : « ليكونن ناس من أمتى يستحلون الحر ، والحرير والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون : ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ، ويضع العلم ويمسخ آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة » . قال المؤلف رحمه الله : هذا يصحح ما قبله من الأحاديث . والحر : هو الزنا ، قاله الباهلى ، ويروى الخبز بالخاء والزاي ، والصواب ما تقدم . [حديث صحيح]

باب منه آخر

٢١٠٦- خرج أبو نعيم (الحافظ) من حديث حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقترب الساعة اثنتان وسبعون خصلة : إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب ، واستخفوا بالدماء ، واستعلوا البناء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ويكون الحكم ضعفاً ، والكذب صدقاً ، والحرير لباساً ، وظهر الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، واثمن الخائن ، وخون الأمين ، وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان المطر قيظاً ، والولد غيظاً ، وفاض اللثام فيضاً ، وغاض الكرام غيضاً ، وكان الأمراء فجرة ، والوزراء كذبة ، والأمناء خونة ، والعرفاء ظلمة ، والقراء فسقة ، إذا لبسوا مسوح الضأن ، قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر ، يغشيهم الله فتنة ، يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة ، وتظهر الصفراء- يعنى الدنانير- وتطلب البيضاء- يعنى الدراهم- وتكثر الخطايا ، وتغل الأمراء ، وحليت المصاحف ، وصورت المساجد ، وطولت المنابر ، وخربت القلوب ، وشربت الخمر ، وعطلت الحدود ، وولدت الأمة ربتها ، وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكاً ، وشاركت المرأة زوجها في التجارة ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وحلف بغير الله ، وشهد المرء من غير أن يستشهد ، وسلم (للمعرفة) ، وتفقه لغير الدين ، وطلبت

الدنيا بعمل الآخرة ، واتخذ المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه ، وجفا أمه ، وبر صديقه ، وأطاع زوجته ، وعلت أصوات الفسقة في المساجد ، واتخذت القينات والمعازف ، وشربت الخمر في الطرق ، واتخذ الظلم فخراً ، وبيع الحكم ، وكثر الشرط ، واتخذ القرآن مزامير ، وجلود السباع صفاقاً ، والمساجد طرفاً ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات » غريب من حديث عبد الله بن عمير عن حذيفة لم يروه عنه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة .

قال المؤلف رحمه الله : وهذه الخصال قد تقدم ذكرها في أحاديث متفرقة وكلها بينة المعنى لإاقوله وجلود السباع صفاقاً . قال الجوهرى : الصفاق : الجلد الرقيق تحت الجلد الذى عليه الشعر .

٢١٠٧- وخرج الدارقطنى ، عن عامر الشعبي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقترب الساعة أن يرى الهلال قبلاً فيقال : لليلتين ، وأن تتخذ المساجد طرقاً وأن يظهر موت الفجأة » قال الجوهرى معنى قبلاً أن يرى ساعة يطلع لعظمه . ويوضحه حديث آخر « من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة » ويقال : رأيت الهلال قبلاً ، وقبلاً أى معاينة . [حديث حسن]

باب

فك رفع الأمانة والإيمان [من] القلوب

٢١٠٩- روى الأئمة البخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم واللفظ لمسلم عن حذيفة قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا « أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال » قال ابن ماجه : قال الطنابسى : يعنى وسط قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال : « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الجمل كجمر دحرجته على رجله فنفظ فتراه منتبراً وليس فيه شىء ، ثم أخذ (حصاة) فدحرجها على رجله فنفظ فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل : (ما أجلده) ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه

مثقلاً حبة من خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمان ما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً ليردنه على دينه، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً» . [حديث صحيح]

فصل

٢١١٠- الجذر : بالذال المعجمة ويقال بفتح الجيم وكسرهما وهو الأصل من كل شيء من النسب والحساب والشجر وغيره . والوكت : بإسكان الكاف وهو الأثر اليسير يقال : أوكتت البسرة : إذا ظهرت فيها نكتة من الإرتاب، وهو مصدر وكنته يكنته وكنأ وهو أيضاً مثل نكته في العين وغيرها . والمجل : هو النفخ الذي يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو محذاف أو نحوه يحتوي على ماء ثم يصلب ويبقى عقداً ، قال ابن دحية: قيدناه في الحديث بسكون الجيم وأجاز أهل اللغة والنحو فتح الجيم مصدر مجلت يده تمجل مجلاً بفتح الجيم في المصدر إذا غلظت من العمل وقوله : فنفظ أي ارتفع جلدها وانتفخ ، فنراه منتبهاً أي منتفطاً ومعناه مرتفعاً جلده من لحمه وهو افتعال من النبر ، وهو الرفع ، وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره ومنه اشتق المنبر وأراد بذلك خلو القلوب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شيء يحويه كجمر دحرجته يعني أطلقته (فتطلق) ظهر(البطن) اليدين من ذلك .

وقول حذيفة : لقد أتى على زمان الحديث : يعني كانت الأمانة موجودة ، ثم قلت في ذلك الزمان ، وقوله ليردنه على ساعيه يعني من كان رئيساً مقدماً فيهم والياً عليهم أن ينصفني منه وإن لم يكن له إسلام وكل من ولى على قوم ساع لهم . وقوله: فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً . قال أبو عبيدة: هو من البيع والشراء لقلة الأمانة .

باب

فقد ذهب العلم ورفعه وما جاء أن الخشوع والفرائض

أول علم يرفع من الناس

٢١١١- ابن ماجه قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن زياد بن لبيد قال : ذكر النبي ﷺ شيئاً (فقال): « ذاك عند أوان ذهاب العلم » قلت: يا رسول الله ، كيف يذهب العلم

ونحن نقرأ القرآن ونقرئه (أبناءنا)، ويقرئه أبناءنا هم إلى يوم القيامة؟ قال : «ثكلتك أمك يا زياد : إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة ، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء منهما؟» . [حديث صحيح]

٢١١٢- وخرجه الترمذى عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : « هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا على شيء منه » فقال زياد بن ليبيد الأنصارى: كيف يختلس منا ونحن قد قرأنا القرآن، فوالله لنقرؤه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا، فقال: « ثكلتك أمك يا زياد : إن كنت لأعدك من فقهاء (أهل) المدينة، وهذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغنى عنهم؟» .

قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت ، فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرداء ، إن شئت لأحدثك بأول علم يرفع من الناس ، الخشوع ، يوشك أن يدخل الرجل مسجد جماعة فلا يرى فيه رجلاً خاشعاً . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب . ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث ، ولا أعلم أحداً: تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان .

وروى بعضهم هذا الحديث ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ،

عن عوف بن مالك . [حديث صحيح]

٢١١٣- قال المؤلف رحمه الله : خرجه لهذا الإسناد الحافظ أبو محمد عبد الغنى فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال : حدثنا يحيى ابن أيوب (قال): حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث قال : حدثني إبراهيم ابن أبي عبله، عن الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير قال : حدثني عوف بن مالك الأشجعي قال: نظر رسول الله ﷺ إلى السماء يوماً وقال : « هذا أوان رفع العلم » فقال له رجل من الأنصار- يقال له زياد بن ليبيد- يا رسول الله : وكيف يرفع العلم وقد كتب في الكتب ووعته الصدور؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة ، وذكر اليهود والنصارى وضلالتهم على ما فى أيديهم من كتاب الله » (فذكرت) ذلك لشداد بن أوس فقال : صدق عوف بن مالك ألا أخبرك بأول ذلك : يرفع الخشوع حتى لا ترى رجلاً خاشعاً . ذكره في باب تقييد الحديث بالكتابة وهو

حديث حسن .

قلت : وقد ذكرناه فى مسند زياد بن لبيد بإسناد صحيح على ما ذكره ابن ماجه وهو يبين لك ما ذكرناه من أن المقصود برفع العلم العمل به ، كما قال عبد الله بن مسعود : ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده ، ثم بعد رفع العمل بالعلم يرفع الرقم والكتاب ، ولا يبقى فى الأرض من القرآن آية تتلى على ما يأتى فى الباب بعد هذا . [حديث صحيح]

بَاب

فصل [طووس] الإسلام وظهَاب القرآن

٢١١٥- ابن ماجه قال : أخبرنى على بن محمد قال : أنبأنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي ، عن (ربعى) بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ، ولا نسك ، ولا صدقة ، ويسرى بكتاب الله تعالى فى ليلة ، فلا يبقى منه فى الأرض آية ، وتبقى طوائف من الناس : الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله ، فنحن نقولها ، قال له صلة : ما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ، ولا نسك ولا صدقة ، فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثاً أكل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه حذيفة ، فقال : يا صلة تنجيهم من النار ثلاثاً » .

قلت : هذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه(الصلاة و)السلام لا عند خروج يأجوج ومأجوج على ما تقدم من رواية مقاتل وذكر أبو حامد من رفعه ، فإن عيسى عليه(الصلاة و)السلام إنما ينزل مجدداً لما درس من هذه الشريعة فإنه يحججه على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

[حديث صحيح]

باب العشر آيات التمهيد تكون قبل الساعة وبيان قوله تهالكا :

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾

٢١١٦- روى عن حذيفة أنه قال : كنا جلوساً بالمدينة في ظل حائط وكان رسول الله ﷺ في غرفة فأشرف علينا، وقال : « ما يجلسكم ؟ فقلنا : نتحدث . فقال في ماذا ؟ فقلنا : عن الساعة. فقال : إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : أولها طلوع الشمس من مغربها ، ثم الدخان ، ثم الدجال ، ثم الدابة ، ثم ثلاث خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وخروج عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج ، ويكون آخر ذلك ناراً تخرج من اليمن من حفرة عدن لا تدع أحداً خلفها إلا تسوقه إلى المحشر» ذكره القتيبي في كتاب (عيون الأخبار) له . [حديث صحيح]

٢١١٧- وخرجه مسلم بمعناه عن حذيفة قال : اطلع رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة فقال : « لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها، والدجال والدخان والدابة، ويأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن أبين ، تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا ، وتقبل معهم إذا قالوا» أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن ، وفي رواية: « الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطردهم إلى محشرهم » . [حديث صحيح]

٢١١٨- وفي البخاري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «أول أشراط الساعة نار تخرج تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» . [حديث صحيح]

٢١١٩- مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ يقول: « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة علي الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتهما فأخرى على أثرها قريباً منها » .

فصل

٢١٢١- جاءت هذه الآيات في هذه الأحاديث مجموعة غير مرتبة ما عدا حديث حذيفة المذكور أولاً ، فإن الترتيب فيه بثم ، وليس الأمر كذلك على ما بينه وقد جاء ترتيبها من حديث حذيفة أيضاً : كان رسول الله ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال : « ما تذكرون ؟ قلنا : الساعة . قال : إن الساعة ، لا تكون حتى تروا عشر آيات : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، والدخان ، والدجال ، ودابة الأرض ، وأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس » .

وقال بعض الرواة في العاشرة : « ونزول عيسى ابن مريم ، وقال بعضهم : وريح يلقى الناس في البحر » أخرجه مسلم فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة ، وقد وقع بعضها في زمن النبي ﷺ .
ذكره ابن وهب وقد تقدم .

وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي أنه وقع بعراق العجم زلازل وخسوفات هائلة هلك بسببها خلق كثير .

قلت : وقد وقع ذلك عندنا بشرق الأندلس فيما سمعنا من بعض مشايخنا بقرية يقال لها : « قطر طندة » من قطر دانية سقط عليها جبل هناك فأذهبها .

[حديث صحيح]

٢١٢٢- وأخبرني أيضاً بعض أصحابنا أن قرية من أعمال برقة يقال لها «ترسة» أصابها زلزلة شديدة هدت حيطانها وسقفها على أهلها فماتوا تحتها، ولم ينج منهم إلا قليل ، ووقع في هذا الحديث دابة الأرض قبل يأجوج ومأجوج ولبس كذلك ، فإن أول الآيات ظهور الدجال ، ثم نزول عيسى (ابن مريم) عليه (الصلاة والسلام) ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، فإذا قتلهم الله بالنغف في أعناقهم على ما يأتي ، وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه (الصلاة والسلام) ، وخلت الأرض منه وتناولت الأيام على الناس ، وذهب معظم دين الإسلام ، أخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم ، وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق ، كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه وبينهم حجة عليهم ثم قبضه ، فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض

فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم ، والفساق عن فسقهم ، ويستبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ، ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون، فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك لكافر ولا فاسق توبة، وأزيل الخطاب والتكليف عنهم، ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريبا لأن الله تعالى يقول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، فإذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زمانا طويلا، هكذا ذكره بعض العلماء. (والله أعلم).

وأما الدخان، فأما المؤمن : فيصيبه منه شبه الزكام . وأما الكافر : فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره» وقيل : هذا الدخان من آثار جهنم يوم القيامة .

٢١٢٤- وروى هذا عن علي وابن عمر وأبي هريرة وابن عباس وابن أبي مليكة والحسن، وهو معنى قوله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ .

٢١٢٥- وقال ابن مسعود في هذه الآية : إنه ما أصاب قريشا من القحط والجهد حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء كهياة الدخان من الجهد حتى أكلوا العظام ، وقد مضت البطشة والدخان واللزام ، والحديث عنه بهذا في كتابي مسلم والبخارى وغيرهما ، وقد فسر البطشة بأنها وقعة بدر . [خبر صحيح]

٢١٢٦- قال أبو الخطاب بن دحية : والذي يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قضيتين : إحداهما وقعت وكانت الأخرى ستقع وستكون، فأما التي كانت فالتي كانوا يرون فيها كهياة دخان وهي الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من الأشراف والعلامات ، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ فيكشف عنهم، ثم يعودون لقرب الساعة ، وقول ابن مسعود لم يسنده إلى النبي ﷺ إنما هو من تفسيره، وقد جاء النص عن رسول الله ﷺ بخلافه .

٢١٢٨- واختلف في البطشة واللزام ، فقال أبي : هو القتل بالسيف يوم بدر. وإليه نحا ابن مسعود، وهو قول أكثر الناس ، وعلى هذا تكون البطشة واللزام شيئا واحدا . قال ابن مسعود : البطشة الكبرى : وقعة بدر . وقيل : هي يوم القيامة وأصل

البطش الاخذ بشدة وقع الالم ، واللزام فى اللغة : القصل فى القضييه . وقسره ابن مسعود بأن ذلك كان يوم بدر ، وهو يوم البطشة الكبرى فى قوله أيضاً .

٢١٢٩- وقيل : إن اللزام هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿ فسوف يكون

لزماً ﴾ هو العذاب الدائم ، وأما الدجال فيأتى ذكره فى أبواب أخرى ، وأما الدابة فهى التى قال الله تعالى : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ﴾ .

وذكر أهل التفسير أنه خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد ، فتسم المؤمن فتتير وجهه ، ويكتب بين عينيه مؤمن ، وتسم الكافر فيسود وجهه ، ويكتب بين عينيه كافر ، وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن هذه الدابة هى الجساسة على ما يأتى ذكرها فى خبر الدجال ، وروى عن ابن عباس أنها الثعبان الذى كان يبرئ الكعبة ، فاخطفه العقاب ، وسيأتى بيانها .

٢١٣٠- وأما قوله : وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، وفى الرواية الأخرى

من قعر عدن .

وفى الرواية الأخرى من أرض الحجاز، قال القاضى عياض : فلعلهما ناران تجتمعان لحشر الناس ، أو يكون ابتداء خروجهما من اليمن ، فظهورهما من الحجاز . قلت : أما النار التى تخرج من أرض الحجاز فقد خرجت على ما تقدم القول فيها ، وبقية النار التى تسوق الناس إلى المحشر وهى التى تخرج من اليمن ، وقد مضى القول فى (المحشر)، ويأتى القول فى طلوع الشمس من مغربها . (إن شاء الله تعالى).

٢١٣١- فأما قول الله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ فقد روى أن

أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آية، فأراهم القمر منشقاً نصفين والجبل بينهما فقال : اشهدوا. ثبت هذا فى الصحيحين وغيرهما . [حديث صحيح]

٢١٣٢- ومن العلماء من قال : إنه ينشق كقوله تعالى : ﴿ أتى أمر الله ﴾ أى

يأتى . قال الحلیمی أبو عبد الله فى كتاب (منهاج الدين) له : فإن كان هذا فقد أتى ،

ورأيت ببخارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقا نصفين، عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ، وما زلت أنظر إليهما حتى اتصلا كما كانا ، ولكنهما فى شكل واحد ، شكل أترجة ، ولم أمل طرفى عنهما إلى أن غابت، وكان معى ليلتذ كتيبة من شريف وفقيه وغيرهما من طبقات الناس ، وكلهم رأى ما رأيت، وأخبرنى من وثقت به أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقا نصفين : قال الحلیمی : فقد ظهر أن قول الله ﴿وانشق القمر﴾ إنما خرج على الانشقاق الذى هو من أشراط الساعة دون الانشقاق الذى جعله الله (تعالى) آية لرسوله ﷺ.

باب

ما جاء فيمن يخسف به أو يمسح

٢١٣٦- أبو داود عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال له : « يا أنس إن الناس يمحصرون أمصاراً وإن مصراً منها يقال لها البصرة أو البصيرة ، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلاها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها ، فإنه يكون بها خسف ورجف ، وقوم يبيتون فيصبحون قردة وخنازير » .

[حديث صحيح]

٢١٣٧- وخرج ابن ماجه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر فقال : إن فلاناً يقرأ عليك السلام. فقال له : بلغنى أنه قد أحدث، فإن كان أحدث فلان فلا تقرئه السلام، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون في أمتى أو فى هذه الأمة خسف ومسح وقذف ونحوه » .

وعن سهل بن سعد وقد تقدمت الأخبار والأحاديث فى خسف الجيش الذى يقصد مكة لقتال المهدي ، خرجهما مسلم وغيره . [حديث صحيح]

باب

ذكر الدجال وصفته ونهته ومن أين يخرج وما علامة خروجه وما معه إذا خرج وما ينجك منه وأنه يبرئك الأكمه والأبرص [وأنه] يحيك الموتك .

٢١٣٩- قال ابن دحية : قال العلماء : الدجال في اللغة يطلق على عشرة

وجوه :

الأول: أن الدجال الكذاب، قاله الخليل وغيره وأنها دجلة بسكون الجيم ودجلة بفتحها كذبة ، لأنه يدجل الحق بالباطل ، وجمعه دجالون ودجاجلة في التكسير، وقد تقدم .

الوجه الثاني: أن الدجال مأخوذ من الدجل، وهو طلاء البعير بالقطران سمي بذلك لأنه يغطي الحق ويستتره بسحره وكذبه ، كما يغطي الرجل جرب بعيره بالدجالة وهي القطران يهنأ به البعير، واسمه إذا فعل به ذلك المدجل، قاله الأصمعي .

الوجه الثالث : إنما سمي بذلك لضربه في نواحي الأرض وقطعه لها يقال : دجل الرجل إذا فعل ذلك .

الوجه الرابع : أنه من التغطية ، لأنه يغطي الأرض بمجموعه ، والدجل: التغطية . قال ابن دريد : كل شيء غطيته فقد دجلته ، ومنه سميت دجلة لانتشارها على الأرض وتغطية ما فاضت عليه .

الوجه الخامس : سمي دجالاً لقطعه الأرض إذ يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة ، والدجالة الدفقة العظيمة .

وأشدد ابن فارس في المجل :

دجالة من أعظم الرقاق .

الوجه السادس : سمي دجالاً، لأنه يغر الناس بشره ، كما يقال : لطخني فلان بشره .

الوجه السابع : الدجال : المخرق .

الوجه الثامن : الدجال : المموه : قاله ثعلب ويقال : سيف مدجل إذا كان قد طلى بالذهب .

الوجه التاسع : الدجال : ماء الذهب الذى يطللى به الشىء فيحسن باطله
وداخله خزف أو عود . سمي الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل .

الوجه العاشر : الدجال : فرند السيف ، والفرند جوهر السيف وماؤه ويقال
بالفء والبء إذ أصله عين صافية على ما تنطق به العجم ، فعربته العرب ، ولذلك قال
سيبويه وهو عندهم خارج عن أمثله العرب ، والفرند أيضاً الحرير . وأنشد ثعلب :

بحلية الياقوت والفرندا مع الملاب وعبير أصردا
أى خالصاً . قال ابن الأعرابي يقال للزعفران الشعر والmlاب والعبير
والمردقوش (والحبيبيا) . ذكر هذه الأقوال العشرة الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه
الله فى كتاب (مرج البحرين فى فوائد المشرقين والمغربين) .

٢١٤٠ - مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من
حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفى رواية : « من آخر
سورة الكهف » . [حديث صحيح]

٢١٤١ - أبو بكر بن أبى شيبة ، عن الفلتان بن عاصم ، عن النبى ﷺ قال :
« أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض المنحر فيه اندفاء
قوله فيه : دفا أى انحناء . [حديث حسن]

٢١٤٢ - وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « الدجال أعور العين
اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار ، فناره جنة وجنته نار » وعنه قال : قال رسول الله
ﷺ « لأننا أعلم بما مع الدجال منه . معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض
والآخر رأى العين نار تأجج ، فإذا أدركن أحداً فليأت النهر الذى يراه ناراً وليغمض
وليطأطأ رأسه فيشرب فإنه ماء بارد وأن الدجال ممسوخ العين عليها ظفرة غليظة
مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب » .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : كذا عند جماعة ، رواه مسلم فإذا أدركن ،
قال (أبو الخطاب) بن دحية : وهو وهم ، فإن لفظه هو لفظ الماضى ولم أسمع دخول
نون التوكيد على لفظ الماضى إلا ها هنا ، لأن هذه النون لا تدخل على الفعل
الماضى ، وصوابه ما قيده العلماء فى صحيح مسلم منهم (التميمى) أبو عبد الله : فإذا
أدركه أحد . [حديث صحيح]

٢١٤٣- وعن عبد الله بن عمر : قال : ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهراني الناس (المسيح) الدجال فقال : « إن الله ليس بأعور إلا إن (المسيح) الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » .

قال : وقال رسول الله ﷺ : « أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم (الناس) الرجال تضرب لنته بين منكبيه رجل الشعر (تقطن) رأسه ماء، واضعاً يده على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هو المسيح ابن مريم ، ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً أعور العين اليمنى كأشبهه من رأيت من الناس بابن قطن واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت : من هذا؟ قالوا (هذا المسيح) الدجال » . [حديث صحيح]

٢١٤٤- أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « الدجال أعور جعد هجان أقر كأن رأسه غصنة شجرة، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن الخزاعي فإما أهلك الهلك، فإنه أعور وأن الله ليس بأعور » . [حديث حسن]

٢١٤٥- أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أما مسيح الضلالة فإنه أعور العين أجلى الجبهة عريض المنحرف فيه اندفاء مثل قطن بن عبد العزى، فقال له الرجل : أبيضر بى يا رسول الله ﷺ شبهه؟ فقال : لا أنت مسلم وهو كافر » .

[حديث حسن]

٢١٤٦- وخرج عن أبي كعب قال : ذكر الدجال عند النبي ﷺ أو قال ذكر النبي ﷺ الدجال فقال : « إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وتعود بالله من عذاب القبر » . [حديث صحيح]

٢١٤٧- الترمذى ، عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدجال ليخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المطرقة » إسناده صحيح . [حديث صحيح]

٢١٥٠- وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي أمامة ، وفي بعض الروايات بعد قوله « وفي السنة الثالثة يمسك الله المطر وجميع النبات فما ينزل من السماء قطرة ولا تنبت الأرض خضرة ولا نباتا ، حتى تكون الأرض كالنحاس والسماء كالزجاج ، فيبقى الناس يموتون جوعاً وجهداً، تكثر الفتن والهرج ، ويقتل الناس بعضهم بعضاً ويخرج الناس بأنفسهم، ويستولى البلاء على أهل الأرض، فعند ذلك يخرج الملعون الدجال من ناحية أصبهان من قرية يقال لها اليهودية وهو راكب حماراً أتر يشبه البغل ما بين أذنى حماره أربعون ذراعاً، ومن نعت الدجال : أنه عظيم الخلق طويل القامة جسيم أجعد قاطع أعور العين اليمنى كأنها لم تخلق ، وعينه الأخرى ممزوجة بالدم ، وبين عينيه مكتوب : كافر يقرؤه كل مؤمن بالله ، فإذا خرج يصيح ثلاث صيحات لسمع أهل المشرق والمغرب » . [حديث حسن]

٢١٥٢- وذكر أبو داود الطيالسي فقال : حدثنا الحشرج بن نباتة قال : حدثنا سعيد بن جمهان عن سفينة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبي إلا وقد أندر أمته الدجال ، ألا وإنه أعور العين بالشمال وباليمين ظفرة غليظة . بين عينيه كافر يعني مكتوب كافر . ويخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار ، فناره جنة وجنته نار ، فيقول الدجال للناس : ألسن بربكم أحيى وأميت ، ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء إنى لأعرف اسمهما واسم آبائهما ، لو شئت أن أسميهما سميتهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، فيقول : ألسن بربكم أحيى وأميت ؟ فيقول أحدهما : كذبت فلا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبه ، ويقول الآخر : صدقت ، وذلك فتنة ، ثم يسير حتى يأتى المدينة فيقول هذه قرية ذاك الرجل فلا يؤذن له أن يدخلها ، ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق . [حديث صحيح]

٢١٥٣- وأخرجه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى فى الجزء العاشر من مختصر المعجم له بمعناه ، فقال : حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال : حدثنا حشرج عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه لم يكن نبي قبلى إلا وقد حذر أمته الدجال ، إنه أعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن بالله ، معه واديان : أحدهما جنة والآخر نار ، ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء ، ولو شئت سميتهما بأسمائهما

وأسماء آبائهما ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فيقول الدجال : ألسنت بربكم أحيى وأميت ؟ فيقول أحد الملكين : كذبت، فلا يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه ، فيقول له صدقت ، فيسمعه الناس فيظنون أنه صدق الدجال، فذلك فتنة، ثم يسير الدجال حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل ، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله (عز وجل) عند عقبة أفيق .

قال ابن برجان في كتاب (الإرشاد) له : والذي يغلب على ظني (والله أعلم) أن النبيين المشبه بهما أحدهما المسيح ابن مريم، والآخر محمد ﷺ ولذلك ما أندرا بذلك ووصيا . [حديث صحيح]

٢١٥٤- وخرج أبو داود في سننه ، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « إني كنت حدثكم عن المسيح الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتقة ولا جحراء فإن التبس عليكم، فاعلموا أن ربكم عز وجل ليس بأعور . » [حديث صحيح]

فصل

٢١٥٥- وصف النبي ﷺ الدجال وصفاً لم يبق معه لذي لب إشكال وتلك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذي حاسة سليمة ، ولكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة ، وحرم اتباع الحق ونور التلاوة، فقوله عليه الصلاة والسلام: « إنه أعور وأن الله (تعالى) ليس بأعور » تبين للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصاً في ذاته عاجزاً عن إزالة نقصه، لم يصلح أن يكون إلهاً لعجزه وضعفه، ومن كان عاجزاً عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرتة، وجاء في حديث حذيفة: أعور العين اليسرى ، وفي حديث ابن عمر : أعور العين اليمنى ، وقد أشكل الجمع بين الحديثين على كثير من العلماء ، قال: وحتى إن أبا عمر بن عبد البر ذكر ذلك في كتاب (التمهيد) له .

٢١٥٦- وفي حديث سمرة بن جندب أن نبي الله ﷺ كان يقول : « إن الدجال خارج وهو أعور العين (الشمال) عليها ظفرة غليظة ، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ، ويقول للناس : أنا ربكم . فمن قال : أنت ربي فقد فتن ، ومن قال : ربي الله عز وجل حتى يموت على ذلك، فقد عصم من فتنته ولا فتنة عليه

ولا عذاب فيلبيث في الأرض ما شاء الله ، ثم يجيء عيسى عليه (الصلاة و)السلام من قبل المغرب مصداقاً بمحمد ﷺ وعلی ملته فيقتل الدجال ، ثم إنما هو قيام الساعة». قال أبو عمر بن عبد البر : ففي هذا الحديث أعور العين الشمال ، وفي حديث مالك : أعور العين اليمنى . فالله أعلم . وحديث مالك أصح من جهة الإسناد، لم يزد على هذا . [حديث حسن]

٢١٥٧- قال أبو الخطاب بن دحية : ليس كما قال ، بل الطرق كلها صحيحة في العينين ، وقال شيخنا أحمد بن عمر في كتاب (المفهم) له : وهذا اختلاف يصعب الجمع فيه بينهما ، وقد تكلف القاضى عياض الجمع بينهما فقال : الجمع بين الروايتين عندي صحيح ، وهو أن كل واحدة منهما عوراء من وجه ما إذ العور حقيقة في كل شيء العيب ، والكلمة العوراء هي المعيبة ، فالواحدة عوراء بالحقيقة ، وهي التي وصفت في الحديث بأنها ليست بججراة ولا نائمة وممسوخة ومطموسة وطافية على رواية الهمز ، والأخرى عوراء لعييبها (الملازم) لها لكونها جاحظة ، أو كأنها كوكب درى أو كأنها عنبة طافية بغير همز ، وكل واحدة منهما يصح فيها الوصف بالعور بحقيقة العرف والاستعمال ، أو بمعنى العور الأصلي . قال شيخنا: وحاصل كلامه أن كل واحدة من عيني الدجال عوراء ، أحدهما بما أصابها حتى ذهب إدراكها ، والثانية عوراء بأصل خلقتها معيبة ، لكن (يفند) هذا التأويل أن كل واحدة من عينية قد جاء وصفها في الرواية بمثل ما وصفت به الأخرى من العور ، فتأمل .

٢١٥٨- قلت : ما قاله القاضى عياض وتأويله صحيح ، وأن العور في العينين مختلف كما بيناه في الروايات ، فإن قوله : كأنها لم تخلق هو معنى الرواية الأخرى مطموس العين ممسوخها ليست بنائمة ولا ججراة ، ووصف الأخرى بالمزج بالدم ، وذلك عيب عظيم لا سيما مع وصفها بالظفرة الغليظة التي هي عليها، وهي جلدة غليظة تغشى العين . وعلى هذا فقد يكون العور في العينين سواء ، لأن الظفرة مع غلظتها تمنع من الإدراك فلا تبصر شيئاً، فيكون الدجال على هذا أعمى أو قريباً منه ، إلا أنه جاء ذكر الظفرة في العين اليمنى في حديث سفينة ، وفي الشمال في حديث سمرة بن جندب ، وقد يحتمل أن يكون كل عين عليها ظفرة غليظة ، فإن في حديث حذيفة : وإن الدجال ممسوخ العين عليها ظفرة غليظة ، وإذا كانت المسوخة

المطموسة عليها ظفرة، فالتى ليست كذلك أولى فتتفق الأحاديث ، والله أعلم .
وقيل فى الظفرة : إنها لحمة تثبت عند المآقى كالعلاقة ، وقيده بعض الرواة بضم
الطاء ، وسكون الفاء ، وليس بشيء . قاله (السيد) ابن دحية رحمه الله .

فصل

٢١٥٩- الإيمان بالدجال وخروجه حق ، وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل
الفقه والحديث خلافا لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة ووافقنا على إثباته
بعض (الجهمية) وغيرهم ، لكن زعموا أن ما عنده مخارق وحيل ، قالوا لأنها لو
كانت أمورا صحيحة لكن ذلك إلباسا للكاذب بالصادق ، وحينئذ لا يكون فرق بين
النبي والمنتبى ، وهذا هذيان لا يلتفت إليه، ولا يعرج عليه، فإن هذا إنما كان يلزم لو أن
الدجال يدعى النبوة، وليس كذلك فإنه إنما ادعى الإلهية، ولهذا قال عليه الصلاة
والسلام: «إن الله ليس بأعور» تنبيها للعقول على فقره وحدثه ونقصه وإن كان عظيما
فى خلقه، ثم قال: «مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن ومؤمنة كاتب أو غير
كاتب» وهذا الأمر مشاهد للحس يشهد بكذبه وكفره.

٢١٦٠- وقد تأول بعض الناس : مكتوب بين عينيه كافر . فقال : معنى ذلك
ما ثبت من سمات حدثه وشواهد عجزه وظهور نقصه قال : ولو كان على ظاهره
وحقيقته لاستوى فى إدراك ذلك المؤمن والكافر . وهذا عدول وتحريف عن حقيقة
الحديث من غير موجب لذلك ، وما ذكره من لزوم المساواة بين المؤمن والكافر فى
قراءة ذلك لا يلزم ، لأن الله تعالى يمنع الكافر من إدراكه ليغتر باعتقاده التجسيم
حتى يوردهم بذلك نار الجحيم . فالدجال فتنة ومحنة من نحو فتنة أهل المحشر
بالصورة الهائلة التى تأتيهم فيقول لهم : أنا ربكم . فيقول المؤمنون : نعوذ بالله منك .
حسب ما تقدم لاسيما وذلك الزمان قد انخرقت فيه عوائد ، فليكن هذا منها ، وقد
نص على هذا بقوله : يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب . وقراءة غير الكاتب
خارقة للعادة . . وأما الكافر فمصرف عن ذلك بغفلته وجهله، وكما انصرف عن
إدراك نقص عوره ، وشواهد عجزه ، كذلك يصرف عن قراءة سطور كفره ورمزه .
وأما الفرق بين النبي والمنتبى ، فالمعجزة لا تظهر على يد المنتبى ، لأنه لزم منه
انقلاب دليل الصدق دليل الكذب وهو محال .

وقولهم: إن ما يأتي به الدجال ، حيل ومخاريق ، فقول معزول عن الحقائق ؛ لأن ما أخبر به النبي ﷺ من تلك الأمور حقائق ، والعقل لا يحيل شيئاً منها، فوجب إبقاؤها على حقائقها، وسيأتي تفصيلها بعون الله تعالى .

بَاب

مَا يَمْنَعُ الدَّجَالَ أَنْ يَدْخُلَهُ مِنَ الْبِلَادِ إِذَا خَرَجَ

٢١٦١- البخارى ومسلم ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :
«ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة » وذكر الحديث . [حديث صحيح]
٢١٦٢- وفى حديث فاطمة بنت قيس : «فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما » الحديث وسيأتي . [حديث صحيح]
٢١٦٤- وفى بعض الروايات: فلا يبقى له موضع إلا ويأخذه غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور، فإن الملائكة تطرده عن هذه المواضع . [حديث صحيح]

بَاب

مَنْهُ وَمَا جَاءَ أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ يَزْعُمُ أَنَّهُ اللَّهُ وَيَحْصِرُ الْمُؤْمِنِينَ

فَكَرَّ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ

٢١٦٥- أبو بكر بن أبي شيبة ، عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ وذكر الدجال قال : « وإنه متى يخرج فإنه يزعم أنه الله ، فمن آمن به واتبعه وصدقه فليس ينفعه صالح من عمل سلف ، ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشيء من عمل سلف وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس ، وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس » .

قال : فيهزمه الله وجنوده حتى إن جدر الحائط وأصل الشجرة ينادى : يا مؤمن هذا كافر يستتر بي (تعال) اقتله قال : ولن يكون ذلك حتى تبدو أمور يتفاج شأنها في أنفسكم تتساءلون بينكم : هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً ، وحتى تزول جبال عن مراتبها على أثر ذلك القبض . [حديث صحيح]

باب منه وفد عظم خلق الدجال وعظم فتنته وسبب خروجه
وصفة حماره وسعة خطوه وفيد حصره المسلمين فك جبال
الدخان وكمر يمكث فك الأرض وفد نزول عيسك عليه
[الصلاة و] السلام وقت السحر لقتل الدجال ومن [معه]

٢١٦٦- مسلم عن عمران بن حصين قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » وفي رواية: امرؤ بدل خلق.
وفي حديث تميم الدارى قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير ، فإذا أعظم
إنسان رأيناه قط خلقاً وأشدّه وثاقاً . الحديث وسيأتى . [حديث صحيح]

٢١٦٧- وعن ابن عمر أنه لقي ابن صياد فى بعض طرق المدينة ، فقال قولاً
أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة ، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت :
يرحمك الله ، ما أردت من ابن صياد ، أما علمت أن رسول الله ﷺ قال : « إنما
يخرج من غضبة يغضبها » وسيأتى من أخبار ابن صياد ما يدل عليه أنه هو الدجال إن
شاء الله تعالى ، وذكر قاسم بن أصبغ . [حديث صحيح]

٢١٦٨- وخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده قال: حدثنا محمد بن
سابق، (قال): حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : قال
رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم » أى قلة من
أهله . وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ،
واليوم منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين
أذنيه أربعون ذراعاً ، فيقول للناس : أنا ربكم ، وهو أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ،
مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، يرد كل ماء
(وسهل) إلا المدينة ومكة حرمهما الله تعالى ، عليه وقامت الملائكة بأبوابها ، ومع
جبال من خبز والناس فى جهد إلا من اتبعه ، ومع نهران أنا أعلم بهما منه نهر
(يقال) له : الجنة ونهر (يقال) له : النار ، فمن أدخل الذى يسميه الجنة فهى النار ،
ومن أدخل الذى يسميه النار فهى الجنة قال : وتبعث معه شياطين تكلم الناس ،
ومعه فتنة عظيمة بأمر السماء ، فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى

الناس، فيقول للناس: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب، فيفر الناس إلى جبل الدخان وهو بالشام، فيأتيهم فيحاصروهم، فيشتد حصارهم، ويجهدهم جهداً شديداً ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام، فيأتي في السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث، فيقولون: هذا رجل، فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم عليهما (الصلاة والسلام)، فيقام للصلاة فيقال له: تقدم يا روح، فيقول: ليتفضل إمامكم فليصل بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينمات كما ينمات الملح في الماء، فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادى: يا روح الله هذا يهودى، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله» .

قوله: ينمات كما ينمات الملح في الماء، أى يذهب وينحل ويتلاشى .

وفى بعض الروايات: وذكر أن حماره حين يخطو من خطوة إلى خطوة ميل ولا يبقى له سهل ولا وعر إلا يطوه ولا يبقى موضع إلا يأخذه غير مكة والمدينة حسبما تقدم، ويأتى الكلام في حكم أيامه. (إن شاء الله تعالى) [حديث حسن لغيره]

باب منه آخر فخرج الدجال وما يجده به من الفتن
والشبهات وسرعة سيره في الأرض وكم يلبث فيهما ، وفيه
نزول عيسى عليه [الصلاة والسلام] ونجته وكم يكون في
الأرض يومئذ من الصالحاء ، وفيه قتله الدجال
واليهود، وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم ، وفيه حج عيسى
وتزويجه ومكثه في الأرض وأين يدفن إذا مات ﷺ .

وقد تقدم من حديث حذيفة رضى الله عنه أن له جنة وناراً ، فجنته نار، وناره

جنة

٢١٧٠- أبو داود عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع

بالدجال فليناً عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من
الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات» . [حديث صحيح]

٢١٧١- مسلم عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج

الدجال فيتوجه (قبله رجل) من المؤمنين، فتلقاه المسالحة - مسالحة الدجال - فيقولون
له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الرجل الذى خرج فيقولون له: أو ما تؤمن

بربنا؟ فيقول ما بربنا خفاء ، فيقولون : اقتلوه فيقول بعضهم لبعض: أليس ربكم قد نهاكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال : فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ قال : فيأمر به الدجال فيشج، فيقول: خذوه وشجوه فيوجع ظهره وبطنه ضرباً قال: فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول : أنت المسيح الكذاب فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجله ، قال: ثم يمشى بين القطعتين ، ثم يقول : قم فيستوى قائماً فيقول له : أتؤمن بي؟ (قال): فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً ، قال : فيأخذ يديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه إنما قذف به في النار ، وإنما ألقى به في الجنة .

قال : قال رسول الله ﷺ : «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين».

[حديث صحيح]

٢١٧٢- قال أبو إسحاق السبيعي يقال: إن هذا الرجل هو الخضر وفي رواية: قال: يأتي وهو محرم عليه أن يدخل المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلى المدينة ، فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرايتم إن قتلت هذا، أتشكون في الأمر؟ فيقولون : لا . قال : فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن ، (قال): فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلطه الله عليه . خرجه البخاري .

٢١٧٣- وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، وليس نقب من أنقابها إلا عليها الملائكة صافين يحرسونها، فينزل بالسبخة فترجف ثلاث رجفات ، يخرج إليه كل كافر ومنافق » وفي رواية : كل منافق ومنافقة. خرجه البخاري . [حديث صحيح]

٢١٧٤- وعن النواس بن سمعان الكلابي قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: « ما غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست

فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعد العزى بن قطن، فمن أدركه، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وشمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. فقلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، قال: فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروراً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيحاسب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلاً ثياباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى عليه (الصلاة و) السلام قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه (الصلاة و) السلام إنني قد أخرجت عبداً لى لا يدان لأحد بقاتلهم، فحرز عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملاء زهمهم وتنتهم، فيرغب عيسى وأصحابه، فيرسل الله

طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزقعة ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك ، وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل أى اللين ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذ بهم تحت آباطهم ، فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها كتهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة ، زاد في أخرى بعد قوله مرة ماء : ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الحمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض (فهلهم) فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً « أخرج الترمذى فى جامعه . وذكر روى بأجوج ومأجوج بنشابهم متصلة بالحديث . فقال : ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض فهلهم فلنقتل من فى السماء ، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمراً دماً، ويحاصر عيسى ابن مريم الحديث . وقال بدل قوله : فيطرحهم حيث شاء الله قال : فتحملهم فتطرحهم بالنهبيل، قال : ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم سبع سنين قال : ويرسل الله عليهم مطراً . الحديث إلى آخره فى غير الترمذى ، فيطرحهم فى المهيل ، والمهيل البحر الذى عند مطلع الشمس .

[حديث صحيح]

٢١٧٥- وخبره ابن ماجه فى سننه أيضاً ، كما (أ)خبره مسلم ، ولم يذكر الزيادة التى ذكرها مسلم (منفصلة) ، ولا الترمذى متصلة من حديث النواس بن سمعان ، وإنما ذكرها من حديث أبى سعيد الخدرى ، وسيأتى . وذكر ما ذكره الترمذى ، فقال : «حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا يحيى بن حمزة قال : حدثنا ابن جابر عن يحيى بن جابر الطائى قال : حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان يقول قال رسول الله ﷺ : « يستوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين » . [حديث صحيح]

٢١٧٦- قال : وحدثنا على بن محمد قال : حدثنا عبد الرحمن الحاربي ،

عن إسماعيل بن رافع أبي رافع ، عن أبي عمر الشيباني زرعة عن أبي أمامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه وكان من قوله أن قال : « إنه لم يكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله تعالى آدم ﷺ أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله عز وجل لم يعث نبياً إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج (عليكم) لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيح كل مسلم ، وإن يخرج من بعدى فكل حجيح نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق ، فيعبد يميناً وشمالاً. يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا فإنني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، إنه يبدو فيقول : أنا نبي الله . ولا نبي بعدى ثم يثنى فيقول : أنا ربكم . ولا ترون ربكم . حتى تموتوا وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور وأنه مكتوب بين عينيه : كافر يقرؤه كل مؤمن من كاتب وغير كاتب ، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، (فناره جنة ، وجنته نار)، فمن ابتلى بناره فليستعد بالله وليقرأ فوائح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم ، وإن من فتنته أن يقول الأعرابي : أرأيت إن (أبعث) لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول : نعم ، فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان : يا بنى اتبعه فإنه ربك ، وأن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها، فينشرها بالمنشار حتى يلقى (شقتين)، ثم يقول : انظروا إلى عبدى فأني أبعثه الآن ، ثم يزعم أن له ربا غيرى فيبعثه الله فيقول له الخبيث : من ربك؟ فيقول : ربي الله، وأنت عدو الله ، أنت الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم .» [حديث حسن]

٢١٧٨- قال المحاربي : ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال : وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر (فتمطر) ويأمر الأرض أن تثبت فتنبت ، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تثبت فتنبت حتى تروح مواشيهم (في يومهم) ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدته خواصر وأدره ضروعاً ، وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطأه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا (يأتيها) من نقب من أنقابها إلا لقينته الملائكة بالسيوف المصلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة ، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى

منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، فينفى الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص » .

فقال أم شريك بنت أبي العسكر : يا رسول الله، فأين العرب ؟ قال : هم قليل ، وجلهم بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام فيرجع ذلك الإمام ينكص القهقري ليتقدم عيسى يصلى بالناس ، فيضع عيسى عليه السلام يده على كتفه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلى بهم إمامهم ، فإذا انصرف ، قال عيسى عليه السلام : افتحوا الباب ، فيفتح ووراء الدجال ومعه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وسلاح ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وانطلق هاربا ، ويقول عيسى عليه السلام : إن لى فيك ضربة ، لن تسبقنى بها ، فيدركه عند باب اللد الشرقى فيضربه فيقتله فيهزم الله اليهود ولا يبقى شيء مما خلقه الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشيء ، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة - إلا الغرقدة ، فإنها من شجرهم لا تنطق - إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال فاقتله » قال رسول الله ﷺ : « وإن أيامه أربعون سنة ، السنة كنصف السنة ، والسنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى .

فقال : يا رسول الله : كيف نصلى فى تلك الأيام القصار ؟ قال : «تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها فى هذه الأيام الطوال ثم صلوا » .

قال رسول الله ﷺ « فيكون عيسى عليه السلام فى أمتى حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ، يدق الصليب ، ويدبح الخنزير ، ويضع الجزية ، ويترك الصدقة ، فلا يسعى على شاة ولا بعير ، وترفع الشحناء والتباغض وترفع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده (فى) الحية فلا تضره ، وتغز الوليدة الأسد فلا يضرها ، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها ، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء (من) الماء ، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله ، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض كقائور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم عليه السلام ، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمان فتشبعهم ، ويكون

الثور بكذا وكذا من المال ، وتكون الفرس بالدرهيمات » .

قيل : يا رسول الله وما يرخص الفرس؟ قال: «(لا تركب الحرب) أبدا» فقيل له : يا رسول الله وما يغلى الثور؟ (قال): تحرث الأرض كلها وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب بها الناس جوع شديد يأمر الله السماء فى السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ، ثم يأمر الله السماء فى(السنة) الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ، ثم يأمر الله السماء فى السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تمطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها ، فلا تنبت خضراً ، ولا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس إلا هلكت إلا ما شاء الله فقيل : فما يعيش الناس فى ذلك الزمان ؟ قال : التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجرى ذلك عنهم مجرى الطعام » . [حديث حسن]

٢١٧٩- قال ابن ماجه : سمعت أبا الحسن الطنفسى يقول : سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول : ينبغى أن يرفع هذا الحديث للمؤدب حتى يعلمه للصبيان فى (الكتاب) .

٢١٨٢- وخرج مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص، فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون الناس إلى المال فلا يقبله أحد» . [حديث صحيح]

٢١٨٣- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتم إذا نزل عيسى ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟ » وفي رواية « فأمكم منكم » قال ابن أبي ذئب : تدرى ما إمامكم منكم ؟ قلت : تخبرنى ؟ قال : فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم وعنه عن النبي ﷺ قال « والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بنفج من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليشينهما » . [حديث صحيح]

٢١٩١- وفي حديث عبد الله بن عمرو : « ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام » الحديث أخرجه مسلم وقد تقدم بكماله ، وهذا يدل على أنه يمكث فى الأرض سبع سنين ، والله أعلم .

[حديث صحيح]

فصل

٢١٩٣- ذهب قوم إلى أن بنزول عيسى عليه (الصلاة و)السلام يرتفع التكليف لفلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم ، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها من حديث أبي هريرة ، وبقوله تعالى ﴿ **وخاتم**

النبيين﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا نبى بعدى » وقوله: « وأنا العاقب » يريد آخر الأنبياء وخاتمهم ، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى (عليه الصلاة والسلام) ينزل بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا ﷺ ، بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر ﷺ حيث قال لعمر : « لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي » . [حديث حسن]

٢١٩٤- وقد روى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: « لا تزال طائفة من أمتي يقاثلون على الحق إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه (الصلاة و)السلام فيقول أميرهم : تعال صل بنا فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله لهذه الأمة » خرجه مسلم في صحيحه وغيره . فعيسى عليه (الصلاة و)السلام إنما ينزل مقررأ لهذه الشريعة ومجدداً لها إذ هي آخر الشرائع ، ومحمد آخر الرسل فينزل حكماً مقسطاً ، وإذا صار حكماً ، فإنه سلطان يومئذ للمسلمين ، ولا إمام ولا قاضى ولا مفتى قد قبض الله تعالى العلم ، وخلا الناس منه ، فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له فى السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به فى نفسه ، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ، ويحكمونه على أنفسهم ، إذ لا أحد يصلح لذلك غيره ، ولأن تعطيل الحكم غير جائز . وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال فى الأرض الله الله ، على ما يأتى ، وهذا واضح . [حديث صحيح]

فصل

٢١٩٥- فإن قيل : فما الحكمة فى نزوله فى ذلك الوقت دون غيره ؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

أحدها : يحتمل أن يكون ذلك، لأن اليهود همت بقتله وصلبه، وجرى أمرهم معه على ما بينه الله تعالى في كتابه، وهم أبدأ يدعون أنهم قتلوه وينسبونه في السحر وغيره إلى ما كان الله يراه نزهه منه ، ولقد ضرب الله عليهم الذلة، فلم تقم لهم منذ أعز الله الإسلام وأظهر رايته ، ولا كان لهم في بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة ، ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة، فيظهر الدجال، وهو أسحر السحرة ، ويبايعه اليهود، فيكونون يومئذ جنده، مقدرين أنهم ينتقمون به من المسلمين، فإذا صار أمرهم إلى هذا، أنزل الله تعالى الذي عندهم أنهم قد قتلوه وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حياً، ونصره على رئيسهم وكبيرهم المدعى الربوبية فقتله، وهزم جنده من اليهود بمن معه من المؤمنين، فلا يجدون يومئذ مهرباً ، وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار ناداه : يا روح الله ها هنا يهودى حتى يوقف عليه .. فيما أن يسلم ، وإما أن يقتل ، وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر .

٢١٩٦- والوجه الثاني : وهو أنه يحتمل أن يكون إنزاله مدة لدنو أجله لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغى لمخلوق من التراب أن يموت في السماء لكن أمره يجرى على ما قال الله تعالى: ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ فينزله الله تعالى (ويقبره) في الأرض مدة، يراه فيها من يقرب منه ويسمع به من نأى عنه ، ثم يقبضه فيستولى المؤمنون أمره، ويصلون عليه، ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم وهي الأرض المقدسة ، فينشر إذا نشر معهم ، فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق في تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لد هذا ما وردت به الأخبار، فإذا اتفق ذلك وكان الدجال قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية، ولم ينتصب لقتاله أحد لقتاله أحد من المؤمنين (لقتلهم) ، كان هو أحق بالتوجه إليه، ويجرى قتله على يديه، إذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته، وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية، فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصداً. والله أعلم .

٢١٩٧- والوجه الثالث : أنه وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ حسب ما قال وقوله الحق ﴿ **ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل** ﴾ فدعا الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد ﷺ، فاستجاب الله تعالى دعاءه، ورفع له إلى السماء

إلى أن ينزله آخر الزمان ، مجدداً لما درس من دين الإسلام ، دين محمد عليه الصلاة والسلام ، (فيوافق) خروج الدجال فقتله .

ولا يبدو على هذا أن يقال : إن قتاله للدجال يجوز أن يكون من حيث إنه إذا حصل بين ظهراني الناس وهم مفتونون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره ، (فلذلك) يقوم به وذلك داخل في اتباع نبينا محمد ﷺ وباللغة التوفيق .

واختلف حيث يدفن فقيل : بالأرض المقدسة ذكره الحليمي ، وقيل : يدفن مع النبي ﷺ على ما ذكرناه في الأخبار . (والله أعلم) .

فصل

٢١٩٨- واختلف في لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين قولاً، ذكرها أبو الخطاب بن دحية في كتابه (مجمع البحرين) وقال : لم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ولقى الرجال .

القول الأول : وهو مَسِيحٌ بسكون السين وكسر الياء على وزن مفعول، فأسكنت الياء، ونقلت حركتها إلى السين لاستثقالهم لهم الكسرة على الياء .

القول الثاني : قال ابن عباس : كان لا يسمح ذا عاهة إلا برئ ، ولا ميتاً إلا حيي ، فهو هنا من أبنية أسماء (الأفعال) الفاعلين مسيح بمعنى ماسح .

القول الثالث : قال إبراهيم النخعي : المسيح : الصديق . وقاله الأصمعي وابن الأعرابي .

القول الرابع : قال أبو عبيد : أظن هذه الكلمة « هاما شيحاً » بالشين المعجمة فعربت إلى « مسيا » وكذلك تنطق به اليهود .

القول الخامس : قال ابن عباس أيضاً في رواية عطاء عنه : سمي مسيحاً ، لأنه كان أمسح الرجل ليس لرجله أخمص ، والأخمص : ما لا يمس الأرض من باطن الرجل ، فإذا لم يكن للقدم أخمص قيل فيه قدم رحاء ورجل رحاء . ورجل أرح وامرأة رحاء .

القول السادس : قيل سمي مسيحاً ، لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح (الرأس) بالدهن .

القول السابع : قيل سمي مسيحاً، لأنه مسح عند ولادته بالدهن .
القول الثامن : قال الإمام أبو إسحاق الجوانى فى غريبه الكبير : هو اسم
خصه الله تعالى به أو لمسح زكريا .

القول التاسع : قيل : سمي بذلك لحسن وجهه إذ المسيح فى اللغة الجميل
الوجه ، ويقال على وجهه مسحة من جمال وحسن، ومنه ما يروى فى الحديث
الغريب الضعيف : يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن كأن على وجهه مسحة
ملك .

القول العاشر: المسيح فى اللغة : قطع الفضة وكذلك المسيحة: القطعة من
الفضة ، وكذلك كان المسيح ابن مريم أبيض مشرب حمرة من الرجال عريض
الصدر جعداً والجعدا هنا اجتماع الخلق وشدة الأسر .

القول الحادى عشر : المسيح فى اللغة : عرق الخيل : وأنشد اللغويون
* « إذا الجياد فضن بالمسيح . * يعنى : العرق .

٢١٩٩- ثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى بن كعب : « فلما رأى
رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب فى صدرى (ففضت) عرقاً وكأنى أنظر إلى الله
عز وجل فرقاً » ذكره الخطابى فى شرحه بالصاد والضاد . وأنشد العجاج :
* « إذا الجياد فضن بالمسيح . * يعنى العرق .

القول الثانى عشر : المسيح : الجماع يقال: مسحها إذا جامعها . قاله فى
المجمل لابن فارس .

القول الثالث عشر المسيح : السيف . قاله أبو عمرو والمطرز .

القول الرابع عشر : المسيح : المكارى .

القول الخامس عشر : المسيح الذى يمسح الأرض أى يقطعها . قاله الثقة
اللغوى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ولذلك سمي عيسى مسيحاً كان تارة
بالشام وتارة بمصر وتارة على سواحل البحر وفى المهامه والقفار . والمسيح الدجال
كذلك سمياً بذلك لجولانهما فى الأرض .

القول السادس عشر : ذكره بسنده إلى أبى الحسن القابسى وقد سأله الحافظ
المقرئ أبو عمرو الدانى : كيف يقرأ المسيح الدجال ؟ فقال : بفتح الميم وتخفيف
السين مثل المسيح ابن مريم لأن عيسى عليه(الصلاة و)السلام مسح بالبركة وهذا

قال أبو الحسن : ومن الناس من يقرؤه بكسر الميم وتشقيل السين فيعرف بذلك وهو وجه ، وأما أنا فلا أقرؤه إلا كما أخبرتك ، قال ابن دحية : وحكى الأزهري أنه يقال : مسيح بالتشديد على وزن فعيل قال : فرقاً بينه وبين عيسى عليه(الصلاة و)السلام ، ثم أسند عن شيخه أبي القاسم بن بشكوال عن أبي عمران (موسى) بن عبد الرحمن قال : سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول : ومنهم من قال بالخاء ، يعنى : المعجمة ، وذلك كله عند أهل العلم خطأ لا فرق بينهما ، وكذلك ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نطق به ونقله الصحابة المبلغون عنه .

وأُشيد في ذلك أهل اللغة قول عبد الله بن قيس الرقيات :

وقالوا : دع رقية واجتنبها فقلت لهم : إذا خرج المسيح يريد إذا خرج الدجال هكذا فسروه ولذلك ذكرناه .
وقال الراجز :

إذا المسيح قتل المسيحا

يعنى عيسى ابن مريم عليه(الصلاة و)السلام يقتل الدجال بنبذك . قرأته في المجلد الأول من شرح ألفاظ الغريب من الصحيح لمحمد بن إسماعيل تأليف القاضي الإمام المفتى أبي الأصبح بن سهل .

القول السابع عشر : قيل : سمي الدجال مسيحا ، لأن المسيح الذى لا عين له ولا حاجب ، قال ابن فارس : والمسيح أحد شقى وجهه ممسوح لآعين له ولا حاجب ، ولذلك سمي الدجال مسيحا ، ثم أسند عن حذيفة مستدلاً عن رسول الله ﷺ « وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة » خرجه مسلم .

القول الثامن عشر : المسيح الكذاب : وهذا يختص به الدجال لأنه يكذب فيقول : أنا الله ، فهذا أكذب البشر ، ولذلك خصه الله بالشوه(والعور) .

القول التاسع عشر : المسيح : المارد ، والخبيث ، وهو التمسيح أيضاً (قال) ابن فارس ، ويقال : هو الكذاب ، وكذلك (المساح) بألف .

القول العشرون : قيل الدجال : المسيح لسياحته وهو فعيل بمعنى فاعل ، والفرق بين هذا وبين ما تقدم في الخامس عشر أن ذلك يختص بقطع الأرض وهذا بقطع جميع البلاد في أربعين ليلة إلا مكة والمدينة .

القول الحادى والعشرون : المسيح : الدرهم الأطلس بلا نقش .قاله ابن فارس وذلك مطابق لصفة الأعور الدجال، إذ أحد ثقى وجهه ممسوح . وهو أشوه الرجال .

القول الثانى والعشرون : قال الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من تأليفه : سمي مسيحاً ، لأن الله (تعالى) مسح الذنوب عنه .
القول الثالث والعشرون: قال الحافظ أبو نعيم في الكتاب المذكور : وقيل: سمي ابن مريم مسيحاً ، لأن جبريل عليه (الصلاة و)السلام مسحه بالبركة وهو قوله تعالى : ﴿وجعلنى مباركاً أينما كنت ﴾ . [حديث صحيح]

فصل

فك بيان ما وقع فك الحديث من الخريب

٢٢٠ - قوله : فيشج أى يمد ، والميشار : مفعال من (أشرت) ووشرت أشراً ووشراً ، ويقال منشار بالنون أيضاً وبالوجهين فى الحديث وهو مفعال أيضاً من نشرت .

وقوله : فخفض ورفع بتخفيف الفاء أى : أكثر من الكلام فيه ، فتارة يرفع صوته ليسمع من بعد ، وتارة يخفض ليستريح من تعب الإعلان ، وهذه حالة المكثّر فى الكلام، وروى بتشديد الفاء فيهما على التضعيف . والتكثير .

وقوله : إنه خارج محلة . يروى بالخاء المعجمة، وبالخاء المهملة، قاله الهروى، والخلة موضع حزن وصخور، والخلة ما بين البلدين .

وقال الحافظ بن دحية : ورواه ابن همام والحميدى : حله بفتح الخاء المهملة وضم اللام وكأنه يريد حلولة ، قال : قرأت فى أصل القطيعى من مسند الإمام (أبى عبد الله) أحمد بن حنبل وأنه يخرج حيلة ، ولا أعلم روى ذلك أحد غيره ، وقد سقطت هذه اللفظة لأكثر رواة مسلم ، وبقي الكلام أنه خارج بين الشام والعراق .

٢٢٠١ - وجاء فى حديث الترمذى أنه يخرج بخراسان ، وفى الرواية الأخرى : من ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية ، وفى حديث ابن ماجه ومسلم بين الشام والعراق، ووجه الجمع أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية أصبهان ، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام ، والله أعلم.

وعاث بالعين المهملة، والثاء المثلثة، والتنوين على أنه اسم فاعل، وروى بفتح الثاء على أنه فعل ماضٍ، ووقع في حديث أبي أمامة على الفعل المستقبل، والكلمة بمعنى الفساد عاث يعيث عيثا، فهو عاث، عثى يعثى، عثى يعثو لغتان، وفي التنزيل: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ .

وقوله: يا عباد الله فاتبوا، يعنى على الإسلام يحذركم من فتنته؛ لأنه يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبث .

وقوله: فاقدروا له قدره، قال القاضي عياض: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع، ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه (عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام).

٢٢٠٢- قلت: وكذلك الأيام القصار الحكم فيها أيضا ما حكمه صاحب الشرع، وقد حمل بعض العلماء أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها، وإنما هي محمولة على المعنى. أى يهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء، وأيام البلاء طوال، ثم يتناقض ذلك الغم فى اليوم الثانى ثم يتناقض فى اليوم الثالث، ثم يعتاد البلاء كما يقول الرجل: اليوم عندى سنة ومنه قولهم:

وليل المحب بلا آخر

وقال آخر:

وأيام لنا غر طوال عصىنا الملك فيها أن ندينا
وهذا القول يردده قولهم: أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: «لا، اقدروا له قدره» والمعنى قدروا الأوقات للصلوات، وكذلك لا التفات لطعنه فى صحة هذه الألفاظ، أعنى قوله: أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره» فقال: هذا عندنا من الدسائس التى كادنا بها ذوو الخلاف علينا، ولو كان صحيحاً لاشتهر على ألسنة الرواة كحديث الدجال، ولو كان لقوى اشتهاه ولكن أعظم وأفظع من طلوع الشمس من مغربها، والجواب: أن هذه الألفاظ صحيحة حسب ما ذكره مسلم، وحسبك به إماما، وقد ذكرها الترمذى من حديث النواس أيضا وقال: حديث حسن صحيح، وخرجها أبو داود أيضا وابن ماجه من حديث أبي أمامة، وقاسم بن أصبغ من حديث جابر، وهؤلاء أئمة أجلة من أئمة أهل الحديث، وتطرق

إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرز والثقة بعيد لا يلتفت إليه، لأنه يؤدي إلى القدح في أخبار الآحاد ، ثم إن ذلك في زمن خرق العادات وهذا منها .

٢٢٠٣- وقوله : محلين أى مجديين ، ويروى : أزلين ، والمحل والأزل والقحط والجذب بمعنى واحد . ويعاسيب النحل : فحولها ، وأخذها يعسوب ، وقيل : أمراؤها . ووجه التشبيه أن يعاسيب النحل يتبع كل واحد منهم طائفة من النحل فتراها جماعات في تفرقة ، فالكنوز تتبع الدجال كذلك .

وقوله : بين مهرودتين أى بين شقى ثوب ، والشقة نصف الملاءة أو فى حلتين مأخوذ من الهرد بفتح الهاء وسكون الراء ، وهو الشق والقطع .

قال ابن دريد : إنما سمي الشق هرداً للإفساد لا للإصلاح . وقال يعقوب : هرد القصار الثوب ، وهردته بالتاء والمثناة بائنتين من فوق إذا أحرقه وخرقه .

وقال أكثرهم : في ثوبين مصبوغين بالصفرة وكأنه الذي صبغ بالهرديء ، ووقع في بعض الروايات بدل مهرودتين ممصرتين كذلك ، ذكره أبو داود الطيالسي من حديث أبي هريرة ، والممصرة من الثياب هي المصبوغة بالصفرة . والجمان ما استندار من اللؤلؤ والدر ، شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر وهو تشبيهه واقع وليست بالمشبعة .

٢٢٠٤- وقال ابن الأنباري : مهرودتان بدال مهملة وذال معجمة معا أى ممصرتين كما جاء في الحديث الآخر . وقال غيره : الهرد الذى يصبغ بالعروق التى يقال لها الهرد بضم الهاء ، وقال الهروي : هرد ثوبه بالهرد ، وهو صبغ يقال له العروق ، وقال القتيبي : إن كان المحفوظ بالدال فهو مأخوذ من الهرد ، والهرد والهرت : الشق ، ومعناه بين شقين ، والشقة نصف الملاءة وقال : وهذا عندي خطأ من النقلة ، وأراد مهرودتين أى صفراوين يقال : هرت العمامة ألبستها صفراً ، وكان الثلاثي منه : هروت ، فخلف الجماعة من أهل اللغة فيما قالوه ، وقد خطأه ابن الأنباري وقال : إنما يقول العرب : هريت الثوب لا هروت ولو كان من ذلك لقليل مهرة لا مهروة ، واللغة نقل ورواية لا قياس ، والعرب إنما تجوز ذلك في العمامة خاصة لا فى الشقة ولا يجوز قياس الشقة على العمامة ، وأما رواية الدال المعجمة فهو إبدال من الدال المهملة ، فإن الدال قد يتعاقبان فيقال رجل مدل بالدال

المهملة ومذل بالذال المعجمة ، إذا كان قليل اللحم خفى الشخص .
والجمان : ما استدار من اللؤلؤ والدر شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر وهو تشبيه حسن .

وقوله : فحرز عبادى إلى الطور ، أى ارتحل بهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم . والطور : الجبل بالسريانية .

٢٢٠٥- قال الحافظ ابن دحية : قيدناه في صحيح مسلم جوز بالجيم والواو والزاي ، كذا قيدناه في جامع الترمذى ، وقيدناه أيضاً حدر ببدال مهملته ، فأما حرز فهو الذي رواه أكثرهم ، وصحح بعضهم رواية حدر وكلاهما صحيح ، لأن ما خير فقد أحرز وكذلك جوز بالجيم ، وأما حدر ببدال مهملته فمعناه : أنزلهم إلى جهة الطور من حدرت الشيء فانحدر إذا أرسلته فى صعب وحدر .

والنغف : جمع نغفة وهى الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم ، وفرسى أى هلكى ، وهو جمع فريس ، يعنى مفروس ، مثل قتيل وقتلى وصرع وصرعى ، وأصله من فرس الذئب الشاة وأفرسها أى قتلها كأن تلك النغف فرستهم .

ويروى : فيصبحون موتى ، والزهم : النتن . والبخت : إبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام . والزلفة : المصفقة المتلثة ، والجمع زلف .

قال ابن دحية : قيدناه فى صحيح مسلم بالفاء والقاف ، وهو المرأة كذا فسره ابن عباس ، وقاله اللغويان : أبو زيد الأنصارى وأبو العباس الشيبانى .

واللقحة : الناقة الحلوب . والفئام : الجماعة من الناس . والفخذ : دون القبيلة وفوق البطن ، والفائور بالفاء : الخوان يتخذ من الرخام ونحوه ، قال الأغلب العجيلى :

« إذا (انجلي) فائور عين شمس » يقال هم على فائور واحد أى على مائدة واحدة ومنزلة واحدة ، والفائور أيضاً : موضع . قاله الجوهري . والله أعلم .

باب

ما جاء أن الدجال لا يضر مسلماً

٢٢٠٩- البزار عن حذيفة قال : كنا عند رسول الله ﷺ فذكر الدجال فقال : « لفتنة من بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال ، ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا

تضع لفتنة الدجال ، فمن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها، والله لا يضر مسلماً ،
مكتوب بين عينيه : كافر » . [حديث صحيح]

فصل

٢٢١٠- قلت : إن قيل : كيف قال في هذا الحديث : « لا يضر مسلماً » وقد
قتل الرجل الذي خرج إليه من المدينة، ونشره بالمنشار، وذلك أعظم الضرر ؟ قلنا :
ليس المراد ذلك ، وإنما المعنى أن المسلم المحقق لا يفتنه الدجال فيرده عن دينه، لما يرى
عليه من سيماء الحدث ، ومن لم يكن بهذه الصفة فقد يفتنه ويتبعه لما يرى من
الشبهات كما في الحديث المذكور في الباب قبل هذا . ويحتمل أن يكون عموماً
يخصه ذلك الحديث وغيره ، والله أعلم .

باب

ما ذكر من أن ابن صياد : الدجال، واسمه صاف، ويكنى أبا
يوسف وسبب خروجه وصفة أبو يه وأنه ملك دين اليهود

٢٢١١- مسلم عن محمد بن المنكدر قال : رأيت جابر بن عبد الله يحلف
بالله أن ابن صياد : الدجال ، فقلت له : أتخلف على ذلك ؟ اقال : إني سمعت عمر
يحلف بالله على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ . وأخرجه أبو داود في سننه .

[خبر صحيح]

٢٢١٢- وعن نافع قال : كان ابن عمر يقول : « والله ما أشك أن المسيح

الدجال ابن صياد » أخرجه أبو داود وإسناده صحيح . [خبر صحيح]

٢٢١٣- مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا

ابن صياد، قال : فنزلنا منزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو، فاستوحشت منه وحشة
شديدة مما يقال عليه، قال : وجاء بمتاعه فوضعه على متاعي ، فقلت : إن الحر شديد
فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال : ففعل ، فرفعت لنا غنم فانطلق بعس ، فقال :
اشرب أبا سعيد، فقلت : إن الحر شديد واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن
يده، أو قال : آخذه عن يده، فقال : أبا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله ﷺ ما
خفى (عنكم) معشر الأنصار، ألسنت من أعلم أصحاب رسول الله ﷺ !؟ أليس قد
قال رسول الله ﷺ : « هو كافر وأنا مسلم » (أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : هو

عقيم لا يولد له ، وقد تركت ولدى بالمدينة) أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل المدينة ولا مكة ، فقد أقبلت من المدينة ، وأنا بمكة » وفي رواية: وقد حججت؟ قال أبو سعيد: حتى كدت أنى أعذره، ثم قال : أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن . قال : قلت: تبا لك سائر اليوم ، وفي رواية : قال أبو سعيد وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل أى الدجال؟ قال: فقال: لو عرض على ما كرهت . [حديث صحيح]

٢٢١٤- وعن ابن عمر قال : لقيت ابن صياد مرتين ، فقلت لبعضهم : هل تحدثون أنه هو ؟ قال : لا والله . قال : قلت: كذبتنى والله لقد أخبرنى بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالا وولداً ، فكذلك هو زعموا اليوم ، قال: فتحدثنا ثم فارقتنا قال : فلقيته لقيه أخرى وقد نفرت عينه، قال: فقلت : متى فعلت عينك ما أرى ؟ قال : لا أدرى . قال : قلت لا تدرى وهى فى رأسك . قال : إن شاء الله خلقها فى عصاك هذه، قال : فنخر كأشد نخير حمار سمعت ، قال : فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعضا كانت معي حتى تكسرت ، وأما أنا فوالله ما شعرت ، قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال : (رسول الله ﷺ): إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه؟ وعنه قال : انطلق رسول الله ﷺ وأبى بن كعب إلى النخل التى فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقى بجذوع النخل وهو (يخيل) أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش فى قطيفة له ، فيها زمزمة ، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقى بجذوع النخل فقالت لابن صياد : يا صاف وهو اسم ابن صياد، هذا محمد فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ : « لو تركته بين » . [حديث صحيح]

٢٢١٥- وفى رواية : ثم قال له رسول الله ﷺ: « إنى قد خبأت لك خبيثاً » فقال ابن صياد : هو الدخ ، فقال رسول الله ﷺ : « اخسأ فلن تعدو قدرك ، فقال عمر بن الخطاب : ذرنى يا رسول الله أضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير فى قتله» أبو داود عن جابر بن عبد الله قال : فقدنا ابن صياد يوم (الحره) . [حديث صحيح]

وقيل : إنه لم يولد بعد وسيولد في آخر الزمان والأول أصبح لما ذكرنا ، وبالله توفيقنا .

وسياتى لهذا الباب مزيد بيان فى أن الدجال ابن صياد ، والله أعلم .

فصل

٢٢١٨- قال أبو سليمان الخطابى : وقد اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول ، وقد يسأل عن هذا فيقال : كيف يقارن رسول الله ﷺ من يدعى النبوة كاذباً ويتركه بالمدينة يساكنه فى داره ويجاوره فيها ، وما وجه امتحانه إياه بما خبأه من آية الدخان ، وقوله بعد ذلك : اخسأ فلن تعدو قدرك .

قال أبو سليمان : والذى عندى أن هذه القضية إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفاءهم ، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتاباً وصالحهم فيه على أن لا يهاجروا وأن يتركوا على أمرهم ، وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فى جماعتهم وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب ، فامتحنوه بذلك ليروا آية أمره (ويخبر شأنه) فلما كلمه علم أنه معطل ، وأنه من جملة السحرة والكهنة (أو بمن) يأتيه ريب من الجنة أو يتعاهده شيطان ، فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم به ، فلما سمع منه قول الدخ زجره وقال : اخسأ ولن تعدو قدرك يريد أن ذلك شىء ألقاه إليه الشيطان ، وأجراه على لسانه ، وليس ذلك من قبل الوحى إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم ويصيبون بنور قلوبهم الحق ، وإنما كانت له تارات يصيب فى بعضها ويخطيء فى بعض ، وذلك معنى قوله : « يأتى صادق وكاذب » . فقال له عند ذلك خلط عليك .

والحكمة فى أمره أنه كان فتنة امتحن الله بها عباده المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ، وقد امتحن الله قوم موسى فى زمانه بالعجل فافتتن به قوم وهلكوا ، ونجا من هداه الله وعصمه منهم ، وقد اختلفت الروايات فى أمر ابن صياد فى ما كان من شأنه بعد كبره ، فروى أنه تاب عن ذلك القول ، ثم إنه مات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس ، وقيل

لهم اشهدوا . قال الشيخ (رضى الله عنه): الصحيح خلاف هذا الخلف جابر وعمر أن ابن صياد الدجال . وروى أن أبا ذر كان يقول هو الدجال ، وروى ذلك عن ابن عمر ، وقال جابر فقدناه يوم الحرة هذا وما كان مثله يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة ، والله أعلم .
وسأيتي لهذا الباب مزيد بيان في أن الدجال ابن صياد عند كلامنا على خبر الجساسة إن شاء الله تعالى .

باب

**ما جاء فك نقب يأجوج ومأجوج السد
وخروجهم وطفثهم وفك لباسهم وطمعهم
وبيان قوله تخالط: ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء﴾**

٢٢١٩- ابن ماجه عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج يحفران (في) كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً ، فيعيدة الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء ، فيرجعون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون سهامهم إلى السماء فيرجع (عليها) الدم، الذى أحفظ فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفاً فى أقبائهم، (فيقتلهم)» قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده إن دواب الأرض (لتسمن) وتشكر شكراً من كثرة ما تأكل من لحومهم» .

قال الجوهري : شكرت الناقة تشكر شكراً فهي شكرة ، واشتكر الضرع امتلاً (لبناً) . [حديث صحيح]

٢٢٢١- وخرج ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: « يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿ وهم من كل حدب ينسلون ﴾ ، فيعمون الأرض ، وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقية

المسلمين في مدائنهم وحصونهم ، ويضمون إليهم مواشيهم حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربون حتى ما يذروا فيه شيئاً ، فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم : لقد كان بهذا المكان مرة ماء، ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لننازلن أهل السماء، حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم ، فيقولون : قد قتلنا أهل السماء فيبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد ، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضاً ، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً . فيقولون : هل من رجل يشتري نفسه وينظر ما فعلوا؟ فينزل إليهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى ، فيناديهم : ألا أبشروا فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ، ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم مرعى إلا لحومهم ، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط . [حديث صحيح]

٢٢٢٢- وخرج ابن ماجه أيضاً وأبو بكر بن أبى شيبة واللفظ لابن ماجه، عن عبد الله بن مسعود قال : لما كان ليلة أسرى برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم (الصلاة و)السلام (والتحية والإكرام) فتذاكروا الساعة فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده علم منها ، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده علم منها ، فردوا الحديث إلى عيسى قال : قد عهد إلى فيما دون وجبتها ، فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله، فذكروا خروج الدجال ، قال : فأنزل إليه فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم بأجوج وأجوج ﴿ وهم من كل حدب ينسلون ﴾ فلا يمرون بماء إلا شربوه، ولا شيء إلا أفسدوه، فيجأرون إلى الله فأدعو الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله فأدعوا الله فيرسل السماء (بالماء) فتحملهم فتلقيهم فى البحر ، ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعهد إلى إذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التى لا يدري أهلها متى تعجلهم بولادتها . قال ابن أبى شيبة : ليلاً أو نهاراً .

قال أبو العوام : ووجه تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت لأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ ، فلا يمرون بماء إلا

شربوه ولا شيء إلا أفسدوه ، زاد ابن أبي شيبة ﴿واقترب الوعد الحق﴾ .

[خبر صحيح]

٢٢٢٣- وروى عن عمرو بن العاص قال : إن يأجوج ومأجوج ذرء جهنم ، ليس فيهم صديق ، وهم على ثلاثة أصناف : على طول الشبر ، وعلى طول الشبرين ، وثالث منهم طوله وعرضه سواء ، وهم من ولد يافث ابن نوح عليه(الصلاة والسلام) . [إسناده حسن والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٢٤- وروى عن عطية بن حسان أنه قال : يأجوج ومأجوج أمتان في كل أمة أربعمائة ألف ليس منها أمة تشبه بعضها بعضاً .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٢٥- وروى عن الأوزاعي أنه قال : الأرض سبعة أجزاء ، فسنة أجزاء منها : يأجوج ومأجوج ، وجزء فيه سائر الخلق .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٢٦- وروى عن قتادة أنه قال : الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ يعنى الجزء الذى فيه سائر الخلق غير يأجوج ومأجوج ، فائنا عشر للهند والسند ، وثمانية آلاف للصين ، وثلاثة آلاف للروم ، وألف فرسخ للعرب .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٢٧- وذكر على بن معبد ، عن أشعث ، عن شعبة ، عن أرطاة بن المنذر قال : إذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى عليه(الصلاة والسلام) أنى قد أخرجت خلقاً من خلقي لا يطيقهم أحد غيرى ، فمر بمن معك إلى جبل الطور ومعه من الذرارى اثنا عشر ألفاً ، قال : يأجوج ومأجوج ذرء فى جهنم ، وهم على ثلاثة أثلاث : ثلث على طول الأرز ، وثلث مربع طوله وعرضه واحد ، وهم أشد ، وثلث يفترش إحدى أذنيه ، ويلتحف بالأخرى ، وهم من ولد يافث بن نوح . [إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٣٠- وقال كعب الأحبار : خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف : صنف أجسامهم كالأرز ، وصنف أربعة أذرع طولاً وأربعة أذرع عرضاً ، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى فياً كلون مشائم نسائم ذكره أبو نعيم الحافظ

وذكره عبد الملك بن حبيب أنه قال في قول الله عز وجل في قصة ذى القرنين :
﴿فأتبع سبباً﴾ يعنى منازل الأرض ومعاليها وطرقها حتى إذا بلغ بين السدين يعنى
الجبليين اللذين خلفهم يأجوج ومأجوج ، وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
تولاً أى كلاماً ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج منسدون فى الأرض﴾ .

[إسناده صحيح والخبر من الإسرائيليات]

٢٢٣١- قال عبد الملك : وهما أمتان من ولد يافث بن نوح مد الله لهما في
العمر ، وأكثر لهما في النسل، حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد
له ألف ولد ، فولد آدم كلهم عشرة أجزاء : يأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء ،
وسائر ولده كلهم جزء واحد .

٢٢٣٢- قال عبد الملك : كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض القوم الذين هم
قريب منهم، فلا يدعون لهم شيئاً إذا كان أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا حملوه ،
فقال أهل تلك الأرض لذى القرنين : هل لك أن نجعل خرجاً يعنى جعلاً ﴿ على

أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ قال : ما مكنى فيه ربه خير من جعلكم ولكن ،
﴿فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ قالوا له : وما تريد ؟

قال : ﴿ آتوني زبر الحديد﴾ أى قطع الحديد فوضع بعضها على بعض كهيئة
البناء فيما بين السدين وهما جبلان ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ يعنى جانبي

الجبليين ﴿ قال انفخوا﴾ أى أوقدوا ﴿ حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه
قطراً﴾ فما استطاعوا أن يظروا وما استطاعوا له نقباً ﴿ أى من تحته . وقال عبد

الملك فى قوله : ﴿ أفرغ عليه قطراً﴾ يعنى نحاساً ليلتصق ، فأفرغه عليه فدخل
بعضه فى بعض ، قال : ﴿ فإذا جاء وعد ربه جعله دكاء﴾ .

٢٢٣٣- وفى تفسير (الجونى) أبى الحسن : أن ذا القرنين لما عاين ذلك منهم
انصرف إلى ما بين الصدفين ففاس ما بينهما وهو فى منقطع الترك مما يلى مشرق

الشمس ، فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا ، حتى إذا بلغ الماء (ثم) جعل عرضه خمسين فرسخاً ، وجعل حشوه الصخور(وطيته)النحاس يذاب ثم يصب عليه ، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه وصرفه بزر الحديد والنحاس المذاب ، وجعل خلاله عرقا من نحاس فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد ، فلما فرغ منه وأحكامه انطلق عائداً إلى جماعة الإنس والجن. انتهى كلام الخوفى .

٢٢٣٤- وعن عثمان رضى الله عنه قال : وصنف منهم فى طول شبر، لهم مخالب وأنياب كالسباع ، وتداعى الحمام ، وتسافد البهائم ، وعواء الذئب ، وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام إحداهما وبرة يشتون فيها ، والأخرى جلدة يصيفون فيها .

وقال الضحاك : هم من الترك .

وقال مقاتل : هم من ولد يافث بن نوح ، وهذا أشبه كما تقدم ، والله أعلم .
وقرأ عاصم بأجوج ومأجوج بالهمزة فيهما ، وكذلك فى الأنبياء على أنهما مشتقان من أجة الحر وهى شدته وتوقده ، ومنه أجيج النار . ومن قولهم : ملح أجاج فيكونان عربيين من أج ومج ولم يصرفا لأنهما جعلتا اسمين فهما مؤنثتان معروفتان ، والباقون بغير همز جعلوهما لقبيلتين أعجميتين ، ولم يصرفا للعجمة والتعريف .

باب ذكر الدابة وصفتها ومنتك تخرج ومن أين تخرج وكما لها من خرجة وصفة خروجها وما معها إذا خرجت وحديث الجساسة وما فيها من ذكر الدجال قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾

فصل

٢٢٤٤- هذه الأحاديث وما تقدم من ذكر العلماء فى الدابة ويأتى ، يرد قول من قال من المفسرين المتأخرين : إن الدابة إنما هى إنسان متكلم ينظر أهل البدع والكفر ويجادلهم ليقطعوا ، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة . قال شيخنا أبو العباس : وعلى هذا (فلا) يكون فيها آية خاصة خارقة للعادة ولا يكون من جملة العشر آيات المذكورة فى الحديث ، لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير ، فلا آية خاصة فلا ينبغى أن تذكر مع العشر .
قلت : فساد ما قاله هذا المتأخر واضح ، وأقوال المفسرين بخلافه .

٢٢٤٦- وعن عمرو بن العاص قال : « تخرج الدابة من مكة من شجرة وذلك في أيام الحج فيبلغ رأسها السحاب وما خرجت رجلاها بعد من الثراب » ذكره القتيبي في عيون الأخبار له . (قال الشيخ رضى الله عنه : فساد ما قاله هذا المتأخر واضح) وأصح أقوال المفسرين بخلاف ما قال : وأنها خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد، فتسم المؤمن فينير وجهه، وتكتب بين عينيه : مؤمن ، وتسم الكافر فيسود وجهه وتكتب بين عينيه : كافر .

٢٢٤٧- وقال عبد الله بن عمر : « تخرج الدابة من جبل الصفا بمكة ينصدع فتخرج منه » وقال عبد الله بن عمرو نحوه ، وقال : لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت . وروى عن قتادة أنها تخرج من تهامة . وروى أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث (فار) تنور نوح (عليه الصلاة والسلام) . وقيل : من أرض الطائف . وروى عن ابن عمر أنها على خلقة الآدميين ، وهى فى السحاب وقوائمها فى الأرض .

٢٢٤٩- وحكى النقاش عن ابن عباس : أنها الشعبان المشرف على جدار الكعبة التى اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة ، ويروى أنها دابة مزغبة (ذعراً) ذات قوائم طولها ستون ذراعاً ، ويقال : إنها الجساسة فى حديث فاطمة بنت قيس الحديث الطويل . وخرجه مسلم ذكره الترمذى وأبو داود مختصراً ، والسياق لمسلم وفيه ، ثم قال رسول الله ﷺ : «أتدرون لم جمعتمكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إني والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة، ولكننى جمعتمكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً (فجاء) فبايع وأسلم، وحدثنى حديثنا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجمام ، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ثم أرفؤوا إلى جزيرة فى البحر حيث مغرب الشمس ، قال : فجلسوا (قرب) السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر » . [حديث صحيح]

٢٢٥٠- وقال الترمذى : إن ناساً من أهل فلسطين ركبوا سفينة فى البحر، فجالت بهم حتى قذفتهم فى جزيرة من جزائر البحر، فإذا هم بدابة لباسة ناشرة شعرها ، فقالوا : من أنت ؟ قالت : أنا الجساسة وذكر الحديث . راجع سياق مسلم ، فقالوا : ويملك ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة . قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمت

لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة . قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا هو أعظم إنسان رأيناه خلقاً وأشد وثاقاً مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبته إلى كعبيه بالحديد . وقال الترمذى : فإذا رجل موثق بسلسلة .

٢٢٥١- قال أبو داود : فإذا الرجل يجبر شعره مسلسلأً فى الأغلال ينزو فيها بين السماء والأرض . قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبرى ، فأخبرونى ما أنتم ؟ قالوا : نحن ناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر قد اغتلم فلعب الموج بنا شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها ، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر . فقلنا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة . فقلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفرعنا منها ، وما نأمن أن تكون شيطانة . فقال : أخبرونى عن نخل بيسان .

٢٢٥٢- وقال الترمذى : الذى بين الأردن وفلسطين . قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألکم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا له : نعم . قال : أما أنها يوشك أن لا تثمر . قال : أخبرونى عن بحيرة الطبرية . قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هى كثيرة الماء ، قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب . قال : أخبرونى عن عين زغر؟ قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فى العين ماء ، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا : نعم هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها . قال : أخبرونى عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم: قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إن ذلك هو خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى (إنى) أنا المسيح الدجال . وإنى أوشك أن يؤذن لى بالخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة ، هما محرمتان على كلتاها ، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلنى ملك بيده السيف مصلتا يصدنى (عنهما) وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قال رسول الله ﷺ : وطعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة- يعنى المدينة- ألا

هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم. قال: فإنه أعجبني حديث تميم الدارى، فإنه وافق الذى كنت حدثتكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه فى بحر الشام (أو) بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق وما هو من قبل المشرق، وأوماً بيده إلى المشرق قال: حفظت هذا من رسول الله ﷺ.

٢٢٥٣- وقد خرج ابن ماجه حديث فاطمة بنت قيس قالت: (خرج رسول الله ذات يوم، وصعد المنبر وكان لا يصعد عليه مثل ذلك اليوم إلا يوم الجمعة، فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم وجالس، فأشار إليهم بيده أن اقعدها، فوالله ما قمت مقامى إلا لأمر ينفعكم، لا رغبة ولا رهبة، ولكن تيمماً الدارى أتانى فأخبرنى خبراً معنى القيلولة من الفرح وقرة العين، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم ﷺ إلا أن ابن عم لتميم الدارى (أتانى) أخبرنى أن الريح ألتأتهم إلى جزيرة لا يعرفونها، فقعدها فى قوارب السفينة فخرجوا بها فإذا هم بشيء أهدب أسود كثير الشعر. قالوا لها: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. قالوا: أخبرينا. قالت: ما أنا (بمخبرتكم) شيئاً ولا سائلتكم، وليكن هذا الدير قد رهقتموه فأتوه فإن فيه رجلاً بالأشواق إلى أن تخبروه ويخبركم، فأتوه فدخلوا عليه، فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق، مظهر الحزن شديد التشكى (فقال) لهم: من أين؟ فقالوا: من الشام. فقال: ما فعلت العرب؟ قالوا: نحن قوم من العرب، عم تسأل؟ قال: ما فعل الرجل الذى خرج فيكم؟ قالوا: خيراً، أتى قوماً فأظهره الله عليهم، فأمرهم اليوم جميع، إلههم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم واحد. قال: ما فعلت عين زغر؟ قالوا: خيراً يسقون منها لزروعهم، ويستقون منها لشعبهم. قال: ما فعل نخل بين عمان وبيان؟ قالوا: يطعم ثمرة كل عام. قال: ما فعلت بحيرة الطبرية؟ قالوا: تدفق بجنباتها من كثرة الماء قال: فزفر ثلاث زفرات ثم قال: لو انفلت من وثاقى هذا لم أدع أرضاً إلا وطقتها برجلى هاتين إلا طيبة ليس لى عليها سبيل.

قال النبى ﷺ: «إلى هذا انتهى وحى، هذه طيبة والذى نفسى بيده، ما فيها طريق ضيق ولا واسع ولا سهل ولا جبل إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة».

قال المؤلف رحمه الله: هذا حديث صحيح، وقد خرجه مسلم والترمذى

وأبو داود وغيرهم رضى الله عنهم .

٢٢٥٤- وقد قيل : إن الدابة التي تخرج هي الفصيل الذي كان لناقة لصالح ، عليه(الصلاة و)السلام ، فلما قتلت الناقة هرب الفصيل بنفسه ، فانفتح له حجر ، فدخل فيه ، ثم انطبق عليه فهو فيه إلي وقت خروجه حتى يخرج بإذن الله تعالى . قلت : ويدل على هذا القول حديث حذيفة المذكور في هذا الباب وفيه وهي ترغوا، الرغاء إنما هو للإبل ، والله أعلم .

ولقد أحسن من قال :

واذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والإيمان

فصل

٢٢٥٥- وقد استدل من قال من العلماء : إن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان في معناه ، والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم(ولا) يبعد أن يكون بالجزيرة ذلك الوقت ، ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر إلى أن فقدوه يوم الحرة، وفي كتاب أبي داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : شهد جابر أنه هو ابن صياد، قلت : فإنه قد مات . قال : وإن مات ؟ قلت: فإنه قد أسلم ، قال : وإن أسلم . قلت : فإنه قد دخل المدينة قال : وإن دخل المدينة .

٢٢٥٧- قال الخطابي والماذرى : والمهلب : الشعر الغليظ ، وقال : أهلب على معنى الحيوان أو الشخص ، ولو راعى اللفظ لقال هلب كأحمر وحمر . والأهلب أيضاً عند بعض أهل اللغة : الذي لا شعر عليه وهو من الأضداد، واستفهامهم منها ظناً منهم أنها بمن لا تعقل ، فلما كلمتهم فرقوا : أى فزعوا ، واغترام البحر : هيجانه وتلاطم أمواجه ، وبيسان وزغر : موضعان بالشام بين الأردن وفلسطين . كما في حديث الترمذى .

٢٢٥٨- قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : كانت بيسان مدينة وفيها سوق كبيرة وعين تسمى عين « فلوس » يسقى منها ، وبحيرة طبرية هي بحيرة عظيمة طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال وموجها(يضرب) فى سور قلعته وهي عميقة تجرى فيها السفن ، ويصطاد منها السمك ، وماؤها حلو فرات ، وبين بحيرة طبرية

وبيت المقدس نحو من مائة ميل وهي من الأردن ولزمتها(الهاء)وهي تصغير بحرة لا بحر، لأن البحر مذكر ، وتصغيره بحير ، وعين زغر بضم الزاى وفتح الغين وامتناع صرفه للعلمية والعدل ، لأنه معدول عن زاغر كعمر معدول عن عامر ، وزعم الكلبي أن زغر اسم امرأة نسبت هذه العين إليها ، فإن كان ما قاله حقاً فلأن هذه المرأة استنبطتها(أو) اتخذت أرضها داراً لها . فنسبت إليها ،(والله أعلم) . ذكره ابن دحية في كتاب البشارات والإنذارات له من تأليفه .

٢٢٥٩- وقوله عليه الصلاة والسلام : إلا أنه في بحر الشام أو(في) (بحر)اليمن شك ، أوظن منه عليه الصلاة والسلام ، أو قصد الإبهام على السامع ، ثم نفى ذلك وأضرب عنه بالتحقيق فقال : لا بل من قبل المشرق ، ثم أكد ذلك بما الزائدة وبالتكرار اللفظي ، فما زائدة لا نافية ، فاعلم ذلك . [حديث صحيح]

باب

طلوع الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة

وكم يمكث الناس بعد ذلك ؟

٢٢٦٠- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » . [حديث صحيح]

٢٢٦١- وخرج الترمذى والدارقطنى عن صفوان بن عسال المرادى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرته سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه » قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

[حديث صحيح]

٢٢٦٢- وقال سفيان : « قبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً يعين التوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه » قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

ثم(إن) الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك الضوء والنور ، ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كان قبل ذلك يطلعان ويغربان .

٢٢٦٤- وذكر الميانشى وقال عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : « ويبقى

الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة .

[إسناده لا بأس به والخبر من الإسرائيليات]

فصل

٢٢٦٥- قال العلماء : وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها، لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتت كل قوة من قوى البدن ، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم ، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته ، كما لا تقبل توبة من حضره الموت . قال ﷺ : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » أى تبلغ روحه رأس حلقة، وذلك وقت المعاينة يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار ، فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله . وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك أو كان كالمشاهد له مردودة ما عاش ، لأن علمه بالله تعالى وبنيبه ﷺ وبوعده قد صار ضرورة ، فإن امتدت أيام الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان ولا يتحدثون عنه إلا قليلاً فيصير الخبر عنه خاصاً وينقطع التواتر عنه ، فمن أسلم في ذلك الوقت أو تاب قبل منه ، والله أعلم . [حديث صحيح]

٢٢٦٦- وقد قيل : إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه السلام قال لنمرود: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ وإن الملحددين والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون: هو غير كائن، فيطلعه الله تعالى يوماً من المغرب ليرى المنكرين لذلك قدرته من أن الشمس في قدرته، إن شاء أطلعها من المشرق، وإن شاء أطلعها من المغرب، وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن وتاب من المنكرين لذلك المكذبين لخبر النبي ﷺ فأما المصدق ، فإنه تقبل توبته وينفعه إيمانه قبل ذلك، والله أعلم.

فصل

٢٢٦٩- واختلفت الروايات في أول الآيات ، فروى أن طلوع الشمس من مغربها أولها على ما وقع (في) حديث مسلم في هذا الباب . وقيل : خروج الدجال ، وهذا القول أولى القولين وأصح لقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الدجال خارج

فيكم لا محالة » الحديث بطوله .

فلو كانت الشمس طلعت قبل ذلك من مغربها لم ينفع اليهود لإيمانهم أيام عيسى عليه(الصلاة و)السلام ، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منه .

وقد تقدم القول مبيناً في هذا ، وأن أول الآيات الخسوفات . فإذا نزل عيسى عليه(الصلاة و)السلام وقتل الدجال خرج حاجباً إلى مكة ، فإذا قضى حجه انصرف إلى زيارة سيدنا محمد ﷺ فإذا وصل إلى قبر الرسول الله ﷺ أرسل الله عند ذلك ريحا عنبرية فتقبض روح عيسى عليه (الصلاة و)السلام ومن معه من المؤمنين ، فيموت عيسى عليه(الصلاة و)السلام ويدفن مع النبي ﷺ في روضته ، ثم تبقى الناس خيارى سكارى فيرجع أكثر أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة وتستولى أهل الكفر على من بقى من أهل الإسلام ، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها ، وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف ، ثم تأتي الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجراً حجراً ويرمون بالحجارة في البحر ، ثم يخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم ، ثم يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض ، فأما المؤمن فيصبيه مثل الزكام ، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيشقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم ، ثم يبعث الله تعالى ريحا من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك ، فتقبض روح المؤمن والمؤمنة ، وتبقى شرار الناس ويكون الرجال لا يشبعون من النساء، والنساء لا يشبعن من الرجال ، ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم في البحر ، هكذا وذكر بعض العلماء الترتيب في الأشراف وفيه بعض اختلاف ، وقد تقدمت الإشارة إليه فيما تقدم ، والله أعلم .

وقيل : إذا أراد الله انقراض الدنيا وتام ليلها وقربت النفخة ، خرجت نار من قعر عدن لتسوق الناس إلى الخشر تبيت معهم وتقبل معهم ، حتى يجتمع الخلق بالخشر الإنس والجن والدواب والوحوش والسباع والطير والهوام وخشاش الأرض وكل من له روح ، فبينما الناس قيام في أسواقهم يتبايعون وهم مشتغلون بالبيع والشراء إذا هم بهدة عظيمة من السماء ، يصعق منها نصف الخلق فلا يقومون من صعقتهم مدة ثلاثة أيام ، والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم فيبقون مدهوشين

قياماً على أرجلهم وهو قوله تعالى: ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ فبينما هم كذلك إذا هذة أخرى أعظم من الأولى، غليظة فظيعة كالرعد القاصف ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات . كما قال ربنا جل وعلا: ﴿ونفخ في الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله﴾ فتبقى الدنيا بلا آدمى ولا جنى ولا شيطان ، ويموت جميع من فى الأرض من الهوام والوحوش والدواب وكل شيء له روح ، وهو الوقت المعلوم الذى كان بين الله تعالى وبين إبليس الملعون .

باب

ما جاء فى خراب الأرض والبلاد قبل الشام ومدة بقاء المدينة خراباً قبل يوم القيامة وفجأة علامة ذهاب الدنيا ومثالها وفك أول ما يخراب منها

٢٢٧١- وذكر أبو نعيم الحافظ ، عن أبي عمران الجوني ، وأبي هارون العبدى أنهما سمعا نوماً البكالى يقول : إن الدنيا مثلت على طير ، فإذا انقطع جناحاه وقع وإن جناحى الأرض مصر والبصرة ، فإذا خربتا ذهبت الدنيا .
٢٢٧٢- وذكر أبو زيد عمر بن شبة ، حدثنا موسى ابن إسماعيل قال : حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير قال : ذكر لى عن عوف ابن مالك أن النبى ﷺ قال : « أما والله يا أهل المدينة لتتركنها قبل يوم القيامة أربعين » .

[حديث حسن وإسناده منقطع]

باب لا تقوم الساعة حتك لا يقال فك الأرض : الله الله

٢٢٧٥- مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى لا

يقال فى الأرض : الله الله » . [حديث صحيح]

٢٢٧٦- وفى رواية أخرى : « لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله الله » .

[حديث صحيح]

فصل

٢٢٧٧- قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قيد الله برفع الهاء ونصبها، فمن

رفعها فمعناه ذهاب التوحيد ، ومن نصبها فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أى : لا تقوم الساعة على أحد يقول: اتق الله .
فيذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين وفاجأهم عند ذلك الحق اليقين ، وهو (معنى) قوله عليه الصلاة والسلام : «لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول: الله» .

بَاب

عَلَمٌ مِنْ تَقْوَمِ السَّاعَةِ ؟

٢٢٧٩- مسلم عن عبد الرحمن بن شماس المهدى قال : كنت عند مسلمة ابن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال عبد الله : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وهم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم ، فيبينما هم كذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له ابن شماس يا عقبة : اسمع ما يقول عبد الله ، فقال عقبة : هو أعلم ، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله فاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » فقال عبد الله : أجل : « ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها كمس الحرير لا تترك نفساً فى قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضتها ثم تبقى شرار الناس ، عليهم تقوم الساعة » . [حديث صحيح]

٢٢٨٠- وفى حديث عبد الله بن مسعود : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ، من لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، يتهاجون كما تتهاج الحمير » .

قال الأصمعى : قوله : يتهاجون يقول : يتسافدون يقال : بات فلان (يهرجها) ، والهرج فى غير هذا : الاختلاط والقتل . [حديث صحيح]
٢٢٨١- وخرج مسلم ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تذهب الليالى والأيام حتى تعبد اللات والعزى ، فقلت : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ أن ذلك (تام) . قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة ، فتتوفى كل من كان فى قلبه

مثقال حبة من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم » والله أعلم .
[حديث صحيح]

فصل

٢٢٨٢- ذكر أبو الحسن بن بطال رحمه الله في حديث في شرح البخارى له مبيناً لحديث البخارى عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذى الخلصة» الحديث وقد تقدم ، وقال: هذه الأحاديث وما جاء فيها معناها الخصوص ، وليس المراد بها أن الدين (كله) ينقطع كله فى جميع أقطار حتى لا يبقى منه شيء ، لأنه قد ثبت عن النبى ﷺ « أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعود غريباً كما بدأ » .

[حديث صحيح]

٢٢٨٣- روى حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن مطرف ، عن عمران ابن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» وكان مطرف يقول : هم أهل الشام .

قلت : ما ذكره من أن الدين لا ينقطع ، وأن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة يرده حديث عائشة وعبد الله بن عمرو ، وما ذكره من حديث عمران بن حصين وقد تقدم أن عيسى عليه (الصلاة و) السلام يقتل الدجال ويخرج يأجوج ومأجوج ويموتون ، ويبقى عيسى عليه (الصلاة و) السلام ودين الإسلام ، لا يعبد فى الأرض غير الله كما تقدم ، وأنه يحج ويحج معه أصحاب الكهف فيما ذكره المفسرون ، وقد تقدم أنهم حواريوه إذا نزل ، فإذا توفى عيسى عليه (الصلاة و) السلام بعث الله تعالى عند ذلك ريحاً باردة من قبل الشام ، فتأخذ تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة، كذا فى حديث النواس بن سمعان الطويل ، وقد تقدم . [حديث صحيح]

٢٢٨٤- وفى حديث عبد الله بن عمرو : ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو دخل أحدكم فى كبد جبل (لدخلته) عليه حتى تقبضه ، قال : سمعتها من رسول الله ﷺ وذكر الحديث . وقد تقدم بكماله . وفيه ذكر النفخ والصعق والبعث ، فهذا غاية فى البيان فى كيفية انقراض هذا الخلق وهذه الأزمان ، فلا تقوم الساعة

وفى الأرض من يعرف الله ولا من يقول : الله الله . [حديث صحيح]
(كامل كتاب التذكرة بحمد الله تعالى وعونه وصلواته على محمد خاتم
أنبيائه وصحبه وسلم تسليماً .)

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم ، أن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا
بالشهداء والصالحين ، وأن يجعلنا من عباده المتقين (المفلحين) الفائزين ، (الذين لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون، نفع الله به من عنى بتحصيله وغفر لنا وله ولمن
كتبه وقرأه وسمعه . آمين آمين آمين . إنه سميع قريب مجيب وصلى الله على محمد
خاتم النبيين ، وآله وصحبه أجمعين ، وسلم إلى يوم الدين ، كلما ذكرك الذاكرون
وغفل عن ذكرك الغافلون آمين ، آمين ، آمين) ويجعل ما كتبته خالصاً لوجهه
الكريم، بمنه وكرمه ، وأن ينفعنا به ووالدينا ، وغفر الله لصاحب هذا الكتاب ،
ولوالديه ، ولسائر المسلمين أجمعين . آمين يا رب العالمين .

تم الكتاب وربنا محمود وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبي محمد صلواته ماناح قمرى وأورق عود
ووافق الفراغ من نسخه ، فى منتصف شهر رمضان المعظم قدره ، من شهور
سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

على يد أقل عباد الله وأحوجهم إلى لطفه الخفى :

الحسن بن على بن منصور بن ناصر الخنفي .

غفر الله له ولوالديه ، ولمن قرأ فيه ، ودعا له بالتوبة النصوح ، والمغفرة
والرحمة يا رب العالمين ، ولسائر المسلمين أجمعين ، وصلى الله على سيدنا محمد ،
وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . حسبنا الله ونعم الوكيل .

تم التحقيق والتعليق والحمد لله أولاً وآخراً

وعلى رسوله صلى وسلم

الذي بنعمته تتم الصالحات

أبو مريم / مجتهد فتحى السيد

طنطا - مصر

حج حجة رجب من عام ألف وأربعمائة وأربعة عشر

من الهجرة النبوية

الصفحة	اسم الباب
٣	مقدمة الناشر.....
٤	مقدمة المحقق.....
٥	أهمية صحيح التذكرة للقارئ المسلم.....
٧	منهج العمل في هذا الصحيح.....
٨	خلاصة مقدمة الكتاب الكامل.....
١٣	كلمة أخيره.....
١٥	خطبة الكتاب.....
١٦	باب النهى عن تمنى الموت والدعاء به.....
١٨	باب جواز تمنى الموت والدعاء به خوفاً من ذهاب الدين.....
٢٠	باب ذكر الموت وفضله والاستعداد له.....
٢٣	باب ما يذكر الموت والآخرة ويزهد في الدنيا.....
٢٧	باب المؤمن يموت بعرق الجبين.....
٢٨	باب منه في خروج نفس المؤمن والكافر.....
٢٩	باب ما جاء أن للموت سكرات.....
٣٦	باب الموت كفارة لكل مسلم.....
٣٧	باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى.....
٣٩	باب تلقين الميت لا إله إلا الله.....
٣٩	أقوال العلماء في تلقين الميت.....
٤٠	باب من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير، وكيف الدعاء للميت إذا مات وفي تغميضه.....
٤١	باب منه وما يقال عند التغميض.....
٤١	باب ما جاء أن الشيطان يحضر الميت عند موته.....
٤٣	باب ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم.....
٤٧	باب ما جاء في رسل ملك الموت قبل الوفاة.....
٥١	باب متى تنقطع معرفة العبد من الناس وفي التوبة وبيانها، وفي التائب من هو.....
٥٥	باب لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يبشر وأنه يصعد بها.....
٥٨	باب ما جاء في تلاقى الأرواح في السماء.....
٦٠	باب في شأن الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد.....

الصفحة	اسم الباب
٦١	باب كيفية التوفى للموت واختلاف أحوالهم في ذلك.....
٦٣	باب ما جاء في صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر.....
٦٥	باب ما جاء أن ملك الموت هو القابض لأرواح الخلق.....
٦٧	باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر.....
٦٧	باب ما جاء في تزاور الأموات في قبورهم واستحسان الكفن لذلك.....
٦٨	باب الإسراع في الجنائز وكلامها.....
٦٩	باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن وبعده.....
٧٣	باب يدفن العبد في الأرض التي خلق منها.....
٧٤	باب ما جاء أن كل عبد يذر عليه من تراب حفرة وفي الرزق والأجل.....
٧٥	باب ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه.....
٧٦	باب ما جاء في هول المطلع.....
٧٧	باب ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده وفي حكمه والاستعداد له.....
٨١	باب ما جاء في اختيار البقعة للدفن.....
٨١	باب في فقء موسى عليه السلام عين ملك الموت.....
٨٢	باب في فضل الموت في المدينة المنورة.....
٨٤	باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم.....
٨٥	باب ما جاء أن الموتى يتزاورون في قبورهم واستحسان الكفن لذلك.....
٨٥	باب ما جاء في كلام القبر كل يوم وكلامه للعبد إذا وضع فيه.....
٨٦	باب ما جاء في ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحاً.....
٨٧	باب منه وما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه.....
٨٨	باب ما يقال عند وضع الميت في قبره وفي اللحد في القبر.....
٨٩	باب الوقوف عند القبر بعد الدفن والدعاء بالتثبيت.....
٩٢	البراءة من الصالقة والحالقة والشاقة.....
٩٢	باب ما جاء في تلقين الإنسان بعد موته شهادة الإخلاص.....
٩٣	باب في نسيان أهل الميت ميتهم وفي الأمل والغفلة.....
٩٣	باب ما جاء في رحمة الله بعبده إذا أدخل في قبره.....
٩٤	باب متى يرتفع ملك الموت عن العبد.....

الصفحة	اسم الباب
٩٥	باب فى سؤال الملكين للعبد وفى التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار
٩٩	باب ذكر حديث البراء المشهور الجامع لأحوال الموتى
١٠٢	الرد على الملحدة
١٠٨	باب اختلاف الآثار فى سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم
١٠٨	باب ما جاء فى عذاب القبر وأنه حق
١١٠	باب ما يكون منه عذاب القبر واختلاف أحوال العصاة فيه
١١٤	باب ما جاء فى بشرى المؤمن فى قبره
١١٤	باب ما جاء فى التعوذ من عذاب القبر وفتنته
١١٥	باب ما جاء أن بهائم تسمع عذاب القبر
١١٦	باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال
١١٧	باب قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا﴾
١٢٠	باب ما ينجى المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه
١٢٤	باب ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى
١٢٥	باب ما جاء أن أرواح الشهداء فى الجنة دون أرواح غيرهم
١٢٩	باب كم الشهداء؟ ولم سمي شهيداً؟ ومعنى الشهادة
١٣٢	باب ما جاء أن الإنسان ييلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب
١٣٢	باب لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء والشهداء وأنهم أحياء
	باب فى انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وكم بين النفختين وذكر البعث والنشر
١٣٤	والنار
١٣٦	باب فى قول الله تعالى: ﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات﴾
١٤١	باب يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده
١٤٢	فصل فى بيان ما أشكل من الحديث من ذكر اليد والأصابع
١٤٥	باب البرزخ
١٤٦	باب ذكر النفخ الثانى للبعث فى الصور وبيانه
١٥٠	فصل فى عدد النفخات
١٥١	باب منه فى صفة البعث وما آية ذلك فى الدنيا وأول ما يخلق من الإنسان رأسه
١٥١	باب يعث كل عبد على ما مات عليه

الصفحة	اسم الباب
١٥٣	باب فى بعث النبى ﷺ من قبره
١٥٣	باب ما جاء فى بعث الأيام والليالى ويوم الجمعة
١٥٦	باب منه : أمور تكون قبل الساعة
١٦٠	باب الحشر ومعناه الجمع
١٦٣	باب بيان الحشر إلى الموقف كيف هو ؟ وفى أى أرض الحشر ؟ وذكر الصخرة
١٦٦	باب الجمع بين آيات وردت فى الكتاب فى الحشر ظاهرها التعارض
١٦٩	باب ما جاء فى حشر الناس إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلاً ، وفى أول من يكسى منهم وفى أول ما يتكلم من الإنسان
١٧٠	فصل فى الحكمة من تقديم إبراهيم عليه السلام فى الكسوة
١٧١	باب منه : وبيان قوله تعالى : ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾
١٧١	باب قول النبى ﷺ «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾
١٧٢	و... وذكر أسماء يوم القيامة
٢٠٠	باب ما يلقى الناس فى الموقف من الأهوال العظام والأمور الجسام
٢٠٦	فصل فى حر الشمس ، وعرق الناس فى الموقف
٢٠٨	باب ما ينجى من أهوال يوم القيامة ومن كربها
٢٠٩	باب فى الشفاعة العامة لنبينا محمد ﷺ لأهل الحشر
٢١١	باب ما جاء أن هذه الشفاعة هى المقام المحمود
٢١٤	فصل فى اختلاف الناس فى المقام المحمود
٢١٥	فصل فى عصمة الأنبياء
٢١٦	باب من أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ يوم القيامة
٢١٧	باب فى العرض والكتب والحساب وكيفية وقوف الناس للحساب
٢١٨	فصل فى قوله تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ﴾
٢٢٢	باب فى قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾
٢٢٢	باب فى قوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾
٢٢٣	باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال
٢٢٨	باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

الصفحة	اسم الباب
٢٣٠	باب القصاص يوم القيامة ممن استطال في حقوق الناس وفي حبه لهم حتى ينصفوا منه
٢٣٤	فصل في الحث على المسارعة في محاسبة النفس
٢٤٢	باب في إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة
٢٤٢	باب أول من يحاسب أمة محمد ﷺ
	باب أول ما يحاسب عليه العبد من عمله : الصلاة . وأول ما يقضى فيه بين الناس: الدماء
٢٤٢	وفي أول من يدعى للخصومة
٢٤٦	باب منه : في سؤال الله للعبد يوم القيامة
٢٤٧	باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما
	باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام بما عمل فيها وعليها ، وفي شهادة المال على صاحبه
٢٥١	باب ما جاء في سؤال الله تعالى الأنبياء وفي شهادة هذه الأمة للأنبياء على أمهم
٢٥٣	باب ما جاء في شهادة النبي ﷺ على أمته
٢٥٤	باب ما جاء في عقوبة مانعي الزكاة وفضيحة الغادر والغال في الموقف وقت الحساب ...
٢٥٨	باب منه : وذكر الولاية
	باب ما جاء في حوض النبي ﷺ في الموقف وسعته وكثرة أوانيها وذكر أركانه ومن عليها
٢٦٢	باب فقراء المهاجرين أول الناس وروداً الحوض على النبي ﷺ
٢٦٢	باب ذكر من يطرد عن الحوض
٢٦٣	فصل في أقوال العلماء في المطرودين
٢٦٤	باب ماجاء أن لكل نبي حوضاً
٢٦٤	باب ما جاء في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ في الجنة
٢٦٤	آخر الجزء الأول من كتاب التذكرة
٢٦٥	الميزان وما جاء فيه
٢٦٦	في بيان كيفية الميزان
٢٧٤	في ذكر أصحاب الأعراف
٢٧٦	يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد

الصفحة	اسم الباب
٢٨٠	كيف الجواز على الصراط وصفته
٢٨٦	ثلاثة مواطن لا يخطمها النبي ﷺ
٢٨٧	فى تلقى الملائكة للأنبياء وأممهم
٢٨٧	ذكر الصراط الثانى وهو القنطرة
٢٨٨	من دخل النار من الموحدين
٢٨٩	فىمن يشفع لهم قبل دخول النار
٢٩٠	فى الشافعين لمن دخل النار
٢٩١	فى الشفعاء وذكر الجهنميين
٢٩٧	يعرف المشفوع فىهم بأثر السجود
٢٩٨	ما يرجى من رحمة الله
٣٠٠	حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
٣٠١	احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها
٣٠٧	فى صفة أهل الجنة وأهل النار
٣٠٩	فى أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار
٣١١	ما جاء أن العرفاء فى النار
٣١١	لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع رحم
٣١٢	ما جاء فى أول من تسعر بهم جهنم
٣١٣	فىمن يدخل الجنة بغير حساب
٣١٤	أمة محمد شطر أهل الجنة وأكثر
٣١٦	باب ما جاء أن النار لما خلقت فرعت الملائكة
٣١٦	ما جاء فىمن سأل الله الجنة
٣١٦	باب فىما تقرر من الكتاب والسنة
٣١٧	ما جاء فى جهنم وأنها أدراك
٣١٨	ما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ لها سبعة أبواب ﴾
٣١٩	بعد أبواب جهنم بعضها عن بعض
٣٢١	ما جاء فى عظم جهنم وأزمتها
٣٢٣	ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

الصفحة	اسم الباب
٣٢٣	ما جاء فى سعة جهنم وعظم سرادقها
٣٢٤	قول الله تعالى : ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾
٣٢٥	ما جاء فى صفة جهنم وحرها
٣٢٧	ما جاء فى شكوى النار وكلامها
٣٢٩	ما جاء فى مقام أهل النار وسلاسلهم
٣٣٠	ما جاء فى كيفية دخول أهل النار النار
٣٣١	ما جاء فى رفع لهب النار أهل النار
٣٣٢	ما جاء أن فى جهنم جبلاً وخنادق
٣٣٤	قوله تعالى : ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾
٣٣٦	قوله تعالى : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾
٣٣٦	تعظيم جسد الكافر
٣٣٨	شدة عذاب أهل المعاصى
٣٣٩	عذاب من عذب الناس فى الدنيا
٣٣٩	شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأت
٣٤٢	فى طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم
٣٤٣	أن أهل النار يجوعون ويعطشون
٣٤٧	باب ما جاء فى بكاء أهل النار
٣٤٨	لكل مسلم فداء من النار من الكفار
٣٤٩	قوله تعالى : ﴿ وتقول : هل من مزيد ؟ ﴾
٣٥١	آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة
٣٥٣	خروج الموحدىن من النار
٣٥٦	الاستهزاء بأهل النار
٣٥٧	ميراث أهل الجنة منازل أهل النار
٣٥٧	ما جاء فى خلود أهل الدارين
٣٦٠	ذابح الموت جبريل عليه السلام
٣٦١	الجنة وما جاء فيها
٣٦١	صفة أهل الجنة فى الدنيا

الصفحة	اسم الباب
٣٦١	هل تفضل جنة جنة ؟
٣٦٦	صفة الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأهلها
٣٦٧	ما جاء فى أنهار الجنة وجبالها
٣٦٨	من أين تفجر أنهار الجنة ؟
٣٦٩	أن الخمر شراب أهل الجنة
٣٦٩	ما جاء فى أشجار الجنة
٣٧٢	فى كسوة الجنة وكسوة أهلها
٣٧٢	أن شجر الجنة وثمارها تنفتق عن ثياب الجنة
٣٧٣	ما جاء فى نخيل الجنة وثمرها
٣٧٣	الزرع فى الجنة
٣٧٣	ما جاء فى أبواب الجنة
٣٧٦	ما جاء فى درج الجنة
٣٧٧	ما جاء فى غرف الجنة
٣٨٠	ما جاء فى قصور الجنة ويوتها
٣٨١	قوله تعالى : ﴿ وفرش مرفوعة ﴾
٣٨١	ما جاء فى خيام الجنة
٣٨١	أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء
٣٨٤	ما جاء فى صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنهم وطولهم
٣٨٧	أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين
٣٨٩	إذا ابتكر الرجل امرأة فى الدنيا
٣٨٩	أن فى الجنة أكلاً وشرباً ونكاحاً
٣٩٠	المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة
٣٩٠	ما جاء أن كل ما فى الجنة دائم
٣٩١	أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا
٣٩١	طير الجنة وخيلها وإبلها
٣٩١	أن الحناء سيد ريحان الجنة
٣٩١	أن الشاة والمعزى من دواب الجنة

الصفحة	اسم الباب
٣٩٣	فى أن الجنة قيعان
٣٩٣	ما لأدنى أهل الجنة منزلة وما لأعلاهم
٣٩٤	رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة
٣٩٤	رؤية أهل الجنة لله تعالى
٣٩٧	فى سلام الله تعالى عليهم
٣٩٨	قوله تعالى ﴿ ولدينا مزيد ﴾
٣٩٩	من أقوال العلماء فى تفسير كلمات وآيات من القرآن
٤٠٥	أطفال المسلمين والمشركين
٤١١	فى ثواب من قدم ولدأ
٤١٢	نزل أهل الجنة وتحفهم
٤١٤	مفتاح الجنة لا إله إلا الله والصلاة
٤١٥	الكف عنمن قال : لا إله إلا الله
٤١٥	قتل المؤمن والإعانة على ذلك
٤١٦	إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر
٤٢٣	فى رحى الإسلام ومتى تدور
٤٢٤	أن عثمان لما قتل سل سيف الفتنة
٤٣٥	لا يأتى الزمان إلا والذى بعده شر
٤٣٦	الفرار من الفتن وكسر السلاح
٤٣٧	الأمر بلزوم البيوت عند الفتن
٤٣٨	كيفية التثبت فى الفتنة والاعتزال عنها
٤٤٠	الأمر بتعلم كتاب الله
٤٤٢	إذا التقى المسلمان بسيفيهما
٤٤٤	جعل الله بأس هذه الأمة بينها
٤٤٥	ما يكون من الفتن وأخبارها
٤٧	ذكر الفتنة التى تموج موج البحر
٤٩	ما جاء فى مقتل الحسين رضى الله عنه
٤٥٧	الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للمقتل

الصفحة	اسم الباب
٤٦٠	جعل الله في أول هذه الأمة عافيتها
٤٦٢	جواز الدعاء بالموت عند الفتن
٤٦٣	أسباب الفتن والمحن والبلاء
٤٦٦	أبواب الملاحم
٤٦٦	أمارات الملاحم
٤٦٧	ما ذكر في ملاحم الروم وتواترها
٤٧١	ما جاء في قتال الترك وصفتهم
٤٧٣	في سياقة الترك للمسلمين
٤٧٦	ذكر البصرة والأيلة وبغداد والإسكندرية
٤٧٨	ما جاء في فضل الشام
٤٧٨	ما جاء في المدينة ومكة وخرابهما
٤٨٥	الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمى المهدي
٤٨٦	المهدي وخروج السفيان عليه
٤٩٠	المهدي وذكر من يوطئ له ملكه
٤٩٠	المهدي وصفته واسمه، وإعطائه ومكثه
٤٩١	المهدي يملك جبل الديلم
٤٩١	ما جاء في فتح القسطنطينية
٤٩٣	في أشراط الساعة وعلاماتها
٤٩٤	قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين»
٥٠٢	فصل حول ذي الخلصة والخلصة
٥٠٦	كيف يقبض العلم
٥٠٧	الأرض تخرج ما في جوفها
٥٠٨	ولاة آخر الزمان وصفتهم
٥١٢	في رفع الأمانة والإيمان من القلوب
٥١٣	في ذهاب العلم ورفعه
٥١٥	في درس الإسلام وذهاب القرآن
٥١٦	العشر آيات التي تكون قبل الساعة

الصفحة	اسم الباب
٥٢٠	ما جاء فيمن يخسف به أم يمسخ
٥٢١	ذكر الدجال وصفته ونعته
٥٢٩	في عظم خلق الدجال وعظم فتنته
٥٣٠	خروج الدجال وما يجيء به من الفتن
٥٤٥	ما جاء أن الدجال لا يضر مسلماً
٥٤٦	ما ذكر أن ابن صياد : الدجال واسمه صاف
٥٤٨	فصل في اختلاف الناس في ابن صياد
٥٤٩	نقب يأجوج ومأجوج السد
٥٥٨	طلوع الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة
٥٦١	خراب الأرض والبلاد قبل الشام
٥٦١	لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله
٥٦٢	على من تقوم الساعة ؟

من منشورات
دار الصحابة للتراث

صحيح
صريح

السيرة النبوية

لابن هشام

أعد

بكري فتحى السيرة

دار الصحابة للتراث بطرابلس
للنشر والتحقق والتوزيع

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧٣/١٩٩٥

